محمد المختار السوسي



المغرب

بقيــة

الفصــل الاول

من

القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء

سيدى الحسن التاسينتى السليمانى
سيدى صالح الاوفقيرى
سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
سيدى عبد الله باولا الزاوى
سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
سيدى البشير بن الطيب السليمانى
سيدى موسى بن الطيب السليمانى
سيدى الحسين بن احمد بن صالح السعيدى
السيدة (تاكدا) بنت سعيد الواكشريرية
سيدى ابراهيم بن احمد الطالبى السعيدى
سيدى احمد أبو الفدام الافقيرى
سيدى على بن‌صالح الاوفقيرى
سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
سيدى عبدالله بن احمد الصالحى
سيدى صالح بن احمد الصالحى
سيدى احمد بن محمد التهالى
سيدى احمد ابن الشيخ الالغى
سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
سيدى محمد بن عبدالله الصالحى
سيدى عبد الحى بن عبدالله الصالحى
سيدى المدنى بن‌على‌بن عبد الله الصالحى

الفقيه سيدي الحسن التياسنتي

= ١٢٦٦ هـ = ٢٩-٤-١٣٥٦ =

نسبه

الحسن بن أحمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد

جده سيدى سليمان هو الفقيه الذى مرت بك ترجمته • وسيدى ابراهيم ابن سليمان هو عم ابيه ، وقد قرات أيضا مايتعلق به اذ نشأ فى أسرة كانت تمت الى العلم بسبب ، وينزعه اليه هذا النسب ، فلاغرو ان راينا اسرته مالت به للتعلم لعله يرد اليها ذلك المجد العلمى الذى تعرفه فى أيام من سلف منها وهو أصغر كماترى من قرينه العلامة سيدى محمد بن عبد الله بسنة ، لان ولادة العلامة فى سنة ١٢٦٥ هـ وهذا فى سنة ١٢٦٦ هـ وقد يسر الله الوقوف على وقت ولادته بعد وفاته مع كونه حريصا رحمه الله على أن لايعرف عنه ذلك طوال حياته • ولايدرك ما العلة ؟ وقد وقفت على زواج أمه بابيه مؤرخا برمضان سنة ١٢١٢ هـ وقد عطف على كاتبه الفقيه ابراهيم بن سليمان • الطيفور بن محمد ابن احمد الساموكنى ، والد العلامة سيدى الحسن بن الطيفور الشهير

منشأه ومتعلمه

نشا سيدى الحسن التياسنتي والشيخ الالغى والاستاذ سيدى محمد بن عبد الله نشأة واحدة ، واسنانهم متقاربة وكلهم لدات ، ثم مازالوا جميعا على وتيرة واحدة فى كل زمان الاخذ حتى اذا حان الاياب ، وقيل قد امتلات الاوطاب تجاوروا فرادى أطلاقا ، وكل يمعن فى احراز السبق ، فكان من الاستاذ ابن عبد الله مارأيت وظهر من الشيخ الالغى ماشاهدت فلننظر الى قرينهما هذا لنرى أهو مثلهما كان مجدودا أم كان من المحدودين (١) ؟

أخذ القرءان فى مسجد القرية عن مودبين ، ولكنه انما تخرج بالاستاذ سيدى بلقاسم أفكان الايسى الذى تخرج به قريناه المتقدمان ، ثم التحق بالمدرسة التانكرتية فى رفقة العلامة ابن عبد الله ، فلازم سيدى محمد بن ابراهيم الافرانى الى حوالى ١٢٩٠ هـ فانتقل من تلك المدرسة الى ادوز حيث الاستاذ سيدى محمد

---

١) المجدود بالجيم السعيد وبالحاء غيره

ابن العربي الادوزي ، وقد وقفت على بطاقة صغيرة بخط هذا الاستاذ كصفحة وجنة الذبابة ، ولكنه خط الاستاذ الجميل الرقيق ، كتب فيها ما ياتي بالمعنى لضياع البطاقة بين الاوراق بعد ما استوعبت ما فيها :

«قد اذنا لسيدي الحسن آلوفقاوي ان يتصل بالبيت الذي فيه ءال أماسين وكتبه محمد بن العربي في تاريخ ٠٠٠٠٠» فوجدت رقم التاريخ قد بشره صاحب الترجمة ، ولاندري ما الذي حمله على ذلك ولولا ذلك لاهتدينا الى الوقت الذي اتصل فيه بالمدرسة الادوزية وقد نسبه الاستاذ غلطا الى ءايت وفقا اوتعمد ذلك للمجاورة ، ثم انه واظب هناك وهو من النجباء الذين يشاراليهم ويدعى هناك بسيدي الحسن الدرقاوي ، لانه كان اعتنق هذه الطريقة الدرقاوية حين كان بالمدرسة التانكرتية ، كما اعتنقها هناك غالب الطلبة ، لما رأوه من استلذهم سيدي محمد بن ابراهيم الذي انقاد لشيخها سيدي سعيد المعدري ثم ان صاحب الترجمة تحول عنها الى التيجانية بعد ذلك

وفي نحو ١٢٩٥ هـ فارق المدرسة الادوزية ، وذكر العم ابراهيم أنه كان لايودع أساتذته عند انتقالاته وقد زعم العم أنه أتى من تلك الجهة ، ثم انقطع الى المدرسة البومروانية عند أستاذها سيدي محمد بن عبد الله بصفة معاون في الدراسة وقلما يحضر دروس الاستاذ ، وكأنه اكتفى بما أخذه عن الاشياخ الكبار وأنف من الاخذ عمن كانوا من أقرانه ، ولكنه مع ذلك يصفه بشيخه كما سنرى ذلك فيما ياتي

مشارطاته

وفي سنة ١٢٩٦ هـ أوفي أواخر التي قبلها افتتح المشارطة ، فشارط سنة في مدرسة (تانالت) من قبيلة أيت صواب ثم سنة في المدرسة الايغشانية ثم راجع الاولى فلازمها ثماني سنوات الى سنة ١٣٠٥ هـ ثم نحو أربع سنوات في المدرسة (التاكوشتية) من أيت صواب ، ثم ثلاث سنوات في المدرسة الفوكارضية ثم تقلب بعد ذلك في مدارس ومساجد شتى ، لانه لم يفارق قط المشارطة ، منها مدرسة (تازموت) سنتين ومدرسة (أيمور) سنة ومدرسة (ايكيسل) ثلاثة سنوات ومسجد (أكادير ايزري) ومسجد (تازمورت) ومسجد (كرامة) ومسجد (أيت أمزيل) من أيت صواب ومسجد (ايزورزن) من تاسريرت ومسجد (اكرض) من تامانارت ومسجد (تاكانزا) كلها اوغالبها مر بها سنة سنة ثم لما أسن لزم داره حتى لحق بربه

نبذة من أحواله

كان رحمه الله فيما يقول الناس عنه وتمالؤوا عليه ـ ولم اخالطه أنا ـ

حولا قلبا ، فلما يستقر على حاله فاداه ذلك -كماترى- الى أن ابتدأ المشارطة في المدارس الكبار ولم يزل يتقلب فيها حتى تدلى الى المساجد مع علمه الثابت وكان لو وفق ان يدرس كما ينبغي استاذا يصلح لذلك الميدان ، ومفتيا يليق أن يخوض ميادين اقرانه من مفتي عصره ، ولكن ذلك لم يقدر له مع حرصه الشديد ، وحرقه على الارم (١) على أن يزاحم أساتذة الغ بمنكب عريض وبذله جهده في أن يكون له مقام بينهم ، فلم تلاحظه السعادة ولاوطئت له السبل ، وربما منعه من ذلك صدور بعض ماينبغي أن يرمس اليوم كمارمس صاحبه أمس على أن من سبقوه في الميدان غير معصومين وانما سترتهم اخلاقهم ودينهم وتاديتهم لمنصب العلم حقه من السكينة والوقار وسترعيوب الناس ، فستر الله عيوبهم واكرر أنني لم أخالطه رحمه الله ، ولم أنقل هنا الاماأسمعه متواترا ويظهر لي منه أن الذي تنكبه من المحافظة على منصبه العلمي هوالذي ابرزه أمام الناس بهذا المظهر ، والا فانه من التلائين للقرءان ، المواظبين على الصف وما هو الاكغالب الناس (ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟) وما من واحد منا الا وفيه مايقال لولا ستر الله

عهدي به رحمه الله سنة ١٣٣٥ هـ حين فتك بالشيخ احمد الامازري وقد قدمت من المدرسة التانكرتية في بعض العواشر فاستدعاني الى داره فصار يسرد علي من قصيدة قالها في قضية الامازري ولااستحضر الان كيف القصيدة ؟ ثم كنت متى قدمت الى الغ ، زمن هجرتي الطويلة يقدم الى حتى يراني وكان محافظا على ذلك بكل دقة ، وءاخر زورة زارني فيها زورته في صفر ١٣٥٦ هـ اثر نفيي هذا الى هذه القرية ، وهو نحيف مقوس لاتكاد رجلاه تحملانه من الهرم ، ثم لم يلبث أن سقط مريضا فتوفي

وكان في ءاخر عمره أكبر من بالقرية سنا ، فكان يتصدر في المجامع وحفلات (المعاريف) التي لم يحضر فيها الاستاذ علي بن عبد الله فكان يفتتح الادعية التي تتلى عادة في (المعاريف) وقد كان ذلك المركز قبله للفقير سعيد اللحياني ثم ورثه عنه صاحب الترجمة ، وكان جماعة للكتب والرسائل التي يتوصل بها باي طريق ضنينا بما تحت يده عن المطالعين ، فيما يقول الناس ثم تسلط عليه ولده عبد العزيز فبعثر من ذلك ماسبب جرحا نخلا في قلب الاستاذ الى أن أرمس حتى أنه لم يوجد له بعد وفاته من هذه الرسائل والكتب مايظن انه عنده وقد ظفرت من عنده برسائل وقصائد لاصحابها وقد خط بيده كتبا في زمن اخذه رأيتها ، وكان خطه وسطا ، وان كان لقلمه بعض عثرات وكان أول

١) الارم كوكع الاضراس وحرقها كضرب وهي حكها فيما بينها حتى يسمع لها صريف اي صوت ، وذلك يقال فيما يتطاول اليه الانسان ويتلهف عليه لشدة الغيظ من أجله

أمره يقصد للافتاء ولفض النوازل وقسم التركات ، ثم لم يلبث ذلكأن انقطع عنه بسبب علماء ءال صالح الافذاذ الذين ماكانوا ليسابقوا فى ذلك الميدان ، ومن جاور البحار لايميل الى السواقى

وما أنت الا الشمس بين كواكب　　اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

آثـارلا

يظهر مما قراته له أن كتابته ليست هناك وخصوصا اذا مال الى القريض فقد وقعت لهعلى مقطعات متعددة لو كان لها معنى مستقيم لقلنا انها من مجمع الابحر ولكن لماجدلها معنى مستقيما ، ولاوزنا متحدا ومن بين ماوقعت عليه بين أوراقه ، قصيدة خاطب بها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ، وقد وطالها بنثر فلنسق نثرها وبعض أبياتها ، ولاأفشى سرا اذاقلت انى قد اجتهدتكل الاجتهاد حتى جمعت من القصيدة أبياتا اتفق مصادفة أنها كانت على وزن واحد ونص ذلك :

الى درة تاج المعالى الملحوظ بعين رعاية الله تعالى ربيع الجنان ورعايـــة الاعيان قطب الدائرة ، وبدر النجوم الزاهرة ، صبح الظلام وقطب الانام ابى عبد الله جمال الدين ، سيدنا محمد بن عبد الله من سلالة الـولى الربانى ، وأستاذناالعرفانى وجدنا التيظاهارينى سيدنا عبد الله بن سعيد من تلميذكم الحسن بن أحمد ، حسن الله عاقبته واحمد ، السلام التام والرحمة والبركة عليكم وعلى جميع من تشبث بذيلكم الباذج من الاخوان والطلبة ، والمرام الاعظم والغرض الاهم الدعاء من سيدى فى أوقات الاجابة بنيل المنى وقد قلت فىشان سيدى نثرا على صورة نظم ، امتثالا لامره ، حيث قال :

تكلف ما استطعت من القريض　　فان الدب من برء المريض

(الى ءاخر الابيات الستة) وقلت:

شوقى لاخوانى وشيخ مشايخ　　يذكى الفؤاد بشعلة لاتخمـد
جرح البكاء الجفن حتى اهتاجنى　　وبنا ولـوع لاعـــج وتسهد
رمت السلو فما أطقت تصبرا　　أودت بنا زفرات صدر تصعد

الى أن قال متغزلا ومتشكيا

ريم وبدر طالع بـل غـادة　　تفتر عن ثغر بحسن يشهد
ذهبت بلـبـى بضة رعبوبـة　　تركت فؤادى فى الهوى يتبدد
ذرت كما ذرت مهاة بالضحى　　فتشب فى الاحشاء نارا توقد (١)

---

١) المهاة : الشمس

روح المحب وصال من يهواه ان لم يلقه فالطرف منه مسهد
حرمن ملتذ السنات على شبج لم يستطع اخفاء ما يتوقد
أضنى غرامكم ضلوعي كلها حتى كأنى فى المقابر ملحد

الى أن قال فى مدح الاستاذ

شيخي اخي حلف الرشاد المجتبى ياخير ساكن (تحت حصن) يمجد
حزت المرام من المكارم والعلا سمة الوسامة من جبينك تشهد

هذا مااخترناه من القصيدة ويظهر أنه ألقى معاناة القريض بعد ذلك ظهريا فلم أسمع منذ نشأت أنه حاول أن يلقى فى المحافل الادبية الالغية المتواليةقصيدة بل ماكنت اعلم انه يتعاطى ذلك حتى اطلعت علىماقاله فى قضية الامازرى ثم كأنه أتلف ذلك أيضا ، وقد بحث عن ءاثاره بعده بين أوراقه فلم توجد

وهذا البيت الذى اوله (تكلف كما استطعت من القريض) ٠٠٠٠ نسبه كما ترى معوستة ابيات اشاراليها الى الاستاذ ابن عبد الله ، وخاطبه بذلك كماترى وقدشاعأيضا عند الالغيين أنها له ، وأول ماسمعت البيت من الفقيه سيدى موسى بن الطيب ، ولكن استاذنا سيدى عبد الله بن محمد ابن ذلك الاستاذ ينكر أنتكون له، وقال انها قديمة ولم أدرأنا حقيقة ذلك

الآخذون عنه

ان الانسان اذا تخطته السعادة ، وكان ممن قلب لهم الدهر ظهر المجن يكون كلما فتح جناحيه الى التحليق ردته الزوابع حتى يكون بها من المسفين

اذا لميكن عون من الله للفتى فاول ما يجنى عليه اجتهاده

فقد صدق ذلك فى صاحب الترجمة ، فانه ممن أخطاه الحظ فى سمعته وفى علمه الكثيروفى ذاتيده كما اخطأه فى ميادين التهذيب والتخريج ، فانه مع كثرة دورانه فى المدارس كما رأيت ومع امضائه زهرة شبابه فى معاطاة العلوم لم يتيسر لهأنيتكون له أتباع يرفعون رايته وذلك منسوء البخت فقط ، والا فماكاندون بعض منيشاراليهم من معاصريه بالبنان وقديما قيل فقاتل بسعد والا فدع ، وقضية مالك وشيخه ربيعة الراى مشهورة ، فشهرة الانسان وطيران صيته واقبال الناس عليه وكونه ممن يوطأ عقبه ، كل ذلك من الحظوظ التى ليس للانسان فى مجاريها يد

لاأستحضر الان ، ولايستحضر العم ابراهيم ممن يمكن أنينسب للاستاذ من علماء هذا العصر ، الا الفقيه سيدى على الجزولى الشهير اليوم بأملن والا الفقيه سيدى الحسن بن محمد التانضيلتى التملى ، فهما لاغير من يمكن انينسبا له لانهما قدمرا بين يديه فى حقبة من احقاب اخذهما وسترى ترجمتها انشاء

الله أمامك فى مناسبةما

هذا هو الفقيه سيدى الحسن التياسينتى الكبير المسن الذى عمر تسعين سنة حتى خالطه الخرف قبل موته بقليل فقد حدث العم انه بينماهويصلى فوق المسجد السليمانى اذابه تناول تمراياكله ، وقد كان رحمه الله فى استحضار ءايات القرءان الى ايامه الاخيرة مما يتعجب منه العم ، فلايمكن أن تراد ءاية الاذكر أولها فى الحين ، من غير أن يقرأ من بعيد ، كما هى عادة غالب الناس رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر لنا وله ، وقد فاظت روحه عند الاسفار يوم الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثانى بعد مرض أيام وقد عقب من الذكور محمداوهو حافظ لكتاب الله محترم حسن الاخلاق من رجالات القرية (ولايزال حيا الان ١٣٨٠ هـ)

رثـاؤه

قلت فيه ارتجالا بعد وفاته وقد كنت اسمع عنه ذكرا جميلا نحوى وقد ألممت بالحالة التى انا فيها الآن من النفى الى الغ من الحمراء

يرحمك الرحمن ياحسن ... فانت عندى حسن بسن
كنت تحافظ على مقتى ... تفعم من اثنائك الاذن
تقول انى قد فرحت وقد ... آب اخونا المصقع اللسن
سامحك الرحمن كيف ترى ... بشرا بما انا به شجن
لكن ذلك يدل على ... انك صفو مابه أسن (١)
لم أك مصقعا ولا لسنا ... كيف يرى لمقولى لسن ؟
بل امرء زمنه خانه ... ياويح من قد خانه الزمن
قد صرت مغبوطا لدى وقد ... ضم على أعطافك الكفن
قد استرحت اليوم مما أنا ... مازلت فيه بين من سجنوا
لقيت غفرانا ومرحمة ... والروح والريحان ياحسن
وجنة الرضوان من منعم ... تجم من أنعمه المنن

ولم نثبت هذه القطعة الا لكونها تتعلق بهذا السيد والا لكونها صوانا لهذه الزفرة ولم تبلغ منا البلادة ـ والحمد لله ـ ان نحسب مثل هذا من الشعر الذى ينبغى أن يعتز به

---

١) أسن الماء : تغير

الفقيه سيدى صالح الافقيرى

(١٢٥٩ هـ = ١٣٢٨ هـ)

نسـبـه :

صالح بن احمد بن احمد بن محمد بن صالح بن ابراهيم بن علي بن ابراهيم ابن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد

قرأت فيما تقدم ترجمة جده ابراهيم بن بلقاسم التاكانزى الرجل الصالح الذى تفرعت عنه فروع تأتى لبعض غصونها أن تثمر بالمعارف ، وكان صالح بن أحمد هذا أسبق آله فى ذلك

قرأ القرءان اولا فى قريته (اكرض اوفقير) عن بعض مؤدبين يجهل من حدثنى عنه اسمه ، ثم رحل فى تجويد القرآن وتتميم حفظه الى قبيلة أيت بعمران عند أستاذ مجود هناك يسمى سيدى مسعود أفلوس كان أصله من تاكانـزا ثم انتقل بأسرته فحط رحله هناك ، ثم ارتحل أيضا صاحب الترجمة الى حاحة فهناك افتتح الدراسة العلمية عند بعض الاساتذة ولم نعرف من هو ثم آب الى سوس فجاور فى المدرسة المحمدية عند استاذها الشهير سيدى سعيد الشريف وهو اذذاك ومدرسته كعلم فوقه نار ، فبقى هناك ماشاء الله حتى رجع سنـة ١٢٩٣ هـ فلازم داره ثم تزوج على راس القرن وقد جاور ايضا فى ادوز سنتين بين ذلك فاخذ عن ابن العربى الادوزى

صادف عند رجوعه من بنى عمه الالغيين من تمخضوا عن ذلك الفحل القرم الذى لايلز معه فى قرن سيدى محمد بن عبد الله ، فلم يمكن له ان يظهر أمامه علمه ولاأن تخفق معه رايته فى ميادين الافتاء والقضاء مـع اصطدامه وسنـة ١٢٩٥ هـ فشغله هم المعيشة وهم الزيت والحطب عن ان يتطاول الى المجاراة فى الميدان وكانت فيه ليونة ورضا بالموجود ورمى الرسن على كاهـل القدر ، وترك السفينة تترامى بها الرياح كيف شاءت ، فاكتفى بأن تكون له صحبة مع ابناء عمه الالغيين ، فكان يفد كثيرا اليهم ويزور الصالحين والشيخ الالغى وهو مشتمل بشـياب المسكنة غير حافل بادوات المعالى ، ولا بالتظاهر بمظاهر العلماء ولاباتخاذ شارتهم فى اللباس على العادة بل كان من لايعرف الحقائق ولايتجاوز القشور الى اللباب ، يظنه ممن ليس لهم نصيب من العلوم مع أن له -كما قال العم- يدا جوالة فى الفقهيات والنوازل ، والعربية وكل الفنون التى تعاطاها ولكنه أراح نفسه وأوى الى اراحة فكره فهدأ يراعه ، فقلما يـجـول

ظاهرافى ميادين العلوم الالماما فى فتوى اوفى حكم فى القضايا الصغيرة

هذه هى حاله كما حكى العم ابراهيم حفظه الله • اقول انالناساصناف قديما وحديثا فكثيراما نرى اناساعلى هذه الاوصاف لم يحملهم عليها بخل ولا جبن وانما هىجبلة خلقوا عليها، وترى أناسا آخرين أرجلهمفىالثرىوهممهم فى الثريا ، فبينما ترى بعض الناس يقول :

وقائلة لم عرتك الهمو م وأمرك ممتثل فى الامم
فقلت ذرينى على حالتى فان الهموم بقدر الهمم

اذا بآخر يقول :

وقائلة مالى أراك مجانبا أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة فانا أناس بالسلامة نفرح

ويقول :

خبز وماء وظل ذاك النعيم الاجل
جحدت نعمة ربى ان قلت انى مقل

على ان العاقل يعرف الصدف من الدر ، وأنجلى الصدف حتى صار براقا وصدىءالدر حتى استعار من لون الفحم الحالك

لئن كان فى لبس الفتى شرفله فما السيف الاغمده والحمائل

وقد شارط صاحب الترجمة حينا فى مسجد أيت الطالب يعزى فى تاجاجت وفى مسجد تارمست باد بنيران ، ولم يعرف انه شارط فى غيرهما

وممن أخذ عنه ولده الاستاذ علىبنصالح الاتى ذكره ، فمن عنده تلقى البذرة الاولى منالمعارف كما اقتبس منه وراثة كثيرا مناحواله كما سترى

وحكى عنه ولده هذا أنه كثيرا ماينشد ، بعد ماابتلى بالاولاد وأرغم بسببهم أن يضارب فىكلناحية طلبا للمعاش وان يقايض فى كل سوق :

لقد كنت قبل اليوم بازا محررا أروح واغدو حيثما ظهر الصيد
ولما أراد الله محنة عبده أتاح له التزويج فامتحن العبد

ذلك هو الفقيه سيدى صالح بن أحمد الذى كان اكبر سنا من الاستاذسيدى محمد بنعبدالله ، ولكن الهمم فرقت بين مقاميهما

ولم أجد الانسان الا ابن نفسه فمن كان أرقى همة كان أكبرا
فلم يتأخر من أراد تقدما ولم يتقدم من أراد تأخرا

وقد خلف ولدين الاستاذ صالحا ، ومحمدا الذى فقد منذ ١٣٤٥ هـ ولميدر أحى أمميت ؟

الحاج بلقاسم الزاوي الالغى

١٢٨٠ = ١٣٥٠ هـ

نسـبـه :

الحاج بلقاسم بن‌عبدالله بن بلقاسم بن‌محمد بن احمد بن علي بن احمد بن عبدالله بن‌سعيد

رجل عابد يوثر عنه من الاخبار بالمغيبات والفراسات غرائب فمن قائل انه توصل بجفر فمنه يستقى الانباء التي يخبربها عن الانقلابـات التى اخبر فصدق فيها ، ومن قائل انذلك من عند نفسه وأن‌روحه هي التي تستمد ذلك بنفسها جبلة امثاله من المحدثين ـ كما في الحديث ـ (قد كان فيما كان قبلكم محدثون فان‌كان فيكم فعمر) على أنه كان يخبأ حالـتـه هـذه ممن يعـرف انه‌لايصدق بها ، ولايقول باربابها ، وقد كان‌الرئيس أحمد بن‌الحاج ابراهيم الايغشاني‌ممن‌يرسل اليه ويسأله فيفضي اليه‌ببعض ماينطوى عليه ، وهوعلى كل حال محمول عند المنصفين على الصدق والخير وأن‌ذلك انما يعتريه كمـــا يعترى كل من يهتم به‌من الروحانيين الرياضيين ، وأماانا فلم أعرفه ولم‌أكن من‌حاله‌هذه على‌يقين الاأنني اسمع مايقال عنه وانا أحسن به وبامثاله خيرا لان الناس أصناف وأجناس ، وحسن الظن بالناس منجاة للمستبرىء لدينه وخصوصا مثل صاحب الترجمة الذى‌سترى له‌مايبين به‌أن‌له‌دينا متينا ،وحالا ثابتة ولا تكون‌تلك‌الاحوال للممخرقين الذين يقصدون‌التلاعب بالعقول ولا للمشعوذين الذين لهم فى ذلك حاجة فى‌نفس يعقوب

افتتح الحروف الهجائية على العادة المستمرة على بعض أساتذة المسجد فى قرية الزاوية ، فلازم الى ان أظلت مسغبة ١٢٩٥ هـ فالتحق بتامانارت فكان فى‌قرية‌القصبة هناك يرعى الغنم نهارا ، ويكتب لوحته ليلا ثم يستظهرها فى المرعى وراء سائمته ، وهى همة يجب ان‌يرتفع له‌بهاشأن فى التاريخ ثم‌لمارجع الاستاذ محمد بن‌عبد الله من المدرسة البومروانية الى الغ وأسس المدرسة‌كان ممن انحاش‌اليه من اليتامى والارامل وغرباء الطلبة فأضافه الاستاذ الى أهله لفقده والديه معا فى تلك المسغبة ولم يكن بينهما الا اسبوع فبقى يتيما حتى سبق‌له‌من الاستاذ والدثان ثم بعدأن ختم ـ١٨ـ ختمة فى القرآن وهو بعد لم يتقن حفظه لبلادة فيه ، امره الاستاذ ان‌يفتتح المبادىء العلمية واخذ عليه‌عهدا أن لايفارق الصف‌الاول فى‌الصلاة وأن لايفوته الحزب‌الراتب فبقى على هـــذا

العهد طوال حياته ، وقلما يخرج عن هذه الحالة الا مضطرا ، فجود بذلك حفظ القرآن ثم بعد أن جال فى متون المبادىء وفى متونأهل المرتبة الثانية ، وقد مر بابنعاشر والرسالة ، وربع العبادات فى المختصر والالفية ، اخترمت المنون الاستاذ فانتقل مع رفيقه السيد باولا الآتى ذكره الى مدرسة (موزايت) عند الاستاذ سيدى محمد بن عمرو البعقيلى فاخذا عنهالحساب والفرائضأخذا جيدا ثم انتقلا أيضا الى مدرسة تاهالا عند الاستاذ سيدى على الاسكارى ، ثملميلبثا أنرجعا الى الغ فتوجهصاحب الترجمة مع الشيخ الالغى الى اداء فريضة الحج سنة ١٣٠٥ هـ ثمكرثانيا لشكهفى الحجة الاولىحينلميحتط بالوقوف ثانيا كمافعل الشيخ حين لم يثبت الهلال كل الثبوت فى الوقفة الاولى ، وقدثارحول ذلك ماثارفىالغ منالفتاوى بعدالرجوع ، وللاستبراء منهذا الريب وللاحتياط أعاد صاحب الترجمة حجته ، وذلك مايدل على تدينه ومخالطة بشاشة الايمان شغاف قلبه ، وهل يحتاط لدينه الامن كان مومنا حق الايمان ؟

ثم التحق بشيخ المريدين فىالصحراء الامام ماء العينين فاستشاره فى المجاوزة الى السودان فاشار عليه بالمكث فى الصحراء فصاريشارط عندبعض الاعراب ، ويسمى السالك يعلم اولاده أربع سنوات متوالية ، فكانيقايض فى التجارةبما نض فىيده منأجرة المشارطة فتحصل لهبعدتلك السنوات الفاريال وذلك مالعظيم فىذلكالحين ، وفى تلكالبيئة ، فحينئذ قوضخيامه منالصحراء فاقبلالىمسقط رأسه بوجه مشرق ونفس مطمئنة وهو يشكر الخطوة التى خطاها الى الشيخ الصحراوى المذكور الذى وجد لاشارته بركة ، وهل يخيب ابدا من يستشير ؟ فكان شيخه الذى تبركبه لانه اتخذه شيخ طريقة

ثم استرد من أملاكه ماكان مرهونا فظهرت له حالة حسنة وعدالةمشهورة فصار هو كاتبالرسوم فى قرية الزاوية يندبه الاستاذ على بنعبد الله كبير القرية لذلك، ثم استشار الشيخ الالغى فى التزوجفامره بالتريث وفى يوم بعد سنةلاقاهالشيخ فى طريق (والكوت) فقالله انالزوجة قد تيسرت لك فزوجه بابنة اخت مناخواته كانت تأيمت منزوج قبل ، ثملمابلغ اولادهابان التعلم صار يشارط ليؤدىلهمماعليه نحوهم فشارط فى مسجد(ايسيلاوزامور) وفى (أدوز) من أيت همان بمجاط وفى (اكماض اوساكا) من (أيتايزليتن) بمجاط أيضا وفى (تيبيوت) بالغ وفى (تيزورزين) من أيت وفقا وفى مسجد (مومتول) من كرامة ، فهذه هى المساجد التى تقلب فيها مع اولاده يعلمهم

مكانته العلمية

سمعت ما أخذه من المعلوم ، وعن المدارس التى تقلب فيها ، ولكنه فى الحقيقة ضعيفالنزع الافى الفرائض والحساب والتوثيق ، فانله فيهايدا حسنة واللحن كثير فى مخطوطاته ، وهومعاقباله على المطالعة فى بعض الاحيان لايطالع

الا الكتب الصوفية والفقهية وما اليها لا (الادبية) وقد وقفت له على هذه الرسالة التى كتبها الى ولده سيدى محمد ، فلنعرضها عليك لترى منزلته فى التعبير:

«سلام الله مع الرحمة والبركة ، وبعد فلازائد الا الخير والحمد لله والشكر سوى كثرة غربتك عنا ، ولكن من يطلب العلم لايكون غريبا وطالب العلم أفضل من غيره دائما وغربته أفضل غربة

ساطلب علما أو أموت ببلدة   يقل بها قطر الدموع على قبرى

ولله در القائل أيضا :

العلم أفضل مايفنى الزمان به   والعلم أفضل ما أوعيت من زاد

ولكن العلم لايدرك الا بالادب والتقوى ، رزقك الله الادب والتقوى ورزقك الله علم الاستعمال وأسال عن كتب القراءة لتشترى بمراكش او فاس اوالدار البيضاء ، وأرسل نحتل فى قيمتها ا نشاء الله ، سهل الله علينا وعليك وعلى جميع الاشياخ والاحباب أمر الدين والدنيا والاخرة ووسع عليك فى جميع الامور دينا ودنيا واخرى ورضانا أمامك ووراءك ان شاء الله وأيضا فان أمك وأخواتك على السلامة والعافية فلله الحمد ، والحسن يقرأ عندى والحسين مازال فى لوحته لقلة همته ، ولكن فى نيتى ان ارسله الى العلم ان شاء الله متى أخرج هذه السلكة وأوصيك ونفسى بتقوى الله العظيم ، والصلاة فى أوقاتها فى الصف الاول والسلام»

هذه هى الرسالة وفيها تفهم نواح من نفسية صاحب الترجمة التى كل همها فى تهذيب اولاده وتعليمهم ، ولايقول كما يقول الجهلة أريدهم لمعاونتى فى أمور دنياى لانه يعلم ان على من يربى ان يلحظ مستقبل ابنائه قبل ان يلحظ انتفاعه هو بهم

على ان شهرة الحاج بلقاسم فى الغ لم تكن الا بما يصدر منه فينات من التنباتت التى تصادف ، وانما ذكرنا هذه الناحية العلمية لكونها موجودة على الحقيقة كماترى ، وماكان أمثاله ليظهروا بهذه الصبابة العلمية ازاء أولئك الفطاحل أبناء عمه وماكان أحد ليقصده من أجلها ويذر البحور الزواخر

قواصد كافور توارك غيره   ومن قصد البحر استقل السواقيا

اخلاقه

كان رحمه الله ممن حببت اليه العبادة والانزواء عن الناس مالم يتداخل فى خصومة حول ملك من املاكه ، فانه حينئذ يهاجم ويدافع بكل مايقدر عليه حتى اشتهر فى هذا الميدان بانه صخر جاس لايلين لماضغ ثم هو فى ذلك لايحترم أحدا فى ميدان هذا الدفاع ويرى الحق فوق كل ذى وجاهة ، وقد أخبرت انـــه

ربماقاوم الاستاذ الجليل سيدى على بن عبد الله حول شيء من ذلك حتى ينظر اليه الاستاذ شزرا ، ولكن لسلامة الصدور سرعان مايلتئم مابينهما وكان الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى كثيرا مايوصى صاحب الترجمة بأن لايقف أمثال هذه المواقف أمام الاستاذ ابن عبدالله وكان هو أيضا كثيرا مايذكر مكانة الاستاذ ولكن اذا احتدم الغضب وانتشبت البراثن ، يفلت زمام عواطفه من يده ، هذا كل ما يعرف عنه فيه مثل هذا ، وأما سوى ذلك فانه فى واد والناس فى واد آخر ، وحكى عنه أنه لم يملك فى داره بندقية قط مع ان المرابطين كلهم قد أولعوا بها للدفاع عن أنفسهم ، وان كانوا لايجدون بها ولايغنون فالمرابطى متى فارق عكازته وسبحته أوكتابه ان كان اهل الكتاب ، فقدورط نفسه فيما لايعاونه عليه قلبه المائع بين العفاريت النفاريت من المجاطيين والبعقيليين والحربيليين الذين لايحسبون لمرابطى الغ حسابا وان تسلح بكل سلاح الدنيا فان احترموا منهم من احترموا فانما احترموا عكازته وسبحته ، أوكتابه ومكانته فى الدين فما تجدى حينئذ بندقية المرابط التى لايحسبها احد من هؤلاء الا كالمغزل فى يد الغزالة

خلق الله للحروب رجالا ورجالا لقصعة من ثريد

فكان هذا هو الذى رآه الحاج بلقاسم فتنكب تملك السلاح فقد اخبرت انه وقعت يوما هيعة فى الغ فتسلح مغاوير المرابطين فاقبلوا يشتدون نحو الهيعة كانهم أمثال القائل :

كنا اذ ما أتانا خائف فزع كان الجواب له قرع الظنابيب (١)

ولكن سرعان ماغلب الخلق على التخلق ، فجاءهم شاب واحدكما راهق من مجاط ، فصاح عليهم صيحة عنترية فاذابهم ميع فى ميع ؛ فجردهم من السلاح واحدا واحدا ثم ساق بعضهم أمامه ماسورين ، فلماذا لايشترى أمثال هؤلاء بثمن البندقية مايجديهم فى معاشهم نفعا فلله در صاحب الترجمة فما أعقله ، وحكى لى أيضا أنه ماارتكب قط هذا البيع الذى يطلق عليه الرهن ويدل ذلك على ورعه لانه لايرتكبه الا أحد رجلين من يستهين بأمر الربا ويعده هينا وهو عند الله عظيم حتى أعلن الله بالمحاربة على مرتكبيه ، أو من اضطر اليه ولم يجد منه مناصا كالشيخ الالغى الذى اعرض عنه فى أول عمره حتى اضطر اليه ، ثم احتاط فى ايفاء الثمن بالدراهم نفسها ، أو بالحبوب بثمنها الحاضر فلئن صدق من حدثنى عن صاحب الترجمة أنه لايرتكب هذا البيع ، فانه حينئذ على جانب غير قليل من الورع ، ولايتورع الا المراقبون الله فى كل لحظة ، وهل يكون ورعا الامن عمر قلبه بتقوى الله عز وجل

---

١) الظنبوب اعلى الساق وذلك كناية عن تشمير الثياب عن السوق للاسراع الى الاغاثة

كان رحمه الله ذابركة فى يده ، فيقصده الناس للرقى والتمائم ، وقد كانت حالته المالية تجعله من المستورين المكفيين القانعين ، وكان الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم يتفقده أحيانا ، وقد أرسل اليه فى بعض المساغب ، فناوله دراهم غير قليلة فلما انقطعت المسغبة ردها الحاج بلقاسم ظانا أنها سلف فقال له أحمد كلا ! ليست بسلف وانما هى اعانة خاصة منى اليك لكيلا تحتاج الى غيرى رحمه الله وجعله فى أعلى عليين ، وانا لم اعرف هذا السيد ولكن هذه هى الاخبار التى بلغتنى عنه

وقد أعقب من الاولاد الذين اعرفهم محمدا والحسن والحسين واحمد وعليا، وسترى من يستحق منهم الذكر لما عنده فى ميدان المعارف



سيدى عبد الله بن محمد باولا

= ١٢٨٥ هـ = ٧-٥-١٣٤٥ هـ =

--oOo--

نسـبـه :

عبد الله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا هو رفيق الحاج بلقاسم المتقدم وقرينه ، وقد نشآ معا فى قرية واحدة ودرسا درسا واحدا ومقياسهما فى المعلومات متقارب ، وقد رأيت حال ذاك غريبا فى منزعه، وفى الذى اشتهر به بين الناس من الفراسات فى التنبآت ، وسترى حال هذا أغرب كأن هذا الشذوذ منهما هو الذى جمع بينهما - وشبه الشيء منجذب اليه -

« إن الطيور على ألافها تقع »

رأى بعض الناس مرة غرابا وحمامة متحاذيين هويا وطلوعا ، فطال تعجبه واستغرب اجتماعهما ، ثم انهما نزلا الى الارض فاذا بكل واحدمنهما اعرج ، فادرك -اذن- ما الجامع بينهما

حفظ القرآن واخذ بعض المبادىء على يد الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الذى آواه اليه كرفيقه المتقدم لفقدان اهله أيضا فى تلك المسغبة سنة ١٢٩٥هـ فشب ونشأ وتعلم ماقدر له تحت كنفه ثم بعد وفاته جال مع رفيقه فى المدارس ألتى ذكرناها ، ثم أوى الى قريته فحبب اليه الانقباض والعبادة ، والاعراض عن كل مايشغله حتى انه لم يتزوج فى حياته الا أخيرا ، وكان غريب الاطوار لايأبه بنفسه ولاباستجداد لباسه فلايزال عليه قميص غليظ من الصوف وخنيف (١) يزداد دائما اسودادا بما يتراكم عليه وربما يتزيا بهيأة النساء ويلتحف بملاحفهن كأنه من الملامتيين الذين يذكرهم الشعرانى والنبهانى والكتانى فى كتبهم المشهورة

كان أولا يحترف بيده ، وقد استرد بعض أملاكه مرهونة فيتتبع حمارة له فى أشغاله وفى أسفاره ثم أعرض عن ذلك فصار يزارع فى حقوله وهو فى داره لايخرج الا الى المسجد حيث لايفوته الصف ثم ينزج فى داره وكان له فى

---

١) كلمة عربية : الثوب الغليظ

الرمضانات خلوات تذكر .

تزوج أخيرا ولكن لم يرزق عقبا فمات عن غيروارث الا عصبته من بني أعمامه ، فوجدت له وصيته بثلث جائز ماله للمسجد فنفذها الاستاذ علي بن عبد الله

وأما معلوماته فقد كانت أولا لم ترسخ فيه ملكتها ، ثم باعراضه عنها وعدم مذاكرته بها لميبق له الامايحتاج اليه هو فى نفسه ، وشهرته فى الـغ ونواحيه انما كانت بهذه الاحوال الغريبة التى دام عليها من الاخبات والانابة وكثرة العبادة والعزلة التامة ، فكونت حوله هالة وقف الناس ازاءها طرائق قددا ، فمنقائل ولى مناولياء الله ، سلك سبيل التجريد فألقى هذا العالم كله وراء فأقبل علىاصلاح معاده ، ومن قائلان الجن استهواه فانس به ففر منالانس ولكن العقلاء مع الاولين ، ثميقولون لانزكى على اللهاحدا فيفوضون امره لله

واشتهر أيضا بتطبب يتعاطاه ظهر فيمن يداويهم اويدلهم على دواءشفاء عاجل ، فمال اليه الناس بسببذلك من الغ ومن جيرانالغ والناس لايميلون الا الى منينتفعون به ولو من ناحية من النواحى

هذا ما استقيته من الافواه ، وأخذته وتحصل عندى عنه ، بعد تمحيصلاننى لم اعرفه وانكانابن قربتى ، لاننى فى صغرى ماكنت أعدودارنا وفناءها أنا واخوتى ، لان والدنا لايريد أن نخالط غيرنا فىتلك السن ، ثملما شدت يدى أزرتى وصرت اخا القوم واستغنى عن المسح شاربى كانت الحمراء وما وراءها مراتعى التى

عرفت هواها قبل انأعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فانى أعرف من يخالطون الناس من قريتى،فضلا عن المنزوين كصاحب الترجمة؟

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى

ثم انه رحمه الله آخر من بقى من عقب سيدى محمد بن صالح بن عبدالله فلميبق من آله احد بعده والبقاء لله

احمد بن محمد بن عبد الله

١٢٩٢ هـ = ١٣١٣ هـ =

نسبه :

احمد بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

شاب نجيب كان طلع فى سماوات العلوم هلالا وافترت عنه رياض المعارف زهرة ذكية، وبدا بين اترابه في المدرسة الالغية وبين شبان الاسرة الصالحية مثال الذكاء والنبوغ بفهم لايفل حده وبذكاء متوقد لاتخبوناره ثم جاء الدهر الموكل من قديم بالتقاط الخيار المعهود عنه أنه يتسلط على افلاذ أكباد الاسر فاعتبطه وهو كما استوفى عقدين فاقذى بثكله أعمامه وارمض كبد جده الحاج عبد الله الذين كانوا يتوسمون منه خلفا لوالده الاستاذ محمد بن عبدالله وينظرون اليه بين أيديهم قرة عين فيالله لكثير من الشبان الذين يفجعهم الموت فى أنفسهم وهم فى فجر الحياة ، ويلوى بهم وبا ٓمالهم وهم كما ابتسموا للحياة وابتسمت لهم بثغور معسولة براقة

كان أخذ القرآن عن سيدى سعيد بن عبد المومن كاخوته فى مسجد القرية ثم ألحقه أهله فى رفقة سيدى البشير بن المدنى الناصرى بالاستاذ سيدى محمد ابن الحسن الماسي ، وهو اذذاك فى مسجد قرية (أغبالو) بماسة وذلك نحو ١٣٠٧ هـ ثم اعتنق المبادىء في المدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى فكان يشدد عليه حتى قمص يوما من عنده الى مدرسة من (ايلالن) ففرق عمه الطلبة فى البلدان يفتشون عنه الى ان أخبر به هناك ، فارسل اليه فلازم المدرسة الالغية فسرعان مانبغ وظهرت له همة وطموح فلم تمض الا سنوات قليلة حتى صار يعين عمه الاستاذ على بن عبدالله فى طائفة من المبتدئين منهم صنوه الاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ، فقد أخبرنى انه على يده خطا الخطوة الاولى ، فحفظ متونا ويحكى عنه جدا فى ذلك حتى انه ليحكى نادرة وقعت بينهما وقد اجفل شيخنا مما يلاقيه منه ، ثم لم تكن سنة ١٣١٣هـ حتى سقط مريضا فلحق بوالده فبكى الناس على شبابه النضر ونجابته الفذة لما رأوه فيه من فلو يظهر من شياته ومن عينيه ومن استواء عضلاته ومن شباب (١) مرحه

١) الشباب بالكسر وقوف الفرس على رجليه الاخيرتين ورفع يديه مرحا. واليعبوب الفرس السريع الطويل والفلو كعدو وسمو الصغير من الخيل

انه سيستحيل يعبوبا لايسبق في الميدان ولايطمع انيشق فيه لهغبار ، وقد اودع شيخنا الافراني تلك اللوعة التي اججها في الافئدة اذذاك في هذهالقصيدة النونية التي أرسلها مع النثر وراءها الى عمه الاستاذ علي بن عبد الله ، وهيمن أفضل المراثي الطاهرية

الهوا وما طرف الخطوب بوسنان	وأمنا وماريب المنية بالواني ؟
وتفرح بالامال والدهر مولـع	بتنغيض لذات وتشتيت اخوان
تنام الى الايام جهـلا بأنها	وان أظهرت صفو الهوى ذاتالوان
كأنك ما تدرى بـأن ودادها	وان راق ممزوج بخدعة خوان
فكم ذى سرور جرعته ندامة	فأضحى بلا خمر بحالة نشوان
يبيت بعيش لايطـار غرابـه	ويصبح من هول الرزية في شان
وكيف أمان المرء والدهر شارع	سهام ردى تزرى بصعدة مران(١)
وماهو الا عرضة يرتمى بها	فان فاته سهم تلقاه سهمان
وان الفتى من لم يزل مترسا	بجنة حزم لايرى غير يقظان
يعد لما ياتى به الدهر عدة	من الصبر لايثنى عرى عزمه ثان
يصادم جند الحادثات بهمـة	اذا قارعت ذابت لها صم صفوان
وانى وان كان التجلد عادة	لنفسى معتادا له منذ ازمان
لقد هد ركن الصبر منى حادث	اتى دون فرد ماله فى العلا ثان
فاودعه بطن الضريح وما رعى	له قدر مجد قد سما فوق كيوان
وعفر خدا صفحة البدر دونه	وذاتا تردت كل حسن واحسان
وهال ترابا يالها من رزية	على جسد من وابل الفضل ريان
وغال هلال السعد عند كماله	واردى ـوقدكان استوى ـ غصنالبان
ومال على ذاك الشباب ومارثـى	واخرج ذاكالروح منسلك جثمان
فاظلم جو الفضل من حين فقده	وبدل عرفان الوفـود بنكران
وصوح نبت المكرمات واجنحت	رسوم العلا بعد الكمال لنقصان
وادبر انس الدهر واغبر جنحـه	واغرى بهم لايـزول واحزان
فما بالبقا من بعد احمد غبطة	وما العيش الا والمنية سيان
فيا خاطرى من بعده واصل الاسى	وياعين سحى وابل المدمع القاني
فقد حل فى تلك الرزية والاسى	على قدر عظم الرزء هجران سلوان
وان قليلا للفتى شق قلبه	على مثله لاشق صوف وكتان
فلو نحت طول العمر نوح متـمم	وجاريت ورقاء على ذات افنان
لما بلغت نفسى من الوجد حقـه	فمالى لاابكى على جهد امكـان
فلا تلحنى فيه فـان بفقده	تزلزل من صرح الهدى كل اركان

١) الصعدة بالفتح: القناةالمستويةالمستقيمة، والمران كالرمان: الرماح اللدنة في صلابة

فوا أحمدا وامن تسعر بعده من الوجد فى الاحشاء لاعج نيران
ويا احمدا يامن مضى لسبيله وما سودت عرضا له سود ادران
ويا باذلا مكنون درة عمـره على الخير ما ان قط دنس بالران
حييت حياة ماتيسر مـثلـها لغيرك فى تطلاب علم وقرآن
وناداك من تلقاء ربك رحمة فلبيته داع لـفـوز ورضوان
وسرت لما قدمت تجنى ثماره هنيئا مريئا بين حور وولدان
تخلصت من اشراك دنيا همومها مواصلة ما ان بها راحة العانى
وخلفت وجدا لايريم وعبـرة تسيل وقلبا لايرى غير حيران
وغبت فما فى العيش بعدك راحة ولكن غدا ذكراك روحى وريحان
فوالله ما انساك ما ناح صادح وما لاح فى جوالسماء السماكان

* * *

الا ياامام الدين يامن وجوده بديل بحمد الله فى كل مافانى
وياجبلا ما ان يميل تجلدا على نائبات الدهر للحادث الجانى
ويا من رسا فى طينة العبد عهده يزيد بعظم الرزء قوة ايمان
تعز رجاء للثواب ولا تـكـن جزوعا فما بالعيش متع الفان
فما فى الورى طرا مصاب بمثلما اصبت به من كل شيب وشبان
ولكن على قدر المصيبة اجـرها ومن فاته يظفر بصفقة خسران
وانت الذى تنهى عن الحزن أهله وعلمك يستهدى به كل انسان
وانت خبير بالزمان فصرفـه سرور وحزن ما توالى الجديـدان
ومن قبل ماقد قيل بيت مخفف على كل محرور الجوانح حران
«وما الدهر الا هكذا فاصطبر له رزية مال او تفرق خـــلان»
فمن بعد ذا فاغنم ثواب مصيبة بارأف أم ذات بر وتحنان
فيالك من اجرين فى ضمن محنة وكم محنة فى طى منحة ربانى
وقد هز ركن المجد بل ثل عرشه مصابك من رزءين مرين فى آن
فصبرا فما فضل اللجين سوىلما تضمن من صبر على حر نيران
وفى فقد خير الخلق افضل سلوة لكل فتى عنكلذىالناى والوانى
فكل مصاب دونه فهو هين لدى كل ذى لب رصين وعرفان
عليه صلاة الله والغر آلـــه واصحابه ما سار بدر بحسبان

سيدى الذى مازال فيض مدده السارى من عين معينه يمتد الجارى ، عــلى تعدد الوارد يروى ، وواصل النسيم ابن الارج ، عن البشير ابن الفرج عن ثابت حسن خلقه يروى.منأدلى ببراحسانه دلوى،ولااعرج اكتفاء بهعلىالغيرولاالوى. سيدى ومولىولاءى . والمتن بعد الله بجملة ءالائى . شيخنابدر الدنيا والدين. وأسوة المتقدمين.ادام الله لذلك المقام عادة بره.وبارك للامةفىسارى سره.وعلى تلك الساحة ، التى خيراتها مباحة :

سلام يناجى الانف منزهره عرف   فلاسمع الا ود لو انه أنف

هذا والعبد مذطمت تلك الطامة الكبرى ، واودعت من اودعته قبرا ، ممن لايطيق احد الا بتاييد الله على مثله صبرا ، قدصارممن طعن فى تلك الصدمة. وصرع فى تلك الحومة ' حتى مايدرى مایاتی ومایذر ، وصار غالب ماينطق به بعد من الهذر ، وكان يحاول ان يقول فيها فلايسعده المقال ، مما أدرك اللسان منحابس الاعتقال فعاقه عن الدب فضلا عن الارقال ، فحين انجلت بعض تلك الحرقة ، وانقشع قليلا سحاب تلك الصعقة ، تكلف مرثية تفى بأداء البعضمن دين ذلك الفوض؛ لاحملا لسيدى على العزاء، ولاتذكيراله بمافى الصبر منالجزاء، فانه هو المتولى لذلك ، والمبصر فى تلك المسالك ، بلنفثة من المصدور ؛ واطفاء لماحصل من نار الحزن فى الصدور ، والمرجو من سيدى قبولها على علاتها،واغتفار زلاتها ؛ فهى جهد المقل ، ومقدور المرمل، ونسال منسيدى دوام الرعاية'والدعاء بنجحالسعاية. والصفح عن التقصير ، والنظر لعيب العبد بطرف حسير ، وكتب مقبلاتلك الراحة ، معفرا خد التذلل فى تلك الساحة ، ابنكم الضعيف الطاهر امنه الله



البشير بن الطيب السليماني

١٣٠٨ هـ = ٢٧-٢-١٣٤٧هـ =

نسبه :

البشير بن الطيب بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

شاب انتدب للتعلم منذ ميطت عنه التمائم ، الى ان نيطت به العمائم فحصل تحصيلا كثيرا ، وبذ كثيرا من أترابه في ميدان المعارف بالارتواء من مختلف الفنون وهو من الرعيل الثالث الذى نشأ بالغ بعد الرعيل الثانى الذى على راس طبقته شيخنا سيدى عبد اله بن محمد ، وبعد الرعيل الاول الذى على راس طبقته الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، وجد صاحب الترجمة هو سيدى سليمان الذى قرأت ترجمته ، وهوابن عمتنا خديجة بنت أحمد، فوالدى الشيخ خاله ولذلك اعتنى به وبأخيه سيدى موسى الاتى حتى قرءافكان يعينهمابالكتب وبكل شيء

اخذ القرءان فى مسجد القرية عن سيدى محمد بن على الاكميرى ثم عن سيدى أحمدبن بلقاسم من أبناءأعمامه وهو المشهور بسيدى احمد بن بلق -بلقاسم- على عادة الناس فى نحت الاسماء ثم افتتح المبادىء على يد صنوهالفقيه سيدى موسى وهواذذاك يستتم دراسته فى المدرسة الالغية التى كان سيدى بلقاسم التاجارمونتى أستاذها الذى يدير الدروس العليا ، ويتصدر كبار الطلبة للمبتدئين كسيدى موسى هذا، وكان وقت افتتاحه للمبادىء بعد١٣٢٠هـ ثم التحق بالمدرسة الادائية عند الاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ، فتقدم به فى الفنون وتدرب على يديه ونجب ، ولايزال معه حتى تخرج به وهو أستاذه الوحيد على الحقيقة ، وقدرابط فى حين آخر فى المدرسة الالغية أثناء ذلك سنة ١٣٢٧ هـ حين فارق استاذه مدرسة (أداى) ثم التحق به أيضا حين شارط سنة ١٣٢٨هـ فى المدرسة الايقشانية فلازمه فيها حتى فارقهاالاستاذ آخر زمن أخذه ، وقدكنت صاحبته هناك نحو ثلاث سنوات فعرفت من ادراكه وأخلاقه ماأجهله من ءاخرين أقرانه

مداركه

كان هناك معنا فى المدرسة نجباء من قدماء تلاميذ استاذنا صاحب الترجمة

والاستاذ ابن العم سيدى عبدالله بن ابراهيم وسيدى صالح بن احمد ، وسيدى احمد بن مسعود التيبيوتى وسيدى مبارك بن محمد الانامرى الايغشانى الذى أخذ قبل أستاذنا عن آخرين فكانوا يمثلون النجابة التامة ، فأكبوا على الدروس العليا فكنا ونحن صغار ننظر الى مقاماتهم العليا ، نظرنا الى نجوم السماء فكنا نستحيى منهم ، وننتبذ عنهم بألعابنا الا اننا نجد من سيدى البشير بشاشة ومداعبة نزيهة لطيفة ، لانجدها عند آخرين فكان الينا أقرب وكنا ربما نسأله عن اعرابات فيفيدنا بملاطفة وموانسة ، وربما نجتمع اليه ، فيلقى علينا مما يمتحننا به ما لانستحيى أمامه ان توقفنا فيه لانه يعلمنا اياه بسرعة ، ذلك ماعلمناه منه اذذاك ، ومادعانا الى ان نجعله على رأس أقرانه اولئك ثم لما مضت سنوات وقد شدوت كنت متى جئت الى الغ من مدرسة افران ، أجتمع معه كثيرا فيفيدنى فوائد جمة ، لاأزال استحضر بعضها منها انه سالنى مرة عن اعراب هذه الاية (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يوتينى خيرا من جنتك) فنفذت فى بعض الآية وكبوت دون سائرها ، فمما توقف به حمارى فى العقبة (أنا أقل) فكدت أذوب خجلا لو كنت أمام غيره ولكنى بما تأصل بيننا من مؤانسة لم أزد على ان أخذت بتلابيبه ليرينى ماتوقفت فيه ثم بعد تأب منه وتمنع ـ مباسطة منه ـ علمنى فأحسن تعليمى

ومما لاازال أستحضر أنه سألنى ـ وقد جالسته على الحجر المجعول دكة صغيرة عن يمين من خرج من زاويتنا صباح يوم قبل الشروق ـ عن الفجر ايصلى فى ذلك الوقت قبل صلاة الصبح املا ؟ فقلت له نعم يصلى مادام الوقت متسعا لادراك ركعة من الصبح فقال حقا هذا هو المشهور ، ولكن المسألة فيها خلاف فى المذهب فهناك من قال لايصلى الفجر بعد الاسفار ولو قبل صلاة الصبح وقد ذكر الزرقانى هذا الخلاف • هذا ما أستحضره كماهو مماأفادنى رحمه الله ، وكانت هذه عادته متى تلاقى مع مبتدئين امثالى ولكنه يفعل ذلك بلطف ومباسطة لابعنف وعنجهية ، كما يفعله آخرون ، فقد حكى لى سيدى بلقاسم السليمانى أنه كان معه يوما هو والنجيب الحسين بن أحمد بالطريق الى الغ من الاخصاص وقد توجهوا لامضاء رخصة العواشر عند أهاليهم فكان فى الطريق كله يشغلهم بالمسائل ، وبحفظ أبيات نادرة يلقيها عليهم ويلزمهم باستظهارها فأنشد لى مما حفظوه عنه ذلك اليوم ، قول ابن باجة الاندلسى :

اسكان نعمان الاراك تيقنوا ... بانكم فى ربع قلبى سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما ... بلينا بأقوام اذا استؤمنوا خانوا

ومن انشاداته ايضا :

ورب ليل شربنا الكاس صافية ... حمراء فى وجهها تنفى التباريحا
ترى الفراش على الاكواس ساقطة ... كانما أبصرت فيها المصابيحا

تلك نفثات سيدى البشير ورشحات مداركه التى ترقى فيها الى درجة عالية باتقانه للفنون ، واستحضاره للمسائل حتى كان يتنكبه المقصرون عند اجالة القداح حول بعث غامض ببحث رائض ، يعرف عنده المعلى من المنيح لانه يتوصل باللب ولايقنع الابه ، ان قنع غيره بالقشور

اخلاقه

رايت من ذلك الفصل ناحية من نواحي أخلاقه التى يعامل بها من تحته ،فهى رقة وحنو وارشاد ومباسطة ولكنه مع أقرانه رجل آخر لايعطى الابمقدار مايأخذ فليست نطفته مما يجلو مافى باطنها للناظرين بل كان الاحتياط هو الغالب عليه ، مع مداراة ومحاباة لاتدرى بها أمعك هو ام عليك ، وذلك خلق الذين لايقعقع لهم بالشنان ولايواخذون على غرة ، ولكنه مع ذلك رب النكتة الذى لايفلتها ، ولايدع فرصتها تمر من غير ان يضع عليها سبابته ، مع تطاول منه الى الجولان فى ميادين علماء اهل عصره ويتهيأ لذلك بتأسيس أساليب الحياة على أسس متينة، ولكن الدهر لم يساعده ويد المنون تناولته وهو كمابلغ أشده فرحمه الله رحمة واسعة ، فقد سقطت منه شجرة رأى الراؤون ثمارها تونع وقد أخبرت ان الاستاذ على بن عبد الله أرسل وراءه زفرة يوم توفى ، وقلما ترسل زفراته الا على نجباء الطلبة الافذاذ

تقلباته

فارق المدرسة الى الميدان الحيوى وكان لابدله ان يشارك فيه ، ولماكانت المشارطة هى الباب الوحيد لامثاله فى هذه البلاد الى المشاركة فى ذلك الميدان أقبل عليها ، فكان سنة ١٣٣٤ ﻫ والتى بعدها فى مسجد (ايغيرويلولن) ثم فى مسجد (تيغيرت) خمس سنين ، وقد انتشرت له شهرة علمية هناك بفض بعض النوازل وتحرير بعض الاحكام ، وكانت اخلاقه التى ذكرنا نبذة منها تؤهله لمصاقبة هذا المقام بما يليق به حتى يقول فيما حكم فيه ماظهر له من غير أن يخاف ممن حكم عليهم ومخطوطاته فى تلك النوازل موجودة فى تلك الجهة ثم انتقل الى مدرسة (للاتعزى) السملالية ، وهى صالحة من احفاد سيدى وكاك توفيت سنة ١٠٥٩ ﻫ فبعد عام فيها التحق بصنوه سيدى موسى المشارط فى مسجد (تيمولاى) السفلى فتعاونا فيه ولكن نشأ بينهما سوء تفاهم لان لصاحب الترجمة تفوقا على أخيه الكبير وعرف التيمولائيون ذلك فيرجون انهم سيكتفون به عن صنوه الكبير فنشأ بذلك مانشأ وكاد يخرج اثره الى الوجود لولا ان مالت الاقدار بسيدى البشير فارمسته بعد مرض لم يتجاوز أسبوعا فدفن هناك فى الزاوية الدرقاوية عند قبر الرجل الصالح سيدى ابراهيم القائد،فهكذا ختمت

حياته وانطفأت جذوته ، فبقى صنوه الكبير فى محله ـ مصائب قوم عند قــوم فوائد ـ

آثـــاره

انذهب سيدى البشير الثاقب الفهم النادر الذكاء السريع الاستحضار فقد ابقى بعض آثار ، تخلده فى الخالدين من بين الالفيين ، وكان يمكن له ان يجول فى الدراسة لوتيسرت له المشارطة فى المدارس التى لاتكون الـدراسة العلمية الافيها فلوكان ذلك مقدرا لرأينا له تلاميذ ، ولكن نكتفي بآثار ما قدر له من بعض ابيات ورسائل ، سقطت الينا من حيث لانظن فاما آثاره الفقهيـــة فما كنا لنتعرض لها ـ حتى لووجدناها ـ فى هذا الكتاب ، بعد ماخصصنا كتابا آخر لمثل ذلك ولكننا نضع هنا بعض ما وقعنا عليه ممايمكن قبوله من الادباء من رسائل وبعض مقطعات ندرك منها كيف قلمه

فمن ذلك رسالة كتبها الى صنوه سيدى موسى من المدرسة وهى من أولياته:

«الاديب الاريب ، والاخ النجيب نسيج وحده وفريد دهره، أخونا سيدى موسى بن الطيب، لازالت اكنافه مخضلة بكل وابل صيب ، سلام الله عليك ورحمته وبركاته

هذا فهانحن فى غاية الجد فيما نحن بصدده رزقنا الله واياكم الظفــر بمدده ، بيد ان الحاجة قد مست الى دعائكم العميم ومن ذا الذى يعين الاخ الا أخوه الحميم ؟ وأن أخباركم عنا قد انقطعت وأوصدعنها الباب ، فلارسول ولا كتاب ، وقد قيل قنع من مات بمن يجره وقيل

وللنوى لوعة تبدو فيطفئها   مسك المداد وكافور القراطيس

أوأردتم ان نقتنع بما قال الشاعر :

أنا على البعاد والتفرق   لنلتقى بالذكر ان لم نلتق

(انتهت الرسالة)والبيت السينى الذى ساقه هو من قطعة صدربها ابن مرج الكحل رسالة الى الاديب صفوان بن ادريس وهما معا مشهوران ، والقطعة :

يامن تبوأ فى العلياء منزلة   جداه قد أسساها أى تأسيس
لم يتركا فى العلا حظا لملتمس   سيان هذاوهذاك ابن ادريس
وافى كتابكم فارتد لى جذلى   واعتضت من فرط اشواقى بتانيس
وللنوى لوعة تبدو فيطفئهـــا   مسك المداد وكافور القراطيس

وكتب اليه وهى من اولياته ايضا فى الترسل

«البحر الذى لايغيضه الماتح والحبر الذى لايبلغ مدحه المادح جامع الفضائل والمحاسن ، ومظهر اسم الله الظاهر والباطـن الشهم الصادق والاخ الوامق

سيدنا وسندنا ومنبع مددنا ابوعمران سيدى موسى ابن الطيب ، لازالت اكنافه مخضلة من السلام والتحية بكل وابل صيب ، وسلام الله تعالى عليك ورحمة الله وبركاته التى لايكون لهامنتهى ، ماجتلى الفرقدان واختفى السها

وبعد ، فان سألت فلازائد الا الخير ولله الحمد على كل خير ، غير ما بنامن نحول الجسوم بالاشتياق الى لقاء من هولهاترياق ، فالمراد من الله ثم منك ياقرة العينين أن تذكرنا بالدعاء بالعافية في الدارين وأن تعطى لحامل الحروف الجزء الاول من :التصريح ، وباب احكام الصداق من الزرقاني ، فقد مست الحاجة اليهما جدا، والشريشى لاننا وصلنا فى المقامات (الثامنةعشرة) والمختصر (أحكام الصداق) والالفية (النكرة والمعرفة) وفى التحفة (باب الضمان) ونريد أن نبتدىء الزقاقية فى قريب انشاء الله ، وخذ عمامتى منعند اخى عبد الله وأعطها للحامل ، واعذرنا فى التخلف عنزيارتكم الواجبة ، بعد قدومكم من السياحة وقد وصلنا خبركم والحمد لله على سلامتكم وياليتنا نجول كما جلتم ولكننا تمسكنابقول الشاعر

اللازمون ديارهم   أشباه سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقى   در البحور الى النحور

ولكن الرضا بالقدر من هذه الفضول لابد منه ، وأعلمك باننا وكذلك شيخنا وجميع الطلبة فى سلامة وعافية ونحن فى غاية الاجتهاد والدوام على الانصبة ، نسأل الله أن يكمل لنا المقصود ، والسيد احمد بن مسعود التيبيوتى ذهب لقصد القراءة عند أخيه فى (أداى) وماأحسن ان ينشد فى حقهما قول الشاعر:

هكذا هكذا والا فلا لا   طرق الجد غير طرق المزاح

وقد قصدت الينا ابيات من سيدى احمد بن محمد الساموكنى اخى سيدى العربى خسيسة المعانى ، ركيكة المبانى ولكنى اغمضت فقرظتها بقولى :

يامرحبا بمن ازدهت وترنمت   طربا به ورق الحمام فغنت
وبمن بمسراه البسيطة قد زهت   وبنوره كل المعال تجلت
وتعطرت ارجاؤنا بعبير ما   نفح النسيم لزوره اذ هبت
يا أحمد بن محمد الشهم الذى   بذيوله كل البلاغة لفت
شرفتنا بنظامك اللذ قد سما   معنى وطيبا مثل مسك مفتت
اذ ما ظهرت فلا بلاغة تشتكى   فقدا ولا تخشى سماع السبة
فالله يجزلك العطاء بمنه   ابدا بامداد الرضا وتثبت
فامنن على العبد الضعيف بدعوة   تفديه من كل الذنوب وزلة

وما القصد ياسيدى من كتبها ، وان لمتكن أهلا لتكتب الاانتصلح ماعثرت عليه من الخلل ، وسلم منا على الوالدين واسالهما لى الدعاء ، ولابد ان تكتب نبذة

من‌اخباركم واخبارالشيخ الخال رضى اللهعنه وارضاه عنا والسلام»

فاجابه صنوه موسى :

«السلام والرحمة والبركة على المحب الوامق والاخ الفائق الشقيق سيدى البشير بن‌الطيب هذا فلازائد فى البلد ولافى السياحة الا الخير ، والوالدن لاباس عندهما وكذلك أهل الدار لابأس عندهم كافة ، وقولك فى صدر البراءة البحر مرتين ان البلاغة بعيدة من ذلك ، وقولك اعذرنا فى التخلف ، صدقت فى ذلك فأنت اولى بالعذر ولكن انما يكون الامر كذلك فى بعض الاحوال لاغير ، واماان جاء الفقيهوأهل بلدك اجمعون فماوجهالجلوس ، فان‌كان الجلوس لزيادة شيء من‌حفظاو نظر فلاباس وقولك ان‌سيدى احمد بن مسعود ذهب الى اداى عند اخيه واستحق ان‌يقال فيهما كذاكذا فانظر أنت‌أيها الاخ هذين البيتين تجد فيهما ما يشفى الغليل ويبرىء العليل وهما

اذا اعجبتــك خصال امرىء فكنه تكن مــثـل مايعجبــك
فليس على المـجـد والمكرما ت اذا جئتها حاجب يحجبك

وقولك ان تصلح بعضها ، فاننى أرى فيهما عدم الاستقامة فى وزن بعضها فاحب منك أن تدركه بنفسك ، الا اننى اريد منك تبديل هذا الشطر ، وهــو (فقد اولاتخشى سماع السبة)

ونحن رجعنا من السياحة قرب حصن المنكب بقليل ، ورجعنا بخير وعــلى خير والسلام»

عمدا اتيت بهذه الرسالة وجوابها ليكونا كانموذج رسائل طلبة الغ فــى هذا الطور ، وهى‌رسالة عادية شخصية لم يقصد بها ان‌تكون أثرا قــيــما للادب ولكنها تصلح للمؤرخ

وكتب الى فى جواب رسالة بعد ان تخرج وتمكن ، وانا اذذاك‌فى مدرسةتانكرت:

«سيدى الذى به وحده نرجو بقاء العلم فى دار الخال ، والمجــد الــذى بدرت منه بوارق‌تدل على‌انه لايفيل راى صاحب هذا الخال ، من‌جعل بين عينيه الثريا على‌صغره ومن‌رأيت من تلك الرسالة التى بعثها الى ما أتصوره عالمــا كبيرا فى كبره ، سيدى محمد المختار الذى أنا فى وصف مقامه اليوم وفى‌الغد ان‌شاء الله مختار ، فعليك الف ألف سلام تنافح عندكورود الكمام، بعداخضلالها برذاذ الغمام

أما بعد ، فاول مانبهك عليه أن تتنبه لخطك فان‌خطك اذا كان رديئا اسرع فى حطك ؛ فقد رايت لك بعض الحروف مستقيمة ، لوتانيت عليها بتمرن‌لكان لخطك قيمة ،ولاتواخذنى فى‌هذا الانتقاد فاننى لم‌احمل لك فى صدرى الا كل

احترام واعتقاد ، فياطالما كررت على انانصحك ولذلك قصدت اليوم بقولى هذا أن أنصحك لان انافضحك ، ولاتقولن أيضا انخطك مثل خطى اوخطى ارقى فانني أحبلك يابنخالى من اوج المعالى واسبابها مالاأطمع انا أن أرىله افقا فقدذكروا أنمنشروطالمودة ، ومنعلاماتانالانساناخلص لاخيه مقته ووده • أن يحب له فوق مايحبه لنفسه وان كانكل انسان طبعا لايحب الا آنيفخر جميع بني جنسه، وللهدر القائل

اذا ما أهان امرء نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

ثم ان السلهام قد توصلت به فدفعته لمن يخيطه خياطة جيدة احسن منخياطة ذلك البعمراني الافاك الذى اعتذر بأن قرحة عطلت عن العمل يده ، فان وجدت من يخيطهناك جبتك فقدانالك اللهمنيتك وان لمتجده فارسلها لينصحها هذا النصوح ، الذى لاتعلم كفه القروح وربما تتشوف الى معنى قــولى (لينصحها) وقبل ان تراجع الكلمة في (القاموس) تميل الى رسالتي لتفضحها فاعلم انــه يقال نصح الثوب ان خاطه فسرت لك ذلك وبينت لك معنى النصاحة قبل ان تتطلب ذلكمنأخيك خوف انتحاول بالتغليط افتضاحه

وبعد ، فهذا جواب رسالتك ، حبرت فيها مقالة مثل مقالتك فجعلك الله عالماكمايحبه لكمنيعرف والدك واديبا باحثا تطوق دائما بيدك خرائدك والبلد بخير وعلى خير واهلك ووالدتك ماسمعنا عن الجميع الا مايسر ، والسلام»

هذه رسالة كتبها في عام ١٣٣٤ هـ وقد كنت ذهبت بسلهامه الى المدرسة التانكرتية للخياطة فلم يتيسر ذلك ، فكتبت اليه رسالة جمع الله بينها وبين هذه بطريق المصادفة ، فقد نسيت هذه في محفظة لى كنت خططتها في ورقــة منها بيدى ثم تقلبت بنا احوال واحوال نسينا بها ذلك الدور ومامثلناه فيه • وفي يوم اتاني بعض الطلبة بأوراق فيها رسائل فاذا برسالتي التي كتبتها الى صاحب الترجمة ، قدروى ورقها كله بزيت صارت به خضراء بل دكناء فتذكرت هذه المكاتبة التي مضى عليها نحو ربع قرن ، ثم وقعتايضاعلى تلك الورقة في محفظتي فاجتمعت الرسالة بجوابها،بتصاريف الاقدار كما تفرقا قبلبتصاريفها وهذه هي المراسلة الوحيدة بيني وبين سيدى البشير ثم انزج في مشارطــتــه ولم انشب أنا أيضا ان اعملت الركاب الى رحلتي الكبرى •

ورسالتي التي كتبتها الىهذا السيد قليلة الجدوى ،ولكنه لاباس أن آتي بها لتبقى كانموذج لترسل الالغيين الابتدائى ، نصها :

«أزكى السلام على من القت اليه الانام ، يد استسلام وازكى التحايا على من لاتزال الوفود ببابه أبدا ويكرمهم ويمنحهم اجزل العطايا السيد الكريم والنبيل والطود العظيم اللبيب الاريب ، ومن هوالى كل الخلق حبيب ذى المكارم الجمة الكثيرة والفضائل التي هي كالدرر في محاسنها المنيرة السيد البشير بن الطيب

عليه منٰاعطر السلام الشؤبوب الطيب

هذا ولا زائد بحمد الله الا الخير وسلامة الاحوال ، أدامها الله علينا وعليكم مدى الشهور والاحوال ، وقدكنت فيما مضى أتمنى ان أستنشق نسيم الكتب اليكم ليبرد في قلبي جمر الغضى ، فعسى انيمن علينا بالتلاق كما منانابالفراق ثم اعلم حضرتك السعيدة ان الطيلسان الذى أعطيته لى قد أرسلته الى سيدى جامع البعمرانى هو وجبتى ، فظننت انه سيخيطهما ، ثم بعد اشهر أرسلت اليه ليرسلهما لى معظنى انه قد خاطهما ، فأرسلهما لى وكتب لى بانه خرج له فى اصبعه قرحة كبيرة ، ولازالت به وانه تعذرله معها خياطة ، ولما رايت ذلك علمت بانه ماكل مايتمنى المرء يدركه فاضربت عن خياطة طيلسانك وعلمت انارساله لكم مصلحة وهاهوذافى يد الحامل، كما أعطيته لى مع (فرارا) ـ اى خيوط الخياطة ـ وجميع مافيه ونطلب منكم اصلح الدعوات وسلم مناعلى الاخ سيدى موسى والسلام»

هكذا يتبادل الالغيون رسائلهم في ضرورياتهم ، ولكنهم يتعالون مع ذلك الى الترسل الادبى بقدر الامكان واما نفثات سيدى البشير الشعرية فقليلة جدا فلم أقف منها الا على بيتين قالهما مع تلاميذ المدرسة البومروانية سنة ١٣٣٠هـ وقد أتموا التلخيص وهو لايقرأ معهم ولكنه حضر فى أيام الاختتام فتدوولت هذه المساجلة ، فانخرط فى سلكها

قال الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى :

قد لاح سر الختم عند الخاتمة ... فاستبشرت بالرى نفس حائمة
كـانما التلخيص أم رائـمـة ... أحسن بها مرضعة وفاطمـة

وقال الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

اروت ببحرها النفوس الحائمة ... اذ هى فى موجب عى سالمة
فقل لمن تبذها ورا لـمـه ... او لازم الكرى وعنها حاد (مـه)

وقال صاحب الترجمة

ابدت لنا خاتـمـة التلخيص ... سرا سرى بختمـة التخليص
فزال رين النقص من تنقيص ... مايعترى البليد مـن تخريص

وقال الاستاذ داود الرسموكى

ابشر بها لكل عين سالمـة ... ختامها مسك بعرف الخاتمة
فـانهـا للمشكـلات الـلازمـة ... للفكر مفتـاح لنـد عـادمـة

ووقفت ايضا على قطعة للاستاذ سيدى محمد بن على يجيب بها صاحب الترجمة عن نظم لم نقف عليه وهى

أبرق بدا من نحو تلك المرابـع ... ام التاج نحو الشام أم من مناصع
بلى قد بدا نظم البشير بن طيـب ... قلائد شعر بذكل المصاقـــع

قلائد در ناصع فمن اجتلى سيخلبه لألاء ابيض ناصع
فته انه القى السلاح زهير مع جرير وكفا عن دخول المعامع
ايا حائزا نظما وعلما ومفخرا فرعت لعمرى فى العلا كل فارع
سموت سموا لم يرم فوقه ارتقا فاخفضت من كانوا صدور المجامع
عليك من الرحمن الف تحية أيا خير مقوال ويا خير بارع

فهذا هو الفقيه الاديب سيدى البشير بن الطيب الخفيف الروح ، رحمهالله رحمةواسعة ، وجعلنا واياه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ولم يعقبذكرا فذهب باصوله وفصوله

ر ثـا ؤ ٧

ظفرت بعد ماكتبت هذه الترجمة بسنين كثيرة باضبارة اوراق مخطوطة بيد صنوه الفقيه سيدى موسى الآتية ترجمته بعد هذه فاذا فيها ابيات مخرمشة يرثى فيها سيدى موسى أخاه هذا فخرجتها وربما نقحت بعض أشطارها ، والابيات على كل حال الفية ، فلافرق بين موسى الالغى وبين ابن عمه محمد المختار الالغى ، فلامشاحة ـ اذن ـ فى التنقيح، والابيات

برحى فقد أتى النذير البشير من بعده يقتادنا ويشير ؟
علامة فهامة ان تضق من العويص فى الفنون الصدور
اخى وصنوى ثم عونى اذا حرت وقد تشابهت لى الامور
ما قال لى أف وحاشاه أن يقولها وهو الحليم الصبور
كل بنى اب وام لهم مشاكل العيش لديهم تمور
الا ذوى البشير جمعهم كباقة صفت عليها الزهور
واغربتا من بعده أنه قد كان لى خير رفيق المسير
والآن احيا بعده مفردا نظيره آن يحل القبور
يارب جلله رضاك وكن له يصر هناك خير مصير

الفقيه سيدى موسى
ابن الطيب السليمانى

= ٢-١٢٩٨ هـ = ١١-٢-١٣٦١ هـ =

نسبه :

موسى بن الطيب بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد

هوابن عمتنا خديجة بنت أحمد بن محمد وهو اخو سيدى البشير المتقدم واكبر منه وحفيد الفقيه سيدى سليمان بن محمد من علمائنا الاولين ، وابن أخى الفقيه سيدى الحسن التياسينتى رحمه الله ، وهو أكبر من تربه شيخنا عبد الله بن محمد المذكور فيما ياتى بأسبوع

متعلمه

قرأ القرآن في مسجد القرية على الرجل الصالح سيدى الحسين بن مبارك المجاطي وستقرأ ترجمته في كتاب (منية المتطلعين) لانه من المتجردين فى الزاوية ، وقد كان شارط فى المسجد هذا سنتين نحو -١٣٠٤هـ ثم عن سيدى محمد بن على الاكميرى وعن سيدى احمد بن بلقاسم -بلق- السليمانى من بنى أعمامه فعلى هؤلاء الثلاثة أتقنه وعلى المذكور ثانيا جوده

ثم اتصل بالمدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ثم صاحبه ايضا الى المدرسة البوزاكارنية حين انتقل اليها كما ترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ، فعنه أخذ المتون الابتدائية على العادة ، ثم المتون التى توخذ فى الدور الثانى ومفتتح الثالث فاستتم عليه مما يوخذ فى هذين الدورين الالفية مرتين ، والرسالة والربع الاول من المختصر والمقامات والرسموكية فى الفرائض والسملالية فى الحساب وما يقرأ مع ذلك عادة ثم انتقل الى المدرسة الالغية عند الاستاذ الناجارمونتي فلازمه ، فاعاد عليه جل هذه المتون فاستتم هناك الدراسة العليا ، فجال فى المقنع والدريدية وبانت سعاد ، والسلم والهمزية ومسرودات

من البخاري في الرمضانات على العادة كما جال ايضا في التلخيص وما اليه من كل مايتعاطى في المدرسة في الدور النهائي فظهرت نجابته وتقدم للاعانة في الطلبة المبتدئين والشادين على ماهو متعارف من أن نجباء الطلبة يتقدمون للتمرن بين يدي أساتذتهم في آخرين ، وكان يحضر أيضا في نجباء المدرسة في الدروس التي يلقيها الاستاذ على بن عبد الله أحيانا ، وقد دخل بين القارضين للشعر فصار يخاطب ويخاطب ، وهكذا أمضى -٢٣- سنة بين تلقي القرآن والمعارف فاطلت عليه سنة ١٣٢٥ هـ فالتحق بالاستاذ على بوضاض الاخصاصي المشهور بانه من الفرضيين الافذاذ فلازمه ثلاثة اشهر حتى اخذ عنه ماشاء في علم الفرائض الذي اختص باتقانه بين لداته

بعض تقلباته في الحياة

ثم ان الشيخ الوالد الذي هو خاله ، والمعتنى بأمره وتعليمه والدافع لـه كتبا كثيرة كماحكى لي اعارة يستعين بها في الدراسة والمطالعة ، وقد أمره أن يلتحق بالمدرسة البونعمانية حيث أستاذها سيدي محمد بن مسعـود يضم الى دراسة هذه العلوم روحا اخرى وثابة ونزعة صوفية تنبع من شغاف قلبه الرقيق فأراد الوالد من ابن أخته هذا أن يلتفت الى هذه الناحية الاخرى لئلا يبقى طـوال عمره سادرا في الغفلات كعادة جل الطلبة ، ولئلا يكون ممن استقام لسانـه بالعلم وقلبه معوج بالاثم واراد منه مع ذلك أن يظهر في الوجود كعالم كبير ، وقد كان الاستاذ ابن مسعود بدأ بناء مدرسة ازاء ضريح والده بالمعدر ، فاهتم أن ينتقل اليها من المدرسة البونعمانية فارسل الشيخ اليه المترجم ليتولى الدراسة عنه هنالك وهاك رسالة من خط الشيخ الوالد الاستاذ ابن مسعود في الموضوع نصها

«وعليكم السلام والرحمة والبركة ، وبعد ، فلاباس ولله الحمد ولا بد ان شاء الله ان تلزم هذا العام مكانك الى ان يكمل المكان الآخر ، ولايمكن ان تفارقه بالكلية الآن واصبر على شرطك حتى تقبضه بالكلية وتدخل في الآخر ، ولاتقل لاحد أردت الانتقال لا الآن ولا غيره ومتى أردت ان تقفل الى المعدر ، فخلف على الاقراء هذا الذي أرسلته سبطنا ، فهاهو يقرأ ان حضرت وان لم تحضر يقرىء وياكل معك وهولائق والله اعلم ويصير خليفة لك فيه ان شاء الله حتى أن خرجت في الصيف في العام القابل ان شاء الله تقيمه فيه ، والسلام»

ذلك ماينويه الشيخ ، غير أن صاحب الترجمة الذي لاقاه الاستاذ ملاقاة اجلال واحترام عازما أن يتخلى له عن ادارة دروس خاصة في مجلسه تنويها بقدره ، ورفعا لذكره ، واهتبالا بابن اخت شيخه وأن يدرس معه خاصة بعض دروس عليا في البيان والاصول ونحوهما ، لم يالف في المدرسة البونعمانيـة

وحصل له ضيق نفساني ، وذلك (كماقال) من أجل ان الطلبة كلهم جعلوه فى المكانة التي جعله فيهاالاستاذ ، فلايرى مؤنسا ولايلاقى مجالسا ، فحامت به عوادي الوحدة والغربة ثم انه فيليلة ليلاء حالكة الجلباب واقفة النجم كأنما شدت بامر اس من الكتان في آفاقها ، سرى منسابا من غيران يشعر به احدالى مابين قرى بني جرار فطلع في ثنية (اغيرملولن) وحيدا ينهب الارض مشيا ويطوى تلك الشعاب والانجاد نزولا وطلوعا كأنما وراءه طلاب ثار يسومونه التي بين جنبيه ، فلم يتنفس في نفس النهار حتى راح الى الغ

تفقده الاستاذ صباحا تفقد خائف أن يعروه مايزعجه الى مالايحبه شيخه فوالى البحث حتى اعوزته الطلبة ، فأرسل رسولا الى الغ يعلم الشيخ ، فجاءه الجواب بانه وصل في يومه وأمره بان يرسل ثيابه التي غادرها هناك

كان شيخنا سيدى سعيد التناني رحمه الله كثيرا مايداعب صاحب الترجمة على فعلته هذه ، ويقول له أخال انه ماازعجك من بونعمان الا انك وجدت هناك من يقوم لك بكل الشئون ولاتتعلق الابان تغسل يديك وتمدهما الى لحم كفيت طبخه ، مع انك كنت تالف في المدرسة الالغية ان تزاول طويجنتك بيدك • وأن تطل عليهاقينة بعدفينة ، وانت تتذوق طعمها ، ثم لايشاركك فيها احد ان وضعتها بين يديك فتاكل وقدفتحت نافذة بيتك وبصرك يسرح في ربا الغ المتسعة ،فلا شك ان هذه اللذة التي الفتها في بويتك في المدرسة الالغية هي التي فقدتها في بونعمان ، فصبرت ماصبرت حتى اذالم يبق في قوس صبرك منزع انتفضت انتفاضة مشوق متيم ، تذكر منازل من يهوى ، فاقبل اليها سعيا فكان صاحب الترجمة يباسطه ايضا ويقول له ومن يقدر على تلك الحالة الجدية البونعمانية بعد ماالف في الغ الفسيح ؟ ومن ينسى طويجنة المدرسة الالغية ؟

داواه خاله الشيخ الوالد بهذا الدواء ، ولكنه لم ينجع فيه فأراد أن يطرق به بابا آخر ، فالمومن لاييأس لامحالة ، فلم يشعر يوماهو ووالدته حتى دهمهم من الشيخ التهيؤ للعرس ، فان خديجة كبرى بنات الشيخ رائحة الى الفقيه سيدى موسى بعد ثلاث •

استدعى الوالد أخاه سيدى ابراهيم وسيدى الطيب والد صاحب الترجمة وسيدى موسى نفسه ، فعقدوا النكاح أربعتهم لاغير فاصبح الناس وقد فشا الخبر وأريحت الزوجة ، ومعها من يريها الطريق الى بيتها الجديد ، من غير أن تثور جعجعة ولا أن تطرق الآذان مناكر احواش ولأمثالها مما تنماع فيه الامورالمباحة في الشرع في الاعراس انمياع الملح في الماء او كمايقول الحضريون «تزوج مسكين مسكينة وتهنأت المدينة »

ثم أن الشيخ كان ينوى أن يرسله الى المدرسة التي كان فيها سيدى مبارك الميلكي المقرىء المشهور ، يدل على هذا رسالة من الشيخ الى العلامة ابن مسعود

رسالة نصها

« حضرة الصفا ، ووارث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قرة عيننا وغاية رغبتنا تمام الوداد ومنية الفؤاد وجميع المراد ، الفقيه النبيه الاعز النزيه الولد الصالح ، والاخ الناصح ، سيدى محمد بن مسعود السملالى سلام الله ورحمته وبركاته

وبعد : فلاباس ولله الحمد سوى شوق الوالدين للاولاد ، الذى يحكى شيئا من شوق المعبود للعباد ، ونحن على ذلك الشوق المعهود الى يوم التناد ، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، فكونوا على ماانتم عليه من التشمير على ساق الجد الى حضرة علام الغيوب من جد وجد ، ومن وحد سجد ، «ولله يسجد الآية» اهل الطوع المذكورون في الآية هم أهل التوحيد بمراتبه ، كل بمقامه وقد وصلني أنكم خرجتم للسياحة في جميع البلد ، فما احسن ذكر الله ومجالسه! وغير ذاكر الله في الغداة والعشي لايليق ان تجالسه ، فافهموا رحمكم الله ان المقصود بالصلاة فى الغداة والعشى ، وفى كل وقت ذكر الله لاغير فكل مجلس وجدت فيه قبلك مع الله فهو الصلاة حقيقة ، فهذا صلاة العارفين بربهم فان كنت منهم فانضح البر بالبحر ، وهاسيدى موسى أردت أن أرسله الى سيدى مبارك الميلكي كما تذاكرت معه على ذلك يوم مرورنا عليه وهاهو قد تزوج من عندي في هذه الايام فالله يسعدهما جميعا ، ويمشي معه ولدى محمد ليقرأ عليه ان شاء الله والسلام»

أصبح الفقيه سيدى موسى فى مركز آخر يغبطه فيه أقرانه الذين يحرقون الارم على ما اتيه من هذا الحظ الذى حظى به ، وقد ساقت اليه السيدة من خرثي الدار ، والفرش والاواني ومالى ذلك مارد دار آل الطيب الى سعادة جديدة ترمض اكباد حسادهم ، وكل ذى نعمة محسود ؛ وذلك مايقول بعض الالغيين فى هذيان محموم

ماحسنت حال من أى فتى حتى ترى تستوقف البصرا
الا وحامت حولها اعين لهجة ان تثئر النظرا (١)
وللعيون دون ريب اذا ما استحسنت من رونق آثرا
تاثير ما ليس حميد العوا قبب وان من تحتها استترا

مرت شهور ، وسيدى موسى يتقلب فى نعمته ، وقد خلع مايبشر بنسمة طيبة بين الزوجين ؛ ثم قدر الله الذى مارفع شيئا الا وضعه ، أن ألم بصاحبنا خلل غريب ،طرقه أولا فى رجب ١٣٢٧ هـ فى آخر يوم من موسم الفقراء ، فأما هو وبعض الفقراء فانهم يرون أن ذلك من نوع الجذب الذى يحصل للذاكرين ؛

١)أثأر نظره فى الشيء اذا ملأه فيه

وقدحكى سيدى موسى عن نفسه أمورا ربانية ، يحتج بها لماذهب اليه ، وأماالناس فانما ذلك عندهم خلل مزاجي عراه كما يعرو ضعفة الامزجة ، فيفعل أمورا غريبة ، فيزيل لباسه ، ويزول الحياء من وجهه ؛ ويفقد شعوره ؛ وهذا ما وقع لهذا السيد ؛ فجاءت قرينته الى الدار وهي مقرب ، فبينما الشيخ الوالد مع بعض الاضياف ، فى علية بداره اذولج عليه سيدى موسى عريان ؛ بادى البشرة كلها؛ وهو ينادى ايها الشيخ قم واخرج لى زوجتى ، فقام بعض من حضر فالقى عليه ثوبه ؛ ثم جاء من حمله الى بيت ؛ ثم ذهب به الى دار حيث قيد حتى تراجع الى شعوره ، ولكن المصائب اذابادأت منكودا قلما تفارقه حتى تسقيه الكاس الى ثمالتها

رجعت السيدة الى زوجها بعد أن تعافى ، فاجهضت بولد ، ثم بعدأسبوع لحقت به ؛ وذلك فى أول سنة ١٣٢٨ هـ وكان قلب السيدة قدسحقته الصدمة التى اصيبت بها من الزوج ؛ ومأأرق قلوب العذارى وأدناها الى العطب

أتقوا الله فى قلوب العذارى فالعذارى قلوبهن هبـــاء

توجه الشيخ الوالد الى سياحته الكبرى الاخيرة ، فصاحب سيدى موسى لعله يتعزى عن قرينته بما لعله يشاهده فى البلدان ، فزار اذذاك الحمراء ، فرجع بقلب ملتئم الجرح ؛ وان كان لايزال فى وسطه نغل ؛ ولكن طول الزمن وتقلب الحوادث تكفلا بمسح حزن سيدى موسى حتى يعود الى حالته المعهودة

فقلت لها ياعز كل مصيبة اذا وطنت يوما لها النفس ذلـــت

مشارطاته

كان صاحب الترجمة ملحوظا دائما عند خاله ؛ يرى منه نظرة صوفية، وماكان يزول عن حضرته وبين الفقراء فى آخر ايامه ، وقد اتخذه من كتابه فى الرسائل للفقراء ؛ فكان يجلس دائما مع سيدى سعيد التنانى وفى احيان يعلم أخانا الاكبر سيدى محمدا ، فقد درس معه الوردية ؛ ومتى أراد الشيخ أن يكتب رسما فلايتعداه ؛ وخصوصا فى وقت مرضه الاخير الذى صادف مجاعة ١٣٢٨ هـ فكان يعامل بالحبوب كل من جاء على ماأراد ، بيعاأورهنا ؛ ولايرد أحدا ؛ولا ينظر مايشتريه من الاراضى ، فكثرت معاملاته اذذاك جدا ؛ وكان الذى تولى كل كتابتها صاحب الترجمة ، ثم لماتوفى رحمه الله ؛ استقبل سيدى موسى المشارطة فافتتح بالمدرسة الوفقاوية ، فدرس فيها تلك السنة ١٣٢٩ هـ ثم فى سنة ١٣٣٠ كان فى مسجد (أداى) بأملن ؛ وبين ـ٣١ـ٣٧ـ بمسجد القرية سبع سنين متواصلة ؛ تخرج به هناك اذذاك فى القرآن الاستاذان ابو القاسم السليمانى ؛ وابراهيم بن احمد السعيدى الصالحى ؛ وآخرون وفى : ١٣٣٩ هـ كان بمسجد (ادنبرك) بايت موسى ثم فى مسجد (تيغيرت) هناك مع صنوه سيدى البشير يتعاونان سنوات ؛ ثم فى مدرسة (للاتعزى) السملالية عاما واحدا ، ثم فى

١٣٤٥هـ التحق بمسجد (تيمولاى) السفلى بافران حيث لايزال الى الان محترما مبجلا ، يصلى الجمعة ويقوم بالتلاميذ القرآنيين الذين بلغوا هناك أكثر من خمسين ، ولكنه ابتلى اليوم بكسل ؛ فالتيمولائيون يشتكون من حالته هذه ؛ وربما زاول هناك بعض تعليم المبادىء العلمية ، وفصل بعض النوازل ، معأن فض النوازل لم يعرف له فيه مجال؛ ولاهومن رجالاته لكونه ممن لايريدون علوا في الارض ولافسادا ، ولكون علم النوازل لم يمارسه غاية الممارسة ؛ (ثم أنه فارق (تيمولاى) فمكث فى داره)

الآخذون عنه

ان الفقيه سيدى موسى كما رأيت لم يشتغل كثيرا بالتعليم الاماكان علمه كمعين فى المدرسة الالغية حين كان يتلقى فيها ، والاماعلمه من القرآن فى بعض المساجد التى مر بها ؛ فلذلك قل من أخذوا عنه ولكن اذا أردنا أن لانزيله من حظه هناك ، وأن لانغمطه ماتيسر له من شرف ذلك الميدان ، فلابد أن نجد له بعض أناس مروا بين يديه مرورما فى المبادىء العلمية والقرآن ، وهاهم أولاء :

١) سيدى عبد الله بن ابراهيم بن أحمد فى البدايات
٢) صنو المترجم البشير بن الطيب
٣) السيد ابراهيم العنترى
٤) سيدى بلقاسم السليمانى فى القرآن
٥) سيدى ابراهيم بن أحمد
٦) صنوه سيدى الحسين بن أحمد
٧) الاخ سيدى محمد فى بدايات العلم
٨) الاخ سيدى عبد الرحمن فى القرءان
٩) الاخ سيدى ابراهيم فى القرءان
١٠) سيدى البشير بن أبى بكر الاغوديدى ، انتفع به فى بدايات العلم
١١) سيدى محمد بن عبد الله الصالحى فى القرءان
١٢) سيدى احمد بن بوهوش التاوييتى فى بدايات العلم

فهؤلاء كلهم جلسوا منه مجلس المتعلم ، ثم جرى بعضهم بعد ذلك فى مجار متسعة ، وفى علوم تمكنوا فيها أكثر من أستاذهم ، وماذلك له بضائر ؛ فبعضهم علمه القرآن وجوده كاخوتى ، الا ماكان من الاخ الاكبر فانه أخذ عنه بعض دروس علمية ، وكثيرا ماأقول له مداعبا ، أنت شيخ الجماعة بين السليمانيين؛ فيجيبنى على مداعبتى بمثلها ؛ حقا لو كانوا جميعا منصفين مثلك .

مقياس معلوماته

ليس العلم بكثير من السنوات التى يقضيها الانسان فى الاخذ ولاالفهم بكثرة

الممارسة للفنون ، بل ذلك من المواهب التى لايـكـون ليد الانسان فى قسمة حظوظها يد ، فهذا سيدى موسى عانى وأخذ كثيرا ومارس ، ولكنه فى الحقيقة وسط فى كل ذلك فى عين العلوم التى يقول انه تخرج فيها ، ثم لما أعرض عما أخذه بعدم المباحثة والمدارسة والمثافنة والمراجعة ، صار ذلـك الـرقم ينحدر شيئا فشيئا كما يتقلص الزئبق فى ميزان الهواء من رقم المـائة الى أن يرسى على اربعين فوق الصفر ، فمن لم يتعهد ماأخذه فهيهات أن يبقى كماكان ، مالم يكن من بعض الافذاذ الذين كانت ذاكرتهم كحجر أصم لايفلت كل ماضمه من الماء

اذا هجر العلم يوما هجر وزال ولم يبق منه أثر
كماء ترقرق فـوق الصفا اذا انقطع الماء جـف الحجـر

أخلاقه

كان حفظه الله فى أول نشاته هادئا ساكن النأمة ، ثم لم يتأثر بالبيئـة المدرسية التى كانت اذذاك مما لايسر علماء الاخلاق، ثم لما أقبل الى تأسيس الاسرة تلقى من الدهر تلك الصدمة التى كادت تاتى عليه ، بـعـد أن آنس من ثغر الزمان ابتسامة خلابة ؛ كان ظنها تبشيرا منه فاذابها كبروز نيوب الليث

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

وكأنه لم يطرق آذانه قول التهامى

جبلت على كدر وأنت تريدها صفوا من الاقـذاء والاقـذار
ومكـلـف الايام ضد طباعها متطلب فى المـاء جذوة نار

عانى اذذاك من مرضه ماعانى ، ثم لم يلبث بعد أن عوفى منه أن أجـال يوما فى داره عينيه ، فتعلقت بمجلس قرينته التى دفنها أمس ، فزفر زفرة كادت تذهب بشغاف قلبه :

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

ثم لما وضع فى وسط جرحه هذا مرهم صوفى وجدبه من يد خاله ماوجده من الراحة والطمانينة ، استحال كله صوفيابحتا، حتى اننى متى جالسته لاحسبنى جالست احد طلبة الغ ؛ فلاأشعر الابنفس خافت وهدوء وسكون ، وميل الى الخمول والانزواء ، والاكتفاء بماتيسر ؛ حتى ان من لم يعرفه، لايظن الا أنه أمى لانه مبتعد عن كل أبهة ؛ ولكن اذا فاتحه الجليس مذاكرة ؛ ومادله فيها الحبل، فانه يقع على سلامة لفظ؛ وعذوبة معنى ؛ بين مايطرق اذانه من أحاديث ممتعة، ومذاكرات حلوة ، وأبيات ينشدها بكل مناسبة ٠

وقد جالسته يوما فأرسلنا الحديث أطلاقا ، فكنت اسمع انشادات، فجمعت

ماجرى على لسانه فى ذلك المجلس فكان من ذلك البيتان المشهوران للبستى

وما غربة الانسان فى شقة النوى ولكنها ـ والله ـ فى عدم الشكل
فانى غريب بين بست وأهلها وان كان فيها اسرتى وبها أهلى

انشدنى فى صفر من السنة الماضية : ١٣٥٦ ﻫ هذين البيتين ، فوقعا منى موقعا كأننى لم أحفظهما، وأناحديث العهد بمفارقة أشكالى من مراكش وبنزوحى الى هذا المغترب الذى أقاسى فيه ماأقاسى ، وان كانت فيه أسرتى واهلى ، ولكن ماأصدق بعض الالغيين

رايت هذا الدهر لايرعوى عن غيه ولا لمثلى يـرق
جاف فلا يرثى لذى أدب مثلى ولا يوليه ما يستحق
ليس يبالى بالاديـب وان اخنى عليه الدهر حتى صعق
دهر سواى أريحى ودهـ ـسرى مادر كز الطباع مئق (١)

ومما انشدنى ايضا يومئذ وهو بيت مشهور :

وأكرم نفسى اننى ان أهنتها وحقك لم تكرم على احد بعدى

وأنشدنى ايضا البيتين المعروفين :

اودعكم وأودعكم جنانـى وانثر عبرة مثل الجمان
ولونعطى الخيار لما افترقنا ولكن لاخيار مـع الـزمان

وأنشد ايضا وزعم انه من قطعة للاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى

تكلف ماأستطعت من القريض فان الدب من برء المريض

وأنشد ايضا البيت الشهير للمتنبى

واذا صفالك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

وانشد ايضا ، وقال كثيرا ماينشده الاستاذ سيدى العربى الساموكنى:

اذا مامضى يوم ولم اصطنع يدا ولم استفد علما فماذاك من عمرى

وانشد أيضا البيت الشهير

مامضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى انـت فيها

هذا ماتيسر له انشاده فى تلك الجلسة بين المجاذبة للاحاديث ، ومن هذا تعرف انه وعاء موكوء على أدبيات تسربت اليه من بين المحافل الادبية ، أوحفظها بين مطالعاته

---

١) المئق الذى لايتحمل ، ومن امثالهم أناتئق وانت مئق فكيف نتفق اى انا متسرع وانت لاتتحمل وتئق ومئق بفتح فكسر

آثار الطالب تعرف من جهات ، امامن تعليمه ، فقدعرفت مماتقدم كيف صاحب الترجمة منذلك ، ومن انشاءاته ؛ وسترى بين يديك انشاء الله ما اخترناه مما نفثت به فكرة سيدى موسى ، ومن مخطوطاته فى النساخة ، وهذا ممـــا لصاحب الترجمة فيه آثار قيمة لنشاطه فى ذلك الميدان ، ولخطه البين الحسن؛ فقدعرفت أنه نسخ (الاجوبة العباسية) فى جزءين ، وشرح (الجمل) فى جزء، وغالب (بحرق) على اللامية ، و(الامير) الشلحى ، وهو سفرضخم ؛ نسخ منه بيده سبع نسخ ؛ وهو مترجم الشيخ الوالد لربع العبادات من (مجموع الامير) المصرى ، و(البهجة) للسيوطى جزء وسط ، نسخه مرتين ؛ و (ايسر المسالك) الى الفية ابن مالك ؛ للعربى الادوزى ، سفر ضخم ، وشرح (الميراث) للرسموكى جزء وسط ؛ وشرح الادوزى على (المرشد المعين) جزء ضخم ، فهذه ستة عشر مجلدا كلها من آثار بنانه ، من غير مالانعرفه له ، وقد تذكرت ؛ ايضا كتبا شلحية فى مجلدات نسخها لنسائنا ، فهذا مايدل على صبر وتؤدة ، ومحبة فـــى نشر العلم ؛ ولا اعلم مثل هذا الصبر فى احد من طلبة الغ ، حتى أن النساخة انقطعت فى هذين الرعيلين الاخيرين منهم ، ومالوا الى الراحة ، وكافيك دليلا على انهم اليوم عروا افراس الجد ورواحله ، اننى مع كسلى المعروف يتعجبون من أننى أكتب ، مع أننى لاأعد شيئا مذكورا ازاء رجال النساخة ، فهذا والدى رحمه الله كتب كل كتب الدراسة من شرح الاجرومية ، والمتون الصغار ؛ وشرح الدردير على المختصر ، والمحلى على جمع الجوامع ، فلم يترك شرحا يحتاج اليـه فـــى الدراسة الانسخه بيده بقلم يتردد فى انامله من سنة ١٢٨٦ هـ الى ١٢٩٣ هـ حتى نزهة الحادى لـلافرانـــى واضاءة الادموس للهـــلالى ، وشرح العـــروض للدمامينى لم تفلت من نسخه ، وقدوقفت له فى ذلك على مابهرنى ؛ بعدان كتبت فى ترجمته مارايت ؛ وكذلك الاستاذ محمد بن عبدالله كتب كثيرا من المجلدات، وكذلك الاستاذ محمد بن بلقاسم التيييوتى ، وقد رايت مانسخه فى ترجمته فهكذا كان الآباء ، وأما الابناء اليوم فاستحيى ان انشد فيهم ما قالته اخـــت عمرو بن معد يكرب فى اخيها عمرو رضى الله عنه

ودع عنك عمرا ان عمرا مسالم   وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم؟

وقدذكر لى الاخ احمد رحمه الله قرب مجيئى الى الغ وقد رايت من بعض الكتب مالاينبغى أن يفرط فيه ، فقلت له هل اجد من ينسخه لى باجرة ، فقال أماهذه الخصلة فقدرمسها الالغيون اليوم ، حتى لاتجد عند فلان وفلان وفلان ــ لاناس عينهم من فقهاء ألغ ــ مدادا فى دورهم ، ولابياضا مرصدا حتى للرسائل ، فمتى احتاج احدهم الى شىء فانما يذهب لدوى التلاميذ فى المكتب ، فيخرمش بهاماشاء وكنت احسب ان هذا من اغراقات الاخ التى اعرفها منه ، ولكن لم البث أن طلع

النهار ، فظهر ماوراء الاكمة ، وصدق ذلك فى البعض ؛ فحياك الله ياسيدى موسى وبياك؛فقد أبقيت ببنانك ءاثارا خالدةالذكر فىالدنيا ثابتة الاجرفىالاخرة

من يعمل الخير لايعدم جوازيه　　لايذهب العرف بين الله والناس

وأما ءاثاره الانشائية فانله ترسلا عاديا ، لم يقع الى منه مايستحق الاعتناء بالتدوين ، ولكن شعره الذى يقرضه متى رأى الادباء الالغيين يستنون فىميدان الآداب ، فتملكه الاريحة ، فلايملك نفسه التى لميقدرالتصوف أن يتصل بها فينزع منها هذا العرق أويذويه ، فيقول فان لايكن بين أدباء الغ مجليا، فهو على كلحال ليس بسكيت انلميكن مصليا ؛ فمنذلك مرثيته للشيخ الوالد وقد تقدمت وتقدم ماحولها مما ذكرناه هناك ، ومن أقواله أيضا ماهنأبه الاستاذ على بنعبدالله الالغى بولدله أول ربيع الثانى ١٣٢٥ ﻫ وقد تسابق أرباب القرائح فى الاجادة ، وتساجلوا وكل يحب أنيملا الدلو الى عقد الكرب(١):

جاء البشير فطار القلب من طرب　　فزال ما فيه من سقم ومن نصب
فارتحت من بعدأن قاسيتمننوب　　دارتعلىالقلب فىالاضلاع بالكرب
ماأومضت فىدياجى الليل بارقة　　الا وهيج بلائى من أذى النوب
فاليوم طار سقامى حين أذكر من　　بنوره يستضىء كل ذى وصب
صار الاسى فى ضلوعى دائما فاتى　　مايثلج الصدر بالافراح والطرب
فتلك حضرة من أنسى به فاذا　　فارقته فانا فى الهم والعطب
تاهت بصاحبها العلياء قائلة　　من لم يته فرحا فليرم بالعجب
حضرة مولاى ذى المجد الاثيلومن　　لظله أبدا يلجأ ذوو الكرب
فليهنا سيدنا بنعمة حملت　　بشارة لجميع العجم والعرب
قررتم بوليد دل طالعه　　ان سوف يرأب ما بالدين منريب
أنوار طلعته غطت سنا قمر　　فى الافق ذو حسبمنأرفع النسب
يبقيه رب الورى لرغم حاسدكم　　يوم يرى حاملا للعلم والادب
فاسمع لعبدك خير الناس قاطبة　　بدعوة فهى قصدى منك فى طلبى

وكتب الى أستاذه سيدى محمد بن مسعود البونعمانى قافية مهلهلة نصها: «سيدنا جامع الفضائل والمحاسن ، ومظهر السر الظاهر والباطن ، الذى شيد منارالطريقة ؛ وجازمن قنطرة المجاز الى الحقيقة :

قف بى على روض يحاط بلابلا　　تنفى البلابل عن فؤاد موحد
ما للفؤاد فحزنه متوقد　　أبدا ببرق مومض متوقد

---

١) الكرب بفتحتين الحبل الصغير الذى يجعل بين الحبل الكبير وبين الدلو قال : من يساجلنى يساجل ماجدا؛ يملا الدلو الى عقد الكرب

أبلاد نعمان سموت الى العلا وفخرت كل الكائنات بمفـرد
هنيت بالبدر التمام ونخبة ـ آلا مجاد نور المشكلات الاوحـد
وحويت أتقى العالمين بأسرهم أكرم بـه مـن فاضل متجرد
سمح وفخـم فاخـر متفضل عنا بكـل فضيلة وتمـجـد
حبر هـمـام بـارع متولـه شمس الوجود وغيظ كل مفند
عين الحقيقة والشريعة من غـدا سر الوجود بعلمه المتوطـد
يانجل مسعود سعدت وفزت من مولاك بالنعمى ونجح المقصد
أنت السميذع والهمام وواحد الا زمان عادلها وبغية مـهـتدى
أعطاك ربك والعطاء موفـر وخصصت بالعلم الرفيع المخلد
هـذا وانـى سائـل متطفل لطفا جميلا من دعاء اهتدى
صلى الاله على النبى محمد خير الوجود مع السلام الامجد

وليدع سيدى لنا بدعاء عام لجميع احوالنا الرذيلة ، وليكن منه اصغاء لهذا النظم الشبيه بالنثر ، فيصلح منه ونحن فى بعد عن الشعر المرتفى»

فأجابه الاستاذ

الاخ الاصفى ، والسيد البر الازكى ، ابوعمران سيدى موسى بن الطيب ؛ لازالت اكنافه مخضلة من السلام والتحايا بكل وابل صيب ، ولازائـد بحمد الله سوى الخير ، وقد وافانا مرقومكم الاعز ؛ ونحن فيما تعلم من اشتغال البال بتزاحم اشتغال ؛ وتصاريف الاعلال والابدال ، والحمد لله على كل حال ؛ وقد كلفنا جامد القريحة فى الجواب بما ستراه ، حقق الله تعالى لجميعنا من الخير متمناه ، بجاه النبى الاواه ، صلى الله عليه وسلم ؛ وهو هذا :

در تناسق فى نحور الخرد أم روضة تنسى نشر العسجـد
ام أحرف قد فاح نشر سطورها نفحت بها نسمات فضل أمجد
بشرى لناظم عقدها أرقاه فى أوج النجابة نور فكر مسعد
وأتته عن طوع جواهر أعربـت عن غوص ذهن ثاقب متوقد
لله أنت ومن غدا لك غاذيـا بلبان آداب صفى المـورد
فليهنك الادب الرفيع على زكا طبع وسمت هدى وحسن تودد
موسى سميك مجتبى القى عليـ ـه الحب من أنجاه ساعة مولد
وتوافق الاسمين عن سر لطيـ ـف للبصيرة مدرك للمهتدى
أبشر فغير بعيد ان تحتل من تلك المحبة بالمكان الاقعد
لم لا وانـك طيب مـن طيب يابن الكرام الطيبين المجد
حليت هذا العبد من انصافكم وجميل ظنكم بحلية أوحد
منلى بشعر من حلاك واننى ارجو تحققها بصدق الموعد
فتفاؤلى بنظير ذلك تطفـل وتلطف فى قرع باب السيد
والله جل يحقق الآمال من افضاله عن فيض نور محمد

صلى عليه الله ما هاجت صبا   صبا الى ماوى بقيع الفرقد

اذكرنا يا اخي بصالح دعائك ، لطف الله بنا اجمعين ، واعذرنا من الكتب اليكم على هذا الوجه في ظهر رسالتكم ؛ فليس للجريض (١) سبيل الى انتحال القريض ، والشيخ رضى الله بخير ، وكذلك الفقراء ؛ ويسلمون عليكم ؛ وقد أكملوا اليوم يوم الاربعاء -٤- ربيع الثانى حصاد زرع الشيخ ، وكأنهم على نية الاشتغال بحصاد الاخ سيدى محمد بن سعيد المعدرى ، ونحن قاربناأيضا اتمام الحصاد ، وقدكان من قدر الله ، وعسى أن يكون خيرا أنأهل دارى كلهم مرضى الاصبية صغيرة ؛ وتوفى منهم بهذا المرض صبى صغير ، تقبله الله ، واذكرونا بالدعاء بعافية الدارين آمين ؛ وأخونا الفقيه العارف بالله سيدى سعيد بن محمد التنانى بخير ؛ ويسلم عليكم ؛ وكذلك جميع الاخوان ممن وردوا علينا هنا لزيارة الشيخ ؛ والسلام الاتم يعودعليكم ، وكتبه اخوكم الضعيف محمد بن مسعود السملالى الطالبى كان الله له»

وكان بين صاحب الترجمة وبين شيخنا سيدى عبد الله بن محمدمخاطبات قريضية ، وهما لدتان بينهما أسبوع فى الولادة ، وصاحب الترجمة أكبر من شيخنا سنا ؛ وان كان شيخنا أكبر وأسنى وأرفع وأوسع معارف وافيح مدارك فممارأيته لهما هاتان اللاميتان ، كتب سيدى موسى اليه يهنئه بعيد :

سلام كما فاح الهوا بغوال   على من غدا فى الفضل مثل هلال
سلام محب ساقه لكتابة   اليك اشتياق ضاق منه مجالى
فعيدك ميمون المحيا ببشركم   فلا زلت ريان الحشا بزلال

فاجابه شيخنا وهو ينصحه ويستنهض همته :

أزهر بدالى أم عقود لئالى   أم النجم فى الجوزاء وسط ليال
أم الغادة الحسنا تبدت بوجهها   أم الشمس ضاءت أم بزوغ هلال
فغفران رب العرش بل ذى نظام من   حوى اللفظ منه نفث سحر حلال
يحار لديه الفكر من أجل مااحتوى   عليه من المعنى عديم مثال
فياصاح ايه فى العلوم فلا تزل   لك الهمة العليا لنحو معال
وارقاك رب العرش أوج سعادة   فتجنى بها أحلى ثمار كمال
فبالعلم فاق الفائقون فانما الـ   ـجهالة أدوى كل داء عضال (٢)
ولاتأل فى التحقيق علك أن ترى   رويا من العرفان عذب زلال
فدونكها فاقبل عروسا تزف وابـ   ـسطن لها عذرا على كل حال

---

١) حال الجريض دون القريض ، مثل قديم جرض بريقه كفرح ابتلعه بالجهد على هم وأجرضه بريقه أغصه ، قاله جوشن الكلابى حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزنا؛ فرق له وقد اشرف؛ فقال انطق بما احببت فاجابه بذلك

٢) من باب اضافة الموصوف الى الصفة كالكعبة اليمانية ، وذلك قليل

ولايمنعنك العجز عنه ففيرنا فع ما تراه من ترقرق ءال

وكتب اليه ايضا شيخنا وقداتقن سيدى موسى جواب مسالة ساله عنها أوفصل نازلة أو مثل ذلك:

قد أجابت من الجواب نجابة حققتكم من أزمن للاجابة
اسال الله أن ينير فـؤادا منكم كى يزيل عنه حجابه
كى تنالوا من العلوم منالا دونه الملك رتبة والحجابـة
وعليكم من العبـيـد سـلام أم أهل النهى وأهل النجابة

وكتب اليه أيضا يستدعيـه ، وفى ذلك مداعبة، وقوافى المداعبة لابد أن تكون ممايغمض فيها،وذلك فى سنة ١٣٢٩ هـ

ياايها الخـل مـوسى وقاك ربـى الغموسى
اذا أتـــاك رسـولى أقبل ولا تخش موسى
منـى علـيـك سلام يقيك من كل بوسى
وتـرتدى مـنـه عـونـا عـلى الزمـان لبوسا
فالله يعطـيـك خيرا حتى تطـيـب نفوسا

وعمدا آتي بامثال هذه المخاطبات ليكون القارىء على معرفة بأقوال الالغيين فى الجد والهزل ، ومناحيهم فى ذلك ، ومقدار اختلاف مايقولون علوبلاغة حينا؛ واسفاف لفظ ومعنى حينا اخر ؛ لان على المؤرخ أن يسوق ماكان كماهو •

وعلى ذكر أقوال الالغيين فى الهزل أحكي حكاية تمثل ذلك غاية التمثيل فى بعض قدماتى من الحمراء الى الغ حوالى ـ١٣٤٢هـ كنا مرة فى ندوة بدار الاخ الحبيب ليلا ، فى جماعة من الناشئين المتطاولين الى الادب منهم سيدى الطاهر بن على ، وسيدى محمد بن عبدالله بن محمد (نزيل تونس) والاديب سيدى محمد ابن عبدالله أوبلوش البعمرانى (القاضي بافنى اليوم) ، وهو اذذاك مجاور فى المدرسة الالغية ، وهذا العبد الكاتب ؛ وعلى رأس الندوة شيخ الادباء الجدد مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى ، فطرقنا صاحب الترجمة، وقد انتظمنا انتظام الدرر فى سلكها ؛ وأدارت عليه أريحية الادب كاسها المشعشة ، ونحن نتنقل بغرارات الشباب التى لايحلو لى التصابى الا بها •

دعنى على منهج التصابى ماقام لى العذر بالشباب

فبعد أن خضنا فى بحور من الاداب ، وتموجت الانشادات من كل جانـب حتى شحذت الافكار ، وتدفقت القرائح بمعينها السلسبيل، سنح لناوالذكاء الالفي يلهبنا بسوطه ؛ والاديب البوزاكارنى يحفزنا بنكاته أن نقول قصيدة على طريق المساجلة بيننا ، فاشترط علينا رئيس الندوة ان لانتروى فى الاجادة مادام المعنى مستقيما والوزن قويما ، وأن تلقى الابيات والاشطار على عواهنها، وأن يكون موضوع القصيدة مدح سيدى موسى الذى حضر معنا فى وسط الجلسة،

فكان بزبدة افكارنا من الفائزين ، فابتدا البوزاكارنى فتلوناه على شرطه، واحدنا يكتب ؛ فبعد قليل انتظمت هذه الابيات التى تراها من غيرأن اعلم ما تكل منا من الابيات ، او نسيت ذلك

غصن المسرة يانع الثمرات — فى حضرة أربت على الحضرات
وخمائل الحسن البهيج تزخرفت — فاقطف زهور مناك بالنظرات
وتنشقن ريح الصبا متعطرا — وتمتعن بأطيب النفحات
فالريح ان هبت على أهل الهوى — طاروا على أنفاسها العطرات
ياأيها الساقى أدرها (صرفة) — فبكل ما نشهى الزمان موات
ان كنت تمزج لامحالة فامزجن — برضاب ثغرك لا بماء فرات
فلنسكرن بشرب كاسك سكرة — نملا بها الغبراء بالشطحات
بتهتك نعلو السماء به فقد — (طاب الشراب لنا فهاك وهات)
نلنا منانا كلها بوصال ما — نهواه من أنس ومن شهوات
مما القلوب توده من كل ما — تعنو له العليا من السادات
ان كانت الاوقات تشرف باللقا — فالوقت هذا اشرف الاوقات
لم لا وذا موسى الكليم ممدح — ما بيننا بعرائس الابيات
لم لا وقد نثرت به مدح الرضا — موسى الرفيع الشان ذى العظمات
موسى وما موسى وما أدراك ما ، — موسى الذى استغنى عن (الانعات)
موسى الفقيه الندب خير ممجد — تسمو به العليا من الرتبات
موسى بن طيب الذى طابت به الا — نحاء طيبا فى جميع جهات
اذكره ينتشر العبير كيومنا — هذا الى الآصال من بكرات
يختال فى حلل الكمالات التى — ببهائها قد فاق كل لدات
قد خصه المولى باطيب سيرة — يغدو بها مثلا مدى السنوات
من مثله قولوا لنا من مثله — فى الحال والماضى وعند الآتى ؟
هيهات أن تلد النساء نظيره — أتكون أخت الشمس فى الضحوات؟
علم الهدى من سار فى أنواره — ما ان يضل بغاسق الظلمات
بحر العلوم فياسعادة من له — من رشفة فى البحر أو رشفات
ماسيبويه وما ابن بحر عنده، — جرف العباب الكل بالدفعات
قطب الولاية حازها من شيخه — حوزا صحيح العقد فى الحضرات
ان قال موعظة يهز بها القلو — ب اذا بها تنماع بالحسرات
يلج المحافل ثم يشرق وسطها — فلتلحظوه الآن بالنظرات
ذياك وجه منه أسطع مشرق — نورا فيهتك جانب السدفات
نور من القلب المنور ذاك لا — نور التنعم لاح ب (الزردات)
ذاك الذى لولاه ماكانت لنا — فكر القريض تموج ملتطمات
انا ذو وعى ولكن حينما — فزنا لدى رياه بالنفحات،

---

١) شطر من بيت قديم أظنه لابن النبيه

صرنا من اللسن العجيب مصاقعا ... بتسابق كالخيل فى الحلبات
متفجـريـن بزاخـر متلاطم ... متدفق من منبع الفكـرات
لولاه ماانتعش القريض بمجلس ... كعكاظ ضم فطاحل اللهجات
شرقت علينا شمسه فتحولت ... منا الطباع لاشرف الحالات
بشرى لنا من معشر هبت لهم ... ريح السرور باطيب النسمات
ياسيدا يامن به وبجاهـه ... نرجو النجاة ولات حين نجاة
لسنا وان فهنا بما فهنا بـــه ... من مدح موسى كامل الرغبات
انا كثير غير أنا لم نحط ... بالعشر من أوصافك العطرات
رمنا مديحك كله لكن كما ... قــد جاء فى بيت مــن الابيات
«الشمس أقرب أن تعد صفاتها ... من وصفكم بعض من السادات»١
فعليك يا انس الجليس تحيـة ... تزرى بريا الورد والحبقات
مادمت تسمى فى الورى موسى وما ... موسى تحز اللفت والبصلات

هكذا جرينا ملء فروجنا اطلاقا ، ونحن ننتهب الابيات والاشطار كما تيسر تندرا، ونحن فى فرح وبهجة وانشراح؛ والسرور قدعقد علينا اطنابه؛ والمفاكهة قدغلبت على ارساننا، فتدير نا كيف تشاء ؛ ثم مدالسماط فاقبلنا ننتهب من جديد ماتزخر به الموائد ؛ من شواء حنيذ ، بخبز من سميذ ، وطاجن مزعفر ؛ ودجـاج محمر ؛ بعد مازوجنا اللوز المطحون بابنة النحل ، وأرينا خالص الزبدة كيف تكون الغارة الشعواء الملحاح ، ثم أقبلنا على جفا ن الكسكسو ، وقد طفحت لما تتحلب اليه الشفاه وتلتهمه من غير مضغ اللهوات ، فخببنا فيها ووضعنا ، وأترعنا من الاشربة الهنيئة المريئة ما أترعنا ، فلم نزل نوالى الكاسات من اطيب الشراب حتى ضربنا بعطن ، فوقع صدفة اناناء من آنية الطعام أفلت مــن يــد الخادم ، فقال احدنا

انشق من هيبات موسى حينما ... أبدى الجبين الآنيات الفاخرة

فقال آخر

لاتعجبوا فسميه انفلقت لــه ... لما تحمل كل فلك ماخـره

وقال آخر

جعلت له أطواد ماء بعد ما الـــ ... ـــدا ماء واحدة تدفق زاخره

وقال آخر

وكذا الاناء يعود افلاقا واو ... ل امره شمتم وشمتم آخره

وقال آخر

ما هذه اولى مفاخر سيدى ... موسى ومن يحصى لدنه مفاخره؟

---

١) بيت محدث اذذاك لكنه جعل كأنه قديم فضمن

وقال آخر

هذى كرامات ومن ينكر فقد عبثت به ارضات جهل ناخرة

وقال آخر

اما انا فاحب حقا ان يكو ن ليوم حشر منه حظى داخره

وقال آخر

لكننى أبغى الحظوظ جميعها فى هذه الدنيا وتلك الآخرة

وقال آخر

من جاء يوم الفخر صاحبه بما قدجاء موسى اليوم أضحى فاخره

قال آخر

الله يعلم أن ذا جـد وان قلناه فى أوقات أنس ساخرة

وقال آخر

فليعلم الثقلان ان قمنـا بما نسطيع من امداح موسى الفاخرة

ثم أن الاديب البوزاكارنى قال لابدان نرمى غدا بهذا النوادر الى الاستاذ سيدى على بن عبد لله ، وكانى به وهو يثنى أيضا على عادته فى الاغضاء على هذه العصائد فيعلن بملء فيه انها من خير القصائد ، فزرناه فى اليوم الثانى ، فقص عليه الاديب القصة على وجهها ؛ وألقى على مسامعه ذلك اللغو من الحديث ، فاطـرى كـل الاطراء ، وقال هكذا تكون المحافل الادبية ؛ وبمثل هذا اشتغال الطلبة ان أرادوا أن يلهوا ، فياتى لهوهم فى صفة جد ، فقد أجرى الله على السنتكم من اوصاف سيدى موسى ماكان كله حقا ؛ فهو نعم الرجل من جميع الجهات ، فمد وراء ذلك لسانا منه لم يعوده الا خيرا

هذا مجلس من مجالس الغ التى يجتمع فيها اللذات ، ويلقون وقار العلماء الكبار وراءهم ؛ وغالب الالغيين ليسوا بثقلاء ، ولو كان غالبهم ثقلاء لما جاورهم الادب ؛ ولما رأى منهم الاريحية التى لايسكن الا اليها ، ولم يخف عنا فى تلك الليلة نفسها ما فى كلمة (صرفة) ولاما فى لفظة (انعات) ولامافى لفظة (الزردات) وامثالها ، ولكنها مقبولة فى أمثال تلك المجالس التى بنيت على مابنيت عليه من غض الطرف ، وقبول ماكان على ماكان ، ونذر ذلك الى مجالس الجد التى يوزن فيها الكلام بميزان الذهب ؛ والنقد فيها يعطى حكمه مسمطا ؛ ويا ويل من زل لسانه ؛ أو التفت لفتة الى غير الجهة التى يتوجه اليها الحق ، ولله در بعض الالغيين اذقال : وقد استثيرت منه ذكريات أمثال هذه المحافل الالفية الادبية .

سقى الله هاتيك الليالى انها حجول لها الاداب فى وجهها غرر
تجاذب فيها الناشئون قوافيـا كاطراف طاقات يفوح بها الزهر
تبسم فيها الدهر عن رغد كما تبسمت الحسناء عن ثغرها العطر

فما شئت من بحث لذيذ مشعشع ومن أدبيات تروق ومن سمر
ولكنها كالحلم سرعان أن مضت فلم يبق منها اليوم فيناسوىالذكر

وبعد فقد انجربنا الحديث ـ والحديث شجون ـ الى أن خرجنا الى ماذكرنا على أن ذلك أيضا له اتصال بصاحب الترجمة كماترى ، فان الاستاذ ابن عبد الله شهد أن هذه الاوصاف صادقة عليه ، وأن المباسطين مانطقوا الا بالحق ، وأما أنا فاعلم من سيدى موسى حفظه الله من الدين والخلق الدمث ، والانحياش الى الخير وذويه مالا أعرفه عن كثير من أقرانه ، ولذلك تيمنت بترجمته ، فكانت الاولى في هذا الكتاب كتابة وتحريرا .

ثم إنه تزوج بعد اختنا بابنة عم من أعمامه ، فرزق منها اولادا رباهم على الدين ، وقد حكى لى الاخ أحمد رحمه الله في هذه السنة ١٣٥٦ هـ أن بناته الابكار وأمهن ممن لايزلن عاضات على التراث السعيدى من الصلاة فى الاوقات ، وكفى بذلك صاحب الترجمة شرفا ، وله من الذكور واحد أسمه محمد قد راهق الآن حفظه الله (ثم ادرك وقد حفظ القرءان فصار من رجال القرية)

ثم ان المترجم سيدى موسى قد التحق بربه ضحوة الجمعة ـ١١ـ٢ـ١٣٦١هـ بعد مرض لازم الفراش به نحو شهر اثر ضعف شديد لازمه منذ سنة ، رق به عظمه ، وامتقع به لونه ؛ وقدعدته في داره قبل وفاته بنحو نصف شهر ، فقال انه رأى شيخه الوالد خاله فى عالم الارواح ؛ وقرأ له قوله تعالى «وان كل لما جميع لدينا محضرون» فوقع فى قلبى أنه على الرحيل ، ولكننا لانزال نرجوه حتى فات من أيدينا رحمه الله ، وقد كان صواما قواما ناسكا لينا ، تلاء لكتاب الله ؛ ما علمنا عليه من سوء ، وقد لازم المشارطة فى مسجد (تيمولاى) السفلى الى ما قبل يومه الاخير ، اللهم اجرنا فى مصابنا به ، انا لله وانا اليه راجعون ؛ (وفى كتاب الالغيات) (قواف بينى وبينه)



النجيب سيدى الحسين

ابن احمد بن صالح

١٣١٨ هـ = نحو ١٣٤٠ هـ =

نسـبـه :

الحسين بن أحمد ابن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

كان سيدى الحاج صالح الذى ذكر فى هذه السلسلة من حفظة كتاب الله، وممن حج مرتين ، أولاهما سنة ١٢٨٥ هـ مع أمغار الحاج احمد التامانارتـى الذى صار بعد قائدا ، وكان بين الاسرة السعيدية وبين الاسرة الرئيسية فى (تامانارت) اواصر مودة وشجت عروقها منذ القدم ، وقد وقف سيدى أحمـد ابن محمد بن سعيد مع هؤلاء التامانارتيين سنة ١٢٥٥هـ فى الفتكة التى ألمت بهم من أيدى أولاد الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم ، فكان ينفذ اليهم بالماء حين حوصروا ، فبقى أولادهم بعدهم على هذا الوداد ؛ ولذلك لما عزم أمغار احمد أيضا على الحج مع أصحاب له ، وقد ذهب سيدى الحاج صالح ليودعهم فى السويرة عزموا عليه فى المضى معهم فباع بغلته ، ولكنهم لم يرزأوه منها دانقا ، وقد كانت له حجة ثانية بعد الاولى ، وهو من وجهاء القرية السليمانية ، ومن كرمائـهـا ومن أمليائها ، وهو ابن خديجة زوجة والده الاخيرة ، وقد كان مع والده سيدى أحمد حين انتقل الى (تامانارت) وسكن فيها ولما نشأ ولده سيدى محمد بن أحمد ولم يرد أن يضايقه فى الغ ترك له ولامه ولمن معهما دار الغ ، وكان أحمد وجيها كريما ، فكما كانت له صحبة مع الرؤساء التامانارتيين، وكذلك كانت له مـع الرؤساء التازروالتيين سيدى الهاشم واولاده ، فقد نزل عليه سيدى الحسين ابن هاشم فى زحف له مرفيه نحو (أمانوز) وهذا كله أخذته عن العم ابراهيم ، وقدمات سيدى أحمد بن محمد هناك فى (تامانارت) ، جلس فى بستان ؛ والعملة يعملون له فيه، فسقط عليه حائط، فصلى عليه الفقيه سيدى ابراهيم التامانارتى جد استاذنا سيدى الطاهر ؛ وقد كانت بينهما صحبة تعاهدا بها على أن من مات سابقا يقف عليه الاخر حتى يدفنه ، وكانت ولادته قبل ١٢٠٠هـ ووفاته نحـو ١٢٦٢هـ وعلى قبره بيت هناك ، وقد تقدم ذكر والده الصالح سيدى محمد بن

سعيد ، وقد التقينا ـ نحن اولاد الشيخ ـ مع سيدى صالح فى احمد بن محمد هذا، فانا المختار بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد الخ ٠٠٠٠ فسيدى صالح عم جدنا احمد بن محمد بن أحمد ، ثم ان سيدى الحاج صالحا راجع الغ بالسكني الى أن مات ، وولادته نحو ١٢٥٣ ﻫ وقد أدركته جدتنا تاكدا حين تزوجت سنة ١٢٦٠ ﻫ صبيا بذوابته كما قالت ، ثم كان ممن يكتب العقود في القرية ، ولم يكن اخذ من المعارف شيئا ولذلك لايقصده الامن لم يتيسر له عالم، وكان تلاء لكتاب الله ؛ وقد وقع له في احدى حجتيه انه رأى أحد المعلمين للقرآن في الحجاز ، وهو يملي على تلميذ من المصحف فقال له لماذا لاتمل عليه من حفظك؟ فقال له ومن يحفظ القرآن حفظا جيدا ، حتى يقدر ان يمليه من صدره؟ فقال له أنا أحفظه كله في صدرى ، فصار يقرأ عليه ، ولكنه يهذ القرآن هذا ؛ فانتفض الحجازى ؛ فقال له أسكت أسكت ، فانك مادمت تهذه هكذا فانك لم تحفظه بعد، وكان يحكى ذلك في معرض الانكار على قراءة المغاربة ، ثم انه شاخ في ءاخر عمره، وقد كنت أرى الشيخ الوالد يرسل اليه كثيرا ويبره، لانه عم أبيه ، ثم لما توفى الوالد بقى في ضياع لولا ولده سيدى أحمد بين أولاد له آخرين فانه قام به بعد أن بلغ به الهرم حتى انقطع عن المسجد الذى ماكانت تفوته قبل فيه صلاة، وقد صار اذامشى لاتتمكن النعل من رجليه ، ثم توفى يوم السبت عاشر ذى القعدة سنة ١٣٣٧ﻫ وقد كان هو امام القافلة التى تسافر دائما من الغ واليها من المرابطين والفقير عدى اللحيانى هو الموذن فكانت صلاة الجماعة محافظا عليها دائما فى أسفارهم ، فرحم الله تلك الهمم التى اعطت للدين وللدنيا حقهما •

وأما ولده سيدى أحمد بن الحاج صالح ، فانه أيضا من حفظة كتاب الله بل ممن له قبصة من العلوم قليلة أخذها من المدرسة الالغية ، فقدر أن يطالع بها ، وكان رجلا له في الكد والنصب وراء المعيشة عجب عجاب ، لكنه غير محظوظ في دنياه ، فكان كلما برقت له بارقة من جهة ؛ انطفات عنه نويرة من أخرى ؛ ولايكاد يفارقه دين ؛ وقد تزوج برقية بنت عمتنا خديجة بنت سيدى مبارك الاخت للاب سيدى البشير وسيدى موسى اللذين قرات ترجمتيهما ، فكان سيدى أحمد مذكارا فولد له علي والحسين والحسن وابراهيم ومحمد وعبد الله ، هؤلاء من شبوا وعرفناهم وأدركناهم ، ثم ولدت له أخيرا بنته فاطمة ، فكان الاريحى صاحب النكت ؛ سيدى البشير يقول غريبة في ءاخر الزمان ، سيدى أحمد ابن الحاج صالح طال عمره حتى ولدت له بنت ، ثم ان سيدى أحمد دارت به مصائب بديون تراكمت ، وحاول أن يتقدم بالسفينة كل محاولة بين الامواج والاجراف، ولكنه غلب أخيرا ؛ فانقطع في حاحة وقد كان ولده الاستاذ سيدى محمد بن أحمد هناك عند القائد سعيد التيكزيرينى ، فشارطه فى مسجد هناك وذلك بعد ١٣٤٤ﻫ وهناك استقر وهدأ واشتغل بربه ، ووجد من الرحمة وفراغ الوقت ما لم يكن يحلم به في الغ ، وقد كنت كتبت اليه اذذاك رسالة اوصيه فيها

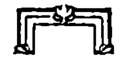
بالسكون هناك ، وانالله أراد به خيرا فهيا له ان جعله من عمار المساجد الذين هم المومنون بالله واليوم الآخر ، فكان من انصافه أنه فرح بماقلت له رحمه الله، فقد كان تلاء لكتاب الله هناك ؛ وكان مع أنه تيجاني ليس فيه غلو البعض منهم ، فكان اذاصلى المغرب يفتتح الحزب أولا ؛ ثم يثنى بأوراده ، فعاكسه أناس هناك من أصحاب الغلو فى الطريقة فقالواله نريد الورد اولا ثم الحزب ، فلم يتبعهم، ثم حدث به مرض من سم، يتهم به هؤلاء ، ولم يزل يتزايد فيه حتى توفى هناك فى -١٣- جمادى الاولى سنة ١٣٥٦هـ وان أنس لا انس أننى كنت سمعت مرة من قريتنا ماكنت لاأعتاده منها فى حياة الشيخ الوالد مـن مـجـانـة وأمور تزرى بالمروءة ، فقلت له وأناجالس اليه امام الزاوية ماهذا الذى وقع فى القرية ومنكم وأنتم اصحابها؟ فقال هل كنت قط فى ملعب احواش ؟ فقلت له لا فقال ان من عادتهم أن يكون فى وسطهم انسان يرأس حركاتهم ، فكل مافعله يفعلونه ؛ فكذلك نحن وأنتم أبناء الشيخ ؛ فحين كان والدكم يرأسنا بخير وبـمـروءة وبالتباعد عن مواقف الخزى والشنار ، فقد كنانحن والجيران كلهم بخير ؛ وحين جاء دوركم؛ وانتم تمشون غير مشي والدكم لافى المروءة ولافى الدين ولافى التباعد عن مواقف الخزى والشنار ، فلاغرو أن نتبعكم فى مشيتكم هذه ؛ فكأنه والله القمنى حجرا القاما فسكت ، ثم لم أنس بعد كلامه ؛ وقد التحق به صنوه ابراهيم ابن صالح فى أول ١٣٥٧ هـ فى (اكاديرايغير) وكان يعمل هناك وسكن فيه منذ سنوات .

وسيدى أحمد ذلك هو الذى ولد لنا الاستاذين الكبيرين الآتيين سيدى محمد ابن أحمد وسيدى ابراهيم بن احمد وسيدى الحسين الذى عنوناله لنذكره.

نشأ سيدى الحسين فى القرية ، فأخذ القرءان عن سيدى بلقاسم الايسى وعن سيدى محمد بن مبارك الاهريبى التاجارمونتى ، وعن خاله الفقيه سيدى موسى بن الطيب ؛ وبخاله تخرج ثم التحق فى رفقة قرينه سيدى بلقاسم بـن محمد بمدرسة سيدى على بن سعيد الاخصاصية ، سنة ١٣٣٤هـ والاستاذ فيها اذذاك شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى ،فأخذا هناك متون المبادىء، ثم توفى سنة ١٣٣٦هـ انتقل مع رفيقه الى المدرسة الايغشانية ؛ وفيها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، فكان صنوه الاستاذ سيدى محمد بن أحمد معين التاجارمونتى فى المبتدئين ؛ فأخذ صنوه هذا ورفيقه ، وسيدى ابراهيم (استاذ الحمراء اليوم) بالسير فى التعلم على وفق تعاليم الغ ، كما ذكرناه فيما قبل ، فهذبهما وشذبهما ومرنهما حتى تفوقا بين لداتهما ، فكان صاحب الترجمة ممن يطالع ويعيد بين طبقات المتعلمين ويتلو، وقد صلح لسانه، وقداتم الالفية؛ ومر بالمقامات الحريرية واشرف على اتمام المختصر فى الفقه ؛ وجال فى كل الميادين التى يجول فيها من ترقوا من دراسة الدور الثانى الى الدور الثالث ، وكان له بين أهله ذكر، ثم كبا

به الدهر العثور، وتقلبت باسرته امور، وذلك حين سقوط الكارثة على والدهم؛ فتركته تحت كلكل الديون في تململ ، فسما لعلي بن احمد أخيه أن يهاجر في طلب ثروة، يدعم بها الاسرة ؛ فجعل بين عينيه اما أن يلقى امنيته ، او يلقى منيته ؛ فسبق في القدر الذي لايدرك بطرق الحصى غيبه، ان ذهب معه أخوه المترجم سيدي الحسين ؛ وقد جرفته سورة حزن على فراق أخيه ، او بروق أماني يتخيلها ، ثم لم يكادا يمعنان في الحواضر ؛ حتى سقطا معا بالمرض ؛ فلم يمهلهما الاجل، فالتحقا بالتتابع بربهما في دار غربة، ففازا بشهادة الغربة ، ان فاتهما ان يشاهد ما تغربا من أجله ، فذهب الحسين النجيب الذي لاشك لو امتد به العمر ان يكون ابراهيم ءاخر، وربما تبصر منه الحمراء استاذا ثانيا؛ ولبعض الالفيين في مثل هذا :

فكم من نفوس طلبن نفيسا ... فكانت امانيهن منايا
وكم ناظر للمزايا بما ... يزاوله فاستحالت رزايا



تاكدا بنت سعيد

= ١٢٤٢ هـ = ـ١٤ـ١١ـ١٣٤٠ هـ =

نسبهـــا

تكدا بنت سعيد بن محمد بن الحسن بن سعيد بن على بن بلقاسم بن عبدالله ابن سعيد •

هذه السيدة هى أم الوالد ، وجدة علماء كثيرين من الغ، رزفت هى فى نفسها حظوة تأتت لها بها مزايا ومفاخر تستحق بها الخلود فى التاريخ ؛ وليست هى وحدها من يستحق أن يذكر من نساء قبيلتنا التى سابقن رجالنا الى ميدان الديانة، وجاذبنهم حبال الصلاح، فهناك أمثال فاطمة بنت سعيد بن سليمان بن محمد ابن أحمد بن عبدالله بن سعيد الصالحات القانتات ، ولكن لم يشتهر عنهن وراء ذلك ما يستحققن به درجة الاعتناء باسلات اليراع ، وهل قمنا بـكـل اصحاب العمائم حتى نتفرغ لذوات القناع ؟ وقد كانت فاطمة هذه ممن يوثر عنها مايوثر عن الصالحين من استجابة الدعوة ، وسمو الهمة ؛ والارشاد حــتــى صارت تنتابها الايغشانيات والوفقاويات والمجاطيات بالزيارة، فتعظ وترشد ؛ وقد عمرت، لان ولادتها فى اوائل القرن الماضى ، وتوفيت سنة ١٢٩٠ هـ بـعـد الفقيه ابراهيم بن سليمان بنحو ثلاثة عقود ، وقد كانت تاخذ بحجـزة زوجها أحمد بن ابراهيم بن سليمان وتعظه ؛ وقلما يتعظ بما تقول فتصبر، وقد التحق بها سنة ١٢٩٥هـ• وقد كنت سالت العم عمن يصلح أن يذكر من نسائنا المشهورات، فعدلى كثيرات ؛ فرأيت بعدما استفصلته عما اشتهرن به من الحصافة والعفاف، والقيام بالاسرة أن أتخير واحدة أذكرها كمثال لهن، فاخترت هذه المترجمة التى كنت على يقين من أحوالها ؛ ولم تعبث بها بعد أخيلة الرواة ، ولم ينسج حولها ماكان ينسج حول من كان اتفق لها مااتفق مماستراه •

اذا صدق أهل هذا العصر فى قولهم : ان مستقبل الابناء فى أيدى الامهات، فانهن المدرسة الاولى والغارسات فى الاذهان ــ وهى كماانبثقت ــ علو الهمم ، والشعور الحى ؛ فان لهذه السيدة حقا يدا طولى فيما توجهت اليه انظار بعض أولادها فنالوا ، وتساويها فى ذلك السيدة (رقية) ام العلامة على بن عبدالله ابن صالح

ابوها سعيد بن محمد من اخواننا السعيديين أبناء بلقاسم بن عبدالله بــن سعيد ، دفين تيدلى بايغشان سكنوا فى بسيط (واكشرير) بأيت موسى؛ بمجاط وقد رزق سعيد بن محمد ذكورا واناثا، منهن عائشة اقترن بها الشهم الباسل سيدى عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن من أحفاد سيدى محمد بن ابراهيم

الشيخ، الساكنين بقصبة (تامانارت)؛ فولدت لهالرئيس الطاهر بن‌عبدالسلام؛ وقد امتد عمر عائشة حتى توفيت اخيرا سنة ١٣٥١ ﻫ بعد أن عمرت نحـــو المائة ، ومنهن صفية اقترن بها بورحيم من آيت جرار الساكنين أسفل وادى افران ؛ وقد ولدت له أولادا ، توفيت بعد تعمير المائة أيضا اوائل سنة ـ١٣٥٦ﻫ وثالثتهن‌صاحبة الترجمة التى اقترنت بزوجها سيدى أحمد بن محمد سنـة ١٢٦٠ ﻫ ورسم نكاحها لايزال موجودا عند أهلها فى (واكشرير) ذكروه لى

كانت رحمة الله عليها من البدويات القويات الرابطات الجاش ، التى يؤدين واجبات ربهن ؛ ويقمن بماعليهن لاسرهن ، ذات همة نافذة ؛ وعزيمة مسنونة؛ وقد رأيت بعض ذلك‌فى‌أخبار ولدها الشيخ الوالد ، وهذه اخلاق غالب نساء بوادينا، وفاقت عليهن نساؤنا ءال عبد الله بن‌سعيد ، بالديانة والصون‌والعفاف والعض بالنواجذ على اداءفروض الدين فى الاوقات الموقوتة، وكن فى‌ذلك‌عجبا عجابا مع غيرة منهن من أن‌يستبد عليهن الازواج ، بل عادتهن أن يستبددن هن بكل مايلج‌من باب‌الدار ، ويقلن فى أمثالهن (أجنغ‌أنوال ؛ أدون نج‌أوال) اى دعوالنا الاستبداد بالدار، ندع‌لكم الاستبداد بالتكلم فيما وراءذلك ، فبذلك التأمت الاسر وانتظمت ، حتى لانسمع طلاقا ؛ ولاتعدد زوجات الا فى النادر جدا ؛ ممايقع كفلتات الطبيعة ؛ فهذه الصفات كلها فى صاحبة الترجمة ، وزادت عليهن‌بهمة غريبة ؛ وأنفة تظهر لك فى الحكاية الآتية

أخبرتنى فاطمة احدى اخواتى ، وهى شقيقتى الوحدة ؛ أنها ولدت مرةفربضت فى بيت نفاسها أياما ، فدخلت عليها السيدة تاكدا المترجمـة ؛ فمالـت عليــها بالتانيب والمعاتبة ، والعذل القارص اللاذع ؛ قالت ـوهى‌تثرب عليها مستهزئة تبارك‌الله فيكن يانساء اليوم ، فقدقامت بكن الاسر ؛ وتربى‌بكن الرجال‌وعمرت بكن‌مخازن‌الديار ؛ تبارك الله تبارك الله؛ أوكلما القت واحدة منكن‌لحيمة‌من بطنها؛ ربضت‌فى زاوية‌بيت مظلم ، معتجرة بثياب ممتدة وسط فرش وثيرة؛تبا لكن‌ولعصركن ؛ وتبا لمن‌يرجوأن يتربى على أيديكن رجال يسرون فى‌النادى؛ ويقفون فى وجه العادى ؛ فقدكنا ونحن فى سنكن لانبالى بأمثال هذه العوارض، ولانتصل‌بالارض فى‌زمن النفاس الا ريثما نتناول بايدينا اولادنا الجدد ، ثـم ننتفض الى‌اشغالنا من‌هذه‌الوعكات ، ومن‌التململات‌اللاتى‌تعتدنها‌اليوم،وتتمددن من‌أجلها أياما، فلاأزال‌استحضر اننى‌فى‌سنة كنت فى (ايسافن)ـتعنى مرتبع الالغيين ـ فجاءنى‌الطلق بولدى على هذا الذى ولدكن ياأشباه النساء ، فأويت وحدى الى‌ناحية فى حظيرةالغنم ؛ وليست عندى هناك أية امرأة تقوم لى‌مقام‌القابلة وان‌كنت‌لااتوقف عليها لوكانت حاضرة ؛ فنفست بالولد ، فتناولته بيدى ؛ والليل مظلم ؛ وقدنام الرعاة فى عرض حظيرةالغنم؛ ولايطرق سمعى الاثغاء الشاء ، ونباح متقطع من‌كلاب‌الحراسة ؛ فانفتلت من‌مكانى فى الحين ؛ فأصلحت من شانى مااستطعت ؛ وقطعت سرة الصبى ؛ ولويته فى خرقة ، فاضجعته بعدما أرضعته‌فى‌قفة ملاتها تبنا ؛ ثم‌أظلنى السحر ، ووصل وقت قيامى لحلب‌الشياه

وهي عشرات فتحاملت على نفسي وقدبذلت كل مجهودي في المصابرة ، فحلبت الشياه‌ثم أصبحت حذاء الرعاء مع انبثاق الفجر ثم‌لم‌يعرف‌من‌معي هناك ان عندي ولدا جديدا الابعد يوم أو يومين ، هكذا كنا في سنكن يابنات اليوم ؛ ثم لا نحسب انفسنا شيئا مذكورا ، وأما أنتن يا نساء هـذا الجيل المتخنثات المتداعيات ، فانما هي أقوال مزخرفة ، وتبرجات في أرجـاء الديار ، فلا دين الله أدينن ، ولا لاسركن عشتن ، ولا بحق الحياة المفروض قمتن ، فلا كنتن ولا كان‌من يرجوكن للاسرة .

هذه هي صاحبة الترجمة ؛ وقدعرفت بهذه الهمة ، وحبب اليها أن‌تنقطع في ذلك‌المرتبع‌في‌كل فصل ربيع ؛ لتقوم على الغنم بنفسها ؛ وربماوصل‌غنمها في‌بعض السنين سبعمائة، والرعاء ستة . ـ كما قال لي العم ـ ثم‌تقوم وحدها بكل ذلك‌حلبا ومخضا ؛ وطبخا للرعاء ؛ وقد كانت تضم اليها في مرتبعهاصغار أسرتها لتربيهم ، وقدكنت انا ـجامع هذا الكتابـ بعد سنة من ولادتي ممن ذهبت بهم هذه السيدة كعادتها مع الصغار . لعارض عرض دون اتمام رضاعي ـوهوولادة صنوي الحبيب بعدي بسنةـ ذهبت بي الى (تافراوت‌ايكرا) بمجاط؛ فقامت بي بحليب الشياه اشهرامتوالية، ثم لماردتني في حالةزريةمن الاوساخ كادت والدتي تنكر أنني ولدها المختار لولاانها غسلتني والبستني احسن مـا عندها ، فتبينت اذذاك من ولدها مااكتسبه من الصحة في ذلك المرتع

طال عمرها الى مائة أيضا ؛ كاختيها المتقدمين ، فشاهـدت مـن أحفـادها وأسباطها مايناهز عشرات ، بل يناهز المائتين ؛ فقد تنبه لذلك ولدها الوالد رحمه الله ؛ فشرع‌يوما يحسب فروعها ، فكانوا اذذاك قبل ١٣٢٨هـ اكثر من مائة وخمسين ؛ ثم‌لم‌تمت حتى كانوا أكثر مماذكرنا ؛ وقدرأتهم كلهم وراوها، وسمعت من العم ابراهيم ان حفظة القرءان فقط من احفادها نحو ـ٧٠ـ رجلا، وأناأحسبهم الآن أكثرمن ذلك، وأما العلماء فأكثر من عشرين ، بين علامة ماهر وءاخر أدون منه، والكل ترى‌تراجمهم ، في هذا الكتاب ان شاء الله. وقد وقع لها مثل ما يحكى‌عن‌فاطمة بنت‌يزيد بن معاوية ؛ أنها يمكن ان‌تنزع‌خمارها عند خلفاء كثيرين من‌بني أمية، عند أبيها يزيد؛ وجدها معاويـة بن‌أبـي سفيان ؛ وأخيها معاوية بن‌يزيد ؛ وزوجها عبد الملك ، وأبي زوجها مروان‌بن الحكم ؛ وابنها يزيد بن عبد الملك ، وابناء زوجها الوليد وهشام وسليمـان ، وعنـد حفيدها الوليد بن يزيد بن عبدالملك ؛ وعندحفيدزوجها اليزيد بن‌الوليد بـن عبد الملك ؛ وغيرهم ، فكذلك صاحبة الترجمة مع علماء الـغ ورؤسائه ، فان الشيخ الوالد ولدها ، والاخ محمدا رئيس الغ اليوم ومثقفه‌وعماده‌ولد ولدها والاستاذان محمد بن عبد الله وصنوه علي بن‌عبدالله صهراها على ابنتها مريم، والاستاذ عبد الله بن محمد حفيدها ، والاستاذ محمد بن‌علي حفيدها . والاستاذ المدني زوج حفيدتها ؛ والاستاذ الطاهر بن علي تزوج حفيدتها والاستاذان محمد ابن‌أحمد بن‌الحاج صالح ؛ وابراهيم أخوه ، وسيدي‌موسى بن الطيب وأخـوه

سيدى البشير والاستاذ ابو القاسم السليماني ، هؤلاء كلهم احفادها؛ والاستاذ عبدالله بن ابراهيم ولدولدها وان أردت أن تزيد من غير الالغيين ، فلك أن تقول أن الاستاذ محمد بن الطاهر الافراني زوج حفيدتها ، ثم ان الرئيس احمد الايفشاني زوج حفيدتها ، وهذا اتينابه كمثال لشرفها في هذه الناحية ؛ والا فلوأردنا الاستقصاء من علماء احفادها وابنائها ، أوانصاف الفقهاء منهم لزدنا آخرين هم الآن في ذاكرتنا ، ولكن انما ذكرنا المشاهير ؛ ثم اننا لم نذكر الا من ظهروا وبرزوا في حياتها والا فقد ظهر آخرون وبرزوا بعدها ، وهم كثيرن حتى ليزيدون على ذلك العدد المذكور •

كانت رحمة الله عليها في آخر عمرها تدور في كل الديار ، وتقابل بالاحترامات لانها مع كل دار ممن تقصدهم نسبا ورحما ، فكانت الدعوات الصالحة تطلب منها ؛ وقد ظهرت لها دعوات مستجابة ؛ كما حكيت عنها فراسات أو سمها كرامات ، وقد حدثتني الوالدة ان والدى كان يقول ان امي ولية من اولياء الله ولكن لاتحدثوها بذلك ؛ وقد كانت في اول أمر ولدها الشيخ تنكر عليه وعلى كل الصوفية، حتى رات منهم براهين فرفعت من شانهم ؛ منها ماحكت لي بنفسها؛ وماعهدمنها التزيد والاختلاق ؛ أنها شاهدت بركة عجيبة من تمر عندها في بيت؛ كان الشيخ الوالد أوصاهم ان يبيعوامنه حين ذهب الى الحج ؛ ليجمعوا من ثمنه القدر الذى تسلفه اذذاك ليحج به ، قالت فكنا نبيع حتى جمعنا الدراهم كلها؛ والتمر كماهو ؛ بل زادت لي أنها تحس بالتمر ليلا كأنه يتزايد ، وكأنها تسمع حركته بالزيادة ، هذا ماحكت لي والله اعلم

ووقع لها ايضا أنها أقامت حفلة في دارها ؛ فاستدعت الطلبة أولا ؛ وأخرت الفقراء المنقطعين عند ولدها الشيخ في الزاوية عمدا ؛ كأنها استهانت بحالهم ، قالت ثم لما استدعيناهم ؛ دخلت بالسكرجات لاضع فيها سمنا من خابية في قعرها بقايا ، فكنت كلما رفعت يدى تزايد السمن حتى امتلات الخابية؛ فكانت هذه الكرامة مما حملها على تحسين الظن بالفقراء ، أقول ان هذه الحكاية متواترة ؛ وأشك في سماعها منها ؛ ولست من ذلك على يقين؛ وانما الذى اتحقق أنني سمعته منها تلك التى ذكرتها أولا •

وقد اعتراها ضعف كثير في اخر حياتها ، فكان يغشى عليها بادنى سبب؛ فتسقط بالخبر السار؛ أوبالخبر المحزن؛ وكانت لاتغب زيارة القبور؛ والتصدق على أهلها ، على ماعرف من العجائز؛ ولاتفارق الارشاد لكل من لقيته ؛ وتوثر عنها مواعظ وحكم ؛ وقد اخبر شيخنا سيدى عبدالله بن محمد أنه سمعها تقول: لايذهب بالطرف والحوائج والاشياء من ديار اولاده الى ديار بناته الا الحمقاء المافونة من الامهات •

تلك السيدة (تاكدا) رحمها الله ، فياطالما وصتني ان ادعولها بعد موتها؛ اللهم ارحمها رحمة واسعة وبوئها في اعلى عليين ، وبدل سيآتها حسنات ؛ انك سميع مجيب •

سيدى ابراهيم بن احمد
الطالبى السليماني

= ١٢٨٢ هـ = ليلة ٢٠-٤-١٣٦٨هـ =

نســبــه :

ابراهيم بن أحمد بن‌محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن‌سعيد .

ان‌كان لكل‌واحد من‌كبار الرعيل الاول من الالغيين وجهة هو موليها ، بذفيها أقرانه ؛ ونال فيها الشفوف عليهم ؛ فان للعم وجهة اهتم بها من‌بينهم تأتى‌له أن‌ينفرد بهاانفرادالكواكب بالسماوات العليا ؛ فلئن كان الشيخ الوالد فـى تصوفه وتربيته وارشاده ، والاستاذ محمد بن عبد الله فى همته وتاسيســه وتدريسه ؛ والاستاذ علي بن عبدالله فى فتاويه الرائعة ؛ وقصائده الكثيرةوترسله الفريد من بين الالغيين ، اذاكان يطل كل واحد منهم من‌علياء مااختص به‌من قمم التاريخ ، وتشير به اليه الاكف بالبنان ؛ فان‌لهذا العم من الرعيل الثانى من ذاكرته الواعية الغريبة مايمدله ذكرا مديدا فى حياته وبعدمماته ، وناهيك بما يقرؤه القارئون عن‌الالغيين هنا فى هذا الكتاب ، فان‌تسعة اعشار ما فيه ممايتعلق بالالغيين قاطبة ، ثم بجيرانهم من أخبار العلماء والرؤساء والوقائع والحروب والانساب ومايمت به كل واحد الى ءاخر بتلميذية أوأستاذية ، غالب ذلك‌انما استقيته كنقطة من بحره ؛ واقتبسته منه فيما بين الظهرين فى الشهور الاولى التى حللت فيها الغ من السنة الماضية ؛ مع أننى انماأتناول منه تنــاول الطرار الذى يتناول من جيب غافل ، لان الجو بكل أسف لم يصف لى حتــى ءاخذ عنه‌كل مااريد ؛ أواستنفد ماتعيه ذاكرته العجيبة من الحوادث والاخبار .

أول من سمعت‌منه الثناء عليه من هذه الناحية ثناء عطرا ، هو أخى أحمد المرحوم ، وقدقال انه وحده من‌انتهى اليه خبر الغ والالغيين ؛ وتاريخ كل مادار فيه فى المجالس العلمية والقضائية ؛ حتى انه‌ليعرف استحضار كل النــوازل التى جرت فيها مخاصمة بين أيدى قضاة الغ . وكيف‌جرت ، وبأى‌شيء حكم‌فيها مع‌معرفة الامكنة التى ثارت هذه المحاكمات حولها . قال‌حتى‌انه‌ليقف أمام‌كل حقل‌من‌حقول قريتنا هذه وماليها ، فيملي عليك تاريخه منذ عقود . بل منــذ قرن أوقرنين ؛ وذلك كله لمامر بين عينيه من الرسوم التى كان يتصفحها فى

حضرة الاستاذ سيدىعلى بن عبد الله قاضي الغ ، الذى مامنرسمرسم الامربين يديه من رسوم الاسر ؛ منأجل محاسبة او محاكمة يتولى فيها الحكم ؛ فكـان العم يعى كل مايرى بحافظة كأنها ءالة التصوير هذامع تثبت ، وقول لاادرى فيما لايدرى ، وجعل اليقين مقام اليقين والظن مقامالظن ، هذا مدلول ماكنت أسمعه من الاخ رحمهالله ؛ ويقول هذه هي حسنة العم وحده ؛ ومنقبته التـى اختص بها ، ثميذهب الى الاستثناء منذلك على عادته ممايجب علينا أن نلقيـه ظهريا • لانه يالف الانتقاد ، فلايذكر محاسن ، حتىيحرصعلىذكر ما يقابلها من ناحية أخرى

حقاانالعم يعرف كيف يحدث ، وكيفيتثبت ، ومناغرب ماعرفته أنا منه في تلك الشهور أنهاذا قال نحو كذا ، أوحدود سنة كذا ؛ فاني انوقفت عـلى تاريخ ذلكالذى حدده بالتقدير ، أجدهكما قال ؛ اويقرب اليه بكثير ؛ وبأمارات أخرى جربته بها ايقنت صدق ماقاله الاخ، وتحققت أنه ليس من المجازفين في الثناء عليه في هذه الناحية

تلقى القرءان عن سيدى مبارك بنأحمد منبنى عمومتنا الاعلين ، ثم عـن سيدىالحسن من آيت الموذن التونيني الالغي عم الاستاذ سيدى ناصر الشهير، ثم عن سيدى اليزيد الايسى من (أكرض ايملالن) ، وقدتتابع هؤلاء في مسجد القرية ؛ وفي ثناء ذلك كان يعرض سوره المحفوظة على جده سيدى محمد بـن احمد ؛ ثمذهب به الوالد الى (تيغمى) عند الاستاذ سيدى محمد بن بيروك ،وذلك في سنة ١٢٩٣ هـ حين كان الوالد يتلقى في (أدوز)

وفي ١٢٩٦ هـ افتتح المبادىء العلمية على الوالد في المدرسة (الفوكرضية) ثم صاحبه الى (البومروانية) ، ثمانقطع بعدذلك الى المدرسة (الالغية) من١٢٩٨هـ الى سنة ١٣٠٦ هـ فانتقل الى المدرسة (الادوزية) ، فلازمها شهورا ؛ ثم رجعوقد اكتفى بمااخذه بعد أنحصل تحصيلا وسطا ؛ ولم يكن بالمتمكن في القواعد ؛ كمايتمكن فيها الالغيون ، وانكان أشرف على كل الفنون التـى أخذها ؛ وقـد حصلت له فيلسانه ملكة ماعربية ؛ ونفحات أخرى منمختلف الفنون ؛ ومنكان كذلك ـ وان عندغير الالغيين يجعل في الطبقة الاولى ـ لايكون مذكـورا بيـن الالغيين منناحية المعارف ؛ لانهم يرون انه لايستحق أنيسمى عالما بالنحو مثلا الامن مناستحضر كل الالفية بأبياتها وأدلتها وشواهدها وقواعدها التامة على أسلات لسانه في المحافل ، بله المتون الاخرى التى تشتمل على التصريف ؛ وقواعد الاعراب ؛ والجمل ؛ فهذا عندهم من يستحق أن يسمى نحويا ، وأمـا منله المحاكة فقط، حتى يستقيم لسانه بكثرة التمرين ، وان كان لـه بعض المام بالقواعد ؛ فهذا عندهم بمنزلة الصفر عن يسار الرقم ؛ وكذلك لايكون عندهم فقيها الامن يستحضر التحفة والزقاقية على الاقل ، ويكون ذلك منهبديهة؛ معاستحضار لغالب المسائل التى تروج من الفقهيات ، فمن أخطاه ذلك مثل

المترجم فليس عندهم ممن يوصف بانه عارف الفقه ، وكذلك لايكون عندهم استاذا في مقام الشفوف ؛الااذا كان لغويا مستحضرا لضبط الكلمات ، حتى لايتوقف في تسعة من عشرة مما يروج في الكتب الادبية الكبرى ، كنفح الطيب وقلائد العقيان وابن خلكان مثلا ؛ مع استقامة لسانه في القراءة لكل ماعسى أن يمر بين يديه ؛ حتى لايعثر وهو يجري في غلوائه تلاوة في مجمع حافل ؛ والعيون اليه شواخص ؛ والآذان مرهفة ؛ فمن كبا دون هذا المدى ، فانه ممن لايوبه في أمثال هذه المحافل ، ولايمكن له فيها الا السكوت والاطراق والتنكب لئلايقطره الزحام، وقد قال لي يوما أستاذي العلامة أبو زيد البوزاكارني اننا دائما نتعجب كيف نلت مكانة بعدنا في العلوم ، مع أننا نعرف مقدار غورك فيها وانك نساء لاتستحضر ، حتى عرفنا ما وراء الاكمة، فأدركنا السبب ، فان الاعمش بين العمي زرقاء اليمامة ؛ وهذه كلمة حق اعترف بها امام استاذي اعترافا، واقربها انصافا ، فلئن فاتني التضلع في الفنون فعسى أن لايفوتني الانصاف ٠ لان الحق الصراح انني لااستحضر كما يستحضر البوزاكارني ، وأحمد اليزيدي وداود الرسموكي ومحمد بن الطاهر ؛ والمدني بن علي والطاهر ابن علي ، وعبد الله بن ابراهيم ، فضلا عن اشياخهم كعبدالله بن محمد وعلي بن عبد الله والطاهر بن محمد (١)

هذه بعض اوصاف من يدعى بالفقيه وبالعالم وبالاستاذ عندنا بالغ، ولما لم تتوفر هذه المزايا كلها في صاحب الترجمة ، فهو عندهم ليس بفقيه ، ولا بعالم ولا بأستاذ، ولاينادونه بذلك ، ولذلك لم تكن شهرته من هذه الناحية ولاكانت مؤسسة عليها ، فقد فارق المدرسة سنة ١٣٠٦هـ وهو على هذا الوصف الذي ذكرناه ، فاتصل بأخيه الشيخ الوالد ، فتلقى منه الطريقة الدرقاوية ، فصار يسيح معه كمريد في تلك السنوات قال فاخذت منه تفسير كثير من احزاب القرءان ، مع سيدي سعيد التناني ، وسيدي الناجم التيفرميتي وسيدي الحسن الماسي ، وسيدي سعيد بن عبد الله الايديكلي ، وءاخرين من الفقهاء الذين التحقوا بالشيخ الوالد ، ثم تزوج ءاخر سنة ١٣٠٨ هـ فانقطع عن السياحات فبقي في ملازمة حضرة الاستاذ علي بن عبد الله ، فابتدأ دروسا أخرى في النوازل ، وقد تأهل لها بماكان اخذه في زمن الدراسة ، فلم يزل بفكره الثاقب وذهنه الحاد ، وهو في تتبع مايمر في حضرة الاستاذ ، حتى صار نوازليا ماهرا غاية المهارة ، متخرجا في ابواب الاحباس والشفعة والبيوعات والفرائض وقسم التركات ، وفي المسائل التي تدور كثيرا في هذه البلاد ، فاسترد بذلك ماكان ينقصه في المدرسة ، فصارت ذاكرته الواعية تضم غالب المسائل التي راجت،

---

١) ومن لم يعرف من أهل الحواضر كيف استحضار هؤلاء فعليه أن يلقى البوزاكارني نزيل الرباط ليرى العجب العجاب فيوقن ان كل ماقيل حق اليقين

فيقيس على ماحكم فيها الاستاذ نازلة مثلها تعرض من جديد ، حتى صارالاستاذ يحضره بعد ذلك عن عمد في كل ماحدث عنده ، لانه سرعان مايجد عنده الجواب ان كانت تلك المسالة تقدمت في تلك المسالة نفسها ، أوتقدم نظيرها ، حتى كان الاستاذ يعزل له دائما حظه من أجرة النوازل المفصولة على يديه ، فعلم عنه ذلك الخاص والعام ، ولهذا الاستحضار كان ركابه لايفارق ركاب الاستاذ في كل سفر ، ولاكانت مجالس العلماء الالفية تخلو منه ، وقد اشتهر بجرأته ، وأنه يلقى الحق الذى يعرفه في وجه اى انسان ، كان ماكان ، وكان والدى رحمه الله يراعيه حق المراعاة ويصبر لجرأته ، لمايعلمه من صفاء سريرته ، ولانه يراه أعز ولد عند والدتهم السيدة (تاكدا) فكثيرا مايناول والدته طرفة من الطرف ، فيقول لها اذهبى بها الى ابراهيمك فتطير العجوز الطيبة القلب الى فلذة كبدها ابراهيمها الذى كان بمنزلة القلب من صدرها ، لانه أصغر أولادها

ولم تكن النوازل فقط هى التى استفادها فى حضرة الاستاذ ، بل استفاد أيضا مايروج فى مجلسه وفي مجلس الشيخ الوالد ، وفى مجالس العلماء الكثيرة اذذاك فى الغ وفى غيره ، فتقدم اشواطا فى معرفة الاداب والتواريخ القديمة والاحاديث ، وتفسير بعض مشكل الآيات وفقه العبادات التى لاتخلو منها مجالس الزاوية بين الفقراء بين العشائين ، فقد حصل كل ذلك ، فصار متى راج من جديد يملى من ذلك ماكان تحصل لديه منه قبل •

واني لاعجب منه كيف كان فرط فى زمن أخذه ، حتى لم تنفعه هذه الذاكرة الغريبة ، فانني أرى أنه لوكان وجهها كما يوجهها التلميذ الذى يريد التحصيل بالغ رتبة عالية ، وتفوقا على كل من يضمه الغ ، كان سالنى وأنا اخذ فى المدرسة التانكرتية عن لام التوكيد التى تكون فى خبران ، فتوقفت فى الجواب ففصل لى فيها ماقاله النحويون ، ثم أملى على من أبيات الالفية مايتعلق بذلك ، وفى ذلك المجلس نفسه سمعته يحدث سيدى سعيدا التناني يقول كان معنا فلان فى المدرسة الادوزية ، فكان لايصلى ، فاذا قيل له فى ذلك قال انما نحن اليوم فى سبيل العلم ، ولندع العمل للغد، فضحكنا من قوله ماشاء الله، وكان صاحب نكات يرويها ، وتصدر منه فقد روى انه كان مرة مع الشيخ الوالد والاستاذ على بن عبد الله عند الاعصياويين الرؤساء السملاليين ، وقد ندبهم الحاج ابراهيم الايغشانى اليهم ، لعل قاتلا من الايغشانيين لاحدهم يقبلون عنه دية يؤديها ، فيسامحونه فى الدم ، وقد كان الخبر سبق الى الفقيه سيدى سعيد الاعصياوى بما جاءوا اليه ، وماكان غرضه أن تقبل الدية من القاتل ، ولاأن يبرأ من الدم ، فقابلهم بعبوس ، وأدخلهم فجلس ازاءهم من غيرأن يعتنى بهم ، قال فقام الشيخ وهو يضحك ، فتناول المقراج من وتد علق فيه ، فناوله لمن يغلى فيه الماء للاتاى ، والى الفراش المطوى فناوله لمن يفرشه فى ذلك البيت ، وهويقول بمباسطة لسيدى سعيد ، ياسيدى سعيد ، أين تلك المباسطات التى نالفها

منك ؟ أولا تحفظ قول الشاعر

كم رجل في بيته يعبس   وفي بيوت غيره يؤنس

فحل الشيخ العقدة بهذه المباسطة ، وكم لها منه من نظيرة

وحكي ايضا ان الشيخ دخل الى القائد الحاج أحمد التامانارتي ، فرأى زرابي كثيرة معلقة ، في الجدران في نهار مشمس ، وهم على حصير لازربية عليه ، فقال لماذا فعلتم بهذه الزرابي هكذا ؟ فقال القائد نهيئها لاضيافنا ، فقال له الشيخ بمباسطة ، وهل نحن الا اضيافكم اليوم ؟ فلماذا لم تفرشوها لنا، فتجاذبوا حبل المباسطة ، حتى قال بعض أصحاب القائد ـ وهو الفقيه الشافعي السكتاني ـ حتى انت ياسيدي الشيخ تقصد دار الحاج محمد ـ ابن عم للقائد كبير القدر ـ للنزول متى جئت الى البلد ، ولاتقصد دار القائد ، فقال له الشيخ حقا اننا نقصد دار الحاج محمد ابن عم القائد ، لانه يتلقانا دون القائد خارج القرية قبل أن ندخل في بساتين النخيل ، ويقود عنان البغلة الى داره، والحق للسابق دائما ، وأما القائد فانما نزوره لله ، ولايتطلبنا حتى نأتيه ولا يتلقانا الا في داره ، فكان كلام الشيخ جوابا مسكتا .

فامثال هذه المباسطات يحكيها المترجم ويتندر بها ، وقد وقع في مثل ذلك نفسه ، وذلك أن الاستاذ سيدي محمد بن العربي الادوزي سنة ١٣٢٣هـ ، وفد الى الغ ، ومعه اخوه سيدي الهاشم وهو اعمى ، فجلسوا في القبة التي هيأها الوالد للاضياف ، وقد سقفت بالساج ، واجريت في سمائها الوان الاصباغ وقد فرشت بالزرابي المتخيرة ، وبالنمارق المصفوفة ، وفي جانب منها ساعات كبيرة قائمة الى الحائط ، نحو ثمانية فترن القبة بدقاتها فينة بعد فينة ، فقال سيدي محمد بن العربي مباسطا ومنكتا على الشيخ الدرقاوي المعروف برفع لواء الزهد ، هكذا قبة سيدي أبي العباس السبتي ، فهذه زرابيها وساعاتها الكبيرة ولم ينقصها الا العمى ، فقال صاحب الترجمة وقد اشار الى سيدي الهاشم ، حتى العمى وجدوا فيها ببركة وفدكم الذي فيه ذلك ـ واشار الى سيدي الهاشم ـ فمالت القبة ضحكا فكان ذلك الجواب تنكيتا ايضا ربما تاثر به المنكت الاول والبادي اظلم

ماكنت أعهد العم هذا في أيام الوالد الا مختلفا الى قضاء مايرسله اليه، وكثيرا مايرسله لبيع شيء أو شرائه، وبعد وفاة الشيخ الوالد ، انقطع الى الاستاذ علي بن عبدالله الذي يجله فاحترم مقامه ، ونفعه في نواح عديدة فكان له كذلك هذا نجيا مخلصا، ومعينا ناصحا ناصرا ، ومن يقول له نحرى دون نحرك؟ ثم لما توفي الاستاذ سنة ١٣٤٧ هـ بقي وحده يندب حظه ، ولازم داره ولايخرج الا الى المسجد الذي لاتخطئه فيه صلاة ، في كل الاوقات ، والا الى مواصلة الاستاذ سيدي المدني ، فكان يقول سقطت احدى جناحي بموت الشيخ، ثم أخرى بموت الاستاذ ، وقد رزق من الحركة التامة التي يلازمها قوة يظهر بها

كانه لم يبلغ سبعين، مع انه اليوم ١٣٥٧هـ فى الخامسة والسبعين

ومجمل القول فى صاحب الترجمة انه من أفذاذ الالغيين وعلمائهم بما حواه فى صدره ، ويتصرف فيه بتثبت وامعان ، وان لم يكن كالعلماء الذين يعرفون كيف يراجعون المسائل ، ويعرفون مظان المراجعة ، وقد كان ذلك فى متناوله لو شاء، ولكنه لم يهتبل بذلك ، فقدكفاه انعلمه فى صدره، وعلم غيره فى قمطره

العلم حقا ما حواه الصدر　　وليس علما ما حوى القمطر

فشتان مابين منعلمه فى جنانه ولسانه ، وبين من لايجيب حتى يقلب أوراقه ببنانه •

علمي معي حيثما يممت يتبعني　　صدرى وعاء له لابطن صندوقي
انكنت فيالبيت كانالعلم فيهمعي　　اوكنت فيالسوقكان العلمفيالسوق

ومنمزاياه التىانفرد بها معرفة من يوثق به من بين كتبة عقود هذه الجهة ، وبين المزورين منهم ، فكثيرا ماسمعت منه ، وأناأكتب عنه ان فلانا ثقة فيمايكتب وفلان مزور لايعتمد على الرسوم المخطوطة بيده ، مع معرفته لخطوط الناس، وتمييزه ماكتبه فى أول حياته ، وفى ءاخرها ، وذلك منكثرة ممارسة الرسوم ممارسة طويلة ، فقد أخبرت أن بعض الناس أدلى برسم فيه التوقيع باسم سيدى محمد بن ابراهيم السلامى الشهير ، فانكره اناس من علمائنا ، وقالوا هذا ليس بخط السلامى ،فرفع الىصاحب الترجمة ، فقال بل هو خطه فى ءاخر حياته ، وقد عرايده ارتعاش ، وقال انه رأى كثيرا من ذلك ، ويعرفمع ذلكعادات البلادهذه ، ومكاييلها المختلفة واوقات رواج سككها ، والى اى وقت ينتهى كل واحدة وتبتدىء الاخرى ، ممابينه العلماء منذ ثلاثة قرون من اواسط القرن الحادى كعمر الكرسيفى ، والتادرارتى البعمرانى واليعقوبى الايلانى ومحرراتهم فى ذلك كثيرة النسخ، ولا أخال انه يستحق مرتبة القضاء فى أهالينا اليوم سواه ، لهذه المزايا التى تجمعت فيه ، فصيرته بصنعته أهلاللقضاء، والقضاء صنعة كما يقولون ، وسوى أناس ءاخرين قليلين يتفاوتون فى مراتبهم، وانكانوا ناقصين من التمرن الكثير الذى حصل لهذا السيد الجليل حفظهالله

آثار تتعلق به

وقفت على هذه الرسالة للاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى الىالمترجم فاحببت ان أسوقها

الاخ فى الله تعالى السيد الازكى الحبيب الاصيل ، النبيه النبيل ، مولانا ابو اسحق سيدى ابراهيم بن أحمد الطالبى الالغى الدار ، الجعفرى النجار ، كان الله لنا ولكم، وسلام على سيادتكم العلية ، ورحمة الله تعالى وبركاته ،

ولازائد الا الخير بحمد الله تعالى ، والمرجو انتكونوا كذلك من فضل الله ، وقد بلغ مابعثت من الهدية تقبل الله وجزاكم بالحسنى ، وزيادة العرفان ، ومجاورة الذين انعم الله عليهم فى اعلى الجنان ، ءامين ٠

والحمد لله على اهتبال امثالكم بالضعفاء امثالنا ، ومنأجل النعم لدينا مراعاة قلوب الاخوان لنا ، واهتمامهم بحالنا عسى الله ان يشفع قلوبهم فينا، وينعشنا ويأخذ بأيدينا ، انه ولى كل خير ءامين ٠

وليتفضل سيدى بقبول شيء من السكر والاتاى بعثناه اليكم على يد الحامل اخينا الفقيه العارف بالله سيدى سعيد التنانى ، واعذرونا من حقوقكم، اداها الله عنا من فضله ءامين ٠

ونسألكم الدعاء الصالح ، بالفوز والسعى الناجح ، والسلام -٥- ربيع الثاني سنة ١٣٢٦هـ اخوكم ومجل سيادتكم الضعيف محمد بن مسعود الطالبى كان الله له ءامين ، وقد حضر الضعيف ابياتا لاباس بها بذكرها ، وهي :

سقى الله الحمى من تحت الحصن غزير الوبل من هطال مزن
هناك من الاماجد كل ندب وركن فى النوائب اى ركن
هناك احبتى يسلو فؤادى بذكراهم يجلى الكرب عنى
وهم روحى وريحانى وأنسى وجنة بهجتى وجلاء حزنى
فلا برحت مرابعهم رياضا بساحتها ثمار الوصل تجنى

* * *

أولاده

وله اليوم ولدان احدهما استاذنا عبد الله بن ابراهيم ، وسترىترجمته امامك انشاء الله ، والثانى احمد الذى وفقه الله لعمارة المسجد ، حتى صار مؤذنه ، وهو اليوم القيم باسرة والده ، والواقف على الدخل والخرج ، وقد كان أبوهأمال وجهته الى التعلم ، فأمره والدى ان يتركه لمزاولة الاشغال ، وكان يقول رحم الله الشيخ ، فلولا نظره الشديد ، لعدمت اليوم من احمد معيناكبيرا، وعضدا قويااستند اليه اليوم فى شيخوختى ، فلولاه لكان كاخيه عبد الله الطالب الذى لايألف مزاولة الاشغال ٠

وفاته

أدرك الاجل المترجم فى الوقت الذى استوفى فيه مناه من الدنيا ، من يوم احس أنه غريب،فصار يودع الناس والحياة طالبا أن يسامح من قبلموته سنة ، وكذلك الهرم اذا أدرك الانسان ٠

ومن لايعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون الى انقطاع

تعزية فيه

كنت في مراكش لما توفى هذا العم ، فكتب الى بعضهم يعزيني فيه

عزاءك في العم الذي ووورى القبرا وان كان مثلى لايعلمك الصبرا
فقد كان سحت سحب رحمة ربه عليه من الافذاذ في الغكم دهرا
فهيم ذكـى أريـحـى محنك فقد ذاق في أطواره الحلو والمرا
له من جميع المكرمات جوانب فاعلت له مـا بين أصحابه القدرا
فها هو ذا ولى فأين نظيره فيعلن ان الحـق متبع جهرا
تلقى بالرضوان ما بين جنة مزخرفة اطراف فردوسها نضرا



سيدي احمد ابو الفدام

نحو ١٢٨٥ هـ = نحو ١٣٦٦ هـ =

نسبه :

سيدى احمد بن مبارك بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن على بن ابراهيم ابن بلقاسم بن محمد بن عبدالله بن سعيد

ذكره العم ابراهيم لى يوما فكان ذلك اول ماسمعت به ، قال انه لاباس فيه في النوازل ، وهوممن يجول فى قسم التركات ، فكان ذلك سببا ان سالت عنه ابن عمه الاستاذ على بن صالح فنفض لى مآخذه

أخذ القرءان عن سيدى الحسن بن بلقاسم التونينى عم سيدى ناصر ، ثم عن بعضهم بيعقيلة ، فهناك جود ، ثم افتتح المبادىء عند سيدى محمد بن عمرو البعيقلى ، فاخذ عنه بعضها ، ثم اتصل ايضا بسيدى عمر الاكفيبى ، فعنهما أخذ حفنة من العلوم التى عنده ، ولكنه لم يحصل تحصيلا يعتبر عند الالغيين الا فى الفرائض والحساب ، وفقه العبادت ، وأما العربية فهوفيها فى ضعف شديد جداجدا ، هذا ما أخبره به عنه متعددون ، وله مسكنة وديانة ، وصنعة فى التوثيق ، يقسم بها التركات ، ويفض بها بعض نوازل قليلة فى بعض الاحيان ، وحالته حالة تقشف لايابه برفاهية ، حدثنى الاديب الكوسالى انه كان مشارطا في قريتهم ، فجاءه مرة الى باب البيت ، وهو مفتوح قال فقلت له ادخل ، فقال ان هذا يكفينى ، فجلس على الارض ، فعرضت ماحضر من الطعام ، فقال قد اكتفيت ، ثم ناولته كاسا ، فقال اننى لاأبالى بشرب الاتاى ، ثم رآنى أخيط كتانا ، فقال أتحسب أن أجرة الخياطة تقوم لك بالسكر ، هيهات ، فما يبض لك وراءها الا مايكون لك كحبة الاحبولة التى يغتر بها الطائر ، فماأهلك أموال المغرب الا هذا السكر وحده ، فكم دار خلت بسببه ، هذه نظرة من نظراته ناتى بها كاثر من الآثار التى نالف ان نسوقها لمن نترجم لهم ، فهى حكمة بالغة ، ولكن المغاربة اغرار فى هذه الناحية

فما العمل وقد تبين ان الذى يذهب من مالية المغرب بين السكر والاتاى والقهوة مافوق ثلاثين مليارا •

وهذا السيد من اسرة سيدى صالح المتقدم الذكر ، وقد يشارط احيانا فمما مرفيه مسجد (أيت بومريم) و (تالات غزيفن) و (كاور) وغيرها

ثم انني لاقيته يوما مصادفة في المدرسة الالغية ، فثافنته على نية ان اخذ عنه مايصلح أن يذكر عنه ، فاذا به يتعجب حين يراني أكتب عنه ، فقال ماذا تكتب الآن ؟ وهل ينبغي لنا ان نهتبل بهذه الحياة حتى نجعلها سوادا في بياض؟ والحياة كلها غرور ، والدنيا كالارجوحة ، ان سرتك زمنا ساءتك ازمنا، ثم انشد

هي الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام   فقولي مضحك والقول منك

وقد كان عليه قميص صوف اجرد ، وشملة دكناء خلقة ، وعمامة التاثها بغير اعتناء ، ثم فارقته وقدعرفت أنه رجل اخر لاتمت أخلاقه الى أخلاق الالغيين بسبب ، فقد اشرب التقشف ، والانطواء على نفسه ، وكفاه شرفا أنه ليس من المغرورين ، وقد اخبرت انه تلاء لكتاب الله ، ملازم لصلاة الجماعة ، ثم بلغتني وفاته في مراكش



الاستاذ علي بن صالح الاوفقيري

= ١٣٠٧ هـ = ١٤-٨-١٣٦٤هـ =

نســبـه :

علي بن صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن ابراهيم بن علي بن ابراهيم ابن بلقاسم بن محمد بن عبدالله بن سعيد

هذا أحد نجباء الرعيل الرابع من الالفيين ، وأحد المحصلين غاية التحصيل في كل الفنون التي دزسوها ، وممن لهم المشاركة في كل العلوم التي تروج في الغ ، وما اليها من جنوبي سوس ، وأبوه صالح تقدمت ترجمته ، وكذلك جده سيدي ابراهيم التاكانزي ، الرجل الصالح ، ومر أيضا قريبه سيدي احمد ابو الفدام ، ولكن ما جال أحدهم في العلم جولة علي هذا الذي برز في الميدان، وكان لقرية (أكرض اوفقير) غرة بيضاء اخر الدهر فبه تذكر منذ الآن :

وما زين الارجاء الا رجالها والا فما ترب بافضل من ترب

مأخـذه

أخذ القرآن عن والده سيدي صالح وعن الاستاذ سيدي احمد بـن عبد الله التازروالتي ، في مدرسة (الفهم) والسنوات التي جاور فيها بهذه المدرسة هي سنوات ١٣٢٢ هـ ثم رجع الى مسجد (تارمست) من قبيلة (ادبنيران) وفي المسجد اذذاك والده المذكور ، فافتتح عليه متون المبادىء ، فاخذ عنه الجرومية ومثلها ، وحفظها على يده ، كما حفظ الالفية وبعض التحفة والرسموكية في الفرائض ، وقبل تمام السنة انتقل الى مسجد تاجارمونت ، وفيها الفقيه الحاج الحسين الازونيضي ، فاعاد عليه متون المبادىء كلها ، وافتتح عليه الالفية الى باب مالاينصرف ، وأتم عليه المرشد والرسالة ، وفي سنة ١٣٢٧ هـ القى عصاه بالمدرسة الالغية فلازمها كل الملازمة فأقبل بجد عرف عنه بين الطلبة ، وبامعان نظر جبل عليه ، حتى نال مبلغا كبيرا ، وقد كان مشاركه في البيت هناك ابن عمنا الفقيه سيدي محمد بن احمد بن الحاج صالح ، فتعاونا على ماهما بصدده، فلم يزل ياخذ ويجتهد، وهو يدرس المتون للمبتدئين والشادين الى سنة ١٣٣٣هـ فرجع الى بلده موفورا تام المرام ، مغبوطا في منازعه وأفهامه، غيرانه بكل أسف لم تلاحظه عين السعادة ، والا لكان بهذه المعارف ممن تطن بشهرتهـم الافـاق ، وتتزين بمدارساتهم المدارس ، ولكن ابى له سوء البخت الآن يزوره ما كان

لابيه مماذكرناه فى ترجمته ، مع تحصيله وشفوفه فىمختلف الفنون ، ولله در بعض الالغيين اذقال فى مثل هذا المعنى

اذا الجد لم يلحظ فتى عند سعيه فماذا يفيد الجد والكد فىالعمل؟
فكم جاهل فى حلة يمنية وكم عالم دراكة ثوبه سمل

مشارطاته

أول ما شارط فى مسجد (تاجارمونت) سنة ١٣٣٣هـ وفى التى بعدها أرسل اليه الاستاذ سيدى على بن عبدالله ليعلم سيدى الطاهر ، وسيدى الحبيب ولديه القرآن ثميدرس بعض أنصبة فى المدرسة الالغية، وأستاذها التاجارمونتى غادرها اذذاك ، الى آخر ١٣٣٧هـ فشارط فى مسجد قرية (اكرض اوفقير) سنة واحدة ، وفى أول ١٣٣٩هـ شارط فى دار الرئيس احمد بن ابراهيم الايغشانى ، يعلم ولده محمدا الى آخر ١٣٤٠هـ فرجع الىداره ، ثم شارطسنتى ١٣٤١هـ-١٣٤٢هـ فى مسجد (تاجارمنت) أيضا ، ثملازمداره الى ١٣٤٧هـ فشارط فى آخرها فى المدرسة الايغشانية سنتين ، وفى سنتى ٥١-٥٢- شارط فى (تيفرميت) فى (تيبوزكن) وفى سنة ١٣٥٤هـ فى مسجد قريته وفى آخر السنة الماضية ١٣٥٦هـ كان ايضا فى مسجد فى(تيفرميت) هكذا دار سوء البخت فقضى على هذا الاستاذ الجليل ، فصار يتقلقل هكذا فى المساجد الصغار التىلاتليق فى عاداتنا بالمحصلين أمثاله ، حتى ليظنه الجهلة الذين عقولهم فى أعينهم انه -وقد رأوه مسكينا ضعيف البزة خلقها - ممنليس لهم منالعلم مالهم ، ثم يعين أمثال هؤلاء على انفسهم باهمالهم مظاهرهم ، فلايبالون مالبسوا ، ولاكيف كان ، أبيض أوأدكن بمايلابسه مما يتطاير عليه هنا وهناك، من النقع المثار من الغبراء ، وقديما قيل

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم

وقيل أيضا :

اذا ما أهان امرء نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

ومن سنن الاسلام ان الله يحب اثر نعمته على عبده كما فى حديث

أخلاقه

ربما تعرفمما تقدم ان كنت ممن يستنتج الاخلاق من الاحاديث ، انهما أتته المسكنة وضعف الهيئة والتردد هكذا فى ميدان المدررين فى المساجدالصغار حتى وجدت من همته عشا يصلح ان تفرخ فيه ، لان من كان عالى الهمة،لابد أنيترفع ماأمكن ، فكمذىسمل فقير لايملك قطميرا تجده فى همة الملوك :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه　　　خلق وجيب قميصه مرقوع

كنت دائما احبه لله ، واحب منه تلك النجابة ، واتمنى له معالى يستحقها، فكنت حين زرت الغ سنة ١٣٥٤ هـ خاطبته بان يصاحبني الى الحمراء ليكون لى خير معين في التلاميذ المبتدئين الكثيرين عندنا هناك ، فانعم لى بذلك ، ولكن لم يتيسر له ، وذلك من ضعف همته اولا ، ثم من ضعف بنيته ثانيا ، حتى أنه لا يقدر أن يمشي المشي المعتاد لاهل البادية ، فكان هذا الضعف أيضا مما اخنى عليه ، فكان كل شمائله الدمثة ، ونجابته ولطافته ، وحسن مجالسته ، وامتاعه في المحادثة ، لم يرزق لامن همته ولامن طالعه أن يسمو الى المكانة التى تليق به وماأصدق قول بعض الالغيين في هذا المعنى

والمرء لا يسمو سوى ان عزم　　　واستنهضته للمعالى الهمم

كالطير هل يطير الا اذا　　　مد الجناحين معا واعترم

فليعن الله الاخ عليا ، وليسدده ، وليكن له خير معين فمنه كل شيء،وان كانت العقول تخبط فيماخبطنا فيه ، وتحتج بان ذلك سير سنن الكون فليت شعرى من أودع سنن الكون ذلك النظام ، أم تابى عقولنا ان تتسع الى أكثر مما تحس به الحواس الخمس فقط (والله يعلم وأنتم لاتعلمون)

آثار ٧

انمن آفات الالغيين ، أن اهلها ماكانوا ليعتنى كل واحد منهم بما صدر عنه، لانهم بمالهم من مزاولة اشعار الشعراء المتقدمين يرون أن مايقولونه هم ليس مما يستحق الاعتناء ، وزادهم أيضا التواضع الزائف وانكار الذات ، فهذه الخلة الثانية وان كانت محمودة في نفسها ، لكنها في أمثال هذه المواطن مما لايقبل ، وقد غاب عنهم ان كل آثار القلم ينبغى ان تدخر على كل حال،وان لم تكن الامنظومات موزونات مقفاة معربة ، كغالب مايقال في هذه البوادى ، لان اسفاف مايقولونه لايضير، والانسان واثره متلازمان ، وانما يقاس الجميع على بيئته ولاعليه ان كان محيطها أدنى من المحيط الذى نشأفيه اولئك الشعراء المتفوقون فالمنظومات التى نحرص على ايداعها في هذه التراجم نكتبها للمؤرخين الذين يهضمون كل شيء ، ومعدتهم كمعدة النعامة تهضم حتى الحديد ، وأما الادباء خصوصا ابناء اليوم ، الدلقين المتفوقين في الفكرة وفي الاختيار ، وفي الاجادة وفي حسن التعبير ، وفي الاساليب ، فاننا اعقل من أن نقصدهم بكل مانكتبه فليعرف عنا هذا ، وأنا أكرره في هذا الكتاب وفي غيره في كل مناسبة ، سواء ماسوقه في هذا الكتاب أوفي غيره بكل مناسبة ، وانما احرص على هذه الاثار حرص المؤرخ فقط ، ليدرى غدا ماهو مقدار الادب العربى في هذه الناحية من المغرب، ولذلك ابكى حينما تعوزنى الآثار عن هؤلاء الادباء الالغيين ، الذين قد

يجيدون احيانا ، وهذا صاحب الترجمة وهو ممن يقولون فى كل مناسبة لـم أجد لهأمامي الان الا قصيدتين ، اتانى هو باحداهما ، وقال لى ليس عندىسواها، والاخرى ظفرت بها فى كناش بعض المعتنين ، وقليل ماهم

قال الاديب سيدى محمد بن الحاج احمد اليزيدى يخاطب هذا الاستاذ:

قد طار من ذكر اللوى بلبـالى ... لمنازل الاحـبـاب والاطلال
قد شاقنى لمعان برق باللوى ... وتذكر الرشفات منجريال(١)
ومغازلات العين كـل عشية ... مابين كثبان وبين تـلال
لله ايام بطيب الوصل قد ... مـرت بحسن تغنج ودلال
ومخالسات تواصل ما بيننـا ... من غير ترنيق بلوح الآل (٢)
حتى اذا قلب الزمان مجنه ... وأبان ذلك الوصل مثل لئال
جاء التجنب والمهاجرة التى ... تذكى بصدرى جذوة البلبال
ياقلب ان أجشاك طول تجنـب ... ومرور ايـام اللوى وليال
هدى منى أخرى فطب بتواصل ... فلطالما اضناك طول مطال
فتواصل الاخوان أيضا فيه ما ... فيه اذا ما انعموا بوصال
هذا الذى أرجوه عند ملمة ... نزلت فتعقل ارجلى بعقال
هذا الذى طابت به الاعصاروالا ... زمان هذا نجعتى وثمالـى
بحرلدى الجدوى وبدر عند در ... س العلم فى الانداد خير رجال
غوث اذا الهيجاء شبت نارها ... والغيث ان بخل الرجال بمال
لا لااشبهه بمعن فى الندى ... هو منبع للفضل والافضال
او فى البلاغة بابنساعدة الذى ... قد جر ذيل فصاحة وجلال
فعليه ما سجعت حمائم غرد ... وسرى الى المشتاق طيف خيال
فعلى الاحبة كلهم خير التحا ... يـا ما يحن الصب للاطلال
وعلى النبى وآله وصحابه الصـ ... ـلوات تترى من اله عال

فاجابه المترجم :

أمـن الحمـى يسرى نسيم شمال ... ام لاح من نعمان بـرق وصال ؟
أم هـذه ورقـاء فى نغماتهـا ... تشدو عـلى الافنـان فى الاصـال
ام طاف بى طيف الخيال وهل يرى ... فـىغير نوم الصب طيف خيال ؟
انى أحس ببهجة جدت كمـا ... اغدو لدى هيفاء بنت دلال
ولحاظها ترمى قسى حواجب ... منها بما ينسى مريش نبال
ترنو الى بفاتر فى جفـنـه ... سحر ولكن كان سحر حلال
مستحوذ بفتوره استحواذ شعـ ... ـر جاءنا من شاعر مقوال
ماسحر بابل عند سحر بلاغـة ... فيـه لمستمع لـه اوتال ؟
بل ما قلائد جوهر ان قستها ... بنظامه المزرى بـكـل لآل ؟
شعر الامام اللوذعى المرتضى ... من كان فى الاداب بدر كمال

١) الجريال بالكسر الخمر ٢) الآل : السراب

قد اعلن الافـلاق منه انـه فذاذا مـا جال وسط مجال
بل كان منفردا فـلاند لـه في الحال والماضي والاستقبال
فاق ابن اوس برصفه والبحتر ى بوصفه وابن الحسين العالى
بل فاق في اوصافه جمعاء قد جلت فغيره عاطف أوتال (١)
بحر الندىسيفالردى غيثالورى ليث الوغى كشافـة الاوجال
مامعن ما عمرو لدى افضالـه ودفـاعـه عـن ربعـه والآل
كل الفخار له تراث من أصو ل مجد فى فضلـهـم امثال
ياقلب لاتشك النوى هذا الوصا ل مهنئا وافى بطيب ليال
هذا الحبيب المستراد لمثلـه هذا لعمرى تاج كـل معال
هذا الكريم ابن الكريم المجتبى من خير ما حسب وخير اثال
لازال محروس الجناب ممتعا ماكـر ابكـار عـلى الآصال
بالمصطفى المختار افضل من هدى واجل من بعثوا من الارسال
صلى عليه الله ما انست على قنن الجبال غـزالـة بغـزال
هذى التى منك القبول استمطرت واستعطفـت بالفضل والاقبال
فاليكها يا ابن الهداة فان تكن عطلت فمدحك فـوقها كـلآل
وعليك ما صدحت على ملد الغصو ن حمامة هاجت جوى الاطلال
ازكى تحية مخلص لك ما هفا نحو الحمى سحرا نسيم شمال

وولد للاديب سيدى محمد بن على ولد سماه احمد ١٣٣٩ ه فى اوائلهـا فتسابق ادباء الغ وطلبة المدرسة لتهنئته على العادة ، ووالده الاستاذ سيدى على لميزل اذذاك قطب الآداب ، يورد ويصدر ، والاستاذ هو جد هذا المولود:

قال الاستاذ الاديب سيدى المدنى بن على قصيدة مطلعها :

تالق وهنا من حماهم فاسهدا وذكر فى تلك العهود وجددا

وقال الاديب ابوزيد شيخنا البوزكرنى قصيدة مطلعها

بدا البارق الجوى فاشتد اذ بدا غرامى فها جيش اصطبارى تبددا

وقال الاديبسيدى أحمدبنسعيد الاكمارى اخرى مطلعها

هبت فاحيت نفوسا تلفظ الرمقا وأبرأت من بسهم البين قد رشقا

وقال الاديبسيدى احمد بن محمد التاجارمنتى اخرى مطلعها

طلع السعد فى سماء المعالى فاضاءت انـواره كـل عالى

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج احمد اليزيدى اخرى مطلعها

أمن حذار النوى دمعك منسكب ام شاق قلبك برق فاعتلى اللهب

١) المجلى العاطف ، التالى من اسماء خيل الحلبة العشرة وهى بالترتيب المجلى المصلى المسلى التالى المرتاح العاطف الحظى المؤمل اللطيم السكيت .

وقال ابن عمه الاديب سيدى محمد بن احمد الواعظ اليزيدى اخرى مطلعها:

بشرى بنجل تجلى أطيب النسم | آباؤه قادة للعرب والعجم

وكان الشاعر المفلق ماء العينين بن العتيك حاضرا اذ ذاك فقال كذلك قصيدة مطلعها

هلال الدجى بالنور مرآه ينبىء | وآية طيب الفرع أن طاب ضئضىء

فقال صاحب الترجمة من بينهم هذه القصيدة التى كانُ فيها لمدح الاستاذ على بن عبدالله نصيب وافر

طلع الصباح فنوره يتبلج | وسرى النسيم فعرفه يتارج
والروض روض السعد نور نبته | بشرا فاضحى نوره يتموج
والورق تسجع والغصون تمايلت | طربا وجو اليوم يونق سجسج
ادر العيون وارهف الاذان واستم | ـتع بروض يومه متبلج
فبنوره واريجه وزهوره | وحمامه وغنائها يستبهج
فالكون يبدو اليوم وسط زهوره | وجبينه بادى البشاشة ابلج
فرحا بطلعة سعد احمد من غدا | بظهوره نصر الفخار يورج
طرز المعالى ابن الرضى محمد | من كان بالمجد الصميم يتوج
يمتد منه المجد ذاك من امجد | من ليس يدرك نسجه اذ ينسج
بدر العلا علم السيادة خير من | بحياته اسنى المنى يستنتج
نور الهدى فخر الورى سم العدا | بحر الجدى وعبابه التموج
شيخ الشيوخ اللوذعي اجل من | لهواه يجرى بالعتاق ويهزج
مولى عوارفه ابى الحسن الذى | بحضوره برحا الهموم تفرج
يا ماجدا منه الفخار تفتحت | ازهاره واريجه يتوهج
يهناكم نجل سعيد انه | فوق السماك بنوره يترجرج
لله مولده المبارك انه | بالمجد والشرف الرفيع يتوج
هل ينجب الامجاد غير ممجد | فمن الوشائج للشكير المخرج(١)
«ان المقدمتين مهما كانتا | صدقا فمثلهما النتيجة تخرج»(٢)
فالله يصلحه ويعلى شانه | ويديمه سبل العلا يستنهج
بالمصطفى الهادى عليه تتابعت | أزكى صلاة بالرضا تتارج
والآل والاصحاب ما غنت على | ملد الغصون حمامة فتهيج
ثم السلام على علاكم مابدا | وجه الصباح ونوره يتبلج

١) الشكير ماينبت فى اصول الشجر الكبار وفراخ النخل

٢) بيت قديم هنىء بهوالد ابن دقيق العيد لماولدله هذا الامام، وقبل البيت:

هنيت بالبر الرؤوف ومن يكن | برا رؤوفا مثل ذلك ينتج

هذا نفس سيدى على بن صالح وهذا منزعه ، ثم أنه بعد هذا يفرط فيما يصدر عنه ، فياضيعة الهمم ، وياضيعة آثارلاتنكر ، سيكون لها غدا اكثر مما لها اليوم عندى من قيمة ، وفى (الالغيات) بعض ءاثار تجاذبتها معه ٠ وكل من يعرف أن الشلحي يكون دون تذوقه للادب العربى عقبات كاداء ، يضمرفى نفسه اكبار كل من يقطعون تلك العقبات واحدة واحدة ، حتى يستطيعوا ان يمثلوا دور العربى المبين

متوفـاه

كان ضعيف المنة ، يلزم بطنه انقباض شديد ، وربما بقى اياما بلااستفراغ وقد كان شارط فى مدرسة (تيركت) باملن سنتين ، ثم فى مسجد وفقاوى ، ثم زارنى فى رجب ١٣٦٢ هـ بدارنا فى الغ ، وبعد رجوعه باسابيع بلغتنى وفاته التى كانت فى ظهر الثلاثاء ، الرابع عشر من شعبان ، فالله يرحمه ويغفرلنا وله



الحسين بن ابراهيم الصالحي

ليلة ـ٣ـ٧ـ١٣١٣ هـ = ـ١٢ـ١٣٣٦ هـ =

نسبه :

الحسين بن ابراهيم ابن الحاج عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح ابن عبد الله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد ·

جده الحاج عبد الله بن صالح قرأت ترجمته ، وكذلك ترجمة عمه الاستاذ علي بن عبدالله ، واما ابوه ابراهيم ، فلم يرزق علما ، وقد كان له اهلا، ولكن العلم محسوب من الرزق ، كما يقولون ، وقد وقعت له غريبة في ذلك ينبغي أن تثبت :

ذهب مرة هو وبعض الطلبة الى مجمع من مجامع القبائل ، اخاله في بعقيلة وهو في حلة جميلة ، وعليه طيلسان جديد من الملف ، وعليه وسامة ، تظهر أنه ممن حمل علما ، واذ عرف من حضر في المجمع انه من آل صالح الذين شرق الخبر وغرب بانهم علماء ، مدوا اليه رسالة ليقرأها على أهل المجمع ، وقد جاءت اذ ذاك فاخذها ولم يقل شيئا ، فمدها بتثبت لمن كان معه من الطلبة ، كأنه انما أراد أن يقدمه على نفسه ، أو يحتاج المقام الى اعلاء الصوت كثيرا ، وهو لا يتنازل الى ذلك فتملص بهذا اللطف من الخجل الذي يكسو غيره لو وقع في مثل تلك الورطة ، فتمشت الحيلة على من لم يعرف الحقيقة ، ويذكر ان مثل هذا وقع شبيه لابن حزم، حين لم يعرف أوقات النوافل من غيرها، فخجل فاستفزه ذلك الى الاقبال على العلوم ، حتى كان امام الائمة ، وقد ولد سيدي ابراهيم سنة ١٢٨٢هـ وتوفي ١٣٥١هـ ومن اولاده سيدي عمر ، وقد حفظ القرآن ، وحاول ان يخوض في العلوم ولكنه ـ كما حكى لي ـ لم ياخذ الا المبادىء ولم يستتمها ، ولذلك لم نترجم له على حدة وهو رجل هين مسكين ، أراه في السنة الماضية في حالة تؤذن بطيب السريرة، وولادته في سنة ١٣١١هـ وهو الآن حي (١)، وقد تزوج الآن بنت عمه الاستاذ علي بن عبدالله ، وله معها من الاولاد أربعة ، منهم ولد يتعاطى المبادىء كان يجتهد تحت يد الاستاذ سيدي بلقاسم بن محمد السليماني ويظن به ان يكون في المستقبل انشاء الله ممن حصلوا على هذا التراث العلمي ويسمى محمدا (على انه لم يستتم ، وهو الآن في البيضاء مقدم حومة) وآخر اسمه أحمد انجب

---

١) لايزال حيا ١٣٨٠هـ

من اخيه (وستراه أمامك) ومن اولاد سيدى ابراهيم محمد وعبدالله وهما الى الآن ١٣٥٦هـ لايزالان عزبين ، وعبدالله ممن لازم المدرسة ماشاءالله حتى حصل بعض تقدم فى المعارف ، ونطلب الله ان يستمر حتى يحصل ، وحين لم يتقدم الان كثيرا اكتفينا بذكره هنا ولامعرفة لى به ، ومنهم صاحب الترجمة الذى نحـن بصدد ذكره

متعلمـه

أخذ القرآن فى مسجد القرية عن أساتذة لم استحضر أسماءهم ، ولـم يتجاوز القرية ، ثم افتتح المبادىء فى المدرسة الالفية عند الاستاذ التاجارمونتى وقد كان هناك اذذاك خاله الاستاذ سيدى البشير بن ابى بكر الاغوديدى مرابطا بعد، فأخذ بيد ابن أخته ، ودرجه فى المبادىء على العادة وشذبه وقدمه غاية التقديم، حتى عاد فى الاعراب واستحضار أدلته من الشواهد والفقهيات ومظنات المسائـل مثلا يضرب فى النجابة ، ثم صاحبه معه حين انتقل الى المدرسة الايمورية ، ثم عند الاستاذ الطاهر الافرانى ، ثم الى المدرسة الاسرائية اذشارط فيها أعوام ١٣٣١هـ فنال به غاية قصوى، وقد طلع من الدور الثانى الى الدور الثالث ألذى توخذ فيه الدروس العليا ، فأقبل به وأدبر ، وهو يجشمه بالضغط الالغى المالوف حتى قمص من عنده مرة ، فكاد يفلت من قرن خاله، لولا بعض الطلبة من اصحابه، فهو سيدى احمد السليمانى الملقب (ارعم) فانه ادركه فى الطريق ، لم يزل به نفثا فى العقد ، وختلا وفتلا فى الذروة والغارب ، حتى رده ، ثم فارق خاله تلك المدرسة فرجع هو الى المدرسة الالفية سنة ١٣٣٥هـ وقد راجع الاستاذ عمه على بن عبدالله الدراسة بنفسه ، لان الاستاذ التاجارمونتى ، غادرهـا اذذاك، فـلازم دروس الاستاذ ، وقد ارهف حده ، وجلى منصله وقد تعلم من خاله كيف الاقدام ،وكيف الكر والفر، فكان عمه لذلك به معجبا وقد رأى حقوله المزهرة، وأشجاره المثمرة وغرسه المدرك ، فكان يعجبه ان يراه يسابق فى ميدان المباحثة ، فكان يستثيره ويوجه اليه الاسئلة اثناء النصاب ، ليستنبط بها مافى قريحته التى تثج بادنى سبب ، هذا ماحكاه لى الاستاذ الطاهر بن على، وأما انا فربما عرفت وجهه ، وربما لم أعرفه ، لاننى فى مدارس ، وهو فى أخريات ، وبينما هو فى هـذه النجابـة يجرى فى غلوائه ، اذا بوباء سنة ١٣٣٦هـ قد دهم الغ ، فاجتـث نفوسا ، وأدار على كثير من النشء كؤوسا ، فكان صاحب الترجمة ممن شرب من تلك الكاس ، وغربت بذلك شمس نجابته فى الرمس فزفر عمه الاستاذ ابن عبدالله زفرة حارة اودعها هذه القصيدة التى قدمها بهذا النثر الذى ننقله عنه بواسطة :

فى ذى الحجة الحرام عام ١٣٣٦هـ عم مرض ياخذ بالراس والظهر والصدر، وتصحبه كحبة وسعال ، فمن الناس من يتخيل ويرى الجن ويخبر بالغيب ، ولاشك ان ذلك وخز الجن ، اعاذنا الله منه ، ثم ان من الناس من استحر منهـم

القتل ورزقوا الشهادة ، ومنهم من كان بخلاف ذلك ، وممن استحر فيهم القتل أهل زاويتنا هذه ، خصوصا حفدة والدنا الولي الصالح الحاج عبدالله ، فقد استشهد فيهم مابين كبير وصغير عشرة انفس ، منهم العالم النجيب سيدى الحسين ابن ابراهيم بن الحاج عبدالله ، ومنهم احمد بن عبدالرحمن بن محمد ابن الحاج عبدالله ، وهو طفل نجيب ، حفظ الامهات وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومنهم ابن أخيه الفقيه عبدالله بن محمد ، واسمه احمد بن عبدالله وهو طفل صغير ياتي المكتب ، وغيرهم رحم الله الجميع ، ونفعنا ببركة أرواحهم ، وفي رثاء هؤلاء والتضرع الى الله في رفع الوباء والوبال عن المسلمين ، قلت مانصه

خطب الم فجل الرزء والكرب ... وحل بالمسلمين الويل والحرب
جاءت بداد خيول الجن عادية ... على أناس هم الاقمار والشهب(١)
فارخصوا مهج الاطفال فاشتريت ... بحبة واستبيح اللحم والعصب
مات الحسين فمات العلم والادب ... معه وأعولت الاقلام والكتب
فتى اذا حضر الدرس استنار به ... افق الحقائق وانجابت به الريب
فتى رأى غير كسب العلم منقصة ... ويرتضيه جليسا والورى غيب
تكملت فيه أوصاف السيادة من ... علم وحلم فتاقت نحوه الرتب
قفى ، وما لقضاء الله من بدل ... والموت يعتام أقواما هم النجب
فقل لمن رام عد فضله مهلا ... فانه البحر حدث عنه لا عجب
جادت سحائب رضوان ومغفرة ... قبرا به قبر الاحسان والقرب
ومات بالوخز أحمد النجيب ومن ... فاق الاكابر طفلا والورى نوب
وما رعى فيه علياء ولا أدبا ... ولا صباحة وجه زانه الشنب
لم يبلغ الحنث وهو الندب ماسمحت ... منه القريحة ان يفوته أدب
بموت نجل عبيد الله قد بلغ السـ ... ـيل الزبى فجميع الاهل ينتحب
طفل له خلق ازرى على زهر ... فهل يصبر عنه الوعظ والخطب ؟
ثم تفاقم امر الوخز واتصلت ... به نساء وأطفال هم قضب
ومات بعد محمد بن احمد في ... شرخ الشباب ونعم اللين الارب
كانت له همة في الفضل عالية ... فشغله في جميع عمره الطلب
فالموت كاس بكل الدهر دائرة ... تسقي الورى وجميع الناس قد شربوا
يارب يامن له اللطف الخفي ويا ... اسخى الكرام ومن رحماه ترتقب
امنن بلطفك وارحم عصبة عظمت ... منهم ذنوب فما في غيرك الرغب
عنا وعاث بهم وخز الجنون فلم ... يبق لهم في سوى احسانك الهرب
وامنن عليهم بحق المصطفى كرما ... عليه اهمى صلاة دونها السحب

هذه زفرة الاستاذ الذى يكاد يذوب اسى على صاحب الترجمة ، لما كان ينتظره منه من عالم كبير، وأما احمد بن عبد الرحمن، فهو نجيب حقا بمقدار سنه ووسطه، فما أتت عليه ثلاث عشرة سنة حتى استتم حفظ متون كثيرة، وتقدم

١) اغارت الخيل بداد كخدام متفرقة

في المبادىء، وكان قرين سيدى محمد بن عبدالله ولد شيخنا نزيل تونس الذى ستقرأ ترجمته انشاء الله فيما سياتي وعهدى باحمد هذا ، وقد رأيته رقيقا، ولكن جسمه النحيف يظهر منه بالمباحثة فهم وادب كماقاله عمه الاستاذ ، واما سيدى محمد بن احمد ابن الحاج عبدالله بن صالح ، فانه أيضا تقدم في المبادىء وربما علا في الدور الثاني ، وقد وصفه الاستاذ كمارأيت بالادمان على الطلب، وقد أثنى لي عليه الاستاذ سيدى الطاهر بن على ، وذكر عنه تقدما ، يظهر به أنه ممن دخل تحت شرطنا في ابناء قبيلتنا هذه ، من ذكرنا كل من تقدم في العلوم، ولولم يستتم الدراسة العليا ، ولكن الاستاذ ابن العم سيدى عبدالله بن ابراهيم انكر تقدمه، وذكر أنه لم يعد المبادىء ، ولهذا أسقطته، ولم أفرده بترجمة ، ولكن يكفى على كل حال هذا القدر حوله ، وسترى أمامك ان شاء اللـه صنويـه سيدى صالحا ، وسيدى عبدالله ابني احمد ، فانتظر فللانتظار حلاوة اخرى.

آثار سيدي الحسين

كاد هذا النجيب تذهب آثار قلمه كماذهب ، وقدمضى على موته عشرون سنة وقد تغير الدهر ، وتقلبت الايام ، وتلونت الاحوال ، ودارت أهوال بعد أهوال فنسي الاعتناء بالآثار، وكاد أصحابها يتمشى النسيان حولهم في مخاطر الذكريات من الصدور، فقدفتشت وسألت فلاأرجع عن كل مسؤول الابخفي حنين ، حتى سقطت الى كتب لخاله ، واضبارة من الاوراق من ناحية اخرى تصفحتها ، فاذا بماأسوقه اليك، قدانساق الي من أثناء أوراقها ، فمنها هذه الرسالة التي يظهر منه أنه يجيب خاله الذى كلفه الجواب عنها ، وفي هذه الرسالة نرى قلمه في النثر، ومقوله في القرض من الاخوانيات ، ونصها :

السيادة التي سواها الله من طينة الشرف والحسب ، وغرس دوحتها الطيبة بمعدن المجد الزاكي النسب ، سيادة شيخنا الذى تعلو فصاحة لفظـه بلاغة البلغاء ، ويعنو لذلاقته المكينة النابغة فضلا عن احد الغوغاء ، مولانـــا الرزين، وهو للعين القرة ، وللانف العرنين والارنبة

وبعد : فالعبد انما يروم التداني لحماك ، ولوبدعاء منك يرضيه وقـاك الله وحماك، وأيضا أنت ياسيدى تطلب مني الجواب ، وانكفاء مثلي عن المغازلة لابكار تلك القصيدة هو الصواب ، وماأحسن من قال في هذا المقام ، الذى ينبغي للعاقل أن يتنكبه لئلا يقطره فيه الزحام :

يكلفني مولاى رجع جوابه | ومالتعاطى المعجزات وماليا

ولكن لخوفي أن اتخطى أمر سيدى ، مددت وانا أرتعش للجواب يدى، فهاك فلذة من قلبي المروع ، بعد مزايلة معهدكم المخصب الجنان والمريع

مسك النوافح فاح أم روض الربا | حياه غب المحل طل سماء

فتفتحت ازهارهـا وترنـمـت اطيارها في ايكها الغناء
طلعت على انهارها شمس الضحى فتلألأت في الصحو بالـلألاء
ام أنجم الجوزاء أرخت عـقـدها فزهت بها الخضرا على الغبراء
فتجـوب سادرة سماوات الـعـلا كالتاج فـوق اللمة السوداء
ام صدر غانية تنظم وسطه درر مـن البيضاء للحـمـراء
قد اقبلت بجبينها فكانـمـا طلع الشروق لمن راى بذكاء
ام شعر اروع لوذعي نال أفــ ــق المجد فوق الهمة القعساء
اناى استراحة نفسه بالجد والسـ ـهـر المدام فـفـاز بالعلياء
قد اشرقت فينا غزالته بنـو ر ساطع مـن طلعة زهـراء
فاضاءت الارجاء فانجاب الغشـ ـاء عن القلوب فاشرقت بصفاء
انى وامثالى ومن كانوا لديـ ـه نفوز فـوزا بالسنا وسناء
قد خص في اترابه بشمائل وفصاحة ونـزاهـة وعـلاء
ماشيت من ادب ومن كرم ومن همم تـحـل بقنـة الجـوزاء
فعليه من ازكى السلام حدائق من بعد مسة ديمة وطـفـاء
فسرت بها نسم الصباح فافعمت كل المعاطس ما زرى بكباء
ثم الصلاة على الرسول وآلـه وصحابه الـكـرماء والـنـجباء

وبعد ياسيدى ان كنت لاتحتاج الى (وفيات الاعيان) ،او (الاغانى) ، فارسل الى احدهما جزاك الله خيراعن الغابر والباقى والسلام

وقدوقفت فيهذه الرسالة على نسختين بيده فاخترت هذه لانها منقحة ربما بقلم غيره، ولعله نقحها بعد زمن من كتابتها اونقحها خاله اوسواه ، وما فزت بالنسخة الثانية الاخيرا ، ومن أقواله ايضا ، وقد تحرش به بعض الطلبة في المدرسة كماقاله في المنقول عنه ، وأشك في أنهاله ، وربما تمثلبها والله اعلم:

تحرشت بى يانذل والله عالم بانى لولا الحلم باز محلـق
أتحسبنى مثل الذين رايتهـم اذا صلت فيهم جانبوك فاطرقوا
يمينا لئن عادت الى مساءة تمس جنابى او أذى منك يطرق
لصرت لـيـوم مظلـم لا ترى به سنا وبجحر جنبه بـك ضيـق
فلست بذى حلم يدوم ولا انا بفدم حصى التجريب حوليهيطرق

ومنها متغزلا بمن يهواه ، ولاباس بها فى الجملة ، وان كنت ايضا عـلى شك فيانها له :

نام الـورى كلـهـم وأنـــا فى سهد العشق على الجمر
قد كان لى بدر فلم يبق لــى الا الذى فى القلب عن بدرى
وجه كـان الشمس قد خلقت منه ولكن فاق بالـثـغر
ونفحة من نفس طـيـب أذكى وآرج مـن الزهـر

واعيـن دعج بهـا حـور الى التتيم بهـا تغرى
قـد كنت ذا قـلـب صحيح فـاذ رمـيـنـه آض الـى الكسر
ياليلة سعيـدة بـات فـى حضنى الى مطـالـع الفجر
ارشف من رضابه ما الذى ينسى نظيرى أكؤس الخمـر
لاعيب فى ليلتنا غير مـا أعقب وصلها مـن الهـجـر
فعدت بعد أن مضى مدبـرا عنى ، وقـد فارقنى صبرى
يرمضنى الشوق اليه كـمـا يرمض منـهـوك عـلى القفر
فـى وسط الهجير لاظـل لا ماء سوى آل الفلا يـجـرى
فهل يطول العيش بى زمـنـا حتى يـزيـل وصله ضرى ؟

هذا ما اخترته من هذه الآثار التى وجدتها له ، بعضها فى كتب خاله ، وبعضهافى غيرها ، وكثيرمنها سوى هذه ممالايفرح الادباء بنشره ، ولذلك نكتفي بما ذكرناه

ذلك هو الحسين بن ابراهيم الذى شهد له عمه ، وكفى بها شهادة انله اليد الطولى ، والتفوق على الاقران ، والمقدرةالتامةعلى التحليق فى جواء الابحاث العليا ، وهكذا أيضا شهد عندى به كل من عرفـه منه مماتنة متينة فى الميادين؛ فلذلك لاترى من الطلبة النجباء من الالغيين الامن يكثر الترحم عليه ، ويستدر وابل رضوان الله على مثواه، فقد اعتبط أتم ماكان شبابا وفتوة ، كمااستدارت لحيته الكثة ، وقد استولت على غالب محياه ، وفى قامته قصر ، فكان اذاأقبل، استنارت أسارير جبينه الوضاء فوق اسوداد لحيته السوداء ، وقدغلبت الانوار السواد لمااستمدته من أنوار المعارف ، ومن اسرسريرة ألبسه الله رداءها فلو عاش لكان أديب الغ وعالمها حقا ، انصح ان تلك القوافى له

رحمه الله ورقاه فى مراقى السعداء بمنه وفضله •

أ

عبد الله بن أحمد الصالحي

نحو ١٣٢٠ هـ = ١٣٤٦ هـ

نسبه :

عبدالله بن احمد بن الحاج عبدالله بنصالح بن عبدالله بنصالح بنعبد الله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد •

هذا ابن عم المتقدم ، ووالده سيدى احمد من أفضل رجال الغ من جميع النواحي، دينا وحزما ومروءة وضيافة ، وقد لاحظه السعد فى ذات يده ، وان اخطأه فى تراث آله العلمى ، فقد سمعت اخى احمد يقول انه فريد الغ فى القيام على الكسب والقيام على اداء فروض دينه فى المسجد ، ومافاته الصف ولويوما وراء الامام ، كما أنه مافاته قط الوقوف على اشغاله، فلايتكل لاعلى عبد ، ولاعلى اجير، وان كانله عبيد كثيرون ، وقدنال منسعة المال ماوازى به أخاه الاستاذ على بن عبدالله الذى يدر عليه قلمه وجاهه وعلمه بدرا من الاموال ، على حين ان سيدى احمد لاباب له الا الكسب ، ولكنه مستعين بالاقتصاد والوقوف بنفسه والمشارفة بعينه على الشاذة والفاذة ، مع نية حسنة ، وقناعة بذلك عن غيره ، فاثل وبنى وشيد وملك عبيدا واماء ، وخزن اهراء فاهراء ، ومع ذلك كله ،فانه فى نفسه متواضع ، عارف نفسه ، لايتجاوز قدره ، هذا ما سمعته عن الاخ رحمه الله ، وكان من عادة الاخ أن ينقب عن أحوال الناس وينتقدها ، وكان شديد الانتقاد ، غير انه ينصف ، وكثيرامااسمعه يقول ، هذه حسنة فلان، وفيه فيما وراء ذلك كذاوكذا ، فيملي عليك ايضا غرائب، وحين يذكر سيدى احمد لم أسمع منه أن تعقب هذا الثناء بشيء ، وهو الذى واقف مرة الشيخ الوالد حول املاك للواعظ سيدى الحاج محمد بن عدى رحمه الله ، كانت مرهونة عند آل صالح، ثم تصدق بها على الزاوية فاذن للشيخ فى فك رهونها ، فثار سيدى احمد امام الشيخ الوالد ، فقال له هذه الكلمة التى فرطت منه ـ وسبحان الله انما هو بشر ـ لقدتحولت ياسيدى الحاج على من جديد الى الدنيا ، وزاحمت فيها بالمناكب، فأجابه الشيخ على غرار قوله ـ وكان آية الآيات فى اختيار الاجوبة اللائقة لكل مقام ـ نعم ان لك ياسيدى احمد اولادا كما ان لى اولادا ، والمجاذبة فى الحق محمودة، على أن أولادهما اختلطوا بعدهما ، فقدتزوج صالح بن احمد فاطمة بنت الشيخ •

ذلك هو سيدى أحمد رحمه الله ، واخبرتنى اختى زوجة ولده المذكورة انه كان قيما على أهله بالديانة ، فلايخرج الى المسجد قبل الفجر حتى يوقظ كل من

في الدار ولابد، وكان يوثر رقيقه بالطعام الحسن ، ويقول انهم هم الذين يكسبونه بجهودهم ، فرحمة الله على تلك النفوس ، وقد ولد سنة ١٢٧٥ ﻫ وتوفي في جمادى الثانية سنة ١٣٣٩ﻫ وهاك ماعزى به اولاده من الاستاذين سيدى علي بن عبدالله الغائب اذذاك عن البلد ، وسيدى الطاهر، وهما اذذاك في مجمع من مجامع القبائل التي تدافع اذذاك احتلال جزولة

رسالة الاول

من علي بن عبد الله بن صالح الالغى الى اولاد اخيه وشقيقه المرحوم بكرم الله صالح بن احمد بن عبدالله ،وجميع اخوانه وأهل داره ذكرا وانثى كبيرا وصغيرا ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

وبعد فلاباس ولازائد على الرضا بقضاء الله وقدره، ونسأل الله تبارك وتعالى ان يعظم اجرنا واجركم في والدكم الصائر لرحمة الله ورضاه، مصاب ما أمضه وما أعظمه، والاجر والثواب المرتبان على الصبر والاحتساب أجل منه وأعظم ، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وتبلغ أجلها ، (ولابد من يوم ترد فيه الودائع) ونحمد الله الذى اطال عمره حتى علمكم كلكم دينكم ، فما منكم احد الا قدمه حتى قرأ وحفظ ، وعلمكم احوال دنياكم بين اخوانكم وعلمكم كيف تعاملون احبابكم ، فرحمه الله وادى عنا جميع الحقوق ، وكونوا انتم فيمابينكم حلماء رفقاء ، متواصين بالحق والصبر ، يرحم كبيركم صغيركم ويوقر صغيركم كبيركم ، وكل واحد يشتغل ويتصل بما تركه عليه والده ، فصالح ابوكم اليوم يتولى أمور الخارج ، ووالدة عبد الله والدة الجميع تتولى أمور الدار كلها، والخير كله في الصبر والاشتغال بما يعنى فمن لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل، وأصل الخير كله مجالسة الصالحين الناصحين ومشاورتهم ، وعليكم بتقوى الله ومراقبته والصبر لاسيما فيما بينكم ، والسلام عليكم ، اعانكم الله وهداكم وارشدكم آمين ، وكتب اليكم مستهل رجب الفرد عام ١٣٣٩ﻫ عمكم الفقير الى الله علي بن عبد الله بن صالح الالغى امنه الله •

رسالة الثاني

الى اولاد سيدى الحاج عبدالله بن صالح الالغيين رضي الله عنهم، من كاتبه الضعيف ا الفقير الى الله ، الطاهر بن محمد التامانارتي ، وصهره ذى المكارم الظاهرة ، والاخلاق الطاهرة ، سيدى البشير بن المدنى الناصرى ، الى أولاد شيخنا المقدس سيدى الحاج عبد الله بن صالح الالغى ، سيدى ابراهيم ابن عبدالله وأولاد اخوانه سيدى صالح بن أحمد واخوته ، والاخ الفقيه البر الرضى سيدى عبد الله بن محمد ، واخيه سيدى عبدالرحمن ، وولدى شيخنا سيدى محمد بن علي واخيه سيدى المدنى، وجميع من بهم واليهم، من أهل وحواش

السلام التام العام الطيب الكريم ، والرحمة والبركة عليكم ، تعم احوالكم المرضية ، واخلاقكم الروضية ، ومكارمكم الرضية ، بوجود مدد سيدنارسول الله صلى الله عليه وسلم •

هذا ولازائد على الشوق اليكم ، والنزوع لزيارة تلك التربة الطيبة ، غيرمـا اتصل بنا فنغص اللذات ، من وفاة ذلك السيد البركة المنور ، أخيكم سيدى أحمد بن عبدالله (وذلك رزء ماعلمت جليل) فعظم الله اجرنا واجركم فى مصابه، واعاننا واياكم على الصبر وتجرع اوصابه ، فتلقوا سادتى أمر الله بالتسليم، والقلب السليم ، فما عندالله خير وأبقى ، ولله در القائل

وعوضت اجرا من فقيد فلايكن فقيدك لاياتى واجرك ذاهب

ومثلكم والحمد لله لاينبه على ماهنالك ، فانتم الاسوة والقدوة ، واحـق بقول السموأل:

وما مات من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول

ولاتنسونا من الدعاء ، واعذرونا حتى يتيسر القدوم بالاوبة من هـذه الحركة الضرورية ان شاء الله والسلام ـ٣ـمن رجب عام ١٣٣٩ هـ

وقد خلف رحمه الله من الذكور صالحا الآتى ذكره ، وهذا السيد الذى نحن تحت عنوان ترجمته ، وهما اخوا محمد بن أحمد المذكور قبل فى ترجمة ابن عمه الحسين ، وقد مات فى حياة والده بالوباء

تلقى عبد الله بن احمد القرآن فى قريته ، ثم التحق بالمدرسة الالغية ، فأخذ عن عمه الاستاذ على بن عبدالله ، وعن كبار الطلبة الذين هناك ، وعـن الاستاذ سيدى احمد اليزيدى الذى كان مشارطا فى تلك المدرسة حين يتلقى هناك هذا السيد، كماتلقى أيضا عن الاديب مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى وهو الذى أجرى ذكره فى الرسالة التى كتبها الى الاستاذ على بن عبد الله ، وقدذكرناها أثناء ترجمة هذا الاستاذ ، وقدتقدم فى فهمه ، وخالط مختلـف الفنون ، وظهرت نجابته ، وان لم تصل درجة ابن عمه الحسين المتقدم ، وناهيك بمن أثنى عليه مولاى عبدالرحمن البوزاكارنى ، وهم ان يرثيه لولا انه ترك الشعر ترك الظليم لاريكته ، والسقب لغرسه ـكماقالـ ، وقد سمعت أنه انقطع عن القراءة بعد موت أبيه ، فذهب عمه الاستاذ بنفسه ، فاستدعى أمه وعاتبها على تخلفه عن قراءته مع نجابته الظاهرة ، فأبدى الاستاذ تأسفه الكثير عليه ، وذلك مايدل على نجابته التامة ، ولكنه ذهب من غير أن يترك آثارا ، أوتركها فجرفها ماجرف كثيرا من الاثار غيرها ، لان من عادة أصحابنا الالغيين سامحهم الله ، أن لايعتنوا الا بآثار من علامقامهم ، ولاحظتهم عين السعادة ، ونبذ ماسوى ذلك ظهريا ، فهذا وان كان يظهرلنامنه أنهم ممن يفرقون بين الفضة والقضة

فيوكئون على الاولى ، وينبذون الثانية ، لكنه ماكان ينبغى أن يفرط في الآثار كيفما كانت ، فانها مادامت على أى صفة كانت ، تدل على صاحبها دلالة رسم القدم على القدم ، وان كنت حنفاء فهاأناذا أقنع من الآثار بكل ما وجد ، لانتقى منه ، ولاباس بالاقتصار على شيء قليل منتقى لامثال هؤلاء الذين ماتوا قبل ان يدركوا ، لينشط القارىء في مطالعته ، ولكننا ان فقدنا كل شيء ، فمن أى شيء ننتقى ؟ وماذا الذى نقدمه للقارىء كحجة في زعمنا ان فلانا نجيب ؟ فياله من جهل لمقادير الاشياء ، وماأقسى مايقاسيه المغرب اجمع من هذا التفريط فـي غالب أبنائه ، جبلة قائمة ، وعادة في البوادى والحواضر قديمة دائمة ، وخلق لايزول ، وشنشنة ابوا أن يتحولوا عنها ولبعض الالغيين :

لكنـهـا كصرخـة الـوادى ... فأين من يصيخ فـى النادى ؟
تاريـخـنا غاض فـلا جرعـة ... تنقع منـه غـلـة الصادى
أدى به الحال الى أن عفت ... طريقـه لانـوق لا حـادى
فلا قديم عـنـدنا لا ولا ... مستحدث في يومنا الغادى
فاين من كـانـوا جها بذة ... مـن حـاضر دمث ومن بادى ؟
وأين ما كان لهم فى الورى ... من خبر كالورد والجادى؟ (١)
قد أقبر الكـل وأخبارهـم ... كـانهـم مـن طسم أوعاد
مع انهم عن كثب درجوا ... من رائح امس ومن غادى
ثم نسوا فى اليوم كلهم ... وذهبوا كصرخة الـوادى

توفى المترجم بعد مرض غير طويل رحمه الله

١) الجادى الزعفران

صالح بن احمد الصالحي

١٣ـ٩ـ١٣٠٦هـ = ١٤ـ١٢ـ١٣٦٣ هـ

نسبه :

صالح بن أحمد بن الحاج عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله ابن احمد بن عبدالله بن سعيد

أخذ القرآن في قريته عن سيدى الحسين بن بلقاسم الاموكاديرى ، وسيدى سعيد بن عبدالمومن التاوييتى ، وهو من اقران سيدى محمد بن علي ، وسيدى البشير بن الطيب ، ولذلك اخاله أخذ أيضا عن سيدى مولود الصوابي ، ويذكر أن الاول تخرج به ، وأنه مر تحت ايدى آخرين غير هؤلاء ، لم يسمهم ، ثم اتصل بالاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد في المدرسة (الايغشانية) سنة ١٣٢٠هـ ثم في سنة ١٣٢١هـ جاور في الالغية عند الاستاذ التاجارمونتي ، والاستاذ علي بن عبدالله الى سنة ١٣٢٦هـ فالتحق ايضا بشيخنا المذكور في (أداى) وكان من بين الطبقة التي يعنى بها اذذاك ، وكانت له نجابة كان بها اذذاك من الرعيل الاول في أقرانه ، ثم انتقل بانتقال شيخنا الى ايغشان سنة ١٣٢٨ هـ فلم يزل هناك الى سنة ١٣٣١هـ فراجع الالغية ، حيث بقي الى ان تخرج ، وزوجه ابوه بشقيقتنا فاطمة في ليلة ١٦ـ٥ـ١٣٣٧هـ فأقبل على ادارة شؤون الاسرة ، معينا لابيه الذى لم ينشب أن توفي ، كما ذكرنا ذلك في ترجمة صنوه عبدالله ابن أحمد ، فكان هو أكبر الاخوة ، فحمل الضغث على الابالة ، فاعطى كليته لما هو بصدده ، وقد انقطع عن المجالس العلمية ، وكان تحصيله قبل انما هو وسط ، ومداركه غير فسيحة ، وقد مر على كل الفنون مرارا ، فاتم الالفية والمختصر أكثر من مرة ، ولكنه حين أعرض عن ترويج علمه ، والمجاذبة حوله ، صار ظله يتقلص شيئا فشيئا ، حتى عاد الى حالة اخرى بعد طول السنين ، وقد اعان أيضا على هذا الانزواء أنه رجل واقف عند حده ، قانع بما تيسر من جميع النواحي فمدت هذه القناعة ذيلها أيضا على هذه الجهة ، وتبا لها من قناعة زجت به في الجهالات .

عجبا ، انني أرى من كثير ممن تعلموا عندى بالتجربة ، أن من كان طلعة طامحا خفيف الروح ، نزاعا الى أن يسبق كل احد ، سرعان ماتاتيه النجابة فتسلمه راية التفوق ، وأما من كان يميل الى الانزواء ، فيقنع ، فكثيرا ما تسرى القناعة منه الى هذه الناحية أيضا ، فاذا به سكيت الميدان ، ومنبوذ الصدور ،

وحلس الحواشى فى المجالس العلمية

ان أعجب فلأعجب منكل منكان أدرك وذاق العلو على الاقران ، ثمبعد ذلك ينفض يده مماحصله ، ثمياوى الى زاوية، فيقبع فيها مع القابعين

اننى لارسل زفرة علىكل منكان كذلك ، لأنهم حرموا أنفسهم ثمحرموا الامة من الانتفاع بهم ، وهذا صاحب الترجمة الذى له من أخلاقه الفاضلة ، ودينه المتين ، وصلاحه الظاهر ، ودماثة جانبه ، مالوكانمع تلك المعلوماتالتى حصلها فى المدرسة ، لوقع به من النفع مالايستهان به ، من طل انلم يكن وبلا

ان سيدى صالحا منخير طبقته دينا ومروءة وصلاحا ، فقد عرف بذلك عند كلأحد ، وهو ذويد ظهرت فيها للمسترقين بركة ظاهرة ، فما مست يده داء الامسه شفاء، كمايحكىلى ، ولايكاد يجلس فى داره لاستدعاء الناس اياه لذلك ، وحكوا انجده سيدى الحاج عبدالله ، كانيقول ان صالحا هــــو وارثى فيما عندى ، فصدقه الله فى ذلك ، هذا مع تلاوة للقرآن ، وتــواضع يزاول به كل شؤونه بيده ، وقد سمعت من العم ابراهيم يقول ، ما الــرجــل من طلبة الالغيين اليوم الا سيدى صالح ، فانه غيركسول ولامتكبر عن مزاولة شؤونه ، هذه كلها أخلاقه ، ولوكان لم يفرط فيما كان حصله من المعارفلكان بها معهذه المزايا رجلا آخر علما وتدريسا ٠

آثاره

هاك قبصة من ءاثاره فى أيام المدرسة ، حين كانيسابق أترابه ثملايتخلف عن حلبتهم ، قبل أن يبدوله فيترك القلم ، ويغادر الدواة تذوب فيها ليقتها عليه حسرات ٠

منذلك ماخاطب به قرينه سيدى محمد بن على فى رسالة يستزيره :

أيا من هو الغوث المهيأ عدة ... ويا من له كل الكمال بلاعد
لقدنال قلبى فى البعاد وشدة اشـ ... ـــتياق مقاما لايطاق من البعد
فعطفا علينا بالوصال ورفده ... فأنت أخ يولى الجميل مع الرفــد

فأجابه المخاطب

سلام كما قد فاح غب الحيا العد ... نسيم ذكت أنفاسه بشذا الورد
على بدر أفق المجد والعلم صالح بـ ... ـن أحمد من قد لاحفىمطلع السعد
فلازال يسعى فى افتناء شوارد الـ ... ـــعلوم الى ان يــرتقى ذروة المجد
فانى سآتيكم كما تبتــغــونه ... بنفسى بالوصل الجميل وبالرفد

وكتب اليه هذا الاديبيعاتبه على تركه لبيته بالمدرسة مع انه استلبثه

الى أن يرجع اليه :

أيا صالح ماذا فعلت ألم أكن ... أمرتك امرا قد خرجت لدفعه
امرتك بالبقيا ببيتي فخنتني ... مخالفة والمرء يجنى بطبعه

فاجابه سيدى صالح

فلاتنسبني للجناية يا أخي ... فكل فتى يجنى على قدر طبعه
فقصدى لدى تركى لبيتك أن ترى ... باني أيضا من يسر بربعه
(نزعت الى التخفيف عنك وانت قد ... نويت سوى والكل يجزى بنزعه)

والبيت الثالث من اقوال بعض الالغيين ، أجاز به بيتي سيدى صالح.

حل الوفد الافراني مرة بالغ ، فتسابق ادباؤه في الترحيب به على العادة فقال هو من بينهم

اهلا بمن قد شرفوا حصن العلا ... واتخذوه وطنا ونزلا
وطولوا بناءه تفضلا ... وبالقوافي حسنه تبجلا
فصار ملكا لهم بلا ولا ... يضفون فيه انعما بين الملا
فعلمهم عم القرى والجبلا ... فدافعوا عن كل سوسنا البلا
فاوقدوا مصباحه والفتلا ... أضفوا علينا بالوصال الحللا
وكثرونا مددا لنقبلا ... أزكى السلام دائما مكللا
عليكم او كسحاب هطلا

فأجابه رئيس الوفد شيخنا سيدى الطاهر الذى كان دائما بصدد الاجابة في كل وفادة لاى قطعة قيلت في الترحيب به وبمن معه :

هذا نظام رق معنى وحلا ... ذوقا وراق مجتنى ومجتلى
أبداه فكر صالح لما اعتلى ... بالهمة القعساء آفاق العلا
فكر سقاه نهلا وعللا ... غيث الحجا لما انهمى وانهملا
لازال يرقى في المكارم الى ... ان يغتدى في الفضل بدرا أكملا
مكتسبا من العلوم خللا ... ومدركا منها مدى ما أملا

وخاطبه أيضا في بعض وفاداته :

أيا طالعا على الاحبة كالنجم ... ويافائقا في الدين والرشد والعلم
ورافع رايات الهداية والتقى ... ومسدى احسان مع البسط والحلم
لقدحزت خصل السبق في كل مفخر ... وصنت فؤاد المجد من وصمة الثلم
لقد نشأت لى من وصالك هزة ... كما اهتزت الامواج من وسط اليم
عليك مدى الازمان شيخي تحية ... معطرة الربا لدى كل ذى شم

ولم نقف على جوابها

وقال يخاطبه ويرحب به بين أدباء الغ في احدى الوفادات

اهلا بمن سادوا ونالوا رفعة   عند الاله فذكرهم يدني الارب
اهلا بمن خضع الانام لفضلهم   في العصر فارتفعوا بالسنة الادب
فبعلمكم رفع الحجاب عن الحجا   وبطبكم تشفي القلوب من الوصب
فملكتم منا القلوب جميعـــها   وسكنتم بالطـوع فيها والغـلـب
كم من ذوي خطل هديتم بالهدى   وأبنتم لهم السبيل وما وجب
ما الفخر الا بالتواصل معكم   وهو المنى لعبيدكم وهو الطلب
فبحق شيخكم التجاني الرضا   الا تفضلتم بما ينسي التعب
وهو الدعاء المستجاب لديكم   ما نيل من أيديكم كل الرغب

فأجابه الاستاذ شيخنا سيدي الطاهر الافراني :

يا صالح يابدر أفلاك الادب   يـا من دعا صعب المعالي فانتدب
وافت خريدتك التي قلدتهـــا   عقد الكلام الحر لا عقد الذهب
دلت على باع وذهن قانص   بيد القريحة كـل معنى مقتضب
فاحرص ولا تخلد الى أرض الونى   فالعلم آفته الفتور عن الطلب
لازالت الشوس الصعاب من العلا   تاتي اليك اذا دنوت بلا تعب

وله ايضا مقطعة لامية يخاطبه بها مطلعها

قد لاح وافد منزل السعد الـذي   عرفت منازله ورفعـة فضله

ومطلع جواب الاستاذ :

يا صالح يا من اقر بفضله   من لم يغط الغمط صفحة نبله

وقال أيضا وقد زاره صاحباه سيدي عبدالله بن مسعود التيييـــوتي والاديب سيدي محمد بن الحسين البعمراني بوكرع

اهلا بمن بخطاهم فرح البشر   وتحفلت بثناء نحـوهم الفكر
بشرتني بوصالهم يا مخبري   فلا نتعش قلبا كما انتعش البصر

وله بيت مفرد

المرء لابد لـــه من الـوفا   لا سيما ان كان مع اهل الصفا

وذيله بعض الالغيين

من لم يكن يفي لاهل وده   فقربه من الورى كبعده
وانما المرء الـوفـاء فانظرا   اين يرى قدرك ما بين الورى

وقال ايضا

وكل رزء اذا لاقيته جلـل ... الا معاندة المحبوب بالمحن
تذوق ويلا عظيما ان يزر وطنا ... وانت فيه ولم يعج الى الوطن

ولسيدى صالح ابيات ومقطعات يخاطب بها أقرانه اذذاك موجودة فـي (جوف الفرى) وقد وقفت على مقطعة أجاب بها شيخنا محمد بن الطاهر عـن مقطعة له مطلعها :

ابرق لاح كالثغر البسيم ... ام الريحان فاح مع النسيم

الى آخرها

وهناك مقطعات أخرى خاطبه بها ، هو وقريناه سيدى محمد بن على ، وسيدى عبدالله بن مسعود التيبيوتي ، وكذلكمقطعات أخرىلشيخنا الاستاذ سيدى الطاهر ، مطلع احداها

ما روضة صافحتها الريح غب ندا ... وغرد الطير فى أفنانها وشدا

ومطلع الاخرى :

حسان العلا يهوى اللبيب عناقها ... ولكن ما اغلى واسنى صداقها

وقد رأيت مقطعات اخرى لهذا الاستاذ يجيبه فيها عن مخاطباته غير هذه فلانكثرن بسوق ذلك هنا ، ولنكتف بهذا القدر خوف التطويل الممل

هذا هو سيدى صالح بن احمد الذى افتر عنه الدهر حينا، وبشر عـنـه بمستقبل طافح بشرا ، ثملم يلبث ان أعرض عن كل ذلك ، وكان امرالله قدرا مقدورا ، ولبعض الالفيين :

ومن لم يذاكر بالعلوم فانها ... ستنسى وان كانت كبحر غطمطم
فمن لم يواصل سقى روضته ذوت ... الى ان يصير الزهر ضمن المهشم

هذه زفرات تخرج من صدرى بغير شعور لغيرتى على العلم واهله ، وانكانت حكمة الله التى أومن بهافى كل مافعل ، ظاهرة الآثار فى كل مايجول فيهعقل الانسان ٠

وله مع اختنا اولاد ذكورا واناثا ، فاما الذكور فمحمد المولود فى رمضان سنة ١٣٤١هـ وأحمد المولود اواسط رجب ١٣٥٣هـ وابراهيم المولود نحو١٣٦١هـ (وقد كبر الجميع فكانوا رجالا اليوم ١٣٨٠هـ) واما البنات فثلاث : عائشة ماتت بكرا ، ثمفاطمة ، اقترن الاستاذ الطاهر بن على بها ، ثمماتت أيضا ، ثماختها بتول وهىالحية منهن الآنولهاولد، ثمانالمترجمكان فى (أداى) ، فى ذى القعدة ١٣٦٣ فالم به مرض شديد ، حمل به الىالغ فى ذى الحجة ، فاصبح فيه يوم العيد الاكبر ، وبعده بثلاثة أيام توفى على حالة حسنة يغبط عليها وذلك فى الخميس ـ١٤ـ من ذى الحجة ١٣٦٣ رحمه الله وغفر لنا وله ٠

سيدى احمد بن محمد التهالى

١٣٢٢ هـ = ١٧-١١-١٣٦٥ هـ

نسبــه

أحمد بن محمد بن عبد الله بن احمد بن أحمد بن عبدالله بـن سليمان ابن‌عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

أخذ القرآن عن سيدى ابراهيم الفقير ، وعن سيدى ابراهيم البعقيليين، وعن سيدى محمد بن محمد السملالى اخى سيدى عبدالله فقيه سملالةاليوم ، وسيدى محمد هذا شارط اليوم ١٣٥٧هـ في (تازيمامت) ، فبهؤلاء حفظ القرآن وتخرج ، ثم‌افتتح فى المدرسة السعيدية الاخصاصية ١٣٣٤هـ عند شيخنا سيدى عبدالله بن‌محمد ، ثم‌انقطع الى المدرسة الالغية ، فتدرب بسيدى على بن صالح الاوفقيرى ، وقد كان اذذاك يلقى دروسا فـى المـدرسة بعـد خـروج الاستاذ التاجارمونتى ، ثم‌أخذ عن الاستاذ سيدى أحمد بـن‌محمد اليزيدى ، وسيدى المدنى ، ووالده الاستاذ الكبير عميد المدرسة، فمر على‌كل الفنون وحصل‌تحصيلا لاباس‌به ، ولازم داره من هذه السنة الى ١٣٤٥هـ ثم التحق بخاله الفقيه سيدى الحسن التياسينتى فى مسجد (أكرض) بتامانارت ، ثم بالمدرسة الايمورية ،وبها اذذاك سيدى احمد بن صالح الافرانى ، كان يتعاطى هناك بعض الدروس،فاخذ عنه أيضا ، وفى سنة -١٣٤٩هـ شارط فى تـلـك المدرسة الاستاذ سيدى الطاهر بن على ، واحسبه اخذ عنه قليلا اذذاك

ثم شارط فى مسجد (ايت‌اوحامو) بتاجارمونـت ، سنتين ، ثـم‌فـى مسجد (تاكنزا) اربعا ، وقد غادره فى شعبان ، ١٣٥٦هـ ثم‌فى رمضان سافر الى حاحة فشارط عند سيدى عمر امغار فى (أيت‌أمر) فى قرية (تيكزيرين) ، ككاتب عنده ، وقد أخبرت انه قال للاستاذ سيدى محمد بن أحمد كاتب أخيه القائد سعيد بمركز (تمنار) ، انكم ياآل سوس عندكم علم كثير ، وقد اعجبنى هذا الاستاذ الذى شارطته من كل جهة ، الاأنكم لاتعتنون بتجويد الخط ، ونحـن الحاحيين عندنا الخط ولا علم عندنا ، وهى والله كلمة حق لاغبار عليهاومن‌شك فليجعل عينه فى وجه هذه الصفحة التى خرمشتها بهذا الذى اسميه خطا ، وليس من الخط فى‌شىء ، وقد قال فى ذلك بعض الالغيين : بيتين ناتى بهما وان كانا ركيكين ، فيلتحق الخط الركيك بالقريض الركيك

الخط حلى العالم النحرير فبه دعامة علمه المشهور
من فاته خط ابن مقلة فليسل منه ابن مقلة عينه بغزير

واصحاب الخط الجميل من الالغيين ، الاستاذان : سيدى محمد بن عبدالله، وصنوه على ، وشيخنا عبدالله بن محمد ، والاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم، والاخ سيدى محمد ، والاخ سيدى عبدالله ، وأما سواهم فخطوطهم الى الرداءة أقرب ، وان كانت متفاوتة فى الرداءة .

* * *

ولم أقف لصاحب الترجمة على ما يستحق الاثبات مع انه من النجباء ،وقد أدركه أجله بعد مرض فى السابع عشر من ذى القعدة عام ١٣٦٥ هـ فعاش خاملا ومات خاملا .



الاخ احمد ابن الشيخ الوالد

= ١٥ـ٩ـ١٣١٥ هـ = ٩ـ٥ـ١٣٥٦ هـ =

نسبـه :

أحمد بن‌علي بن‌احمد بن‌محمد بن‌احمد بن‌محمد بن‌سعيد بن‌محمد بـن احمد ابن عبدالله بن‌سعيد .

آه‌ايها الاخ الصديق آه ، فبين عيني كان التراب أمس يهال عليك وانا‌أتثر اليك ببصر حاد ، غمرته الدموع المترقرقة بين الجفون ، وانت ممتدفي تلك الحفرة الطويلة بلاحركة كنت أعتادهامنك ، ثم‌لم‌أزل واقفا وأنااتبع شخصك بعيني وهو يغيب شيئا فشيئا ، حتى غابت آخر لمعة بيضاء من كفنك ، وقـد سويت الاحجار ، وأقبل العملة يجرفون التراب بالمساحي عليها

زفرت زفرة يعلم الله ماأحس به أثناءها من الالم الممض ، تتاكل‌به جوانحي ويذوب به فؤادي ، ثم‌قلت أأفترق أنا وأخي المؤنس الوحيد بالغ افتراقا أبديا؟ أهكذا يولي وجهه لتلك الحياة الاخرى ، وأبقى أنا في هذه الحياة كالحديـدة المحماة بين السندان والمطرقة ، ؟ فمن ذاالذي يمسح عن صدرى همومه ؟أومن ذاالذي يراعيني ويراعي غربتي هذه ، ويحول ما استطاع بيني وبين أن‌اقضي بنكد هذا الاغتراب أسى وأسفا ؟

قدكنت لي صديقا قبل ان‌تكون لي أخا ، ومتى كانت الاخوة ، أوكانت لها حلاوة ، اذا تخطتهاالصداقة بين الاخوين ؟ تربينا معا ، ونبتنا معا كماتنبت الشعبتان من وشيجة واحدة ، فتصاحبنا دائما مصاحبة من لاتختلف أنظارهما، ولايجد الخلاف اليهما من سبيل ، فكنا في فجر حياتنا متصلين دائما في‌دارنا، وفي المكاتب التي ناخذ منها القرآن ، ثم‌في‌بعض المدارس العلمية ، ثم حاول الدهر أن يضرب مابيننا ضرباته ، ولكنه لم‌يجد الى قلوبنا ما وجده الى جسومنا، فهذا ربع قرن منذ ١٣٣٠ هـ وقد توجهت الى وجهة وتوجهت ياأخي الى وجهـة أخرى ، ولكننا كلما التقينا امتزجنا امتزاج الماء بالراح ، والارواح بالاشباح فتفضي الى بذات نفسك ، وافضي اليك بمافي‌دخيلتي ، فكنا نتكاشف دائـمـا بيننا ونحن كبار ، كماكنا نتناجى ونحن صبية أغرار ، فماتكاد خطرة تـلـم بنفوسنا ، حتى تتلقفها ألسنتنا ، فتصل من‌قلب احدنا الى‌قلب ءاخر ، وكل‌من يرانا لايحسب الا اننا معا على غرار واحد نشاطا ومرحا وأريحية

كنت تزورنى ياأخى بالحمراء ، فكنت تغمرنى بنكاتك ، وأحاديثك الحلوة، وأضحوكاتك المعسولة ، فكنت تستولى على رسنى ، فتديرنى كيف تشاء ، ثم لاتفارقنى حتى أحس بأننى أفارق شعبة من شعب قلبى ، ثم لا أسترجعها الا يوم ترجعك لى أيضا الايام ، ثم لما قلب لى الدهر ظهر المجن ، وبدا له أن يرجلنى بعد أن أركبنى تحملت معى من كارثتى ماالله أعلم به ، ولكنك مع ذلك حريص على أن تظهر لى باستهانة ماوقع ، لعلك تجد بذلك منفذا لتسليتى ، ومدخلا تدخل الى منه بأنس وبهجة ، فصرت تثر على دائما باحاديثك ، وبوقائعك وبصفحات حياتك ، ثرة الماء الثجاج ، من منبع عين تتدفق من سفح جبل عال

آه ما أنس لاأنس تلك العشايا التى يرى الناس فى الغ شخصينا متلازين فى مهبطنا الى البستان ، أومطلعنا منه ، وأناأتلقى منك ياأخى دروسا قيمة عن الهياة الاجتماعية الالغية ، فتنير لى طريقا لهجت بالسير فيها منذ وصلت الى الغ، ثم رأيتنى أريح بالقلم ماكنت تظل الغداة على بلسانك فى ذكره ، فكنت ترى ذلك ، فلايعجبك نسقه ، لانه أخلاط أمشاج فقلت لى فى عشية فى اول ربيع الاول، ان كنت لابد كاتبا فضع لنا تاريخا الغيا منظما يكون حظنا من علمك ، الذى نرى كل المغرب يبكى عليك اليوم بسببه ، فاننا أولى من ينتفع من ورائك بعلمك ، ان كان وراء علمك انتفاع. لعله يكون لالغ كتاب خاص كالكتاب المعروف عن (تيمكيدشت)

كنت ياأخى بتلك القولة سببا لهذا التاريخ الذى انتفع به الالغيون حقا، وسيتضاعف ـ ان شاء الله ـ انتفاعهم به بتطاول الازمنة ، وتقلب الاعصار . يوم يدرك قراء (المعسول) أن مافيه يكاد ينمحى من الوجود لولاه .

آه عليك ياأخى ، من ذا الذى يحترمنى بعدك ذلك الاحترام الكبير؟ فيقدمنى الى كل شرف ، ويتجافى لى عن صدر كل مجلس ، ويعطر ذكرى دائما بثنائه العطر ، فقد عدمتك اليوم ، وعدمت من كان يقوم لى بماكنت تقوم لى به ، ومتى عدم الانسان من يعرف له قدرا ـ وان لم يكن له قدر ـ فانه يكاد يعدم الحياة.

رحمك الله يارفيق شبيبتى ، ومؤنس غربتى ، ففى هذا اليوم من هذا الشهر حقا ابتدأت الغربة الالغية الحقيقية ، لا من اربعة اشهر كماكنت أتوهم قبل مغترا ، مع أننى وجدت منك من يجبر الصدع على قدر جهده ، ويفثأعنى بموانسته الاحزان ، ويدرأعنى انقضاض الرزايا بوساوسها المرمضة ويفتح لى أبواب جيبه ، ومغاليق بشاشته ، بعد ان اصبحت فى الغ نائيا ، صفر الكف ، منفردا فى جو مكفهر ، تساورنى فيه من الهموم والاشجان رقش فى أنيابها السم الناقع (١) .

---

١) قال النابغة الذبيانى

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة　　من الرقش فى أنيابها السم ناقع

اليوم تركتني وحيدا ، لاصديق اليه مشتكى حزنى ، ولاأنيس اليه لوكنت اجذل فى الغ منتهى جذلى ، فهاأنذا منهذه الليلة أتلقى من صدمات الغربة ، ومن شآبيب الهموم مايرخى على عزاليه ، ويصب على شآبيبه ، فأتململ فوق فراشى حتى اتمنى اليوم انلوتيسر لىالتوسد على الجانب الايمن ، كما تتوسد فىحفرتك تلك أمس •

هاأنتذا يااخى تستريح من وعثاء الحياة الاولى ، وتعرض عماكنت ايضا تشتكى منه دائما بدورك ، فقد انتقلت الى جوار رب كريم ، فغادرت المختار المسكين الغريب، المرزوء فى نكبات وأنكاد،وغربة وضيق يترنح ترنحالمبطوح بينايدى الجلاوزة الاشداء ، وهم يختلفون عليه بالاسواط ، أربعةأربعة ، فليت شعرى متى يفرج الله عن اخيك مماهو فيه ، فيراجع نعماء الحياة بين أحباب هم منى بمنزلة السويداء من القلب ، فى بلد عهدت منه ماعهـدت ، أو أنسى الحمراء ؟ انى اذن لبليد الطبع ، جامد العاطفة :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العمر وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رايتـه وعليه اغصان الشباب تميد

متقلبه إبان التعلم

كان رحمه الله ممن صلد زنده فى المعلومات ، وممن كبا جواده فى اول الميدان ، حتى ان القرءان الذى حصله فى مبدا عمره ، طار عنـه استحضاره ككثيرمنا بعد أنأتقناه جميعا تجويدا ، وكذلك جاور فى المدارس ما جـاور ، ولكن همته فاترة فى الاخذ ، فأصبح ممن لايعد فى الزائرين للمدارس مـن أهالينا ، وقد ذكرناه لرياسته التى أدركها فى عصر القبائل يوم تتموج دفاعا عن جزولة فى نحر الاحتلال ، ولماأدركه ثانيا بعد الاحتلال من كونه رديف أخينا الاكبر يوم ابتليا رسميا برياسة قبيلتنا آلعبدالله بنسعيد، ولكنه مع عدم ورى زنده فيما اخذه ، نلم بذلك لتعرف حياته كماهى ، فانه ـوالحق يقالـ أولى بالذكر منكثير من اولئك الادباء والفقهاء المذكورين الذين لو تخطاهم ذلك الوصف ، لاصبحوا نكرة لاتتعرف ، فغالبهم خال من مميزات غير ماذكرناهلهم يستحقون بها أن يطلعوا فى سموات التاريخ ، ولكن مع ذلك كفاهم الادبوالعلم شرفا ، فان مناوتى أدبا أوعلما فقد اوتى وساما يكفيه زينة فى مصاف التاريخ، وان كان خاملا ، وأما صاحب الترجمة فله مزايا عظيمة سترى منها نبذة فـى الذى أمامك

افتتح حروف الهجاء عند الوالدة رقية بنت محمد بن العربـى أستاذة الدار ، حتى اتم عندها حزب (سبح) ، وفى سنة ١٣٢٠ هـ أرسله الوالد الى جده سيدى عبد الله بن القاضى فى(تافراوت) من قبيلة أملن ، وفىآخر ١٣٢١هـ

اواول التى تليها التحق بالاستاذ سيدى ابراهيم بن الحاج الرسموكى بمسجد (بوكورة) برسموكة ، وفى سنة ١٣٢٤هـ رده الوالد الى الزاوية مع هذاالاستاذ الذى لم يلبث أن ذهب فاتى الوالد بسيدى عبدالله الاكمارى ، فكنا اذذاك منتظمين فى القراءة عليه ، وكنت مع هؤلاء الاخوة بعد ان أخذت عن الوالدة نحوحزبين ، وشيئا قليلا عن سيدى بلقاسم البوزياوى فلازمنا جميعا الاكمارى الى سنة ١٣٢٦هـ فأرسل الوالد صاحب الترجمة الى قرية (المحجوب) برسموكة وقد شارط فيها سيدى ابراهيم بن الحاج المتقدم وفى أول ١٣٢٧هـ أرسلنى الوالد معه الى (العركوب) عند شيخنا سيدى عيسى الاكمارى ، فبقينا هناك الى ربيع الثانى ، فردنى الى الزاوية عند سيدى عبد الله الاكمارى ، فأرسله هو الى (افريان) بهشتوكة عند سيدى ابراهيم بن الحاج ، ثم الحقنى به فى أواسط تلك السنة ١٣٢٧ هـ فبقينا هناك الى رمضان - ١٣٢٨ هـ - فمر بنا والدنا فاتى بنا الى الزاوية، عند سيدى أحمد السكتانى ، فلم ينشب الوالد أن مات ، وفى أواخر ١٣٢٩هـ اتصلنا معا بالمدرسة الايغشانية ، ولكنه هوفى أواسط ١٣٣٠هـ أو فى اوائلها انتقل الى بونعمان ، فافترقنا منذ ذلك الحين، ثم التحقت أيضا به ببونعمان سنة ١٣٣١هـ شهورا ثم انزلت رحلى فى (افران) فلازم هو (بونعمان) سادرا لاهيا ، وغرارة الصبا تفعل أفعالها ، والفقراء متوافرون والتعظيم والاحترام والاجلال تنهال عليه منهم انهيالا

يغادر التعلم إلى مكافحة الاستعمار

فى سنة ١٣٣٣ هـ اوفى التى بعدها ، غادر المدرسة البونعمانية ، لان ابن دحان حينئذ مد يديه الى كل من كان من قبائل الجبال يلقيهم فى السجون، فخيف عليه فانتقل الى الغ ، فكان ذلك آخر عهده بالمدرسة ، ثم جال جولة مع الفقراء سياحة ، على عادة اولاد المشايخ الذين يظنون ان التظاهر باحوال آبائهم يكفيهم ، وقد كان يمكن أن يتهذب بأصحاب الشيخ اذذاك ، ولكنه لم يخلق للتصوف ، فلم يلبث أن انتشب فى مجامع القبائل المجاهدة اذذاك ، فكان أولا يصاحب كبكبة من آيت على المجاطيين ، فكان معهم على فرس فى (وجان) يوم وقعة حيدة ، ثم فى (أيت بعمران) يوم الفتك بحيدة ويوم الاصطدام بالحملة الجنرالية ، كان متوجها اليها ، وقد تأخر فصادفه الخبر فى الطريق كما سيرويه هو بنفسه ، ويوم انكف الاخ الاكبر عن مجامع القبائل كماذكرناه فى ترجمته لازمها هو ، فبرز بروزا كبيرا حتى كان يحسب له حساب بعد أن صار أولا يقبل فى ذلك ويدبر فقط ، وكان شانه اولا فى ذلك ضئيلا ، ثم لم يزل يخب ويضع حتى صار له شان بين رؤساء القبائل، وصار له اعوان ٠ فكان يورد ويصدر ، ومتجهه غير متجه القائد المدنى ، بل يتجه الى وجهة آيت على المجاطيين ، وبعض البعمرانيين ، احدى كفتى تلك القبائل اذذاك ٠

كثيرا ما يحدثني بتفاصيل عما كان لاقاه في ذلك وماشاهده ، وكنت اذذاك مهتما أن اجمع في ذلك مذكرات ، فابتداتها في جزء خاص من كتاب (من أفواه الرجال)، ولكني اشتغلت في مبدا حياته باستطرادات كثيرة ، وكنت أحسب أن الحبل يمتد لي حتى أستشف كل ماعنده ، ولكن جاء الدهر معاكسا ، فلم نشعر حتى مرض سبعة أيام ، فاذا به من المرموسين ، وهذه عقبى التراخي دائما ، فلأسق الآن بعض ما أستحضره مما يحدث به اجمالا لا تفصيلا، لان ذلك لواراده الله لاحياه حتى نكتبه عنه بتثبت ، كما يحتاجه التفصيل بالتتابع٠

قال لم أحضر صبيحة الفتك بحيدة في نفس الوقت ٠ لاننا بتنا في بعيد، فاسرعنا حين سمعنا البارود ، وهزيم الرصاص ، فوجدنا القائد المدني واقفا بعيدا من المعركة ، لان من عادته أن يكون من نظارة الحرب ، لامن أرباب الطعن والضرب ، ففي الحين أقبل الناس على جمع الغنائم ، فشاهدنا ما شاهدنا من الاثاث والبهائم والفساطيط والسلاح ، والناس من عزبز ، فكم رجل كان سالبا اذابه عاد مسلوبا ، والمتلاحقون المتاخرون ينقضون على الاولين ،فينتهبون ماكانوا غنموه قبلهم ، قال ، وأماأنا ومن معي الذين نفرح بالسلامة من المرابطين الذين يحتجون بأن ذلك حرام ، حين لايجدون اليه -لضعفهم- من سبيل ، فاننا وقفنا في ناحية حتى انفض الجمع ، وكان ماكان ، وكان يوم الفتك بالقائد حيدة صبيحة -١٣-٣-١٣٣٥ه في محل يسمى (ادواوسار) بالحصن الاحمر -اكادير زكاغن- ، وقد كان قبل ذلك الحين نحو سنة ١٣٣٤ه قدزحف زحفا هائلا وصل به قبيلة الاخصاص ، فصالحه هنالك مبارك ابوالطعام الرخاوي، وقد حارب اذذاك في (وجان) ولكنه لم يغن شيئا ، وفي ٣-٣-١٣٣٥ه دخل تزنيت أيضا ، فزحف فلاقى ماقدرله ، ووجدت بخط بعضهم أن الذى انتهب من البغال والجمال فوق -٧٠٠ ومن الخيل ٤٨٠- وأما الاثاث فلم يدرك عدده، وهو كثير جدا ، لانه ساق أمامه كل رؤساء قبائل راس الوادي ، وهشتوكة، والازغاريين ، ولم ينج من أثاث الجميع شيء، وكثير منهم ترجلوا في تلك الشعبة من وادي (ايكالفن) فنجوا بأرواحهم ، وقدمات منهم من مات ، ولم تقف الهزيمة الا في تزنيت عشية ، هذا ماصار الي عن الواقعة باختصار عن لسان المترجم

وحدث أيضا عن يوم الاصطدام بالحملة الجنرالية ، قال كان أخي محمد ذهب قبلي ، فبقيت أنافي البلد ، وفي يوم قلنا ان الزاد ربما يتوقفون عليه، فذهبت مع ابن عمتنا سيدي محمد بن بلقاسم ، والد الاستاذ سيدي بلقاسم ، والناس كلهم انحشروا الى تلك الجهة، حتى اننا لم نلتق بأحد من الغ الى مدرسة(أيت رخا) حيث بتنا ، فهناك صرنا نسمع أن الواقعة قدوقعت ، فصار النساء يتحدثن بأنهن يسمعن المدافع بكثرة من الصباح بكرة ، قال وكانت هذه الحملة حملة هائلة، قدحشدت فيها الحكومة أكثر من عشرين الفا من الجنود المنظمة ، وفيها كثير من القواد الكبار ، كالحاج التهامي الكلاوي والحاج حماد بن حيدة ، والحاج الطيب

الكنتافي ، وقواد حاحة كلهم ، وقواد راس الـوادى ، والخليفة ابـو السلام المتوكى ، فجاء أولئك كلهم بنظام ، لم يشاهد الناس مثله ، قلت وقـد صحح بعضهم أنعدد الجند المنظم ـ٢١ـالفا ، ومعهم ـ٣٦ـ مدفعا كبيرا ، ممايمكن أنيجر ، والمترايوزات الكبار اكثر من عشرات والبغال ٧٠٠ والجمال ٥٠٠٠ ويدفع لهذا الجند المنظم كل يوم ثلاثون ثورا ، وقد احتل هذا الجيش تزنيت يوم الجمعة ـ٢٢ـ٥ـ١٣٣٥هـ فبقى هناك أسبوعا ، ثـمنظم القواد فى جهات ازغار، فالحاحيون فى قرية (الارجام) ، وهىمسورة قبل ذلك الحين حصينة، وفيهمالقائد الحاحى المسمى السيد الملقب اكيدر، الرجل الذى يذكـر بخير، ثم وقعت الحرب فى (وجان) صبيحة يوم السبت ـ١ـجمادى الثانية ، فوقع ماوقع هناك بوجان ، حيث هلك منمجاط خاصة نحو ـ٨٠ـقتيلا ، ونحوذلك من الجرحى ، ووقع مثل ذلك فى الولتيتيين ثمهرب هؤلاء عن وجان ، فاحتلته جيوش الحكومة، ويقال انه هلك من الجيش الحكومى ـ٤٣٣ـقتيلا ، وأطلق الجيش الزاحف ذلك النهار نحو ـ٢٠٠٠ـقنبرة ، ومكث هناك المحتلون سبعة أيام ، ثم آبوا الى تزنيت فى يوم ـ١٥ـ٦ـ١٣٣٥هـ بعد أنبـاتـت محلتـهم ازاء (تالعنت) وذلك بعدما صالحهم الرئيس الولتيتى الشيخ احمد الامازرىعن الولتيتيين ، فكان ذلك سبب اهلاكه فتكاعن قريب منهذا الوقت ، وفى هذا الحين وصل الحاج التهامى الكلاوى، فبادأ المخابرة مع منبالاخصاص ومجاط وآيت بعمران يقول لهم ان الحكومةلاغرض لها الااسترجاع تلك المدافع التى بقيت عندكم يوم قتل حيدة ، والحكومة ترى بقاءها عندكم غضاضة لاترضىبها فتلاقى الحاج التهامى مع بعض الناس فأفضى اليه بهذا ، فقال له اذهبواوتشاوروا بينكم ، فالاولى أن تقدموا هذه المدافع ، فيرجع الجيش وتـرجع السيوفالى اغمادها والا فانتم تعلمون قبل غيركم أنكم لاتقدرون على مدافعة ماأتى اليكم، فواعدوه أسبوعا لينظروا فى ذلك ، فأبى غالب الناس ، ورأى أمغار سعـيد البعمرانى وبعض القليلين أن ذلك هو اولى، وأنهذه المدافع لاتفيد شيئا، لانه لأحد يعلم كيف يرمى بها ، ولكن قولهم لم يسمع ، فانتظر رؤساء الجيش بتزنيت ماانتظروا ، حتى اذالم يرفع اليهم جواب ، قاموا للزحف ، وقد أمر السيد أبوالسلام الخليفة المتوكى أنينزل بمخرم (ميرغت) ليكونهناكردئة ولم يومر بمباشرة أىحرب ، فكان معسكره كأنه سوقيوم السلم، يتبايـع الرخاويون فيه ويشترون ، وكذلك الاخصاص ، فما لاقى كيدا ولاحربا ، ولالوقى منه أذى •

زحفت المحلة من (تزنيت) فنزلت يوم الثلاثاء ـ١٩ـ٦ـ١٣٣٥ هـ ببونعمان وفى أثناء الليل تسلقت الجيوش الجبال ، فنووشت بحرب من نواحيها ،ولكن سرعانماانهزمالمناوشون ، وقد أصلتهم نيران المدافع نارا لاتطاق ، فسقط من المنهزمين امام (تيزى) ـ١٨ـ ومن الخيل ـ٢١ـ وسقط أيضا مـن الجـيش

الزاحف قتلى ، يقال ان عددهم -١١٥- وقد حمل ذلك النهار الساحليون حملة شعواء ، لكنها حصدت بالقنابر والرصاص ، فنزل الجيش عشية ذلك اليوم بقرية (اوتغوس) ثم بكرت فى (ايسك) ازاء مشهد سيدى ابى ابراهيم الشهير، فاجفل جميع الناس أمامها ، حتى بقيت المحلة لايقابلها وجها لوجه فى تلك الايام احد ، فاشتغلت بجر تلك المدافع من بيرالقيت فيها ، حفرلها من بعيد، حتى أمكن جرها من الاعماق ، ثم في يوم الثلاثاء -٢٤- من الشهر ، قامت المحلة تنسحب بنظام ، وقد استدارت عن يسارها ، وقد بكرت عند السحر ، والناس متفرقون فى القرى بياتا ، فطارت طلقتا البارود مثنى من الحرس الذين يحرسون الناس دون العدو فاهرع الناس مسرعين لمدافعته ، فكان يوم حرب عبوس قمطرير ، ظهرت فيه بسالة الحاضرين من الصحراويين وبعض البعمرانيين من تلك الجهة ، كما ظهرت أيضا شجاعة رجالات الجيش الحكومى من المسلمين المدجنين الذين فيها ، فقد بدت ذلك النهار من الحاج التهامى الكلاوى شجاعة نادرة ، وسمعت أنه سقط تحته فرسان وأنه خاض الحرب فى الصفوف الاولى حتى كاد يقع فى يد المجاهدين ، وهذه بسالة منه قديمة، شهد له بها قريناه القائد الناجم والسيد ادريس منو الباشا فيما كلن يحدثنى به عنه ، مما تجد بعضه فى كتاب (حول مائدة الغداء)

هذا والجيش الحكومى ليس مقصوده الاالانسحاب الى وراء ، بعد أن أدى المامورية التى يزعم أنها وضعت على عاتقه من الاتصال بالمدافع ، فصار ينسحب بنظام ، والقبليون يرون انه انهزم منهم ، فيضرون على مصادمته ، ولكنهم سرعان ما يحصدون بالرصاص الذى كان كما حكى لى من حضر كالمطر المنهمر، ولم يبق وراء الجيش المنسحب جريح ولاميت ، على العادة المعروفة فى الحرب النظامية ، فمازال هذا الانسحاب مستمرا حتى نزلت الفيالق من الثنية التى تشرف على مشهد سيدى بوعبدلى ، وزعم بعضهم ممن اعتنى بتقييد ماكان اذذاك، أن عدد القنابر التى قذفتها المدافع ذلك النهار -٦٠٠٠- وان القتلى من القبائل -٩٥- والخيل -٨٢- ومن الجيش الحكومى -٢٨٥- قتيلا ، ومن الخيل ٧٠ هذا مازعم ، ولاادرى من أين يتوصل بالاخبار المدققة عن مـات مـن الجيش الحكومى ، مع أن ذلك عادة ممايحيط به التكتم ، وهذه ليلة الاربعاء وقد نزل الجيش أيضا فى (بونعمان) وفى الخميس نزل بتالعينت عشر ليالى ، فرجعت أيضا المخابرة على أيدى القواد الحاج التهامى ، والخليفة ابى السلام المتوكى، وأمثالهما فطابت نفوس البعمرانيين والاخصاصيين والمجاطبين اذذاك للمصالحة بعد أن عركوا تلك العركة الشديدة الوطأة ، وقد أدرك العقلاء منهم أن الحكومة لو أرادت الاستيلاء يومذاك على تلك الجهة كلها لسهل عليها الامر بعد أن طلعت الى أعالى البلاد ، ولكن الحكومة اذذاك فى الحرب الكبرى ، وهى تريد أن تحافظ على مابينها وبين اسبانيا التى ترى ان تلك الجهة هى نصيبها فى الجنوب

المغربي ، على أن فرنسا حقيقة ليس من خطتها اذذاك الاستيلاء التام على الاطلس الصغير ، لانها لاتدرى ماعسى أن تلاقي من هؤلاء المجاهدين الذين صمدواأمامها منذ سنين ، والحرب الكبرى اذذاك قائمة ففيها وحدها همها الكبير ، فلاتبالي بهذه الزاوية التي لاتعد شيئا مذكورا ، وفي استطاعتها أن ترجيء أمرها الى وقت يليق

قال الاخ فبعد أن تشاور رؤساء القبائل ، انتدب لملاقاة الحاج التهامي ومن معه ، القائد المدني والقائد مبارك ، وعلي الايشلحيني ، والرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم الايغشاني ، وأمغار سيدى الحاج سعيد البعمراني ،وآخر معه من البعمرانيين ، أظن ان هؤلاء من عينهم لي الاخ رحمه الله ، فتلاقوا مع الحاج التهامي ، وانفصل الامر على ان يبقى كل واحد في مكانه وفي حدوده ، الحكومة فيما تحتله ، والجبليون في ترابهم ، وأن لايتعدى أحد على أحد في أرضه وأن يسير البيع والشراء كما كانا قبل ، فأعلنت الهدنة (١) بذلك ، فتم الامر فصار هذا الجيش الكثير الذي ملأ أرض بني جرارة حتى نزل بتزنيت ، فبقي فيها ثلاثة أيام ثم أقلع يوم الجمعة ، فتوجه الى الحوز ، وذلك في اليوم العاشر من رجب ١٣٣٥ وقد كان الاخ يوما آخر وصف لي يوم (وجان) هذا الذي مر في هذه الحملة الكبيرة، فقال ان الناس كانوا كلهم قد ملأوا الاطراف في التخوم على الحدود حينما سمعوا بهذا الزحف ، فكانت مجاط وأنامعهم في (ايغيرملولن) ، حين نزل الجيش بتزنيت ، ولايدرى احد اين متوجهه ، والولتيتبون كلهم بوجان ففي صبيحة صبحوا بالزحف ، فسمعنا القنابر فتجارينا كلنا الى (وجان)، فتلقتنا رسل من هناك يستحثوننا فوصلنا وفينا كثير من الطلبة والعلماء كسيدى علي بن عبد الله ، وسيدى الطاهر ، وسيدى ابراهيم بن صالح التازروالتي مع تلاميذ له ، وكل علماء ولتيتة ، كسيدى المحفوظ الادوزي ، قال فبقينا جميعا وراء الثنية التي تطل على (وجان) لان بعض مجاط السابقين رأوا حين انحدروا فيها من القنابر عليهم وبلا منهمرا ، ومذبحة هائلة، فقد تركوا حتى توسطوا الثنية ، فارسلت اليهم القنابر تترى ، فسقط كثيرمنهم، وكان هؤلاء قد سبقونا ، فبقينا نحن وراء الثنية ، لانصيب ولانصاب الى أن دخل الليل ، وقد ظهر ممن بوجان من الجبليين صبرغريب ، فانهم ربضوا الى الارض ، وكانت المدافع توالي قنابرها حتى تظن ان الطريق قد مهدت ، فيزحف فيلق من الجند ، فيتركهم الجبليون حتى يقربوا منهم فيحصدونهم حصدا ، ثم ترجع عمليات القنابر ، وهكذا الى أن مضى النهار ، فانسحب الجيش الحكومي حتى ابتعد عن وجان ، لئلا يبيت ان قرب منه •

---

١) في ترجمة القائد المدني الاخصاصي تفاصيل عن هذا وهي في (القسم الخامس) كما ذكر ذلك أيضا في ترجمة الاستاذ سيدى محمد المانوزي في (القسم الثاني)

جن الليل فذهب بعضنا الى (وجان) فدخلها وأحسبه ذكر من بين هـؤلاء الداخلين ليلا الاستاذين علي بن عبدالله وشيخنا الطاهر ، فوجدوا من بها عازمين على مغادرته ، لئلا يلاقوا ثاني يوم مالاقوه اولا ، فهكذا خرج كل من بوجان حتى لاانيس فيه ولاديار مع طلوع الفجر ، وفي تلك الليلة خرج الشيخ النعمة الى (أيت رخا) وقد كان نزل هناك بدار القائد موسى منذ ـ١٤ـ١٢ـ١٣٣٠هـ حين أجلاه التزنيتيون عن (تزنيت) قال وقد كان الكنتافي قريب المنزل مـن وجان ربيئة للجيش الحكومي ، فوصله الخبر ليلا باخلاء وجـان ، فجاء عند السحر ونزل هوومن معه في بعض الديار ، وكذلك القائد عياد الجرارى ممن معه ، فارسل الكنتافي الى الرئيس الاعلى يخبره بماوقع ، فكانت هذه المزية مماأهله الى ان يكون باشا تزنيت أربع سنوات وربما رشح لذلك قبل ، وعلى يده أيضا كماأظن تم ماتم على يد الشيخ احمد الامازرى كما تقدم ، وهذه بعض التفاصيـل التي تتعلق بهذه الحملة المشهورة عندنا بالجنرالية ، لان رئيسها الاعلى هو (الجنرال لاموط) ، وليس بقائد من القواد كما يعتاد الناس قبل من الجيوش، ولذلك أضافوا اليه هذه الحملة ، وقد استعنت في تفاصيلها زيادة على ما اخذته عن الاخ بماسقط الى من مخطوطين لبعض المعتنين ، وقد ذكر احدهما انه كتب ذلك في ـ٢٩ـ رجب من تلك السنة ، فهو يخط مابين عينيه ، ولكنه يتجاوز المعقول احيانا ، ولذلك قلما اعتمد من الارقام على مايقول الا اذا وافق الاستاذ الرفاكي فيما يذكره عن هذه الحملة في مقدمة كتابه (روضة الافنان) وقـد مزجت كل ذلك مع ماأخبر به الاخ ، فامكن أن نلقي ضوءاعلى ذلك الزحف الذي هوالاول من نوعه، وفي مقدمة كتاب (طاقة من ريحان) تفاصيل أيضا عن هذه الحملة

وكان صاحب الترجمة رحمه الله نسخة صحيحة مصححة من كل ماوقع في الدور القبلي في هذه النواحي أيام المدافعة عن جزولة ، وكان استحضاره في ذلك غريبا ، ثم لم يزل في تلك المجامع الى ان مضت سنة ١٣٤٠هـ ، فتأتى له ما علا به كعبه ، وكان لكلمته شأن ،وذلك أنه كان يختلف كثيرا الى الرؤساء (أيت أومرى) الزكريين وربما يقضي عندهم شهورا متوالية ، وكان التيييوتي منذ أيام القائد حيدة من كبار أنصاره ، وممن ينضوون تحت ابطه ، ويحتلون القبائل باسمه ، فامتدت يده الى كثير من تلك القبائل الجبلية التي بجانبه ، فيمهدها للحكومة ويجعلها مجبى للاتاوات التي يواليها لمصالحه الخاصة ، والحكومة اذذاك لاتزال ترى أن الوقت لم يصل بعد لكبح هؤلاء القواد عن المغارم ومنعهم مما يالفونه من عهدهم القديم من نهب مافي ايدي الناس ، فكان التيييوتي يجمع من ذلك ويوعي ، وحين كان الزكريون يجاورونه والكنسوسيون ،صار ينصب لهم الحبـال حتى يستميلهم اليه ، ويكفهم عن الانـدماج في القبائل الجنوبية ، المناصرة للهيبة ومن اليه ، القائمة بالحق الواجب في الدفاع عـن تلك الناحية ، ثم تاتى له ذلك في الكنسوسيين ورأى ان يلاين الزكريين ، فصارت

قبيلة أمغار عابد الزكرى هناك هى الحدالفاصل لنفوذ نظر الحكومة، وللقبائل الجنوبية ، ثمصاهره التيبيوتى ، فامنكل واحد منهما من صاحبه ، ولكــن الزكرى لمينفض يده منهذه الجهة الجنوبية بعد ٠ وكان أصحابه كثيرا مــا يردون على (كردوس) مركز الهيبة ومن معه ، وقد استنجد عابد مرة بهــذه القبائل فى مشاكسة بينه وبين بعض جيرانه ، فذهب اليه الاخ أحمد باصحابه المجاطيين ، ثموصل الى دارهمرة مربيه ربه خلف الهيبة ، مع كل القبائلالتى معه ، وفيهمالقائد المدنى وامثاله ، وقدحكى لى بعضهم انهذا القائد قال اذذاك لمربيهربه ، انطاب خاطرك فاننا سنفتك بهذا الانسان - يعنى عابدا الزكرى الذى تلقاهم بالفرح وانزلهم فى داره واكرمهم - فتبقى انت على كل امواله فابى مربيه ربه من الغدر بكل شمم - وذلك هو شنشنة امثاله - فمن هنــا يعرف القارىء من هو القائد المدنى سامحه الله ، ومن هو مربيهربه واهله ، رحمهم الله واحيا ذكرهم

ثمتوترت العلائق بين حمو بن بلقاسم رئيس قبيلة اداوكنسوس ، وبين التيبيوتى وقد اجلاه هذا عن داره

التجأ حمو واصحابه رؤساء ايتعبلا الى احمدبن الحاج ابراهيم الايغشانى الالغى ، ليتوسط لهم عند القائد المدنى ليزحف الى تلك الجهة فيفتك بالزكرى الذىله مع صهره التيبيوتى يد ، وقد أنعم بمال كثير انتم هذا الامرورجعالى داره ، وقدكانتيدالحاج حمادباشا (تارودانت) اذذاك تجول سرا معالكنسوسى ضد التيبيوتى الذى يحسده علىمركزه عند الحكومة ، فانمى الحاج حمادسرا الى صاحبه القائد المدنى أن ياخذ بيد الكنسوسى حتى يرجع الى دارمرغمانف التيبيوتى فضمن انتم ذلك ٠٠٠ ٣٠ ريال فيما قال الاخ أحمد ، وانالزكرى صهرالتيبيوتى هو الذى يجب انيفتك بهأولا تمهيدا لقضاء الغرض فيه وفى كل من يخالطونه

جال القائد المدنى كجولاته المعروفة ، واستنهض منامثال شيخنا سيدى الطاهر ، والاستاذ على بن عبدالله وآخرين ممن يمتعضون للدين ، ويدعــون الىنصره ويستثيرهمالجهاد والكفاحضد الاحتلال، فخرجمربيهربه من (كردوس) فالتأم الناس كلهم فى (أيت على) بمجاط ، فأعلنوا أنهم لابد مناصرون لهذا المسلم الملتجىء اليهم (حمو بن بلقاسم) ، فكان الرؤساء من البعمرانيــيـن وغيرهم حاضرين فقال الكل ان الزكرى فىهذه المرة لابدان سيلقى منا درسا يكون عبرة لغيره ٠ قال الاخ فحضرتذلك النهار ، والقائدالمدنى وأذنابهيشيرون الى، ويتناجون باننى ما جئت الالادافع عن الزكرى ، لمايعرفون بينى وبينــه من الصلة ، وأناموقن انفىالزكرى روح الاسلام ، وانه انمايدارى التيبيوتى، واعرف أيضا أنمقصود هؤلاء انما هو احتواش أمواله فقط ، ولكونهميعرفون مابينى وبينه صاروا يتناجون بمايقولونه سرا ، ولكونهم يعرفون أن آتباعى

كثيرون ، وأن كلمتي مسموعة خصوصا عندبعض المجاطيين والبعرانيين خافوا أن تفتر العزائم بسببي ، وأن أحمل أصحابي المجاطيين على ترك ماعزم عليه الناس ، وأنا في الحقيقة أعرف مايقال سرا ، وادرك ان الزكريين يقدرون أن يدافعوا عن انفسهم ، ثم لايسعني الاان اجاري الناس ، ثم كنت كلماخطرت بين المجمع اوتكلمت معأحد ترتعد فرائص المدني وأمثاله لئلا افسد عليهم أمرهم المبرم ، فادركت حينئذ مقدار مالهم في أنفسهم من نجدة وقوة ، ورباطة جأش حين يرهب مثلي عندهم ، وماأنا الامرابطي لاخلق ولاافري ، ولكنهم لماسروا ماأسروا ، وطمعوا باطنا فيما طمعوا فيه من الاموال التي سيتوصلون بها ان تم الامر ، وقدعلموا أن ذلك لايخفي عني ، خافوا أن أفشي ذلك للناس ، فيفسد أمامهم كل شيء ، فتذهب تلك الدمعات التي يلقيها وعاظهم في المجمع على الاسلام وذويه هباء منثورا ، والمريب دائما يكاد يقول خذوني ، ويحسب لكل لفتة أونجوى ألف حساب ، وقد دخلت صبيحة ذلك النهار الى مجلس مربيه ربه وهو في دهليزداربات فيها ، فوجدت القائد المدني ، وهواذذاك مورد الامور كلها ومصدرها ، وما مربيه ربه وجميع الناس الاصداء لكلامه ، الاماكان من بعض مجاط وبعض البعمرانيين الذين اصاحبهم ، فنحن جميعا جبهة متراصة أمامه ، ينظر الينا دائما نظر الشزر ، على حين ان فلانا وفلانا من العلماء يظلان في بصبصة أمامه دائما ، قال فحين دخلت على مربيه ربه ، وسلمت عليه ثم سلمت على القائد التفت الى القائد ، فقال ياسيدي أحمد ، مالك أبيت ان تشتغل بما كان والدك رحمه الله يشتغل به ، فقد صرت أنت تزج نفسك في الذي لايليق بأمثالك ، أومثلك هو الذي يذب عن الزكري الذي يخالف المسلمين ، ويتعدى عليهم ؟ فقلت له وقد أتم ما اراد أن يقوله انني حقيقة لااشتغل بما يشتغل به والدي ، بل أقبلت على اموراخرى ماكان يعرفها ، ولكنك مثلي في هذا ، فهل كان والدك ترك لك القيادة وما انت فيه اليوم مماتزج فيه نفسك ، وترفع به رأسك ؟ وأما الزكري فانتم الظالمون له ، وماتتطلبونها منه انماهي خطة خسف ، ألم يات اليكم اصحابه منذ أسابيع ؟ فكنت أنت ممن جالسهم وتحدث معهم ، والمتافن لهم فيماتريد ، وأماأنا فلم أحضر ، وليس لي في ذلك كله الا السعي في أن يكونوا دائما تحت ظل هذا الشريف - واشرت الى مربيه ربه - وأنابنفسي لاياتي بي الى مثل هذا المجمع الا تطلب رضاه ، واغتنام دعواته لاغير ، فلااتطلب مايتطلبه الآخرون ، فما وصلت هذا حتى رفع الشريف يده فختم الكلام بالدعاء ، فقمت فتلقاني القائد الناجم خارجا فقبل مابين عيني ، وقال لله درك فقد عرفت كيف تجيب ، ولقد وضعت الشفرة على محزها

ثم سار الناس جميعا وانا بينهم ، ونحن المجاطيين والبعمرانيين الذين نشترك الرأي فيما بيننا ، زهاء ثلاثمائة فارس ، يمشون كلهم ورائي عمدا ، نكاية بالقائد المدني ، فكنا نتعمد المرور به بسرعة الخيل ، فنثيرمن الغبار

مانغبر به في وجه الموكب الذى يسير فيه ، ثم انني اوعزت سرا الى الزكريين بكل شيء ، فقلت لهم دافعوا عن أنفسكم بكل ماقدرتم عليه ، فان هذا الذى تسمعونه انما هو سحابة صيف عن قليل تنقشع ، فنزلنا بآيت عبلا فخابرت أصحابي الزكريين ، فعلمت انهم تهيأوا للدفاع ، وقد انجدهم التيييوتي ، والحاج حماد باذن الحكومة ، وولد للحاج حماد هو القائد الاعلى ، فحين علمت ماهناك استرحت ، وان كنت لأحب ان أرى عند الزكريين اعانة من الحكومة، ففي يوم قامت الحرب ، فلم يصابوا بشروى نقير ، وفي اليوم الثاني كذلك، وقد أرسلوا من الرصاص مافتك بكثير من الزاحفين ، وكان من أغرب ماوقع ان معنا اعرابيا من آل ماء العينين ، كانه خليفة على فيلقنا ، فماسمع الطلقات الاولى حتى شمر للهروب ، فأخذت بعنان فرسه ، وأنا اعظه وانـدد عليه ان يهرب في حومة الجهاد ، حتى بقي رغم أنفه ، فحين رجع الناس ، ذهب الاعرابي الى مربيه ربه ، فقال له لقد كذب الناس عن فلان ، فانه من احسن المسلمين فقد وقف اليوم وقوف الباسلين الذى لايقدر احد ان يقفه ، هكذا قال الاعرابي، وما وقفت أنا وقوف الباسلين ولا باشرت حربا ، وماقال ذلك الاليغطي عما صدر منه ، فصار به ضحكة •

ثم ان الناس في اليوم الثاني يهربون الى بلادهم من غير اذن احد فرأى القائد المدني أمره المبرم منتكثا ، وخاف ان يبقى حتى يفتضح أمره كل الافتضاح ، فتراسل أيضا مع الحاج حماد الذى كلفته الحكومة ان يحضر بنفسه ازاء هذه الحرب، وقد أدركت أنه هو السبب في اثارتها ، وأن هذه القبائل ماتحركت الا بايعازه اليها ، فكنت ليلة في جماعة نائمين في دار ، فجاء الفقيه سيدى الطاهر لياخذ رأى بعض من معنا في الموافقة على الصلح الذى يجرى فيه المدني مع الحاج حماد ، وقد كان المدني وصاه ان لاأشعر أنا بما يدور فجاء من أيقظ بعض الناس من بيننا خفية بطرف اصابع الارجل ، وبالتناجي في الآذان ، ثم التقى المدني والحاج حماد في مكان معين ليلا ملاقاة سرية، والتيييوتي حاضر، والقائد المدني لايعرفه ، وقد كان صدر منه يوما في المجمع أن قال ، ان من قتل التيييوتي وأتاني برأسه ، فله ثلاثة آلاف ريال ، ثم صار ينعته للناس ، ولكنه حين صادفه لم يعرفه ، حتى قال للحاج حماد اريد الاختلاء معك منفردين ، فقال له اولم تعرف هذا ، فقال له لا فقال انه التيييوتي ، ولاسر لي دونه ، فسقط في يد المدني لان كلام الحاج حماد اليوم ـ حين زعم انه لايخفى عن التيييوتي شيئا ـ يخالف كلامه السرى بينهما حين اوعز بالزحف لارغام التيييوتي الذى هو عدوه الالد فسكت القائد المدني فتم الصلح ، واشترط القائد المدني أداء ثمن الخيل التى ماتت ، فضمن الحاج حماد ذلك ، فهكذا اختتمت هذه الحملة التى ذهب فيها رؤساء القبائل مجتمعين ، ثم ساروا يتسللون لواذا ، حتى لم يبق الاقليل ، ولا قصد للجميع الا الدراهم اولا ، فحين احسوا من الزكرى بالمدافعة نكصوا على

أعقابهم ، والقائد المدنى هو الذى سيتوصل سرا بما سيتوصل به من عند الكنسوسى الذى سيرجع الى داره ، وقد قبل الحاج حماد رجوعه ، نكاية بالتيبيوتى ، فكان لما فعله من قبوله دفع الغرامة المتقدمة لرجوع الكنسوسى أثر سيء عند الحكومة ، قال الاخ ثم اننى ذهبت الى مربيه ربه ، وقد وصلنى ما قاله ذلك الاعرابى فقلت له ان الناس يتفرقون ، وانا عند اذنك ، فقال اننى راض عنك ، فمتى ظهر لك أن تذهب فاذهب ، فانفض الناس ، فركبت على بغلتى فأصبحت عند أصحابى الزكريين ، وقد رفعوا الرؤوس ، وتم التآمهم مع الكتلة التى تحت يد الحكومة ، بقلة عقل القائد المدنى ، وسياسته الجائرة التى تدور كلها على درهم ينتفع به ، ولايبالى بالمصلحة العامة ، ولولاه لبقى الزكرى فى صفوف المسلمين، قال وهذا الزحف مثل كل الزحوف التى تقع اذذاك ،ظاهرها شيء وباطنها اشياء ، فقد رأيت ماأعلن ظاهرا فى هذه الحملة ، وما هو المقصود سرا ، وقد رجع القائد المدنى بآلاف من الريالات من هذا الزحف ، وأما الايمان فلاايمان الاأقوالا مزخرفة ، لاتمت الى الواقع بشيء (هذامازعمه الاخ ، وله رايه الخاص) لان للشيعة الاخرى ان تقول ايضا ما يضاد كل ماقاله على خط مستقيم، ولاأخفى عن القارىء اننى ماكنت ارضى لاخى هذا ذلك الموقف ، ولعل له عذرا

قال ثم نزلت اثر هذا مع الزكريين الى التيبيوتى ليشكروه على مناصرته لهم وليجددوا مابينهم ، فلم اشعر حتى لاقيت هناك الباشا الحاج حماد بن حيدة وكنت لاأعرفه الا سماعا ، وكنت احسبه عظيما فى نفسه ، كماهو عظيم فى سمعته التى ورثها عن أبيه ، وكنت أظنه عاقلا رزينا يزن القولة اذا أراد أن يتكلم بها ، فاذا به يراع خفيف كريشة فى مهب الرياح، لايقرقرارها ، قدمنى اليه التيبيوتى فقال اننى كنت أسمع بهؤلاء وبدارهم وبزاويتهم ، ثم ماكان الاأن دار بينى وبينه مفتتح الحديث ، حتى عرفت خفة الرجل ، وأنه كجناح بعوضة ، يسهل على جليسه أن يديره كيف يشاء ، فمددت له شبكة من الثناء عليه ، ومن الشهرة التى يتمتع بها فى الجنوب كله ، ثم قلت له ماأسس الهدنة التى تأسست منذ ايام الاهيبتك التى ارتعدت منها الفرائص ، حين سمعوا بحضورك بنفسك الى المعركة ، فماكاد يسمع ذلك حتى اهتز اهتزاز القصبة اللينة الطويلة بين مختلف الرياح ، فقال وكله بشر وحبور وفرح زائد، حتى كأنه يهوى الى الطيران من كثرة حركته ، لمااستخفه من الفرية التى أردت أن أملك بها قياده ، هل تقدر أن تقول هذا أمام المراقب بتارودانت ؟ فقلت له نعم ، ولكنى أتكلم بلفظة نعم كأنما أجيل حول لسانى جمرة محرقة ، لانى وقعت فى أحبولة كنت نصبتها له اذا به يريد أن أكون أناهو المحبول بها لينتفع بى، وبمقالتى هناك ، ولكننى وجدتنى فى وسط حفرة يصعب على أن أتملص منها الآن يريد الله ، فاقترح على جميع الوفد الزكرى أن يصحبه فى الحين الى تارودانت ، ولابد ، فنزلنا من مجلسنا لنذهب معه ، فحاذانى التيبيوتى ونحن

نهبط في الدرج من علية فقال   اياك انتقول الكلمة التى ذكرتها آنفا أمام المراقب فتندم ، وذلك أن الحكومة صرحت بالاستنكار للحاج حماد ، لما وصل الى مسامعها مابذله من تلك الغرامة ، فأنكرهوان يكونلذلك أصل ، وأنه ما اقام الهدنة الابمقدرته وحنكته السياسية ، فحين سمع ما سمع منك ، ووجد فيه مايؤيدكلامه ، أراد أنيدلى بهلعله ينفعه ، والتيبيوتى الذى يبلغ عنه الى الحكومة كل شيء ، لايريد أنأمثلأناذلك الدور الذى يفتضحفيه هو ايضابدوره ثم لايصدق بعد اليوم مايبلغه الى الحكومة عنه ، قال فركبنا نحنالوفد على سيارة ، وركب الحاجحماد علىأخرى أمامنا ، فوصلنا الوادى وفيه ماء كثير، لمنقدر أن نخوضه بسيارتنا ذلك النهار ، وقدكان الحاج حماد تمكن انيجتاز بسيارته فراح الى تارودانت ، وفي اليوم الثاني وصلنا فوجدناه يسأل عنا كل لحظة فقابلنا باعتناء زائد ، ولاشغل له الا التحدث معى ، وأناأهرفلهبما أعرفومالااعرف ، وازرف في الحديث ، وقلبى فى التوجه الى الله انيصونني عن الموقف الذى يهيئنىله ، فقدر الله الذى يغيث أصحاب الضيق دائما أنغاب المراقب غيبة ستستمر أياما ، فأنهضت أصحابى فى الحين على أن يودعنا، فرجعنا منعنده باكرام زائد جدا منكسا وأموال ، وقدقال الزكريون اننا ماشاهدنا منهقط أمثال هذه المقابلة ، ومثلهذا الاعتناء الباهر ، وقد كنت طويت عنهم ماأنا عارفه ، فصرت أضحك منهم وأناأقول ممازحا ، انكل ذلك ببركتي ، فيقولون حقا ، وهم يحسبون بركة كونى من المرابطين ، وأنا اقصد ماأقصد •

ثم بعد حقبة رجعت أيضا الى تارودانت ، فخفت أنيرانى بعض اصحابه فيذكرنى له ، ويعاتبنى على ترك زيارته ، فاستأذنت عليه ، فوجدت عندهمحمد ندبوهوش صاحب القائد المدنى ، ورسوله الشهير الى الدوائر المخزنية دائما وقدمدله من عند القائد المدنى صرة اخال أن فيها عنبرا ، وبعض كسا من السودان، ثم بعد خروجه ولجالمراقب فى تارودانت فاذابهأعرفه قبلويعرفنى فجعل يسألنى عن أخبار تلك القبائل ، وأنا أقول لهمااعرف ، والحاج حماد جالسيسمع ثمقالل ماعندكعن القائد المدنى ؟ فقلت لهانني الآن لاجديد عندى عنه ،ثم قلتانخبره الجديد ربما يوجد عند الباشا سيدى الحاج حماد صديقه الذى يكاتبه دائما ـ كلمة جرت منغيرشعور على لسانى ، ولاأقصدبها الا استعظام مقام الحاجحماد ، وأنه كبيرمعتنعارفبكلشيء ـ فجدحه المراقب بنظرشزر ، فالتفت الى الحاج حماد ، فقال أأناصديق القائد المدنى ، ومن يكاتبه دائما ؟ فقلت له نعم ، وقد رأيت غبرة تكسو وجهه مفاجأة ، وقدشعرت بماألمبه من الكلمة الاولى ، ولكن لايمكن لى الا الاسترسال فى حديثى فسكت المراقب مليا ثمغيرموضوع الحديث سويعة ، ثمقام مودعا ، فخرج معه الحاج حماد ليشيعه فابتدر الى انسان من تيبيوت من حاشية الحاج حماد ، ولكنهفى الحقيقة عين عليه للتيبيوتى ، فقال لى بكل بشاشة ، قد والله رميت الباشا

بقنبرة عظيمة ان تفرقعت لاتبقى منه ولاتذر ، فبعد هنيهة سمعنا أنـا وذلـك التيبيوتي الحاج حماد مال الى شيوخ من الجبل عنده في الدار بالخصام والصياح والصراخ العالي ، فامر بهم الى السجن ، وهو يتلظى غضبا ، فقال لي التيبيوتي هؤلاء المساكين ماأجرموا ولافعلوا ماينكلون به ، وانما أصابتهم شرارة من النار التي تركتها في صدر هذا الانسان تتلظى ، قال فادركت أن قعودي بعد هناك مما لايسر فانسللت من داره مبتدرا ، فخرجت في الحين من (تارودانت)

من أخلاقه

تلك بعض أحوال الاخ رحمه الله ، ونبذة صغيرةجدا تبين للقارىء نفسيته وكيف هو ، ولايحسبن القارىء انني ازخرف عنه ، بل كان الحديث من لسانه أطرى وأندى واكثر زخرفة ورونقا وبهجة ممابقلمي ، وكانت أحاديثـه اذا نشط للمحادثة ، كسلك من اسلاك التليفون تحسبه منقطعا عند كل خشبة ، ولنكه لايلبث ان يدفع بك الى بقية أعجب وآنق ، والذى يعجبني من حديثه انه يتحرى فيه الصدق ، ويقول بكل شجاعة ماصدر منه ، وان كانت نقيصة في نفس الامر ، وقد رأيت كيف أنه يمالىء امثال التيبيوتي ، والحاج حماد وأمثالهما أحيانا مع أنهم من اركان الاحتلال ، ومن الاعداء الالداء للمجاهـديـن اذذاك ثم كان دليلا لفرقة من جيش الاحتلال في جزولة ، غيرأنه تاب من ذلك ، وتراجع في الايام التي تلي هذه ، وذلك ان حاله أخيرا احسن في كل ناحية ، فصار يشمئز مماتقدم له ، بعد ان نفض منه يده وتاب منه ، بل صار كانه يحيا حياة أخرى ، وانمايندفع الى التحدث عمامضى له ، فيزجي الوقت بتذكره ، ثم لاعليه أن يذكر كل مايحيط به

وقدكان رحمه الله ممن أسعده الحظ ، فجعل البركة في ذات يده مـع قلته ، فماكان يتوقف على أحد في السلف ولافي غيره ، وذلك بالقناعة ، خصوصا قرب وفاته ، فقد شاهدت منه عجبا ، وقدمر في ترجمة الاخ سيدي محمد ان هذا كان أيضا ممن يتجر في السكر الذي تنفذه الحكومة لمن شاءت قبل الاحتلال ـ وذلك مما أثار حول المترجم ايضا ماثار بين قبائل تلك الجهة التي تنضوي تحت ضبن ءال الهيبة ـ فأعانه ذلك بعض اعانة على ضنك الغوفقره ، ولكونه يستعين بذلك في معاشه غبطه أناس كما حسده اءخرون ، ولووجد الفريقان ماوجد لما نبسوا بكلمة في جانبه

وكان محببا اليه أن يتعرف لكل أحد كيفما كان ، وأن يبحث عن الاخبار وعن فلان من هو ، وما وقع له ، فقلما يتلقى بانسان الا واتصل به من هذه الناحية ويوعى مايسمعه في ذاكرته القوية الاستحضار ، ولاأزال اعض على كفي ندما ، حين فرطت ولم أكتب عنه الاحاديث التي أسمعها منه كثيرا ، وقد قال لي يوما ، كنت بمراكش فتلاقيت مع القائد العربي الضارضوري فسرعان ما التحم ما

بيننا ، حين تعرفت اليه ، فذكر ان الشيخ الوالد هو الذى وقف حتى راجعوا دراهم مرة بعدجلاء كانوا فيه ، ثمحكى عنهذا القائد مالو جمعلكان جـزءا ، وكذلك عمن حدثه عن القائد حيدة باخبار غريبة لاتعرف عندكل الناس ،وكذلك القائد الحاج محمد الاغبالويى الماسى فانه لاقاه مرة ، فاستقى منه أخبارا عن حياته الطويلة ، وكذلك القائد محمد بن ابراهيم التيبيوتى ، فانه كان يعرف عنه كثيرا ، وقدحكى له عن نفسه وأهله مالوجمع لكان أيضا جزءا، وكذلـك الجشتيميون ، وكذلك ءال الحاجعبلا اوبيهى الحاحى ، والحاصل انه كانغريبا فى هذه الناحية ، وكثيرا ما يقوللى : اننى أعجب منك كيف أمكنك أنتحصل مايزعمالناس أنه عندك من المعلومات ، مع ضعف ذاكرتك ، هذا الضعفالمتناهى فأقول لهانالمعلومات الضعيفة التى عندى لاتحتاج الىذاكرة ، ولوكان أخوك ذاذاكرة لكان حقا عالما كما ينبغى أنيكون العلماء ، ولكنه قانع بالقسمة،وهل يدركالعلمالابلسان سؤول ، وقلب عقول كما قال ابن عباس ٠ ؟ وغالب مالم اذكره هنا ذكرته فى جزء من (افواه الرجال)

وقد كان شغف تعرفه بكل احد هو الذى عقد التعرف بينه وبينمراقبين عسكريين فىمركز (ايغرم) فحين سمع انالحكومة قدعزمت علىاحتلال هذه الناحية ، طلب منأحدهم هناك أن لاتمس الطياراتالغ بقنابرها فكان ذلك سبب أن تخطته ، معان كثيرا من القبائل قدكان لها نصيب منها ، ثمكانهذا التعرفالىرجال الحكومة هو الذى يسرله أنكان رديفالاخ فى رياسةالمرابطين ولكن ذلك لم يعره التفاتا ، بل أقبل على ربه منذ الاحتلال اقبالا غريبا جدا حتىقلت له قبل وفاته بنحو ـ١٢ـ يوما اننى لوكنت أخبرت بمارايته منك من الرجوع الى الله ، لما صدقتبه ، وقد حداه الى هذا الانزواء مرض كان يعتريه قديمامن صغره ، حتى انه زاول عمل العشبة سنة ١٣٢٨هـ ونحنصغار نقرأ فى (افريان) بهشتوكة ، وقد اعتراه أيضا مرض شديد سنة ١٣٣٦ هـ ثمراجعه بعد الاربعين ، وهواذذاكفى (تادلة) عند الشيخ سيدى ابراهيم بن البصير ، ثم أبل منه بعدان لاقى منه شدة ، ثمعاوده أيضا سنة ١٣٥٣ هـ بعد سنة الاحتلال ، فكان هذا المرض شغله الشاغل ، فصار يختلف الى الاطبــاء فى (اكادير) ماشاء الله ، وقد صرحوا له أنداءه عياء ، لكونه مرض الطحــال وقدغادره ذلك المرض ضيق العطن ، حرجالنفس ، لايحتمل قلبه أدنى ثقل فكأن وعكات هذا المرض العضال هى التى ردت وجهته الى ربه، وله بعض ذلك منذ ١٣٣١هـ من صحبته سيدى سعيد التانانى حين يماسيه ويصابحه فىوسط الدار ، بعد اناقترن بشقيقته ، فكان يؤدى صلواته ، ولايفرط فيها أولا ، ولايخرجها عن الوقت غالبا ، ثمبعدذلك حافظ ايضا على الاوقات محافظةتامة، وعلى هذه الحالة وجدته اخيرا ، وله أوراد يذكرها ، ولكنه لايزال فىأولذلك العهد يهبمع كلريح ، ويجرى مع كل حلبة ، ويتطلع من كل ثنية ، حتى اذا

أراد الله به أن يجتبيه وأن يختاره لما عنده ، ويفضل عليه من بركة من درج بين ظهرانيهم من أهل التقوى ، مال به اثناء هذا المرض المذكور ، فاقبل على ربه بالكلية ، وكره بطبعه كل ماسوى ذلك ، ففتح عليه فتحا غريبا فى ذوق التوحيد قل مايوتى نظيره الا الاخصاء الاصفياء

صفاء عقيدته

جالسته يوما قبل وفاته ونحن نشرب الاتاى فى يوم شديد الحرارة فى دهليز مدخل داره ، وقد نشط واسترد بعض قوة من صحته ، فتناول كناشا فيه قصائد مختلفة من القصائد التى ينشدها المسمعون من الفقراء فى حلقات أذكارهم ، وفيها بين قصائد نبوية غلو شديد فى الاستغاثة ، مما لايقبله الموحدون ، فالتفت الى وقال عجبا ، أو يجوز طلب أى شىء فى الغيب من غير الله أيا كان ؟ فقلت له وقصدى ان أسبر غوره من هذه الناحية ، وماذا يتراءى لك أنت فى ذلك ؟ فقال ان الذى يتراءى لى أن مثل ذلك لايجوز البتة ، وهل يملك غير الله مايطلبه أجنبى منه ؟ وهب المستغاث به هو النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو لايتعدى مقام العبودية ، ولا اخال ان الصحابة كانوا يطلبون منه ما يطلبه أمثال من يقولون هذه القصائد ، فالذى يظهر لى ان العبودية لله معناها الاخلاص اليه فى الطلب حتى لايطلب من غيره الا اذا كان هناك ما يجعله الله فى يد العبد من الامور الدنيوية والاعانة فيها ، اوالارشاد والتعليم فى الامور الاخرى ، وأما أن يتطلب من العبد أمر غيبى لايملكه ولايملك لنفسه أن يتناوله متى شاء فبعيد أن يجوز ولكن أنا انما أقول بحسب ماادرك ، فماذا تقول انت ياعالمنا؟ يقول ذلك وهو يضحك ، فقلت له (الله اكبر) الآن علمت ان الله أرادك لخير ، حيث أراك من افراد الله وحده بالتصريف المطلق ، ومن تخصيصه بقضاء الحاجات ماضل عنه كثير ممن وقعوا فى الافراط والغلو فى جانب الانبياء والاولياء ، حتى أطروهم من حيث لايشعرون على حين انهم يظنون انهم لهم بذلك معظمون ، ثم فاتحته فى شرح ماعندى من ذلك ، وجرى على لسانى الفرق بين التوسل بجاه انسان الى الله ، مع مافيه من الاختلاف بين العلماء فثر لسانى بما للعز الدين بن عبدالسلام ، والسبكى وابن تيمية ، وابن عبدالهادى والشوكانى وغيرهم مما استحضر ، وبين الاستغاثة بمخلوق ، التى لايحوم حولها المخلص فى عبوديته لله ، العارف ماللہ وماللعبد ، فاسهبت فى ذلك حين وجدته منصتا لما أقول، يحسن الاستماع ، ونحن منحدرون الى البستان الذى فى شمالى الزاوية وطالعون ، فمرت لنا عشية طيبة فى هذا الدرس المتشعب ، ابين له ماعندى فى الموضوع ، فوافق منه ذلك ماكان الله أراه اياه تفضلا منه ومنة ، وكثيرا مايقول : ان الفقراء الصادقين لاشياخهم سرعان مايستولى عليهم الغلو والاطراء من حيث لايشعرون ، وربما أداهم ذلك الى اعاجيب ، وحين رآنى مولعا بجمع

اخبار الوالد من الافواه ، كان يقول لى عليك بفلان ، ولاتثق بفلان ، وأن فلانا صادق غير انه ذوغلوغيرمحدود ، فكنت أقول له انك ازاء هؤلاء الفقراء ، لتمثل دور يحيابن معين ازاء الرواة للحديث ، حتى صرت أناديه باسم يحيا بن معين، فسألنى عنه من هو ، فشرحت له ما أعرفه عنه ، وهكذا كانت تمضى ساعاتنا غالبا ، وأنا أنتفع بنظراته التى تستشف ماوراء الطوايا استشفافا غريبا ، وذلك من كثرة ماأكتسبه من التجارب فى مخالطة مختلف الطبقات فى تلك الجهة ، على أن له احيانا فى ذلك الانتقاد مجاوزة للحد ، ولذلك لا اعتمد كل الاعتماد على انتقاده رجلا حتى أجربه بنفسى ، ان توقفت على ذلك ، وأما احاديثه هو ، فاذا كان يحكى عن شىء فانه يتحين الصواب ، ويتحرى الحق ، ويكثر قوله لاادرى ، وأظن ، واشك والغالب على ظنى ، الى مثل هذه الكلمات ، مما يجعل المستمع مرغما يعترف له بالتثبت ويلقى على الانسان احيانا فى وجهه حقيقة يعرفها ، ولو كانت مرة ، على انه ان خرج لسانه عن التحدث المنضبط، وجرى مع صاحبه سيدى الطاهر بن على فى التكلم حول الناس ، فلاتسل عن حملات وتجريحات واقبال وادبار ، وأتذكر أننى عاتبته مرة على هذه الخلة، فقال اطلب الله لى أن يباعدها عنى ، فقد قال لى مرة رجل صالح : اننى وزنت كل أعمالك فوجدتها بخير الاماكان من لسانك فانه كالسنان فى الطعن ٠

صراحته وصدقه و كيف يصف الناس

قد نفعنى الله باحاديثه المنضبطة التى كان لايتكلم معى الا بها ، لانه يعرف أن ورائى قلما يتلقف كل ماسمعه مسمعى ، فعرفت بواسطتها عن كثير من أسر الغ ورجالاتها ماكنت أجهله ، وقد كان ينصف غاية الانصاف أصحاب الفضائل فيشيد بفضيلة كل وبمزيته التى اختص بها، وقد أثنى على أناس فى (الغ) ثناء عطرا ، وأضفى عليهم مناقب خالدة ، مع أننى أعرف أن بعض هؤلاء لو سئلوا عنه ، لما أقروا له بمزية ، ولما أشادوا له بمنقبة (وكل اناء بالذى فيه ينضح)

جالسته مرة فى البستان عشية ، ومعه مجاطى فقير ممن كانوا سابقا يخوضون مع الخائضين فى (الغ) فقال له ان الحق فى القضية الفلانية مع بنى فلان واما أنتم فقد تعديتم ماكان لكم ، وتراميتم على ماليس لكم ظلما وعدوانا، فاطلق فى ذلك لسانه حتى كاد يغضب ، مع أن الناس كلهم لو سئلوا عما يعرفون عنه فى هذه القضية لما قالوا الاعكس ماصرح به هو ، ولكن الحق هو المشيد عنده ، وان كان ضده كثير من الناس ٠ جبلة طبع عليها (لاتبديل لخلق الله) ٠

وقال مرة ان أهل هذه البلاد لهم حقيقة الانحياش الى الديانة ، والقيام

بواجباتها ، وعيبهم الوحيد ـ وكفاهم عيباً ـ انهم قساة (١) القلوب ، فقلماتجد من بينهم من يرق لمسكين اويشفق عليه ، أو يرأف به ، اذا عضه الدهر بنابه، ويكفيك منهم أنهم يقابلون المسكين الضعيف الذى بلغ به الاملاق الى مبلغ شديد فيعيرونه في وجهه بكل وقاحة بحالته هذه على حين أنه يحتاج كل الاحتياج الى أدنى كلمة تضمد جراح فؤاده ، ان لم تكن لقمة تسد ثلمة من بطنه ، ولكن قساوة قلوبهم ماتركتهم يرشحون ، وكان هو يمد يده بما تيسر ، ولكن يحاول أن يخفى ذلك ماامكن ، وقد أخبرنى صاحبه سيدى الطاهر بهذا عنه وأخبرنى آخرون بذلك بعد وفاته ، وكان يقول هيهات قد انطوى سماط الضيافة بالغ، بعد الاستاذ سيدى علي بن عبد الله الاماكان من ولده سيدى المدنى وحده ، فهو يقوم بما قدر عليه من ذلك ، غير ملوم على مالم يقدر عليه ، ويقول فى صنوه الاستاذ سيدى الطاهر كاد يكون امجد الصالحين وأجلهم واعلمهم لو تيسر له ان يجول ، وأن يستتم دراسته ، ويقول فى الرئيس احمد بن ابراهيم الايغشانى مارايت فى هذه الجهات من يعرف أن يجالس غيره مثله ، فلايمدرجله ولايعلى صوته فى وجهه ، ولا يجبهه بما يجرح عاطفته ، وكثيرا ماأراه فاحسبه ممن جالوا وخالطوا المتهذبين من أهل الحضر ، وكان يقول : ان اللطف والمروءة ونبذ التظاهر بالجشع وبالتكالب على الطمع انفرد بها الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد الافرانى فلايمارى من معه ولايشاريه ولايجادله ولايعاتبه ، ولايعرف عنه مايعرف عن أمثاله مع اصحابهم وخدمهم ، وكان يقول : لو اعرض عما يتوصل به وراء القضايا اوترك المغالاة على الاقل ، لكان كالثوب النقى لاتجد منه نقطة تخالف لون الثوب ، فكنت أقول له ان مايتوصل به هو وغيره ، يجعلون له مستندا ، وقد تكلم الناس فى ذلك ، وليس فى المرتبة التى تظنها فيقول ولكن أمثال سيدى الطاهر العظيم فى اعين الناس بعلمه ودينه ومروءته لواعرض عن ذلك ترفعا ، لكان له مقام آخر أعظم ، فقلت له ينبغى لك أن تعذر الناس ، وأن تحمل اعمال أمثال سيدى الطاهر على محامل حسنة فنتحاج حول ذلك حينا ، وهكذا يذكر لكل واحد ماله من الخصال المحمودة، ولاجرم أنه يعرف أضداد هذه المناقب عن هؤلاء وامثالهم ، كمايعرف هذه ولكنه لم تشغله السيئات حتى ينسى الحسنات ، ومجمل مانختم به ماذكرناه عن صاحب الترجمة أن له ذاكرة غريبة ، كعدسة المصور ، لاينمحى ماارتسم فيها بمرور السنوات ، مع شغفه بوزن ذلك كله بميزانه الخاص ، فكثيرا ما نظل ونبيت، وهو يسرد على مماشاهده أوسمعه مما لوجمع كله لكان مذكرات قيمة، فقد ابتدأت تقييد بعض ذلك عنه فيما يتعلق ببعض النواحى، ومقصودى أن أجمع أطراف ماأسمعه عنه ، ثم بعد أن كتبت عنه ماكتبت فى كتاب (من أفواه

---

١) كان سيدى أحمد الفقيه الركنى يصف الالغيين أيضا بذلك وصفا شاملا حتى من أوى اليهم فى (الغ)

الرجال) عن اوليات حياته ، شغلني عنه جمع مواد هذا التاريخ الذى هوايضا من اشاراته ، وتلك نبذة من أحواله رحمه الله، وأنا موجز وان كان يتراءى للقارىء أنني مسهب، وما قصدى الان أظهره مااستطعت كما كان ، فلا أخفى ناقصة، ولا أموه بمكرمة •

مرضه الذي قضى به نحبه والصلاة عليه واقباره

غادرت فيه تلك الادواء التى مرت به ضعفا كثيرا فى مفاصله ، وضيقا فى شهوته ، حتى لايقدر أن يتناول الا اشياء مخصوصة ، مما طهى له فى داره طهوا خاصا ، فلا يتناول من غيره لقمة الا أضرت به ، وقد تأثر مزاجه حتى لايقبل اكل الحلويات ، مع أنه يشتهيها ، وكانت البحة ميزان صحته ، فمتى صح زالت ، ومتى ألمت به علم ان الداء يدب اليه من جديد ، وكثيرا مايلم به مرضه اذا أصابه غم مزعج ، وهم موثر ، أوسمع مالايريد ، فكان يحافظ على صحته بالتباعد عما يؤثر فيها ، فكثيرا ماقام عن مجلس ابتدىء فيه حديث خاف من التاثر بما فيه

وفى عشية السبت -٣- من جمادى الاولى ١٣٥٦هـ لبى دعوة الرئيس على ابن أحمد الايغشانى ، هو والاخ الاكبر سيدى محمد ، والفقيه سيدى الحسن العفيانى التزنيتى ، صهر أخينا هذا ، فحمل بين يديه ووراءه فلذتى كبده الصبيين الطيبين الحسن وعبدالسلام ، ليزيرهما اخوالهما هؤلاء الايغشانيين لان زوجته هى خديجة بنت الرئيس الحاج ابراهيم الشهير ، وفى الصباح رجع الاخ سيدى محمد وصهره ، وبقى هوهناك معتذرا بحرارة الشمس الى العشى، فراح فلاقيته عند ضريح الوالد بين العشائين ، وقد خطرت فيه البحة ، والفتور يدب الى أعضائه ، فبتنا الليل ، ومانظن الا ان ذلك بعض مايلم به دائما ثم يزول فى الحين ويتعافى منه عن قرب ، وفى الصباح ودعنا الفقيه المذكور الى تزنيت ، ذهب به الاخ ليوصله بسيارته ، فذهبت الى صاحب الترجمة فى داره، فوجدته مستندا ، فقال انى تقايأت دما عبيطا كثيرا ، وكذلك خرج الدم مع الفضلة ، ثم توالى عليه ذلك ، وقد انكف عن الطعام ، والعطش مستول عليه ، فيتطلب الشرب فى كل وقت ولكنه لايزداد بالشرب الا ظما ، وكل ماشربه يقيئه فى الحين ممزوجا بالدم العبيط ، فبقى كذلك الى يوم الاربعاء ، وقد انهكه مافيه، واستنزف دمه ، حتى لم يطق بعد أن يقف على رجليه ، فتلقينا ما يصادمنا من أجله بالاحتساب عندالله ، ثم جاء أخو زوجه عبد المومن الايغشانى ، فصار هو وأحمد بن محمد بن بلقاسم السليمانى يمرضانه ، فلازماه ليل نهار ، وقاسيا من ذلك ما جعلهما فى عينى من صبر الرجال ، ثم أصبح يوم الجمعة ، وقد استولى عليه الاغماء ، فثارت زوجته ، وظننت أن الواقعة قد وقعت ، ثم تنبه ، وفى يوم السبت كنت عنده ، فصادفته فى بعض راحة ، فبقيت معه فى تكلم ساعة طويلة،

والقيت اليهماوصلني منأخبار سارة (١)، وصلتنى فـي الحمراء هـي التـي اغاثنى الله بها حتى تماسكت كبدى ، ولم تنفطر من الصدمة هذه ، فخرجت وأنامسرور بهذه الراحة التي شهدتها منه ، وانكنت أنا والاخ الاكبر ، تتكلم مفردين ، فاستبعدنا نجاته مما وقع فيه هذه المرة ، بامارات وقفنا عليها ، وفى صباح يوم الاحد، جاء الى عبدالمومن ، فقال انه القى اليوم دما متجمداكثيراجدا، فاسرعت اليه ، فوجدته فى حالة أخرى ، غيرأنصبابة من التمييز لاتزال معه، فصرفت منحضر ، فطلبت منه أنيبين ديونه ، وأن يوصى ، فان فى الوصيـة على كل حال خيرا ، فدلنى على بعض أمور تتعلق بشؤونه الخاصة ، وذلك عند التاسعةصباحا ، فرجعت الىمحلى وقدتركت الاخ الاكبر ، وسيدى المحفـوظ الايفشانى ، وبعد ساعة ، جاء من اخبرنى ان المتوقع واقع ، وأنه قضى نحبه، وذلك فى العاشرةونصف ، فذهبت مغذا مسرعا فوجـدت الاخ الاكبر لايحبس دموعه ازاءه ، وقد غلب على حاله ، معأنه الطود المشهور فى التجلـد ، فصرت اصبره ، وأنا أحبس ما اجد ، وطرفى يجول فى جسد اخى العزيز المسجـى أمامى جثة هامدة ، كأنه لم يتحرك قط فيما مضى ، وقد كان قاللى منذ يوم ،ان الذى ألاقيه وأقاسيه افضل عليه ملاقاة الموت ، ومن العجب انهكان يكثر ذكر الموت ، منذشهور ، حتى اننى كنت كتبت فى ذلك الكتاب الذى قيدتفيه عنه ماقيدت ، أنهيكثرالكلام حول الموت حتى ان العاقل ليدرك من ذلك قرب اجله

كتبت ذلك قبل موته بشهور ، وقبل موته باثنى عشر يوما ، صاريسرد على قصيدة شلحية ، ونحن طالعون من البستان عشية ، وفيها ذكر مايلاقيه الانسان فى حالة الاحتضار ، وكأن الرجل يتهيا لماصار اليه اليوم منحـيـث لايشعر ، وقد حافظ فىمرضه على صلاته وورده الى عشية السبت ، وقدصلى المغرب ، وذكرورده ، فغلب بعدذلك بمااسترسل عليه من الفواق الشديد الى أنأسلم الروح •

جاء الاستاذ سيدى المدنى ، وطلبة المدرسة الالفية ، والاستاذ سيدى أحمد اليزيدى ، وطلبة المدرسة الوفقاوية ، فاجتمعوا عند الظهر ، وقد غسله العم بلقاسم ، ومؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد التانانى الذى كان غسل الشيخ الوالد قبل ، فتقدم الاستاذ سيدى عبدالله بن محمد فصلى عليه ، فحمل الىقبره الذى حفر عند رجلى الوالد ، فوقفت على شفير القبر حتى القيت على الاخالعزيزالنظرة الاخيرة فقلت له الى الملتقى فى الجنة ان شاء الله

ذلك أحد التسعة من الذكور الذين خلفهم الوالد ، وهاهوذا الموت قدافتتح بهذا ، فليت شعرى من يثنى به منا ، فيارب أنت وحدك المامول فى كلتاالحالتين

---

١)رسالة جاءتنى عن الاجتماع الواقع فى دار الباشا الكلاوى ، وقد تقررفيه أنأرجع الى محلى بمراكش ، وهى بارقة لم تتم

اللهم لامانع لما اعطيت ، ولامعطي لما منعت ، اللهم عليك تكلاننا وحدك فى هذه الدار ، وفى تلك الدار ، اللهم أحينا ماكانت الحياة خيرالنا ، وأمتنا ماكلن الموت خيرا لنا ، مومنين غير مفتونين ، بحقك ياذا الجلال والاكرام ، ياحى ياقيوم ، ونستودعك الشهادة الى ان توفقنا عليها يوم نتوقف عليهابفضلك

واعقب رحمه الله ثلاثة أولاد صغار، الحسن وعبدالسلام ، وعبد الوهاب انبتهم الله نباتا حسنا ، ثم أن أدباء الغ جزاهم الله خيرا ، قد رثوه بمراث كثيرة ، قد استوعبناها كلها فى الكتاب الذى نجز قبل هذا ، وهو الجزء الاول من كتاب (الالغيات) فلانحتاج الى اعادتها هنا ، فنكتفى بمطالعها ٠

قال الاستاذ سيدى المدنى بن على عميد المدرسة الالغية :

هوى النجم نجم‌السعد من‌افق‌المجد   فانفسنا طرا تذوب من الوجد

وقال صنوه سيدى الطاهر بن على استاذ المدرسة الايغشانية

هوالدهرفاصبر للذى صنع‌الدهر   وان فتكت بنا حوادثه النكر

وقال أخوهما سيدى حمد بن على ، وألقاهافى‌وقت‌الدفن ، وهوصنوالمتقدمين:

متى تتعظ ان لم تعظك منية   تمن بسيفها المحدد منية

وقال أخوهما سيدى الحسن بن على ، وهو أيضا من السابقين فى حلبته الى كل مجد يؤثل :

فؤادى حزين ودمعى يسيل   لفقد حبيب كريم اصيل

وقال الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم ابن عمنا لحا :

هل الدهر الا هكذا ليس يرعوى   يبيد ويفنى دائما كل ذى فخر

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليمانى ابن عمنا :

فصبرا يابنى الاخوال صبرا   لوقع الدهر حين أتى النذير

وقال الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى ابن عمنا

ألم بنا خطب شجانى باحزان   وقوض فى‌الاحشاء أطناب سلوانى

وقال الاديب سيدى احمد بن زكريا البعمرانى ، من‌نجباء‌المدرسة الالغية

خطب ألم فاضنانى وأنحلنى   ومر بين أذاقنى فأذهلنى

وقال الاديب سيدى أحمد بن الحسن البنائى الايغشانى

قضى نحبه السيد المرتضى   كذا المجد نحبا قضى وانقضى

هكذا قال الادباء الالغيون ، ولم أقل أنا قافية واحدة ، وقد وجه‌الى‌تانيب غيرقليل من‌بعضهم ، فقلت لهم ان ماأجده من الاسى الشديد على الاخ رحمه‌الله ليست عندى معه شاعرية تقدر أن تصور عشر معشاره ، ولكن ان‌فاته منى الشعر وخياله ، فليكونن منى له نثر ممتد ، تجلى فيه الحقائق الناصعة ، لم لادرى بعدأن‌كتبت هذه الترجمة التى أعلم ـ فيما بينى وبين نفسى أنها دون

مقامه ـ هل وفيت بما وعدت به اولايزال على ذلك دينا ، ولكنني بذلت الجهد، مع تحرى الحقائق ، فما على باذل الجهد من ملام ، ولايكلف الله نفسا الاوسعها أسكننا واياه الله في الفردوس ، وغفر لنا جميعا بفضله ومنه ٠

حكم من مقيداته

كان الاخ أحمد رحمه الله مولعا بتقييد مايعجبه في كنانيش صغار، وقفنا عليها في خزانته ، وهي مابين طبية وحكم وابيات ، فلنختر من الابيات التـي وقعناعليها فيذلك ، ليدل ذلك على نفسيته ، وعلى أنه وانحرم الطلب والتعلم الحسن، لميحرم حب الاستفادة ، وكثير من المتعلمين لاتجد فيهم ذلك الاعتناء فمن ذلك :

لا تمزحن مع الصديق فربما ... جلب العداوة في الصديق مزاح

ومـن ذلـك :

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى ... اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ومـن ذلـك :

افكر يوما كان فيه فراقكم ... اذا بدموع العين تجرى على الخد

فوالله ما فارقتكم بارادتـــي ... ولكن حكم الله يجرى على العبد

ومـن ذلـك :

اذا ضاق صدر المرء عنكتم سره ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

ومـن ذلـك :

اذا شئت أن تحيا سعيدا مسلما ... فميز ودبر ما تقول وتفعل

ومـن ذلـك

لاتزدر بالناس قبل خبرتهـم ... فانظر الىالفعل لاتنظر الى الجسد

ومـن ذلـك :

لاتحقرن ضعيفا في تقلبـه ... ان البعوضة تدمى مقلة الاسد

وللشرارة قل حين تبصرهـا ... وربما أضرمت نارا على بلد

ومـن ذلـك :

لاتسلكن طريقا لست تعرفه ... حتى يكـون دليل يعرف السبلا

لاتـخرجـن كـلامـا لاتـدبره ... حتى تشاور فيه الراى والعقلا

لاتصحبـن انـاسا لاتجربهـم ... فالوغد ليس يبالى كل ما فعلا

ومـن ذلـك

يمر الصباح ويأتـى المساء ... ومـا بين هذين يجرى القضاء

هذا ما انتقيناه منذلك ، وفيه أبيات اخرى مشهورة لانطيل بها، ولاريب اناعتناء مثله بمثل هذا مما يدل على تشوف الى المعالى من هذه الناحية الاخرى، فرحمه الله رحمة واسعة ٠

ثم انني اكتب الآن بعد عشرين سنة أن اولاده قد أدركوا كلهم تـحـت صيانة أعمامهم ، فاما عبد السلام ، فقد نال الشهادة العالمية ، فصار مدرسا في (معهد) تارودانت ، واما الحسن فانه بعد أن توقف في الشهادة الثانوية، قد نجح في مباراة التعليم الرسمي، فهاهو ذاأستاذ فياحدى المدارس الابتدائية وسنترجم لهما ، لانهما على شرطنا، وسيجد هما القارىءانشاء الله في هذاالجزء نفسه في (الفصل الثاني) ، وأما عبد الوهاب أصغرهم ، فانه الآن العامرلدارهم في الغ ، شاب لبق، قدعادخلقه الآن متزنا ، ويعرف ماياتي وما يذر ، وهومكب علىعمله ، ولم يرزق استمام تعليمه ، وقد تزوج وولد له ولد ، أعانه الله على حياةالغ الشاقة ، واعطاه صبر ايوب ، وتدبير النملة لرزقه



عبد الرحمن بن محمد الصالحي

١٢٩٩ هـ = ٢٧ـ١٠ـ١٣٥٩ هـ

...ooo...

نسبه :

عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

صاحب صنوه الاتي سيدي عبد الله بن محمد استاذنا الكبير في مآخذه فكان معه في المكتب في مسجد الزاوية ، عند سيدي سعيد بن عبد المومن ، ثم في (تاوييت) كما ستراه في الترجمة الآتية لاخيه ، ثم في الاخصاص عند سيدي محمد بن الحسن الماسي ، ثم افتتحا المبادىء معا في المدرسة الالغية ، فالمدرسة الايغشانية ، ثم لما شدوا تقدم الاستاذ سيدي عبد الله الى الامام ، وتاخر عنه صنوه هذا ،ومازال الاستاذ في الترقى الى ان كان من بين من جلوا في الميدان، وصنوه هذا مازال يفرط في تتمة ماخذه ، حتى كان لايعد من العلماء الالغيين، وان كان اذا اجتمع مع العلماء في محافلهم الحافلة اذذاك من خير من يستمع ، فيعرف كل مايجولون فيه ، ولكن ليس له من المقدرة مايدخل به في ميدان المباحثة معهم ، فهو في درجة العم ابراهيم في هذه الناحية وان كان للعلم عليه شفوف في النواحي التي رأيتها في ترجمته

ذلك غير أن له أخلاقا ومحافظة على دينه ، واقامة ذلك في أهله خير قيام ، فقد حدثني جيرانه بما أغبطه عليه ، وأتمنى أن لوكنت في سعادته ، وفي حفظه لاوقات ربه ،فانه في رمضان يجمع اليه أهله فيفسر لهم الحديث،وهم مستديرون به ، وفي الليل يصطفون وراءه للتراويح ، وقل من يفعل هذا من أهالينا اليوم بأهله ، بل لاأعلم من يفعل ذلك على هذه الكيفية ، هذا الى مسكنة ومعرفة لقدر نفسه ، ولكنه مع ذلك طلعة يلتقط الانباء حتى سمعت من قال انه أول من يسبق اليه كل خبر جديد بالغ ، ثم منه ينتشر ، هكذا حدثت ، فدل ذلك على نباهة وحصافة ، لانه لايعطى هذه المكانة الا حياء النفوس ، والنفس اذا كانت حية تتطلع دائما للجديد فيعيش صاحبها حياة انسانية عامة ، وهل يحيا من ليست له نفس طلعة ؟ وكان يلقب (مرحبا) لانه اول مايسمع منه كلما لاقى ضيفا ، وان كان ثوى ابى الحسن الاستاذ الكبير هو محل اضيافه ايضا غالبا

وليس له اليوم من الاولاد الا البنات ، وهو الذى مات له ذلك البني النجيب الذى حفظ القرءان والمتون ، ونجب فيما دون ثلاث عشرة سنة ، وقد ذكره الاستاذ

علي بن عبدالله في قصيدته البائية التي رثى بها من انقرضوا في وباء ١٣٣٦هـ وقد تقدمت في ترجمة سيدي الحسين بن ابراهيم ابن الحاج عبدالله بن صالح

وعهدي بصاحب الترجمة يقوم على رؤوس العلماء اذا كانوا في دارنا عندالوالد وأنا صغير ، وكان الوالد يستخدمه في ذلك ، لانه ابن أخته ، ولانه أصغر القوم ، وله الى الان كمية كبيرة من المشاركة حفظه الله ووفقه للخير ، (ثم انه توفي بعد مرض قرب عصر الاربعاء -٢٧-١٠-١٣٥٩ هـ ثم تلته بعد أيام قرينته ، ولم يذرا الا ثلاث بنات رحمهما الله)

ومن أكبر ماينبغي أن يخلد للمترجم سعة اخلاقه ، وتعاليه عن المخاصمات فلم يعهد منه أنه خاصم ، ومن عرف بيئتنا في الغ ، يعرف أنها مزية له وحده لايشاركه فيها .

وبمناسبة ترجمته هذه أحكي مستطرفة ، فقد كان المترجم في ركب فيه سيدي صالح بن احمد ، وأستاذنا سيدي عبدالله بن محمد ، وغيرهما ، وقد جاءوا من سملالة الى الغ ، في السنة الماضية ١٣٥٦هـ وقد عزوا في الفقيه سيدي سعيد الاعضياوي ، فجرى ذكر هذا التاريخ الذي ابتدأت فيه اذذاك وقد شاعت أخباره عند الالغيين ، فقال قائل لسيدي عبد الرحمان تهيأ أنت أيضا ليترجم لك فلان، يعني القائل لذلك الاستهانة بصاحب الترجمة ، كأنه خال من جميع المزايا التي تعتبر فيمن يسلكون في سلك رجال التاريخ ، اويعني القائل -والله أعلم- الاستهانة بتأليف هذا الكتاب الذي نؤدي به واجبنا نحو الالغيين ، وايا كان فهذا سيدي عبد الرحمن بن محمد قدترجم له ، ولوكنت جالسته كثيرا ، وقيدت عنه من منشداته التي يحفظها كثيرا ، أوقيدت من الاخبار التي يوعيها في صدره - كما قيدت عن آخرين ربما كانوا دونه بكثير - لطالت ترجمته ، ولكن ماقدر له هوهذا ، وهذا قلمي يؤدي الواجب نحوه كصلة للرحم ، لانه ابن عمتنا مريم التي توفيت بعده بكثير ، وقدكنت رثيتها بهذه القطعة يوم اقبرت في ذي الحجة ١٣٦٢ هـ فقد كتبت الى اخي المترجم شيخنا عبد الله بن محمد والى صنوه الاديب محمد بن علي :

سبق القضاء بما يكون فكانا ... ماذا تفيد وان تذب احزانا ؟
حال الزمان كذاك ليس بحائل ... عما تعود كائنا ماكانا
خطب جسيم طم الغ جميعه ... لم يبق لاقمما ولا غيطانا
هذا الزمان وتلك غاي حياته ... كم آذنت بخطوبها ايذانا
أوما ترى استهلالة المولود في ... فجر الحياة أما كفت عنوانا ؟
من ذا يسر بذي الحياة وانها ... مثل السراب بقيعة لمعانا ؟
تبدي السرور لكي تغر اذابها ... تلقي عليك من الاسى الوانا
ان الحياة هي الخيال بعينه ... لاكان مغرور بها لاكانا

من دان للدنيا وزور حياتها | أيخاله لسوى الفقاقع دانا ؟
كم من مليك عز في سلطانه | أمسى ولا عـز ولا سلطانا
أو عالم يسقى الورى ببيانه | كاسا سقاه حمامــه كيسانا
البس من الوان الدمقس ومس كما | يرضى الهوى واسحب به الاردانا
فمدى حياتك أن تجلل يوم ما | يحدوك أهلك للثرى اكفانـا

* * *

أواه انا في الجنائز خشع | حتى تبل الادمـع الاجـفـانا
لـكـننا ان نرتجـع أهواءنا | سرعان ماننسى الاسى سرعانا
عجبا لها من أنفس صماء لا | تندى كان قد خلقت صوانا

* * *

شيخي الامام أبا محمد الذى | قد كان في مقل العلا انسانا
ومن الذى بعلومه وفـهـومه | حلى الزمان فزين الازمـانـا
ومن الذى من علمه أقرانـه | قبسوا فبذوا في العلا أقرانا
الله يعظم أجر سيدنا الهما | م فمملىء بأجوره الميزانـا
قضت المصونة نحبها عن حالة | حلت بها الابصار والآذانـــا
فتراثها من بـعـدها احدوثة | قد عطرت بأريجها الجيرانا
تسعون عاما قضيت أيامـهـا | في متجر أمنت به خسرانا
فالله يرحمها ويفعم فضلـه | مـا بين جنبي رمسها غفرانا
فهو الكريم وهل يخيب نزيل من | يغدو الجدا من كفه هتانا ؟
وليهنها في قبرها ان خلفت | شمسا وبدرا زينا الاكوانـا
شيخي الامام وصنوه من يجتني | منه القريض قصائدا أفنانـــا
داما لنا قطبين للآداب مـــا | قالا بيانا منسيا سحـبـانا
فعليهما مـنى سلام طـيـب | كالزهر يصبح بالندى ريانا

محمد بن عبد الله بن محمد الصالحي

ليلة ١٧ـ١٢ـ١٣٢٣ هـ = سحر ١٣ـ٨ـ١٣٧١ هـ

نسبه :

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن‌صالح بن عبدالله بن صالح ابن‌عبدالله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا أحد نجباء النشء الاخير من الالغيين ، وقد رأيته ممن يجوب في طرقهم الادبية من بعض حكايات تقدمت لنا ، أخذ القرءان بقريته ، ثم لازم والده فهذبه‌وشذبه في المبادىء حتى ظهرت نجابته غاية ، وقد أخذ عن أبيه في المدارس التي يشارط فيها أعوام ١٣٤٠ هـ ، ثم كان ماشاء الله في المدرسة التانكرتية ، عند شيخنا الطاهر وابنه سيدي محمد ، ثم‌اتصل بالاستاذ‌سيدي محمد بن‌أحمد ابن الحاج صالح في دار القائد سعيد التيكزيريني با‌ٓيت أمر‌من حاحة عند اخوتنا هناك ، فاخذ وازداد ، وفي سنة ١٣٤٨ هـ أوفي السنة التي بعدها كان‌معنا بمراكش ، فكنت أرى له نجابة تؤهل منه للمستقبل أن يكون ابن‌أبيه ، ولكنه لم‌يتيسر‌له‌ذلك ، فالتحق ببعض اناس هناك، كخادم أو معلم، ثم راجع أهله ماشاء الله ، ثم‌ذهب أيضا مغاضبا لبعض اهله ، وقلما يصبر الشباب حتى تمخض الاوطاب . وقد كان حينا في آيت‌صواب عند سيدي الحاج الحبيب ـ فيما سمعت ـ

ومن آثاره رسالة وقفت عليها ، كتبها لبعض الالغيين ، بعد أن عول على أن يكيل تراب‌الارض بالقدم ، وأن يجول في أرض الله الواسعة ، وهي هذه مكتوبة بالنثر المرسل ، وياليت الالغيين الادباء تنبهوا لمحاسن النثر المرسل أيضا ، فيكفوا من غلوائهم في السجع الثقيل : وهذا ماكتب ـملخصاـ

لا عن قلى فارقت موطننا الالغى ولكن من يحيا فلا بد من ملغ

لقد جازيتمونا آل الغ بضد ما نؤمل منكم ، فخالفتم الضابط المعهود الذي فيه أن‌الجزاء من‌جنس العمل ، ولكن ذلك كله من أمور النساء ومتابعتهن ، وقد ذكرتني هذه الواقعة أخرى ، والشيء بالشيء يذكر ، وذلك أن أعرابيا له‌حليلة خاصمته، فتوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فصار يذكر وقاحة زوجته، وما يلاقيه من لسانها ، فانشده ابياتا منها :

«وهن شر غالب لمن غلب»

فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يكرر هذا الشطر ، وتلك لعمرى حكمة بالغة ، والآن اننا ما أسفنا على مافعلتم بناوللهالحمد ، ولمنترك عندكم مـــا يستميل بعض عقولنا سوى شقيقة صغيرة ، ولكن علم الله أننا لم نقدرعلىأن نفعهابشيء ، فلو قدرنا ما فتحت عليها عين هناك ، فان لم يعجبكم الانتميتوها فاميتوها أيها الالغيون ، واما نحن فنشكر الله على أنه هو الواعد برزقالانسان حيثماكان الغ تلك الرسالة التى اودعها كل مايجيش به من الغضب والحنق على أهله بالغ ، ولم أعرف كيف وقع له ٠ ولالمنكتبها ، ولكن الغالب أنه كتبها لبعض أقرانه منأهله ، وانما اختصرنا منها لاننا لاغرض لناالافى عرضانموذج مننثره ، لنسوقه كاثر ٠ وقد وجدنا من هذا القدر مانكتفى به ، وأيضا اننى رايت فى آخرها بعض مالااحب أن ينشر ، ويجب أن يطوى ، وماعودنا أقلامنا الا نشر الحسنات فقط

ثم انه اليوم يذكر لنا فى الحواضر وراء المغرب ،ولاندرى ماالله به فاعل ووالده شيخنا يدعوله بخير ، وقد قالأمامى انني رضيت عنه أينما كان فيه، فهنيئا له برضا والده ، وقدكان أبوه يتمنى لورجع ، لانه ولده على كل حال وقدعلمت بعدما كتبت ماتقدم أنه كان فى (عنابة) بالجزائر ماشاء الله، ثـم تقلبت به الاحوال وضرورات الحياة ، الى أن استقر فى (تونس) سنين ، وقد لاقيته هناك سنة ١٣٦٧ﻫ ثملمينشب آن اعتراه السلال ، فعاقه عنأىعمل ، حتى لميجد الا أن يلتحق بأهله ، فكان ثانيا بين أيديهم فى الغ ، وهناك لحقه أجلهفى داره رحمه الله ، وقدكان فكرهترقى فى الحواضر ، ولكن جاء الاجل الذى لايحترم لافكرا ولاجمودا ، وقدكان لهخط اشبه شيء بخط والده الجميل، وفهمثاقب ،وعقل راجح، وادراك لمحاسن هذا العصر ، فكان بذلك من نجباء الابناء المعتبطين فى ريق شبابهم ، رحمه الله

ومما يتعلق به أنه كتب من (تونس) اومن (الجزائر) رسالة قال فيها مانصه ٠٠٠٠٠٠ هذا فاننى الآن اقدر أنأصرح بان ماكنا فيه ، ولانطيرالا بقوادمه وخوافيه ، ليس من العلم الا كخيال يخطر ببال ، أوكاحلام تلم فىالمنام، والا فأين منهذا التفكير ماكان يستولى علينا ونحن فى البوادى ؟ وأين مانحن فيه فى مدارسنا هناك ، مما نجده الآن فى الحواضر ، فى كل النوادى ؟ هيـهـات فالحق ابلج ، والباطل لجلج ،ومنلم يكن اكمه ولاذاعمى وعمه ، فانه يفرقبين الحالين ، كلما أجال العينين ، فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، ومـاكنالنهتدى لولا أن هدانا الله

النجيب سيدى عبد الحى

ابن عبد الله الصالحي

١٣ـ٦ـ١٣٥٢ هـ = ليلة ١٩ـ٧ـ١٣٧٤ هـ

نسبه :

عبد الحى بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

هذا من نجباء الابناء الالغيين • حفظ القرءان ثم درس على والده الاستاذ الكبير كل الفنون فى المدرسة الايغشانية • حتى شدا وكاد يتفوق • وقد سمعت مرارا بنجابته وبما يوثر عن نباهته ، ولاريب أن الشبل ابن الاسد ، وأنه ابن ذلك العلامة الكبير والعرق نزاع ، قال زهير

وهل ينبت الخطى الا وشيجه ويغرس الا فى منابته النخل

وقال بشار :

وليس الجود منتحلا ولكن على أعراقها تجرى الجياد

وفى اوائل ١٣٧٦هـ بلغنا أنه كان اختلى فى بيت من بيوت المدرسة الايغشانية ، وأدخل معه مجمرا من الفحم موقدا ، فوجد صاحبنا ميتا فى الغد ولاريب أن ذلك بسبب ذلك الجمر ، فذهب مبكيا على نجابته، فما كان الاكزهرة ذوت اثر ما تفتحت ، وثمرة نخلة يبست بمجرد ما تلقحت ، رحمه الله وغفر له

تأبينه

ومن خط أديب الغ سيدى محمد بن على مايلى

(فى اليوم التاسع عشر من رجب الفرد عام ١٣٧٤ هـ توفى عبد الحى السيد البر الحافظ الفطن ، قائد السيادة والمجادة بالرسن ، نجل شيخنا وأخينا البركة ، ميمون السكون والحركة ، العالم العلامة ، اللابس من اردية الفخار أبدع لامة ، سيدى عبدالله ابن الشيخ الاكبر عمنا سيدى محمد بن عبدالله رحمه الله ، وبارك فى خلفه ، ءامين ، وهذا السيد المتوفى كان يقرأ عند أبيه بمدرسة (غشانة) ، ملازما لدروسه ، مشتغلا بما يعنيه ، معجبا بسرد كتب الادب ، حتى كاد يقضى منها الارب ، فعاقه الحمام ، دون التمام ، فلله الامر من قبل ومن بعد ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وذلك أنه يسرد كتاب (الكافى

في علم القوافي) فوجده الطلبة في الصباح صائرا الى رحمة الله فعظم الله أجرنا في مصابه ، بجاهالنبي وأصحابه صلى الله عليه وسلم فرثاه اخونا الاديب ، من لهفي العلوم أوفر نصيب ، سيدى الطاهر بن علي معزيا لوالده واخويه بابيات حسان ، ذكر فيها بعض ما آثره الجمة ، ونص الابيات

رمتنا صروف الدهر بالحادثالنكر ... مصيبة عبد الحي ذالكم البر
اذاب مصابه العظيم حشاشتي ... واودع في الاحشا احر من الجمر
بكتك حمامة الاراك بشجوها ... بدمع يحاكي القطر من شدةالهمر
كذاك دفاتر العلوم باسرها ... بكته كاعوال المحابر والجهر
فان كان عبد الحي خلى مكانه ... فقداعقب الشوق الاليم مدىالدهر
نجيب رأى غير العلوم بطالة ... فأدركها بلا حياء ولاقسر
حسبنا له عشرين عاما وكلها ... قضاها من المجد المؤثل والفخر
فصبرا بني عبد الاله وكلنا ... بنوه ، فكل العالمين الى القبر
فلازال في رحمى من الله ذى العلا ... الى ان يحل الخلد في حلل خضر
بجاه اجل الرسل سيد خلقه ... عليه صلاة الله تترى الى الحشر

كتبها العبد الضعيف عمه محمد بن علي ختم الله لنا بالايمان والاسلام ءامين بجاه النبي الامين في ٢٦ يوما من الشهر المذكور ، ثمانشأ الكاتب شبه تعزية له عملا بقول القائل :

انا نعزيك لا أنا على ثقة ... من البقاء ولكن سنة الدين
فلا المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى وان عاشا الى حين

ولله در القائل

خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

ونص الابيات المذكورة

أمن بعد ما أودى الهمام الذيسما ... علاء وهمة ومجدا على السما
أريد طوال العمر أبغي مسرة ... وأستنشق الزهر المطير تنسما
وكيف وعبد الحي سيف مهند ... فأغمده كف المنون مثلما
وليد أخي عبد الاله وشيخنا ... ومن كان احرى بالعلوم وأعلما
ولست المصاب مفردا بل جميعنا ... مصاب برزء ما أحر واضرما
فمن بعده للدرس والحفظ انه ... عقول فان يسئل أجاب مصمما
لقد طمحت عين الكمال لرشده ... ولكن اصابته فصار مرخما
الا هكذا الدهر الخئون فان اتى ... بشيء يقر العين اتبع صيلما (١)

١) الصيلم الداهية

الا تستحي ياموت لما خلسته يتيمة سمط كان عقدا منظما
خلست خلا لا كالنسيم اذا سرى حياء عفافا فى شباب تكرما
وقد قيل تعتام الكرام وتصطفى عقيلة نذل كان قد ما مدمما (١)
فلله ما اودعتنا من كئابـــة بغير وداع اذ رحلت مكرما
نايت عن الدنيا الدنية مدبرا فاعطيت فى الجنات مأوى وانعما
رضينا بما قد قدر الله انه سياجرنا عن فادح الوقع اعظما
فصبرا أخى صبرا جميلا فانما دواء المصاب الصبر مهما تحتما
فنرجو له الرحمى من الله منة بجاه النبى صلى عليه وسلما

هذا مانفث به الخاطر الكليل من المصدور العليل فى تابيـن هذا السيد الكريم رحمه الله ءامين)



١) من بيت قديم

العلامة المدني بن علي الصالحي

= ١٣١٢ هـ = ١٧-٦-١٣٦٥ هـ =

نسبه :

المدني بن علي بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

هذا هو الثالث من عمد المدرسة الالغية ، بعد والده العلامة سيدي علي بن عبدالله ، وعمه مؤسس المدرسة سيدي محمد بن عبدالله ، وقد رأيت من الرجلين مارأيت ، علوهمة ، وسعة معارف ، وشفوف مقام بين كل من يعرفون لهما ماخصهما الله به ، وهذا ثالثهما توصل بذلك التراث المنفس بعد والده المرحوم ، فحاول بكل مااستطاع أن يواصل الجهود التي يحتاج اليها من يريد القيام بذلك الصالح العام ، وان كان الوقت قد تغير في عصره عما كان عليه الحال في عصر أسلافه ، فقد تبدلت الهمم ، وفترت العزائم وتغيرت النيات وصارت تلك النظرة العليا التي كان ينظر بها الى العالم الديني أمس ، نظرة أخرى لاتحفز الى الشجاعة ، ولاتعين على الاقدام ، فقد جاء احتلال هذه الجهات بعد ١٣٥١هـ بداهية دهياء نزلت على هامات رؤساء المدارس العربية الدينية، وعلى حملة مشاعل الارشاد الى المعارف ، اثر ماأعلن أن جزولة داخلة في حكم الاعراف ، وأنها خارجة عن نطاق الشريعة الاسلامية ، فبينما كان أمس علماء الدين والفقهاء ، ينظر اليهم باكبار واجلال واحترام ، اذابهم اليوم يضطهدون وينبذون ، ويتنكبون كما تتنكب الجربى ، فمال ذلك الاحترام التقليدي المتسلسل في عصور جزولة ازاء علماء الدين ، وقادة الارشاد ، وناشري علوم الاسلام ، الى سفلة رعاع همج يقدمون للادلاء بآرائهم التي ليست بنبع ولاغرب، في مسائل وقضايا كانت دائما من اختصاصات الفقهاء والقضاة والمفتين ، فيالها من ضربة وقعت على نخاع العلم العربي في هذا العصر في جزولة، ايستفتى الرعاة الاجلاف، الاميون الذين مازاولوا قط علما، ولاجالسوا علماء ، ولا عرفوا قانونا ، ولاتلقوا أي درس في مشاكل النوازل ، وقضايا الخصومات، ثم يوخذ برأيهم ويسجل ، ليتكون منه غدا قانون على رغم الانوف يرجع اليه ؟ فمتى كان ياللناس في جزولة عرف يتحاكم اليه الناس، او يتخذ قانونا ؟ أم يظنون أن مارأوه في بعض نواح مغربية ساد عليها الجهل من قديم ، يوجد مثله في بلاد تسلسل فيها القانون الاسلامي ، حتى مازجت الشريعة المحمدية دماء شرايين

سكانه ، فهذا التاريخ هو خيرشاهد لماكانت عليه جزولة من الانصياع الى الدين والىقانونه الذى لايمكن أن تجد ازاءه من يخطر فى باله أى عرف ءاخر يحاول أنيجعله أساسا لفض النوازل ، وحسم المخاصمات (١) ، فلئن عاش الاستاذان سيدى محمد بن عبدالله ، وأخوه سيدى على بن عبدالله فى زمن سادفيه قانون الاسلام ، وخفقت فيه راية العلم العربى ، وكان فيه المغرب مغرباحرا عربيا مسلما ، فأمكن لهما بما يتمتعان به تحت تلك الراية أنيقوما بما قاما به فى المدرسة ، فكيف يمكن للمترجم سيدى المدنى أن يؤدى المهمة كما أدياها فىالوقت الذى تبدلت فيه الاحوال ، وتنكر فيه لامثاله من حملة العلم العربى ، ولكنهمع كل ماكانيلاقيه هو وامثاله فىهذه الفترة ، باذل كل جهودهفى القيام بالمهمة على قدر الامكان ، ومن بذل جهده حق البذل فانه لايلام فى التقصير ، ان وقع منه بعض تقصير

متعلمه للقرآن

سترى فى ترجمة أخيه سيدى محمد بن على الاديب ، وفى ترجمة اخويه الآخرين سيدى الطاهر ، وسيدى الحسن ، كيف كان والدهم الاستاذ معنيا بتربيتهم غاية العناية ، ويتمنى لو كان كل منخرج من صلبه كبش الكتيبة، وبحرا زاخرا بالمعارف ، وعلما خفاقا فى الاخلاق الفاضلة ، وفذا من افذاذعلماء الغ ، وكثيرا ما يتلون لهم بحسب ماتقضيه الاحوال فتارة يصول صولة الاسد المشبل ، حتى ترتعد فرائصهم ، وترتجف من الصدور قلوبهم ، وتصتك فرقا مفاصلركبهم ، وتارة يكون لهم الين من الحرير ويسرى الى ثنايا عواطفهمبما هو ارق من نسمات الاسحار ، الجارة ذيولها على حدائق الازهار

فقسا ليزد جروا ومن يك راحما ‌‌‌ فليقس احيانا على من يرحم

وهو فى كل ذلك لايعدومقتضيات الاحوال ، فيلبس لكل حالة لبوسها ، ويكون كالنطاسى الذى يقابل الحار بالبارد ، والبارد بالحار ، نصحا منه لافلاذ كبده، وسنا لغرارهم ، وصقلا لصفائحهم ، وشحذا لهممهم ، واثارة لعزائمهم ، فبهذه الهمة تأتى له أن نرى اولاده أربعة علماء أدباء مشاركين، مامنهم الازينةالمجالس وصدر المحافل ، وطراز المعارف ، وقطب المباحث ، ونزهة المطمئن ، وعقلة المستوفر ، وكعبة الادب ، فمن رآهم وقد حلقوا على كتاب أدبى ، يتناقشون ويتباحثون ، رأى كيف ينجب الاولاد ، وتتكون حلبة فى ميدان رضعت كلهامن ثدىواحد ، ودرجت من حجر واحد

نعم الاله على العباد كثيرة ‌‌‌ واجلهن نجابة الاولاد

نشا المترجم كما نشا اخوانه فىالمكتب القرآنى ، فقد استظهره على يد

---

١)ليرجع القارىء الى اوائل كتاب (سوس العالمة)

اساتذة منهم الاستاذ سيدى احمد اخساى فى مسجد القرية ، وعن الاستاذ سيدى ابراهيم بن الحاج القاسمى البعقيلى ، من أسيف أودرار (وادى الجبل) وعن الاستاذ سيدى محمد بن محمد الانامرى من أنامر نيت الطالب السملالى، كما شارك اقرانه من أهله فى آخرين ذكرناهم فى تراجمهم،فى (الفصل الثانى) فى هذا (القسم) نفسه ان شاء الله

في مناغاة المعارف

افتتح أولا فى المدرسة الالغية التى يدرس فيها ابو القاسم بن مسعود التاجارمونتى ، وقد يلم بها والده بالقاء بعض الدروس ، ثم نقله والده الى المدرسة الايمورية عند الاستاذ سيدى احمد بن صالح التانكرتى الافرانى، فلازمه سنين ، حتى استنشف الفنون المتداولة الى ثمالتها ، وقد اعتنى به الاستاذ، فحفظ عنده كل مايعنون بحفظه ، من متون النحو واللغة والفقه والادب والفرائض والحساب والسير والحديث والتفسير ، ويطالع معه كتب الادب والتواريخ التى تروج عندهم ، ثم لم يفارق الاستاذ تلك المدرسة حتى نال تلميذه هذا شفوفا عظيما ، وكان فى كل وقت ورد فيه الى (الغ) فى العواشر المعتادة ياخذ من مجلس والده الذى يطفح دائما بالبحوث ، ومن عاداتهم ان الطلبة فى أمثال هذه المجالس يعطون كتابا من كتب الادب لتلاميذهم فيتلون فيه امامهم ، فيناقشون التالى فيما يتلو فى التصريف والاعراب وضبط الكلمات اللغوية ، ويمتد المجلس ماامتد الجلوس ، وكثيرا مايستمر ساعات ، من الصباح الى الزوال ، أو من المغرب الى أن يبهار الليل ، عادة الفوها لايحول بينهم وبينها الا عارض جديد يدهم ، لايجدون منه مناصا ، وبأمثال هذه المجالس ينبغ أبناؤهم نبوغا لايطمعون فى مثله لو اقتصروا على الدروس المدرسية وحدها ، فليتامل القارىء كيف البيئة العلمية الالغية التى يقرأ ويسمع عنها كثيرا فى هذا الكتاب ، وفى اخوانه من كتب أخرى

حدثنى المترجم أن أباه كان دائما يواخذه مثل هذه المواخذات بالاسئلة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، قال وماكان لى أن أتملص من أنشوطاتهما لولا أن الشيخ -يعني والدي- كان كلما دخل فى العشايا على عادته من الامام بمجلس الفقيه كل عشية يسرحنى من قبضة من يسائلنى ، ويقول له ان الولد ماجاء من المدرسة فى العواشر الا ليستريح ، قال ولكن لايكاد المجلس ينعقد ثانيا حتى ترجع المباحثات والاسئلة وحل الالغاز والاحاجى جذعة ، كما تكون دائما، وقد وعده والده يوما ان حفظ كتاب (مثلث قويدر) أن يعطيه حمل سكر ، فكاد يحفظه ، وهذا الكتاب مطبوع فى ارجوزة مربعة

هكذا دام المترجم على الاخذ ، حتى نبغ نبوغا يشهد له به كل من يعرفون

مقدرته ، ويسبرون غوره ، وقد سمعت أخاه الاستاذ سيدى الطاهر بن علي، يثني على هذه الناحية منه غاية الثناء ، ويقول لم ارقط مثل درسه المحكم الذى يرى منه التلاميذ ما لايرون من غيره ، فانه حسن البحث ، دقيق الفهم ، ممتع الصدر حسن المجالسة ، يحسن التكلم كما يحسن الاستماع

بهذا يعلم أن الذين انتفع بهم ، هم هؤلاء الثلاثة ، والده الذى يلزه كلما لاقاه بالمباحثات ، والاستاذ التاجارمونتي ، ومهذبه الخاص سيدى أحمد بن صالح الافراني

يشارط في مدرسة بالاخصاص

تتبع كما رأيت حتى صار محصلا غاية التحصيل ، وكان مثلا يضرب في النبوغ ، استحضارا وفهما واقتدارا ، فكان والده يهتم أن يدير شؤون المدرسة اثر ما غادرها الاستاذ التاجارمونتي ، ولكن غرارة الشباب ، وعدم ادراك الاولاد المغزى الذى يرمي اليه الآباء ، حالادون ذلك ، فاضطر والده أن يشارط اليزيدى العلامة الكبير ، سيدى أحمد في المدرسة الالغية ، وأن يرسل ولده المترجم الى مدرسة سيدى علي بن سعيد ، لعله يدرك كيف ينتخل الانسان آراءه ، وكيف توكل الكتف في هذه الدنيا التى لاترحم احدا ، فتصدر هناك، وحلق عليه تلاميذ أفرغ وسعه في تعليمهم ، فكانت هذه الدراسة باكورة اعماله في هذا الميدان وذلك حوالى ١٣٤٠هـ

ومن اللطائف الادبية ما وقع في هذا الحين ، وذلك أن مابين المترجم وبين شيخنا البوزاكارني غير متصل ، كعادة الاقران ، والمعاصرة تمنع المناصرة، ولم يكن سيدى المدني محظوظا بين أمثال ابى زيد البوزاكارني ، وأحمد اليزيدى ، فلم يزل مابينه وبينهم غير عامر ، وقد كان شيخنا البوزاكارني مرابطا في الغ واحد اوتاد مجلس الاستاذ سيدى علي بن عبد الله ، فكان التراشق بين المتعاصرين لاينقطع ، ففي يوم أراد الاستاذ أن يبعث المترجم الى مدرسته بالاخصاص ، فتداول مع من حضر من المسافرين الى الاخصاص أين يبيتون ذلك النهار ، فقيل يبيتون عند الفقيه سيدى احمد الرخاوى ، وقيل بل يبيتون عند فلان ، وهو جاهل أمي جاف جلف ، فقال شيخنا البوزاكارني ، الاولى أن يبيتوا عند هذا الاخير ، ثم انشد والاستاذ علي بن عبد الله يسمع كما يسمع كل من حضر وهو يقصد ذم صاحبه المترجم :

أرسل الى الوغد وغدا ان بليت به ... ان الطيور على اشباهها تقع

فلم يزد الاستاذ سيدى علي بن عبد الله أن أغضى وسكت على مضض ، لان للملموز المترجم عنده مكانة ، فكان الموقف أحد مواقف حلمه واغضائه رحمه الله، ولم يكن ليخفى عنه مابين الرجلين ، وقد كان شيخنا يحكى هذا في معرض حلم

الاستاذ وتجرعه مرارة مايسمعه من الكلام الجافي أحيانا

بعد رجوعه من الاخصاص

بقي هناك مابقي، وقلب والده الحنون الذى هو كقلوب كل الاباء،يترجى من ولده هذا العلامة أن يؤوب بعقلية كالتى تعهد من الاسلاف ، تدعمها المروءة ، ويقومهاالتثبت ، ويحوطها المشى بالهوينى فى جميع الامور ، ولكن صاحبناالذى نشافي عز الجاه ورفاهية المال ، واحترام العلم ، لما يدرك كلمايراد منه ، حتى أنهبعد مارجع من الاخصاص ، وقع بينه وبين والده مايقع دائما بينمختلفى الافكار ، ومتوزعى النزعات ، ولكن الاستاذ ساير واغضى ، وهو ينشد بلسان حاله ماقاله الاول :

فان يك عامر قد قال جهلا   فان مطية الجهل الشباب

ولم ينشب الجرح أن اندمل بسرعة منغير أن يترك حتى يكون نغلا

يتـزوج

زالت تلك النفرة التى ما سببها الا مايلفقه القتاتون النمامون بيناكرم والد وأبر ولد ، وكل نفرة تسبب عن أمثال ذلك فسرعان ماتزول ، لانالباطل لايطول الافى الوقت الذى يغفل فيه الحق عنه ، وماثورة والده عليه الالكونه يريد أن يتزوج ويرتكز ليعمر المقام الذى لابد له منه ، بعد أن يتقيد بـقـيد الرجولة ، وان يتحصن بحصن المروءة ، ولكن الاقدار لاتغالب ، فلم يتزوجالابعد وفاة والده بسنوات ، وذلك فى سنة ١٣٥١ هـ والابعد اناوصى والده بالمدرسة له ، فكانذلك علامة رضاعنه كل الرضا

تزوج كريمة من كرائم احدى عماته ، وهى بنت السيد محمد بن الحاج ابراهيم الايغشانى ، فقام عرس عظيم لانظير له ، وقد زف السيدة نحو ثلاثمائة منالايغشانيين ، يقودهم الشاب على بن احمد الذى هو اذذاك فرهدكما ابتدأ يظهر تحت نظر والده فى الميدان ، فظهرت منه وممنمعه مما يملونه كشروط ـعلى عادة الذين يجلون عروسا الى زوجهاـ أعمال لاتليق ولاتوافق مكانةالاستاذ المتزوج ، ولامكانة آله آل على بن عبدالله اجمعين ، ولكن ذهب الرجال ، فجاء أمثال هذاالشاب الغر على بن احمد الذى لايمكن ان يقدر الناس قدرهم

اذا غاب ملاح السفينة وارتمت   بها الريح يوما ضببتها الضفادع

والده يستخلفه في المدرسة

احتضر والده سنة ١٣٤٧ هـ فاحاط به أبناؤه ، كالنجوم تـحـيط بطفاوة البدر فى علياء السماء ليلة الصحو ، فكان مما اوصى به الحاضرين ان يسلموا

مقاويد المدرسة لسيدى المدنى فانه أحق بها واهلها ، لمكانته فى التحصيل ، ولما يرجى من القيام بها، لانه كريم سمح جواد (فليتق الله سائله) وهكـذا وضع مجد الغ العلمى فى يد سيدى المدنى كأمانة يحافظ على كنزها حتى يسلمها مصونة كما تسلمها الى من يرثها من بعد ، والله خير الوارثين

في القيام بالمدرسة

كانت‌هالة مجد الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، متسعة غايـة الاتساع ، وشهرته فى كل تلك النواحى طنانة ، سواء فى ميدان المعارف ، اوفى ميدان الرياسة ، والناس فى ذلك الوقت لايزالون ملتفين حول آل الهيبة يدافعـون عن كيانهم ، ويذودون عن سرحهم وعن دينهم ، وعن شرفهم وعن وطنهم العزيز وقدكان‌للاستاذ فى كل ذلك من المقاومة وتصدر المعارك ماهو كالشمس فـى رابعة النهار، ومايوم حليمة بسر، فلما استاثر الله به سنة ١٣٤٧ ه وخلفه المترجم فى مركزه صار يظهر بمظهر والده فى المجامع ، وفى منتديات الرؤساء وفى مجالات الجيوش المدافعة ، حتى وقعت الواقعة التى ليست لها دافعة اواخر ١٣٥٢ه ، فاحتلت‌جزولة ، واستسلم كل من فيها ، وأنزل الله اللطف بالناس، فلم‌يرمن المحتلين اى عنت ولاعناء ولامغرم ولااسرولانهب ، فاذذاك برز أناس، واختبأ أناس ، وظهررجال ، وقبع‌رجال ،وكان ممن‌قبع فى‌عقر بيته ، والتزم خويصة نفسه كل من ينتمى الى علم اومرتبة ما، فأوى كل الى شغله الخاص، فكان المترجم أحدأمثاله، فسكن فى مدرسته يزجى الايام بتعليم من‌ياوون‌اليه فكانت الدراسة وان‌سارت حنفاء فى غيرجدغير منقطعة بالكلية ، فاشتغل بها اشتغالا ما ، وذلك بعد ما حاول ان يكون له حبل‌متصل بمسيرى الشؤون فى مركز (تافراوت) وبعد ما سافر الى (الرباط) بظهائر الاحترامات التى توارثتها قبيلتنا منذ الجد الاعلى ، فاستطاع أن يرجع بظهير بطابع ملك العصر ، مفخرة العلويين سيدى محمد بن يوسف ، يريد بذلك أن يملأ مركز الرياسة فـى القبيلة ، ولكن سبقه بذلك عكاشة ، كماانه لم يجد فى مركز تافراوت بـابـا مفتوحا ، وياطالما طرقه واستوصل حبله ، ولكن الحبل وان‌لم ينقطع لم يات له اتصاله بفائدة

ما بينى وبينه

وعلى هذا وجدت أنا المترجم لما نفيت الى (الغ) مفتتح ١٣٥٦ه بعد ثلاث سنين ، اثر احتلال تلك‌الناحية ، فكنت اواصله بالمراسلة‌بنثر اوشعر ، مما يجده القارىء فى كتاب (الالغيات) وقد كنت احس بلاذع فى نفسى كلما سمعت بان‌كرمه الجارف قد يتركه احيانا بلا ممضوغ فاقول اهكذا يعيش العلماء‌فى هذاالبلد الذى‌خوى‌فيه نجم‌العلم، وخرسقفه‌على‌عرشه ، ولم‌ينقصم تواصل‌ما

بيني وبينه حتى ودعت الغ ١٣٦٤هـ فبينماأنا فيمراكشاواسط السنةبعدهااذا بالاستاذ نعي الينا ، فقلت هذه صحيفة اخرى الغية طويت من جديد ، وهذه قسيالرزايا لاتبقي سهامها ولاتذر ، فياحسرتنا على مجد الغ العلمي ، لقدأتته الحوادث الماحقة من كل ناحية

ان كان عندك يازمان بقية   مما تهين به الكرام فهاتها

فلولا الرجاء اذذاك من اخويه سيدى الطاهر وسيدى الحسن ، لقلت انالمدرسة أقلت شمسها ، وصوح نبتها، ولكن -والحمدلله- للبيت رب يحميه ، فقد اتصلت حلقات السلسلة واتبع الخلف اثر السلف ، فقام سيدى الطاهر وسيدى الحسن فى المدرسة أحسن قيام ، فهاهي ذى الدراسة متتابعة الحلقات علىقدرالامكان، وهاهم اولاء التلاميذ يردون عطاشا خماصا ، ويصدرون بطانا قدرووا حتىضربوا بعطن ، ولولميثن على همم هاذين الاستاذين مثن ، لاثنت عليهما أعمالهما ، وهل يفصح عن الانسان الا أعماله ؟

فالنفح افضل من يثني على الزهر   ان لامسته ذيول الطل فيالسحر

ناحية من أخلاقه

رحمك الله ياأخي أحمد ، فقد أكثرت عليه يوما واكثرعلى ، ونحنمنحدرون في عشية الى بستاننا الشمالى ، فقال لى تعالأرك حسنات كل واحد ممناعرفهم وتعرفهم منالالغيين ، فقلت له على شرط أن تترك انتقادك الآن، وأن تعدنيعلى أنتنصف ، فقال هاأنذا أنصف ، ثمصاريسرد على منهم الى ان وصل اليصاحب الترجمة ،فقال انه أحسن الناس مجالسة ، وأفضلهم استماعا ، فقد كنتأراه في محافل المذاكرة والمباحثة ، ملازما للتؤدة والوقار ، فلا يجادل ولايصاول بالبحث ، يقبل ويرد بالادب ، كان دائما يعجبني بذلك ، فليس كفلان وفلان اللذين اذاكانا فيمثل تلك المحافل يثاور احدهما صاحبه ، كأنهما ديكان يتنافشان ، فقلت اولماطلب منك ترك الانتقاد ؟ فانني لااحبان اسمع اى انتقاد منك فيابناء العلم الذين هم شعارى ودثارى ، اشيد بحسناتهم واتغافل عن سيئاتهم

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

ثمقال ومنخلق سيدى المدنى أيضا الكرم ، فانه اليوم من لم يزل يتصف بهذه الخلة التى نفض منها الالغيون ايديهم ، فلايمكن أن يبصر ضيفا فيروغ عنه ، أويتجهم فيوجهه، اويجيف بابه أمامه ، فهذاماقال الاخرحمهالله اذذاك، ثمأعاده مرات أخرى ، وزاد أن الجهة التى يوتى منها سيدى المدنى هى عدم اقتداره أنيملك سره، اويهدىءأعصابه ، فيقول فيكلمجلس أومع منيلقاه ما في صدره ، فلايقدرعلى الكتمان ، فلوكان يزملسانه عن الناس ، ويتظاهر بما يتظاهر به الناس من الاغضاء وعدم الصراحة ، لما وجدفيه أحد مايقولولو

قبع في مدرسته، وزم لسانه واغضى عن كل شيء ، لزاد الى فضل العلم الذي عنده مايجعل كل الناس يثنون عليه كل الثناء بكل المحامد التي هو أهل لها، وسمعت الاستاذ سيدي الطاهر بن علي صنوه يقول : ان سيدي المدني دراسته افضل دراسة، فانه يستفرغ فيها وسعه ، وتظهر سعة أخلاقه في التقرير ، حتى أنه فريد بين أقرانه في الدراسة ، ولو كان له مراعاة لملأ مركزه كما ملأه أبوه قبله لماله من سعة معارف ، وحسن ادراك

هذا ماسمعته من هذين السيدين ، وذلك مايدل على مقام كريم أوتيه الاستاذ ، وفاز به من بين أترابه ، فالتؤدة في المباحثة والكرم ، والتقرير البليغ الذي يفيض عليه من سعة أخلاقه ، هذه الثلاثة هي التي تتفرع عنها شمائل الرجال ، وتتأصل عليها مناقب الكبار الذين يفرعون غيرهم ويتسلقون بها قمم المعالي في التاريخ ، كما أن الاغضاء عن عيوب الناس هو الباب الوحيد الى اجلال الناس ، وأعرف أنا منه أيضا كثرة الموادة وحسن المخالقة ، وهذا الخلق وان كان متفرعا على ماتقدم ، لكنني ذكرته على حدة لادلي بما عرفته منه ايضا بنفسي مع أنني لاخالطه في هذا الدور الذي تصديت فيه لدرس رجالنا ، ولذلك عولت في ذلك على غيري ، وان كان كرمه أشهر من نار على علم ، سمعت كثيرين يصفونه به، فقد حفظه الله من الكزازة وأيده لعمارة المدرسة في عصر لابد له فيه من الصبر الكثير ، ان أراد أن لايضيع التراث من يده ، وأن لاينعق البوم في بيوت المدرسة في عهده

آثــاره

صاحب الترجمة من الادباء المكثرين الذين يقولون في كل مناسبة دائما فكان له بذلك سيل طافح من القصائد والمقطعات ، ونحن نختار مما بين ايدينا مايروق الافكار ويعجب القارئين ، ولو اعجابا ما

من ذلك قصيدة رفعها الى سلطان العصر سيدي محمد بن يوسف ، وقد وفد على حضرته اثر احتلال تلك الناحية ، فاجفل فيمن اجفلوا ، لعدم ثقتهم بالامان اذذاك ، وان كان ماظنوه اظهرت الايام أنه غير موجود ، وقد وفد ـ١٢ـ ذي الحجة عام ـ١٣٥٢ هـ ليجدد ظهائر المرابطين طامعا أن يجد عضدا ليتمكن من الهدوء ليعمر مدرسته ، فتم له الامان ، فراجع مدرسته

أيا ملكا اربت علاه على العد	بما نال من ارث السيادة والمجد
ليهنك ملك طبق الارض صيته	وذكر كما النسرين والاس والورد
ليهنك تاج حزته عن جدارة	على رغم أنف الحاسدين ذوي الحقد
ليهنك نصر قد جنته يد القنا	فقد فتحت سوس على اليمن والسعد
فصادف هذا النصر غيث فاعلنت	تباشير خلق الله بالشكر والحمد

فاخصبت الافاق مـن بعد قحطها
فولت جيوش الجدب مفلولة الحد

فياأيها المولى المجيد ومن له
علو على هام المعالى بلا جهد

نحوتك أبغي من علاك تمام ما
وشته يراع جدك الجوهر الفرد

فتكتب تحريرا لاخواننا على
ظهائرهم لازلت تهدى الى الرشد

فنشكر نعماكم ونثنى عليكم
باسدائكم للعبد ما جل عن عد

فلازلت محروس الجناب ممتعا
بملك جدودك الغطارفة الاسد

ولازلت فى عز السعادة مالكا
زمام العلا والدهر من جملة الجند

بجاه رسول الله جدك من غـــدا
سنا دينه الوهاج نورا لمستهد

مر فى ترجمة الاستاذ علي بن عبد الله والد صاحب الترجمة الاشارة الى ان هناك بعض مقطعات ، خاطب بها الاستاذ الحاج أحـمـد أضارضور ـالاصم- الابراهيمى ، يستنهضه الى الفتك بالايشتيين الذين غصبوا أموال الالغيين ظلما وعدوانا ، ثم فى ليلة أصبح الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، وعلى لسانه هذا الشطر :

أقرت (اشت) عيون الشامتين بها

فألقى الشطر الى من حضر عنده ، فانتدب صاحب الترجمة ، فذيله بما ضربه فالا لاولئك المناكيد ، دعا الله تعالى ان يجتاحهم ، فبعد عقد من السنين جاءت الضربة القاضية على الكل من يد (أيت خباش) بعد ان كانوا شواظا من نار ونحاس على الناس ، فسقط منهم من سقط على راسى الرئيسين أحمد وعلي ابني خليل ، فانجدلا فى معمعة ثارا اليها بغتة ، وربما نتعرض لتفصيل ذلك ان شاء الله فى محل اخر فى هذا الكتاب ، او فى اخر بمناسبة

قال صاحب الترجمة فى تذييله

أقرت اشت عيون الشامتين بها (١)
وحل فيها على الاعداء ما ارتقبـوا

وصيرتها يد الابطال أيدى سبا
وحكمت فيهم الهندية القضب

واستسلمت للقنا رقابهم فغـدت
أجسادهم نهبة فالوحش ينتهب

ياأهل اشت وللاقدار دورتها
لازال للحتف فى أرجائكم خبب

أنى تحلون حلت فوقكم نقم
فيها قلوبكم تلظـى وتلتهـب

هذى منى حققت من قول من فخرت
به المراتب وازدانت به الرتب

صدر الافاضل شمس الدين من خضعت
له الاماجد وانقادت له الشهب

رب الخصال اللواتى من مصابحها
يزهو القريض ومنها تشرق الخطب

حسب الكواكب لو من بعضها حسبت
يوما فينظمها فى سلكه الحسب

فالله يبقى سنا أنواره علما
ياوى اليه الالى نور الهدى طلبوا

يارب بالمصطفى والآل من نزلت
فى حقهم آية التطهير فانتخبوا

والصحب اسد الشرى يوم الوغى لهم
من كل من حاربوا المسلوب والسلب

---

١) يظهر أن الاولى ان يقال قداقذت (اشت) عيون الشامتين بها ، تأمل

وبالشهيدين سبطيه اللذين هما — فاقا الورى نسبا ما فوقه نسب
وبخلائـف أمجاد ذوى كرم — ترضى سيوفهم اذا هم غضبوا
حقق لنا قول ذاك الشيخ عنعجل — بنسف اشت ومن لجورها انتسبوا
وزلزلنهم فلا يبقى لهم أبدا — ذكر ففى مثلهم يستحسن الحرب
عتوا فعاثوا وجاروا فى تحكمهم — اذ يحسبون لهم فى القهر ماحسبوا
قدحاربوا الله فعل الكافرين بـه — وعادة الله فى الاعداء ترتقب
فلاعدا البؤس والاقواء منزلهم — والمحل والفقر والطاعون والغضب
يارب أنت معين اللاجئين الــى — اكنافك الشم زعزع من همغصبوا
وانصر عصابة من طاحت منازلهم — ظلما ولا زلل منهم ولا ريب
بحق خير الورى المختار من مضر — وصحبه الغر ما خانوه مذصحبوا

لله در سيدى المدنى ، فقد بانت غضبته من القصيدة ، وألقت عليها وسامة مانعرفه منالشعر العالى ، وكثيرا ماأقول ، انالالغيين لـو خاضوا فـى غير الاخوانيات فانهم ستتجلى مقدرتهم غاية التجلى ، وفى آخر القصيدة نحو بينين للبعض قبلاختتامها

وقد صدرت منى قصيدة حول آل (اشت) لاباس أن أسوقها هنا ، لاننى ألممت فيها باخلاقهم ، وبماالفوه من الغصب والفتك وهتك الحرمات ، ونصها:

تلك ضياع يالها من ضياع — كم طاف فى أكنافها من ضياع
استاسدت ضباع سكانهـا — فاحتوشت ما للاسود الضباع
كم كبد معروفة بالـتـقـى — قد كويت من عندهم بالتياع
فما لهم فـى العدل شنترة — لكن لهم فى ظلمهم ألف باع (١)
يغبن كـل مشتر بـيـنهـم — والغبن راس المال عند الرعاع
أملاكـهـم أملاكـهـم دائما — وان فتى بالبت والقطع باع
فالحبس فيما يزعمون له الـ — ـمجال فى كل رباع ربـاع
مخبؤ من تحت آباطهـم — زورا وداعى الزور فيهم يطاع
ليس بمذكور لـدى بيـعهـم — كيما يغر عـنـدهم ذوابتياع
حتى اذا ما وجـدوا فرصة — سانحة للضيم ذات اتساع
أدلوا بــه افكا ومخرقة — على ضعيف مـالـه مستطاع
يدلون بالزور بكف وفى الا — خرى سيوف الرغم ذات شعاع
كذلك الباطل ليس لـه — وقـع بغـير عضد وذراع
كذا بنو (اشت) ومن ملكوا — بين ديار (اشت) اى متـاع
معرضون دائـمـا عندهـم — للنهب والفتك وكـل ضياع
امن لهم فتك ببعضهـم — بعضا فعال ضاريات السباع

---

١) الشنترة بضمتين مابين السبابةوالابهام

يحترمون بينهم عالما أوصالحا هيهات تاتى الطباع ؟
فليحترس كل غريب فما لقلبه هناك الا انصداع
والنهب والفتك فكم طعنة يغمرها دم كثير شعاع (١)
وكم دفين ردموا قبره ليس بمكفون ولو بالرقاع
وكم غريب معه صرة ليس له من بعد ذكر يذاع
زائرهم ميت ومن سلموا من عندهم ءابوا بكل ارتياع
لكنهم كيلوا بايدى بنى خباش ذاك العام صاعا بصاع
ان الحديد ليس يفلحه الا الحديد ان يجد الصراع
فليعرف التاريخ (اشت) وما هم صانعوه بين تلك الضياع
فيدهم خرقاء لكنها فى حوك ظلم الغرباء صناع
افضل ممن يشترى بينهم ربعا جديدا بين تلك الرباع
من طلقت همته أرضهم طلاق بت ليس فيها ارتجاع
ياأرض (اشت) لا رجعت الى أرضك ما كان بظهرى النخاع
هذا وداع شاعر معلن حقا وان لم تستحقى الوداع

وقد كان للقائد الحاج أحمد اضارضورى التاغاجيجتى مكانة فى قبيلة اد ابراهيم ، ويستطيعون قبل الاحتلال أن يتوصلوا بقوتهم للحكم على الناس، فكتب اليه الاستاذ والد المترجم سيدى على بن عبدالله ، هذه القصيدة يستغيث به وهل للضعيف اذذاك سوى الاستغاثة بالاقوياء ؟ والناس حينئذ من عزبز

أقول لمن أحيا الفتوة والندى ويردى العدا والمبغضين وقد بغوا
عليك بابناء اليهود فانهم اذا حقروا لانوا وان عظموا طغوا
وان سستهم باللطف زادوا تجبرا وان عركوا انقادوا وان تركوا عصوا
وأرجو من الرحمان كسر صفاتهم على يدك البيضا فعن غيرها قسوا
وكم قد حرثت الخير فيهم ولم يروا سوى أن يجازونى بسوء فقد أساوا
ولاتتركن فيهم كبيرا يريد ان يكون لهم شيخا ولا ولدة نشوا
فكلهم أفعى لافعى وان هم صغار وما انكا الصغار اذا عتوا
فجعجع بهم وانهض اليهم ولاتبل بشوكتهم فالله يجزى من اعتدوا
فانا نجيش بالدعا وتضرع يعين لعل الله يهلك من عتوا
فلاترأفن ان كنت تعرف فعلهم من الشر فى أهل الصلاح وما أتوا
فبادرهم بالسيف قبل انتباههم فهم بين ناب الليث والظفر قد غفوا
ولاتعف عن شنعائهم وسفاههم فعن مثلها اجدادك الغر ماعفوا
وانى عن جود المهيمن ضامن لفضلك ان ياتوك بعد وقد صفوا
عليك سلام من اخ لك ود ان يراك شكيمات العداة اذا نزوا

---

١) شعاع بالفتح متفرق

ثم كتب اليه أيضا فى هذا الموضوع ، وقد استبطأ اغاثته :

الم يان للاعداء ان يتمزقوا   وان ينتهوا عما اذا عوا من الظلم؟
الم يان للقوم الا راذل ان تصيـــ   ـــب جمعهم بالشت عاقبة الضيم؟
الم يان ان يطهر الله أرضه   باهلاك اجلاف عداة ذوى الظلم ؟
الم يان تدمير البغاة وحيفهم   بصب عذاب الله من عارض الغيم؟
الم يان للقرم الهزبر محبنا الا   صم يريهم ضربة البطل المصمى؟
فقم نحوهم وانزل صباحا بساحهم   فساء صباح المنذرين اولى الجرم؟

وقد ذيلها بعض الالغيين لما قرأها فاستفزت شعوره ، والاسى يبعث الاسى، والالغيون ذات واحدة ، ماآسيهم واحدة ، وأفراحهم واحدة ،

لماكنت تجلو السيف ان لم تزل به   رؤوس ذوى عيث كطلس لدى البهم؟
لامثالها كنا نعدك دائمـا   شجاعا يذود الخسف عن حرم القوم
وكنت كما قد كان حسباننا لها   فهل خائب حسباننا منك فى اليوم؟
الى (اشت) حيث الظلم ان كنت فاعلا   ولا تعتذر فعل الفتى الصائل الشهم
والا فلا فرق يرى بين حاسر   وشاك ازاء المعتدين ذوى الغشـم
فان كنت ذا سمع فهذا نداؤنا   والا فدون الريب أنت من الصم
فقد جاء فيك الوصف وصفا محققا   وجاء المسمى فى الحقيقة كالاسم

وقد اجاب القصيدة عن لسان المخاطب الحاج احمد اضارضور ، علامة اكرار سيدى محمد بن احمد الرفاكى بقصيدة على ذلك الروى اخترنا منها ماياتى:

الى سيد حاز الكمال بدينه   وشتت آقيال الجهالة بالعلم
أبى حسن أطال للناس عمره   اله الورى مع السلامة فى الختم
سلام حفى لايريم وان نآى   خديما لآل العلم بالصدق والعزم
اجابك للمطلوب قومى وعترتى   وان بقرت بطنى (١) وفتله لحمى
فطب أيها الشيخ السرى فاننـى   أعالج قدر الطوق بالجد والحزم
وان لم أكن أهلا لذاك فعترتى   بحمد الاله قامعون لـذى الضيـم
فبشراك بشرى عن قريب ترى المنى   ويهتك صون الظالم الفاتك الغشم
قبلناك ياشيخ الجماعة فلتكن   هنيئا من الامر المهول من الدهم
لقد علم الاقوام أن حليفنا   عزيز فكيف بالعليم أخى الفهـم
فقد ما نذود الضائمين عن الحمى   ويعلمها قلنا لدى العرب والعجم
لقد علمت سعدى بذاك فاننى   أحدث بالنعمى فزال بها لومى
فيارب لاتخب رجائى فاننى   بجدى وحدى واحتزامى وبالقضم
بامرك اقبالى بنفسى واخوتى   ومالى وعرضى بالـذمـاء وبالجسم
فثق أيها الشيخ المربى بقولتى   ولا تعدنها من خيالات ذى النوم

١) البطن مذكر لامؤنث غالبا

الى ان قال

شكوت على بحر الطويل فعاقني ... على ساحل لولاك غائلة انعوم
فحاكيت لا كالنسج ضرب بطوبة ... يقولون خير من هروب على شتم

وقال بعض الالغيين أيضا فى هذا الموضوع

قالوا عدت اشت ظلما فى النهار على ... (الغ) فقلت رويدا فى غد سنرى
عما قليل ستعلى الغ هامتهـا ... عزا ويبصر (اشت) الذل من نظرا
فالغ (الغ) وان تذهب بساتنــه ... و (اشت) ان ذهبت أملاكه حقرا
هم حفروا لبنى الغ البئار فهـل ... يهوى لاعماقها الا الــذى حفرا ؟

رجع إلى آثار المترجم

كان ورد كاتب آل كردوس محمد بن عبدالعزيز الصحراوى الى الغ-١٧- رجب عام : ١٣٤٦ ه فتلقى ترحيبا به على العادة الالغية بقصائد عديدة ، من بينها قول هذا الاستاذ

شيخ العلا وامام العلم والادب ... ومن له بمحياه سنا الشهب
من نبتت بين اهل الفضل نبعته ... فطاب محتده فى العجم والعرب
ومن تقلد للعليـاء عزمتــه ... فراضها فغدت منه على كثب
اهلا بمقدمك الاسنى به انكشفت ... عن القلوب دياجى الهم والنصب
نفسى فداء مبشر بطلعة من ... أخلاقه كابتسام الكاس عن حبب
اما البلاغة والاعجاز ان كتبت ... أقلامه فهما من أعجب العـجب
تنسى فصاحته قس بن ساعدة ... يوم عكاظ اذا ماستن فى الخطب
والفتح ان مد طرسا فى أناملـه ... فصار ينسج منها حلة الادب
وابن عطية ان ينشيء الرسائل أو ... يزج القريض وقد اشفى على العطب
الى خصال غدت ألطف من زهـر ... فى روضة أنـف بـاثر منسكب
هذا ومن رام أن يحصى مآثركـم ... فانما كان فى كد وفى تعب
فانتم الانف والاذناب غيركم ... هل يدرك الانف يوما عقدة الذنب؟
فذى عجالة ذى عى وذى حصر ... اغضوا عن النقد فيها يابنى الحسب
من فكرة مالها فى الشعر من خبب ... فكيف تغدو من السباقة النجب ؟
منى عليك سلام طيب ارج ... يامن له هالة فيحاء من أدب

وقال يهنىء اخاه الاديب سيدى محمد بن على بولده احمد الذى استاثر الله به صغيرا ، وهو احد القائلين فى هذا الولد اذذاك على العادة الالغية :

تالق وهنا من حماهم واسهدا ... وذكرنى تلك العهود وجددا
بريق سرى من نحو نجد ولعلع ... فانعش ما أذوى النوى فتبددا

فبت بليل ارمدى بطول ما أقاسى من الوجد المبرح قد بدا
وأصغى الى سجع الحمام لعلها اذا سجعت تسلى فؤادا مسهدا
ولكنني ما ان ازيد بسجعها سوى مضض أقسى وأنكا وانكدا
لك الله من صب رمته يد النوى بسهم غدا بالذكريات مسهدا
فاضحى لقى لم يبق فيه تجلد سوى زفرات تستطير تصعدا
وقلب كطير قد أحس باجدل اقض بهزة مشارفة الردى
فياليت أحبابى وفوا لى بزورة ومدوا باشفاق بوصلهم اليدا
لاسعد منهم مثل ماسعد الورى بطلعة نجل قاد سعدا فاسعدا
فبينا أنا ما بين باك وواله أريغ سلوا معوزا أو تجلدا
اذا بتباشير السعود تواردت تهنىء بالنجل المبارك احمدا
فابسم ما بين الدموع كانما همىالقطرحين الشمساسبلتالردا
فتغمر انوار السرور جوانحى بطلعة هذا البدر انور من بدا
فجاء التسلى بالجديد وطالما ينسى نديم بالذى قد تجددا
وليد تبدى بالمفاخر والعلا فيجمع ما قد كان منها مبددا
فيغمر آفاق البسيطة ذكره فيغدو سريعا متهم الصيت منجدا
تولى اله العرش حفظ مقامه وسوى له أوج المراتب مقعدا
وأبقاه بدار نيرا متكاملا واسس أوج المجد منه ووطدا

* * *

فياسيدا اربت مآثر فضله على العد اذ حاز العلا فتفردا
ليهنك نجل قد اتيحت له العلا وريضت له شوس المعالى مؤيدا
فلازال مامونا مصونا بجاه من هدى فاهتدت منه القلوب وأرشدا
عليه من الرحمن ازكى تحية تدوم دوام الدهر ليس لها مدى

وهذه القصيدة كنت وقفت عليها قبلاليوم ، فكنت أحاول تخميسها ، فوضعت بعضأشطارها ، وبعض أبيات تامة ، ولكن لم يتم ذلك ، واليوم أدخلت فيها ماأعجبني منذلك الذى قلته ، ولما بينيوبين صاحب الترجمة من الصحبة الاكيدة ، أردت اليوم أن يمتزج قولانا هكذا حفظ الله لالغ وللأدب آثاره

وذهبمرةصاحب الترجمة الىزيارة الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر فكتب أبوه الىشيخنا سيدى محمد بن الطاهر مع رفقائه هذه الرسالة:

«الاخوان الصدور ، ومن على فلك افهامهم درارى الافق العلمى تدور ، قطب الدائرة ، سيدى محمدبنالطاهر بنمحمد بنابراهيم ، وفلانوفلان والجميع بابى مروان ، اصلحكم الله وأصلح بكم، وهداكم الىالطريق المستقيم وجعلنا واياكم من حزبه السليم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

وبعد فالاحوال لله الحمدبخير ، ويرد عليكم الولد الابر محمد المدنى ، وقد

أقدره على المشي شوقه وتوقانه ، وان كان ضعيفا ، واستشعر بوصولكم سعدا جديدا وقدرا منيفا، وهو بحمد الله كما قيل :

طرفك في الفضل بعيد المدى | طرفك للمجد شديد الطموح

فاقدروا قدره ، وأكرموه بدعاء ينور ويشرح صدره ، فما جزاء من يحب الا ان يحب ، والسلام عليكم ورحمة الله ، كتب اليكم الضعيف الراجي كرم مولاه اللطيف ، على بن عبدالله بن صالح الالغى أمنه الله»

ثم لما رجع الوفد كتب معه شيخنا الاكبر سيدى الطاهر بن محمد مايلى :

مولاى اوفدت ـ فضلا ـ شبلك المدنى | على فقير غريب نازح الوطن
فجدد الانس مذوافى وانعش ما | أذوى النوى فتبدى مورق الفنن
ورد ماعصفت أيدى الحوادث من | نشاط فكر طواه الهم مذ زمن
لله منه ذكاء يستطير سنا | ويرتمى فطنا ناهيك من فطن
وهمة لاتنى أو تبتنى شرفا | عزمنا لا ويستولى على القنن
وشيمة كنسيم الروض غب حيا | وصدق عزم وجد واضح السنن
والله ان النجيب السيد المدنى | يحفظه الله لا وان ولابدنى
سجية تلك منه غير محدثة | لكنه قد حواها عن سناء سنى
مولاى دم للعلا تعلى معالمها | وللمكارم توليها وللمنن
قرير عين بما خولت من نعم | تجنى جناها بلا من ولا ثمن
فانت للدين والدنيا أعز حمى | ان لم تكن سيدى قطب العلا فمن ؟

وعلى سيدى تحية ينصع طيبها ،وينهل صيبها ، من عبد ذاب شوقا ، وضاق بالنوى طوقا ، حنين للتملى من ذلك الملجا الاوضا الذى سيقت اليه ركائب الامال سوقا، أدام الله امتداد ظله ، وانفساح فضله ، وكلاءة اهله

(الى ءاخر الرسالة التى نشرت فى ترجمة سيدى أبى القاسم التاجارمونتى فى (الفصل الاول) فى (القسم الرابع)

وفى هذه الوفدة خاطب محمد بن الطاهر المترجم بهذه القصيدة :

بدر الكمال ببرج السعد قد بانا | فزال عن افق العلياء مارانا
بطلعة الشبل شبل المكرمات ومن | بوصله جادت الايام احسانا
نتيجة الفضل برهان المكارم مفهـ | ـوم السيادة روض الفضل ريانا
نجل المشايخ من تبدى نجابته | مخايل السبق لاحت فيه عنوانا
ذاك الفتى المدنى من علا رتبا | فى المجد من دونها كيوان قد كانا
اهلا به نيرا جلى بطلعته | دجا الهموم بقلب عنه ما بانا
فالله يمنحه فى العلم مرتبة | عنها تقاصر عمرو وابن كيسانا
وفى البيان مقاما لايقوم به | عند الفخار البديع وابن خاقانا
ويجعل السر سر الجد فيه وفى | اخوته الغر معروفا وعرفانا

بالمصطفى المجتبى صلى عليه كما جر، نسيم الصبا في الروض أردانا
وآله الغر والصحب الكرام ومن كانوا لنصر الهدى والدين أعوانا

هذا ماوقفت عليه مما خاطب به أدباء المدرسة البومروانية المترجم في وفدته هذه، ولايمكن - على ماهي عليه العادة - الأن الاديب شيخنا البوزاكارني والاديب سيدي أحمد بن محمد اليزيدي ، والاديب سيدي داود الرسموكي ، والاديب سيدي محمد بن العسري التملي ، والاديب سيدي محمد بن علي أخا المترجم ، خاطبوه ايضا ولكن لم أتوصل من ذلك الى الان بشيء ، على أن هذا الذي صار الى انماد خل يدي عرضا، لاننا الى الآن لم نجد(١) حرية في ان نتصل بكل مانريد لنتمكن من الاستقصاء كما ينبغي أن يكون عليه البحث المستقصى ، لاسيما في الادبيات التي هي شعار الالغيين ، ومن اليهم أينما حلو اوأين ساروا (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)

كان المترجم تقع بينه وبين شيخنا الافراني المذكور مراسلة، بعد تولي شؤون المدرسة ، وكان قطب رحى أهله ، وتحمل ماتحمل ، فكان يبث الشكوى اليه كلما دهمه أمر ما ، ومن ذلك هذه الرسالة التى كتبها اليه يوما وقد لاقى مالاقى من مركز (تافراوت) ، حيث أقيم فيه اقامة جبرية اياما ، وذلك بعض ما كان يصيبه اذذاك من ضيق وعنت وحرج صدر ، وقد رأى أن ماكان يتمتع به أهله الصالحيون قبله من امتداد اليد ، ووطء العقب ، وطروق الوفود ليل نهار، يتضاءل شيئا فشيئا ، فكتب اليه شيخنا الافراني يسليه ويدله على أن ملاك الامر مسايرة الوقت ، ومخالقة المجتمع ، اتباعا لحديث (المخالقة نصف العقل) ولحديث (خالق الناس بخلق حسن) الى غيرهما من الكلام النبوى الذى يكثر في هذا المقام

الرسالة

أزكى السلام على بدر الدجى المدنى سلام داني الفؤاد نازح الوطن
اشكو النوى وأود لو أطير على جناح شوق لو أن الدهر اسعدني

ورحمة الله وبركاته ، على من شملته الحضرة ، ورعته النظرة من أخوة وطلبة، وحواش وذوى المحبة ، حفظ الله الجميع

هذا وقد وصلت الرسالة ، والبلاغة المسالة ، من الفكرة السلسالة ، وما شكاه سيدنا من تخلف العبد عن زيارة سدته ، فبشؤم ذنبه ، ونرجو ان يكون الخير فى الحال ، فاختيار العبد فى اختيار مولاه له، فان كان لابد من التدبير، فليدبر أن لايدبر ، وأرجو أن يساعد القدر، فنغنم الزورة بعد العيد، صحبة الولد النجيب حفيدكم المدنى بن محمد ، فقد عزمت أن أزيره أخواله ، ليتبرك بصلة رحمه ، وبنظرة جدته ان شاء الله، وماذكرت من لزوم الولد المتربى بنعمتكم

١) كتب هذا فى المنفى يوم المنع من ملاقاة أى انسان

«احمد» لذلك المحل المبارك فى العواشر ، ليتدارك مافاته، فقدكتبت اليه بذلك وان كان هو طلب خلافه ، ليطمئن قلبه ، فجزاك الله من شيخ ناصح ، ومرشد صالح ، جار على سنن السلف من آل صالح ، ونرجو أن يكون الله قدجمع لك ماتلهف عليه من قال

يالهف نفسي على شيئين لو جمعا ... عندى لكنت اذن مـن أسعد البشر
كفاف عيش يقيني ذل مسالة ... وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

فاشكر النعمة ، وارض بالقسمة ، وانشد بملء فيك على رغم معاديك ومصافيك

رضينا قسمة الجبار فينـا ... لنا عـلـم وللجـهـال مـال

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) ولاتنس حظ الفقير المسكين مـــن زكاة دعائك ، لاسيما عند الاضرحة المقدسة انشاء الـلـه ، والسلام ، وليساير الاخ الدهر وأهله ، ليسلم عرضه ودينه ، فالله يكلأه بجاه النبى الشفيع

وورد المترجم على الامير احمد الهيبة يوما بكردوس للزيارة، فقابله بانشاد هذين البيتين :

لو علمنا مجيـئـكم لفرشنا ... مهج القلب مع سواد العيون
وجعلنا من الجفون طريـقـا ... ليكون المرور بين الجفـون

ومن انشاءات سيدى المدنى ما أجاب به شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن عمه عن قطعة

أيها السيد الامـام عبيد الـلـ ... ـــه انسان عين كل بيان
قرة العين ذروة المجد مغنى ... للعلا والعلـوم فخر الاوان

وهى أكثر من هذا ، وقصائد المترجم ومقطعاته كثيرة ، وربمـا نتعرض لذكر بعضها عند كل مناسبة ان شاء الله ، ولنكتف الآن بهذا القدر ، وهناك رسائل وقصائد سبق لى أن كتبت ماوجدته لدى منها ، فى (الجزء) الذى نجز قبل هذا ، من (الالغيات) فيكتفى بذلك (ثم كتبت فى الجزءين الثانى والثالث بعده ماكان بيننا أيضا، وهما تمام الالغيات)

وهذه بطاقة أرسلها الى ، وقد أبت من الغ زائرا ، وتطلبت منه أن يوافينى بماعنده من قصائد أهله ، وتواريخ وقائعهم

«حليمنا الارضى ، العلامة المرتضى ، مغنى الفضل والافضال ، ومركز السيادة والكمال ، والداركة الفهامة ، اللابس من أردية العلم الدرع واللامة ، أبو عبد الله سيدى محمد المختار ، بمحروسة مراكش ، أيد الله مجدكم ، ووطـــــد فخركم وسعدكم ، وسلامه الاتم يغادى ويراوح حضرتكم

هذا وقدبلغني انتظارك لتلك التواريخ والوفيات ، وانني لم أهمل ، ولكن أخونا الطاهر أخذ من الناسخ النسخة التي كتبها لي مع ماكتبه له ، وقال انه سيرسل اليك الجميع ، فان فعل فذاك ، والا فارسل لننسخ أخرى ، واما القصائد التي أكدت عليها ، فسننسخ منها ماتيسر ، فلانهمل ، لانمن حرص على اكتساب المعالي وجبت اعانته

كل عز ان لم يوطد بعلم فالى الذل ذات يوم يصير

وقد حفظت لوالدي أبياتا يخاطب بها من يحضه على ترك نعاس الصباحوهي

السر في الصباح من نامه ماموله بنومه فاته
أنفاسه نفائس للحجا ياويح من ضيع اوقاته
العلم قوت الروح هل ممكن يحيا الذي فارق اقواته ؟

وقد اخبرت أنك في انتظاري لدى الرحيل ، فلم يتيسر الوداع ، كتب في سرار جمادى الاولى ١٣٥٤

ادبيات بيني وبينه وأنا في الحمراء

كنت كتبت اليه نحو ١٣٤٠ هـ رسالتين على نمط الترسل القديم ، فأما احداهما فتحققت أنني أرسلتها اليه من مراكش ، وفيها القصيدة الجيمية، ولكنه أخبرني بعدم توصله بها اذذاك ، وهذا من الغرائب ، وأما الثانية فقد وجدت عندي منهانسخة ، ولاأدري هل أرسلتها اليه ثم لم تصل اليه أيضا أولم أرسلها ؟ فاما الرسالة الاولى فهي مكتوبة في كناشة لاتزال بين الاوراق التي بالحمراء ، وياليتني كنت ازاءها هناك ، وأما الثانية فهاهي ذي في محفظة بين الاوراق التي تغربت مثلي عن ذلك المقام السعيد ، فآه آه آه على فراقنا لذلك المقام السعيد فلننشرها فانها كنموذج من ترسلي في اعوام ١٣٣٠ هـ حين كنت لاازال مكبا على (نفح الطيب) و (قلائد العقيان) و (المطمح) و (ريحانة الالباء) و (ديوان الصبابة) و (خزانة الادب) لابن حجة الحموي وهي

سلام من النسرين أذكى واعرف الى من عرفت القلب منه ويعرف
سلام أخ قد فارق الاخوة الالى فؤادي أراه بعدهم يتقصف
بني الغ هل ذاك النسيم معرف كعهدي به أو هوفي اليوم اعرف؟
وهل زهرات الروض يسطع طيبها صباحا متى يغدى الى الروض تقطف؟
كما قدغدت اذنحن في ضمن اخوة اجلاء كل نحو خدنه يعطف

الفقيه الكبير سيدي المدني ، الذي له على كل أقرانه مقام سني ، من لايساجله عمرو بن عثمان في النحويات ، ولايجاريه عمرو بن بحر في الادبيات ، من

اذا أرعف القلم بالنقس (١) رأيت كيف ينتظم الجوهر في الطرس، فما ابن بسام اذا سجع ، وما الفتح اذا ملأ أكواب النثر واترع ، الناس كلهم له من الخدم ،منذ بايعه على الولاء القلم ، الفقيه اللوذعي ، والفصيح الذى اذا تكلم سحبان أمام كلامه فهو كله حصر وعي، علامة العلماء ، وقدوة الشعراء ، من اذا جال في النظام ، فضح ابا تمام ، واذا جال في الحكم والمعاني بالشفتين ، استحيا من الوقوف امامه ابن الحسين ، وقال مالي بمباراة هذا من يدين ، وان لمح بيانه في القريض البحترى ، نفض يديه من انتحال الشعر ، وقال انني من هذا الفن برى

أما بعد ، فياسيدى انني فارقتكم كالمفارقة التي قال فيها ابن عنين اذخرج من دمشق باكي العينين

فارقتها لاعن رضا وهجرتها   لا عن قلى ورحلت لامتخيرا

وبودى أن لاأفارق أيها الادباء مجالسكم الحافلة ، لكي استفيد دائما من كل نوع من العلوم مسائله ، ولكنني لست بمختار ، وان سميت بالمختار ، فما اقصر تلك الايام التي قضيتها عندكم نتهادى بالادب ، ونترشف الفوائد ، فكأنما نترشف ابنة العنب ، فها انا ذا وحدى الآن هنا في هذه المدرسة اليوسفية التي لايملاها الا طلبة من الاعراب ، وليس منهم من يعرف ولو كلمة من الاداب، فقد كادت فكرتي بعدكم تصدى ، حين لم يجد لساني من يذاكره في الادب سواء قصد تهامة او نجدا ٠ وان كانوا كلهم أفاضل ٠ محصلين للعلوم الاخرى حتى برزوا في المحافل

اصبحت فيمن لهم دين بلاأدب   ومن لهم أدب عار من الدين

أصبحت فيهم غريب الشكل منفردا   كبيت حسان في ديوان سحنون

وقد خطر لي ان ارجع الى سوس تماما ، واقول لهؤلاء الاعراب سلاما سلاما فادع الله لي ياأخي بالتيسير ، فالله هو الذى يسر كل عسير ، وسلم على كل من معكم ، كل واحد باسمه ورسمه ، وقل له ذلك عني ، وحيه مواجهة وسمه

هذه هي الرسالة التي أقف ازاءها ، كما يقف كل قارىء مفكر ، واتعجب كيف كنت في هذا المقام في الترسل ، ثم استطعت أن انفلت من احبولته ، وأن أمشي مستويا، فالحمدلله الذى هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والذى ذكر في الرسالة من العزم على الانقطاع الى سوس كانت فكرة خطرت لي نحو ١٣٤٠ هـ وكنت نويت ان القي رحلي عند الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى ولكن وقف أمامي شيخي سيدى سعيد التناني رحمه الله ، كما سترى الالمام بذلك في ترجمته ان شاء الله ، قائلا لاها الله ، لاتعود بعد الى تلك المدارس ،

---

١) النقس بكسر فسكون المداد

فترتطم ثانيا فى اخلاقها ، بعد مافرحنا حين تملصت من نطاقها ، فهذه فاس بل مصر ان لم تعجبك الحمراء ، ثم ذكر الحديث «اللهم اتم لاصحاب هجرتهم، ولاتردهم على أعقابهم»

وهذه الرسالة الغية حقا ، الغية المنزع ، الغية المبنى ، الغية التركيب، وقد كتبت من الغى الى الغى ، ممن يشتاق اذذاك الى الغ ، ويهيم بالغ ، ثم هاهى ذى اليوم تبعث فى الغ فى تاريخ الغ (واهل وزان يفعلون فى وزانهم ما شاءوا) كماهو المثل السائر فى الحواضر ، فلم اذكر اننى قراتها قط، ونحن فى الحمراء ، اذنحن فى الحمراء على السبع الطباق

آمنت بالدهر وتصريفه وانه يلعب بالمرء
آليت أغتر بعيد بما أسمعه منه وبالمرنى

(ثم اننى توصلت بعد كتب ماتقدم بتلك الرسالة المتقدمة ، فرايت ان أثبتها ازاء اختها ، لانها الغية ايضا ، ذوقا وصناعة ونسجا ، فوجب ان تكون على ماهى عليه فى تاريخ الغ ، والاضاعت ، ونصها :

عصر بتيجان البهاء متوج عصر باعلام الوصال مدبج
عصر نديم به الصداقة بيننا ونفوسنا فى جوها تتارج
ونجول فى روض الوصال وما له الا التصافى سوسن وبنفسج
تومى الى بدر المزار يد المنى فيبين عن كثب له متبلج
قد مد الغ لنا ظلال سعادة ما مدها لابى عبادة منبج (١)
ويد لنا سعد به نلنا الذى قد ناله اوس به والخزرج (٢)
والكاس دائرة بكف معذر للعين فى وجناته متفرج
تذر العقول طوائرا لاسيما لما غدت بجنى المباسم تمزج
فكانها وحبابها متنظما ملك لدى ايوانه متتوج
وكان ردف مديرها متهايلا فى بردتيه غطمطم يتموج
وكان قامته على بان الحمى قد قاسها مستنبط مستخرج
وكان شعر عذاره من خده طرر الى حرف الصحيفة تخرج
وكان جوهر ثغره متناسقا شعر الذى هو للبيان نموذج
السيد المدنى آدب من له شغل بتوشية القريض وملهج
من فكره ياتى بنظم وشيه اعلى من الوشى اليمان وابهج
أبدت قصائد للعقول صوائدا كالروض يعجب والنوافح تارج

---

١) وهو البحترى وله فى منبج أبيات
٢) فيه الاستخدام بين السعد المعروف وبين سعد بن عبادة الخزرجى وسعد ابن معاد الاوسى ولذلك فى الادب القديم حلاوة

من كل معنى كالنسائم رقة نفحاتها حاجات من يستارج
أو كل لفظ كالحديقة بهجة رضيت به آمال من يستبهج
طرف الفصاحة والبلاغة ملجم ببيانه الطامى البحار ومسرج
فاذا أفاض بديهة من قوله فالوائلى أمامه متلجلج
أو اذا وشى قرطاسه بيراعه فابن العميد على حياء يدرج

* * *

ياسادتى عذرا وان قصرت فى قولى فانى فى الفهاهة مدرج
من كان فى بحر التغرب راسبا مثلى فدون مناه باب مرتج
تتسابق العبرات فى خدى وفى كبدى أوار ثماره تتأجج
تتناهب الجلاس جوهر مدمعى أو للجواهر فى المدامع مخرج ؟
والله أسال أن يكون بفضله من سجن هذا الاغتراب المخرج

صاحبنا السنى ، سيدى المدنى ، المتفرع عن قوم ، جلوا عن سوم، سادوا بالسعد لا بالجهد ، وبالبخت لابالتخت ، وبالعزة لا بالبزة ، وبالشرف لا بالترف ، وبالكظم ، لابالعظم ، وبصفاءالسريرة ، لابكثرة العشيرة؛وبالتخشع؛ لا بالترفع ؛ وبالاحكام ، لا بلبس اللام ، وبالاقلام ، لابضرب الهام ، وبالدفاتر لا بالسيف الباتر ؛ وبالفصاحة ، لا بالوقاحة ، وبالقول الفصل ، لابجرد الاصل وبالجد ، لا بالجد ، وبالحسب ، لابالنسب ، انتسقوا فى المعالى ؛ كاللآلى ؛ وعبقوا من المراتب العوالى ؛ كالغوالى ، واقتعدوا صهوات العلوم ، برقائق الفهوم ، فشيدوا قصورها ، وشادوا دورها ، وأطلعوا بدورها ، وحلوا نحورها وأزخروا بحورها ، وشرحوا صدورها ، وأناروا عصورها ، بابحاث رقيقة لم تترك مقالا لقائل ، ولاسؤالا لسائل

أبنى على أن ما اوتيتم عجز اليراع لدى عن تبيينه
حتى عجبت وحق لى من حمق من فى عده اجتهدوا وفى تدوينه
أولستم كنز العلوم ؟ ومن يفز بكم تقر عيونه من حينه
اولستم أديتم لنزيلكم فرض الجدا فى الحين مع مسنونه؟
فبقيتم أبنى العلا فسنوكم أنست لنا نجدا وذكر سنينه

هذا وأنهى الى الحضرة المدنية ان الاشواق فى الافئدة ، وفى الجوانح المحجوبة مشبوبة متقدة ، بتذكر مامر من العيش المخضر ، وما مضى من الوصل الرضى المفتر ، اذ نتهادى فى ساحات الصفو، ونتهادى كؤوس اللهو

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

يوم انشرح بنا صدر اللوى ، وغيض العدا من تساقينا الهوى ، فياله من زمان به تؤرخ المسرات، ومن عصر أيامه فى وجنات أعمارنا شامات

سيدى ، ليت شعرى كيف ذلك الاخاء المتأكد فيما قبل ، وروض الوداد

الذى صاب فيه من مصافاتنا الوبل ، احى فيرجى ، أم ميت فيسجى ؟ أواذبل زهره التغيربالنأى اذاطالما غيرالنأى المحبين، واغاض بحره التنائى ، وقــلمــا يبقى على فيضه مع البين وداد المتنائين ، لكنك ان تغيرت ولاأظنــك ، فغيرى خدنك، أوعفت رسومصفائك ، فقد حدت عن سنن وفائك ، وعلى كلحال،فتغير ودى أنا من المحال ، بل يتزايد على كر الجديدين ويتجدد، ويتطاول باعـــه ويتمدد ، وغدا يظهر الصادقون من المتصادقين ، والذائقون طعم الوداد مــن المتذائقين

سيدى ماأطول هذا البين الجائر ، والارواح بالاشواق قد بلغتالحناجر، فكم مرة جزمنا علىرفع حجابه المنصوب بين المحب والمحبوب ، فيابى الله الا ماأراد ، منعكس المراد ، قربالله لناكل المنى ، وأنال كل متمن ماتمنى؟

انتهت الرسالة التى كتبها مختار ذلك العصر ، المولع اذذاك بكتاب (الفتح القسى) وامثاله من الكتب المسجعة ، على ان الادب أدب كيفما كانلونه

أخبار أخرى عن المترجم

اقترن صاحب الترجمة بعدوفاة والده سنة ١٣٥١ هـ فولد له ولد سماه أحمد فى ـ١٣ـ ذى الحجة ١٣٥٤ هـ فرفعت اليه على العادة قصائد كثيرة فى تهنئته بالرائد الميمون، فمن بين من هناه الشاعر الفحل محمد سالمالشنقيطى ثمالالغى ، وسيدى عبد الله بن محمد شيخنا ، فاجابهما بقطعة اولها :

اتى فاطبانى مــزدر بازاهر ... بروض وسيم غب سح مواطر

ونختم هذه الترجمة بجواب له ، حوللفظة ذاتبمعنى الحقيقة ما جمعها؟ وما أصلها؟ وهو جواب عن سؤال رفعه اليه شيخنا سيدى عبدالله بن محمدابنعمه

الا أيها المولى الامام ومن له ... علو على هام المعالى بلا نكر
آتى من جنابكم سؤال تجوبه ... بلاغة نظم كالقلادة مــن در
تسائل عن أصل لذات وجمعها ... مرادفة للنفس فى كل ما يجرى
ألا فــاعلمن والعلم خــير ذخيرة ... وأفضل ما يحدو الرجال الىالبر
بأن الذى اعطاه نص محقق ... عليم بسر العلم فى الورد والصدر
جواز لجمعها بجمع مـؤنــث ... سليم منالتكسير فى السروالجهر
وتعويض تائها عن اللام اذ غدت ... بحذف لها شبه النظائر فىالذكر
فلامها واو وعين لها كــذا ... على حمل وزنها اذا كنت ذا خبر
وقد قيل معناها كمعنى حقيقة ... ونفسلدى أهل اللغىصاحبىالخبر
ولكن اذا اطلاقهم فى اصطلاحهم ... فروعى والمعروف عكسه فلتدر
فمنى على مغناك ازكى تحية ... يفوق شذاها ماتفتح من زهر

هذا وسلام كاللطيمة ، اوكالديمة ، ينتاب جناب الشيخ الاصعد ، والصدر الاوحد ، أبىمحمد سيدى عبد الله بن محمد

وبعد ، فالظاهر من ذات بالمعنى المسؤول عنه ، انها معتلة العين واللامبالواو، وانالتاء فيها عوض عناللام كامثالها ، علىأنبعضهم قال انها بالمعنى المذكور، لاتستعمل لغة ، انما هى ذات بمعنى صاحبة ، ولعل ذلك هو السبب فى عدم ذكر القاموس لها ، والمحشى ، وهذا الذى اجبنابه ذكره الموضح مع المصرح، صدر باب النسب ، حين قال وقول العامة ، وقول الاصوليين خليفتى وذاتى لحن منوجهين ، فليراجع ، واخيرا أقول ما المسؤول باعلم من السائل والسلام»

اتيت بهذا النظم الذى فى هذا الجواب على مافيه تغليبا للاستفادة والقراء الذين لايرتاحون للفوائد أمثال هذه ، نطلب منهم انيتخطوا هذه الصفحة ، فنبقى مع حضراتهم فى مسالمة ، لايواخذوننا ولانواخذهم ، والحامل لى على سوق هذه الفائدة اننى تذكرت اننى فى نحو ١٣٥٣ هـ كنت فى الجديدة معالاساتذة المراكشيين ، سيدى عبدالجليل بن القزيز ، وسيدى محمد بن عثمانالمسفيوى وسيدى أحمد بن الفاضل ، فاستدعانا الفقيه سيدى ادريس مقدم الطريــقــة التيجانية ، فتغدينا عنده ، وقد حضر معنا الفقيهان ، سيدى الحطاب ، والسيد الريفى ، فجرت المذاكرة فى هذه الكلمة واصلها، فتوقفنا فيها جميعا ،فراجعنا القاموس ومحشيه ، فأعوزنا مانتطلب ، فبقينا فى حيرة، واليوم وجدتالالغيين قد اهتدوا الى كلام الموضح والمصرح ، فى حين انااذذاك لم يستحضر واحدنا اذذاك مكانمراجعة الكلمة ، فهل يتقبل علماء مراكش الجدد ، وعلماء الجديدة الفائدة هذه منأيدى الالغيين الكرام ؟

كان المترجم منذ صغره مناط رجاء والديه ، الاستاذ على بن عبدالله ، والسيدة نفيسة بنت الشيخسيدى المدنى الناصرى ، وقدحرصا منذ أندببين يديهما أنلايفلتا دعوة كل منيرجى منه استجابة الدعوة من أهل الخير ، فقد حدثتنى أختى فاطمة عنأمه السيدة نفيسة أن زوجها الاستاذ دخل عليها يوما، وامرها أن تنظف الولــد ، وتلبسه أحسن لباسه ، فأخرجــه الى الشيخ الالغى وهو فى ثوى الدار ، قالت فنويت أنيدعوله الشيخ أنيكون قطب عصره،ليرث منارث جدهالشيخ المدنى ، الاانأباه لمارجع به ، قالانالشيخدعاله انيكون عالما كبيرا ، فمضى ما مضى، فاذا بالولد استحال عالما يخوض فى فنون العلوم ، فكان ذلك نصيبه وحده ، وقدأصيب باحدى عينيه ، وهولايزال شابا فرهدا ، وكذلكصحته ، يلمبها ضعف ، ولم يكتسب صحة الالغيين ، ولذلك لم يعمر تعميرأهله ، فمات دون الشيخوخة

الآخذون عنه

من الآخذين عنوالدهمن أخذواأيضاعنولدههذا مترجمنا اليوم،وقدكتبالىبعض المطلعين قائمتهم ، وغالبهم لاأعرفهم ، وسادرج القائمة كما جاءتني ، وعند تراجمهم في (القسمالرابع) انشاءالله ساتحرى فيهمجهدي فلاأذكر الا من أدرك انه على شرط الكتاب

الالغيون

١) سيدي الطاهر بن علي اخو المترجم
٢) سيدي الحسن بن علي اخوه ايضا
٣) سيدي عبد الله أخوهم
٤) سيدي احمد بن محمد التهالي
٥) سيدي محمد بن عبد الله الزاوي
٦)سيدي محمد بن عمر الصالحي
٧) سيدي احمد بن عمر أخوه
٨) سيدي محمد بن ناصر الزاوي
٩) سيدي محمد بن الحاج بلقاسم
١٠) سيدي الحسين بن الحاج الزاوي
١١) سيدي محمد بن أحمد السليماني
١٢) سيدي ابراهيم بن الحسن السليماني
١٣) سيدي احمد بن محمد السليماني

التاكيانزيون

١٤) سيدي الحاج الحسين بن صالح
١٥) سيدي صالح بن مبارك
١٦) سيدي ابراهيم بن أحمد

الايغشانيون

١٧) سيدي احمد بنالحسن البناني
١٨) سيدي محمد بن الحسن اخوه

الـوَفقَاوِ يـون

١٩) سيدى عبد الله بن أحمد الكليزى
٢٠) سيدى مبارك بن أحمد
٢١) سيدى على بن عبد الله المستلاتى
٢٢) سيدى صالح بن احمد

السملالِيون

٢٣) سيدى محمد بن سعيد الاعضياوى
٢٤) سيدى محمد بن محمد الوليلى
٢٥) سيدى عبد الله الوليلى
٢٦) سيدى محمد الدروش الزيمامى
٢٧) سيدى المحفوظ الزيمامى
٢٨) سيدى محمد بن احمد الوجيى

الكَپرسيفيون

٢٩) سيدى الحاج بلقاسم بن عبد الله
٣٠) سيدى احمد بن عبد الله
٣١) سيدى شعيب بن اسمعيل
٣٢) سيدى احمد بن الحسن
٣٣) سيدى عمر بن عبدالله
٣٤) سيدى محمد بن عبدالله الاسكاورى

اليزيديون الايسيون

٣٥) سيدى احمد بن المكى
٣٦) سيدى محمد أخوه
٣٧) سيدى عبد الله أخوهما
٣٨) سيدى عبدالرحمن بن محمد
٣٩) سيدى عبد الله بن محمد

التملِيون

٤٠) سيدى ابراهيم بن محمد الايفالنى

التَّـامانارتِـيون ومن إليهم

٤١) سيدي محمد بن الحسن الايموكاديري
٤٢) سيدي ابراهيم بن الحسن أخوه
٤٣) سيدي محمد بن عبدالله الاموكديري
٤٤) سيدي الهاشم بن الحسين من هناك
٤٥) سيدي الحسن بن المدني من هناك
٤٦) سيدي عبدالله بن محمد الساموكني
٤٧) سيدي محمد بن ابراهيم الساموكني
٤٨) سيدي محمد بن احمد الساموكني

المجاطيون

٤٩) سيدي المحفوظ بن محمد الابضري
٥٠) سيدي المدني بن احمد ابن أخيه
٥١) سيدي بوبكر بن يحيا التاجارمنتي
٥٢) سيدي محمد بن محمد بلانهمو

الأفرانيون

٥٣) سيدي المهدي بن البشير الناصري
٥٤) سيدي بلخير بن محمد الامسراوي
٥٥) سيدي سعيد الاساكي
٥٦) سيدي احمد بن الطاهر
٥٧) سيدي الحسن التاعرابتي
٥٨) سيدي احمد بن محمد اخوه

الباعمرانيون والساحليون ومن إليهم

٥٩) سيدي احمد بن زكريا التادرارتي
٦٠) سيدي محمد بن زكريا أخوه
٦١) سيدي محمد بن مبارك الايكسلي خالهما
٦٢) سيدي علي بن ابراهيم الاخصاصي العلوي
٦٣) سيدي محمد بن محمد البيشواريني الساحلي
٦٤) سيدي احمد بن محمد أخوه

الجراريون

٦٥) سيدى الطاهر بن الحبيب السكرادى
٦٦) سيدى عمر بن محمد السكرادى

التزنتيون

٦٧) سيدى محمد بن الحسن التزنيتى الساموكنى

البَعقيليون

٦٨) سيدى الطاهر بن العربى الادوزى
٦٩) سيدى احمد بن سعيد الاكمارى
٧٠) سيدى محمد أخوه
٧١) سيدى عبد الله بن احمد الاكمارى
٧٢) سيدى محمد بن ابراهيم الاكمارى
٧٣) سيدى ابراهيم بن الطيب الاكمارى
٧٤) سيدى محمد بن خالد الافلاوكنسى
٧٥) سيدى ابراهيم اخوه

الرَّسْمُوكِيون

٧٦) سيدى احمد بن محمد الرسموكى

الغرباء عن سوس

٧٧) سيدى احمد بن محمد الجبلى

وفاته ومراثيه

فى يوم من الايام دهم على نعى الاستاذ وأنا فى الحمراء ، كما استقررت فيها ، ولم يطل عهدى بمساجلته ، يوم فصلت عن الغ باهلى ، حوالى مفتتح ١٣٦٥هـ فقد كنت قلت للالغيين حين اودعهم قطعة مطلعها :

وداعا بنى الغ الكرام وداعا وان طار قلبى بالوداع شعاعا

فأجابنى رحمه‌الله برسالة ، توجد مع تمام هذه القطعة فى مختتم الجزء الثالث من كتاب (الالغيات)

وصلنى نعيه فلاتسل عنوقع ذلك منى ، ولمأبكمنه الارجل المعارف

وقطب المدرسة ، ومضياف الغ ، فلولا انالرجاء فى اخوانه كان كبيرا ، لانشقت المرارة عليه أسفا ، ثم توصلت من أخيهلابيه ، سيدىمحمد بن على بهذهالمرثية:

بانوا وما ودعوا فخلفوا كمدا شوى وانحل منا القلب والجسدا
رحيلهم أسكن الاسقام فى كبدى منلى باطفاء حزن جمره وقدا
ياعجبا كيف ينسون أخا حرق لم ينس قط عهودهم وان طردا
فكيف عيش الفتى غضا اذا فقدت أترابه وهو يبغى عيشه رغدا
كيف الحياة وهذا السيد المدنى نجل على قضى ووجهه فقدا
من لى به من فقيه أيد ندس أمام منقدهدى فى الدين اورشدا
من لى به من أديب مصقع حذق يفرى فرى كمى لابس زردا
من لى به من أديب مفلق خضر مخلف ايعاده واف بما وعدا
من لى به من محقق اذا ذكرت أبحاث قوم فبحثه غدا السندا
منشب يقرى الى دب بمدرسة يروى الالى صدروا عنها ومن وردا
فان بدت أزمة وبددت زمرا فهو على الدرس مقرئا وقد صمدا
فياله من كريم داره قصدت شرقا وغربا فلا يجفو بها احدا
بنى على فصبرا ان ذاعمم فى كل خلق وان طغى وان حشدا
فالله يرحمه فضلا وينهله بمقعد الصدق مأواه مع الشهدا
بجاه اشرف خلق الله كلهم صلى عليه صلاة فاتت العددا

وقال شيخنا سيدى عبدالله بن محمد الالغى

ياعين جودى بدمع مطرد كالفرى
منسجم كانسجام تهطال جود الولى
لفقد مولى الموالى خدن الصفاء الولى
من بذ فى المجد سبقا الاريحى الابى
قائد شوس المعالى السيد الالمعى
امامنا ابن امام المدنى بن على
من ذا يقوم مقاما قد قام بالمدنى
ومن لمجلس درس ومن لذاك الندى
لقد قضى الدرس لما قضى وحق العلى
تركتنى يا ابن عمى (لحا) بقلب شجى
عليك منى سلام يذكو بعرف شذى
فيابنى الغ صبرا لرزء فذ جلى
ونسئل الله عفوا له بلطف خفى
وان يكون شهيدا من حزب ءال النبى
عليه أزكى سلام مطرد كالقرى

وقال ايضا

لقد اصبنا بموت السيد المدنى فذ المعالى ابى النفس غير دنـى
لئن مضى ما مضت من بعده جـدة تفتت القلب والاحشاء من حزن
يعتادنى كل حين طيفه فجفا جفنى القريح لذيذ النوم والوسن
قد كنت جارى بيت بيت لا احد ارعى لحق الجوار منك بالحسن
حفظت عهدى فما نالتن قارصة منك ولا بادرات الغيظ والاحن
وانت جار أبى دؤاد لى كرمـا بل أبن شور لما اسديت من منـن
ماانس لاانس منك كل صالحـة كيف وانت سمير الروح لم تشن
ان العلا ايم والدرس ذويتم ياخير بعل ويا خير أب ففنى
تسلبت واحدت كل غانيـــة من المكارم مذ ادرجت فى كفن
عفت مدارس علم منك واندرست اعلا مها طامسات ايها المدنى
ان مت حسا فما معنى تموت ولـ ـكن خلقك الفذ يحيى غابر الزمن
لكن يخفف بعض الحزن اخوتك الا علون مـن طاهر والسيد الحسن
قدست من عالم علت مراتبه ومن بليغ فصيح من ذوى اللسن
فالموت لا ملجأ منه لكل أخى نفس وان عاش ماقد شاودى بدن
والموت لم ينج منه ذو الحياة وان نال من العز مانال ابن ذى يـزن
والموت فرض فلا مقر منه فكن معد زاد التقى فى السر والعلن
انهى اليك سلاما طيبا ارجا وكنت فى منزه من جنة العدن (١)

وقال الاديب سيدى الحسن بن على فى ذلك :

من للمجادة بعد السيد المدنى من للمكارم من للعلم والوطن
من للارامل ان عرتهم نـوب بعد فقيد العلا والروح والبدن
أودى فقامت بمن اودى قيامتـنـا وانهل سحب الاسى والغم والحزن
واظلم الجو مذ غابت مشارقه تنحو رحيم الورى فى النعش والكفن
بان فبان جميل الصبر يتبعـه وغاض ماء المنى فى السر والعلن
بان فخلف اكبادا محـرقـة فمن يعاتبنى فالوقر فى الاذن
خلف افئدة حوت على كمد من اخوة فقدوا عونا على الزمـن
جلت مئاثره لكن مصيبتـه تمنعنى عد مايحويه من منن

وقال الاستاذ الاديب سيدى احمد بن الحسن البنائى

الدهر ذو عجب اما ترى فرحا يوما من الدهر كم يبديه من حزن
اليس من عجب يوما ترى احدا فى غبطة وغدا تراه فى كفن
قد كان ممن اجاب اذن خالقه على هدى قائد العلياء بالرسن
مات الكمال ومات البحث واندرس الـ ـتدريس حقا لفقد سيدى المدنى
هو المحقق لايدع مسالـة الا ووضحها توضيح ذى لسن

---

١) يعنى جنة عدن بفتح فسكون

هو فتى كامل علامة فطن — وهو المحلى بخير خلق حسن
يهش للضيف وقت ما أتاه كما — بفعله القطب شيخنا ابو الحسن
عليهما رحمات الله ما سجعت — ورق الحمام على لدن من الغصن
فمن لبث العلوم اليوم يعلن تر — حيب الضيوف ومن ومن ومن ومن
ياعين سحى لفقد سيدى المدنى — وافرغى قانئا من دمعك الهتن
بوأه الله امين بجثته — وهو الغفور الرحيم الرب ذو المنن
صبرا بنى المجدان الموت مسلك من — يحيا فسيان مرفوع الورى ودنى
أين النبى ادم واين سيدنا — نوح وتبعهم واين ذويزن
ان الالى قد قضوا سننهم ابدا — بث العلوم فنعم خير ما سنن
الحمد لله فيكم الكفاية وال — دهر يساعدكم فى السر والعلن

ثم قلت اناشبه مرثيه وهاكها

أتفقد الغ خير أفذاذها أيضا — فاى دموع لاتفيض له فيضا ؟
مصاب بالغ صوحت بسمومه — اجل نظرات هل تحس به روضا؟
أفى كل يوم يفعل الموت فعله — فنبقى حيارى لاسماء ولا ارضا ؟
أيزخر جهل الجاهلين وقد غدت — تغيض بحور من فطاحلنا غيضا ؟
فما الغ الا علمه فاذا أنطوى — فقد انطوت منه صحيفته البيضا
بنو صالح هم لب الغ وركنه — فان صالحى رض فالمجد قد رضا
هم المجد كل المجد فيه فهل ترى — لغيرهم فى مجد الغ ولو بعضا ؟
فهذا عميد العلم منهم مضى فهل — لنا فى سواهم من يرى علمه غضا؟
مضى المدنى الفذ فليبكه الندى — وكل الذى أدى له النفل والفرضا
فهل بعده من أهله من عشيرة — تعض على ماكان من ارثها عضا ؟

قولة ابن الحبيب فيه

قال فى ترجمة والده على بن عبدالله انله اولادا اجلاء فقهاء مذكورين «أكبرهم المولى الاجل ، الفقيه الاكمل ، سيدى المدنى بن على ، اخذ عن ابيه المذكور ، وعن أعيان بلده، واستولى على كرسى أبيه فى التدريس ، بلاضرر ولا تعبيس ، وقد وفد مرة على القائد عياد الجرارى ، وعنده وقع التعارف بيننا، فوجدته طيب الاخلاق ، حسن الادب ، حافظا لغريب اللغة وغوامضها، فنه الادب واللغة والعربية ، حفاظ لقصائد اهل العصر ونوادرهم ، لايمل مجلسه، وهو الى الآن لزم بلده ، وعمارة مدرسته بانواع الانصبة ، ولم يقصر جهده فى نشر العلم وتلقينه لطالبه ، عادة والده المقدس بكرم الله مع باقى اخوته ليلا ونهارا

(شنشنة أعرفها من أخزم)

توفى رحمه الله فى جمادى الثانية ، عام خمسة وستين وثلاثمائة والـف ، ببلده ، رحمه الله ورضى عنه «امين»

أقول انه ليس باكبر اخوته كما توهمه هذا المؤرخ ، بل انمحمدبنعلى الاديب الكبير أسن منه ، كما سترى ذلك ، فى ترجمته قريبا ان شاء الله

نجز (الفصل الاول) من (القسم الاول)

ويليه إن شاء الله (الفصل الثاني)

وهو تمام هذا الجزء

بعون الله

الفصل الثانى

من

القسم الاول

ويتضمن ذكر الاحياء من ١٣٧٥ هـ

وهاك اسماء من فى (الفصل)

سيدى عبد الله بن محمد الصالحى
سيدى محمد بن على الصالحى
سيدى الطاهر بن على الصالحى
سيدى الحسن بن على الصالحى
سيدى صالح بن عبد الله الصالحى
سيدى أحمد بن عمر الصالحى
سيدى محمد بن ناصر الزاوى
سيدى محمد بن الحاج بلقاسم الزاوى
سيدى محمد بن عبدالله المدعو الشيخ موح الزاوى
سيدى محمد الخليفة ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى عبد الله ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى عبد الرحمن ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى ابراهيم ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى الحسن بن احمد ابن الشيخ الالغى الاستاذ
سيدى عبدالسلام بن احمد ابن الشيخ الالغى الاستاذ
سيدى محمد بن احمد بن صالح السعيدى القاضى
سيدى ابراهيم بن احمد بن صالح السعيدى الاستاذ
سيدى عبدالله بن ابراهيم السعيدى الاستاذ
سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى الاستاذ
سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم السعيدى
سيدى محمد بن احمد السليمانى الاستاذ
سيدى ابراهيم بن الحسن السليمانى الاستاذ
سيدى عبد الله بن مسعود التيبيوتى الاستاذ
سيدى احمد بن مسعود التيبيوتى الاستاذ
سيدى عبد الحميد ابن الشيخ الالغى الرئيس
سيدى عبد الله بن اليزيد التاهالى الرئيس

شيخنا الاستاذ عبد الله بن محمد

-٢- صفر - ١٢٩٨ هـ = حـــى

نسبـه :

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن احمد ابن عبدالله بن سعيد

اذا قال ابن انطمحان من الشعراء القدماء في قومه هذه الابيات الخالدة

واني من القوم الذين هم هم — اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما راح كوكب — بدا كوكب تاوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم — دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال منهم حيث كانوا مسود — تسير المنايا حيث سارت كتائبه

فاني في هذه السلالة الصالحية التي ارتشفت اول رشفة من العلوم على شيخنا هذا الذي هو منها اليوم بمنزلة الهامة من الرأس ، أقول هذه الابيات ، وان لم تكن مثل تلك ، فاني يدرك الظالع شأو الضليع ؟

بنو صالح بنو المعالي وفضلهم — باحراز مجد العلم والادب الغض
كنوزهم جمعاء بين علومهم — فظلوا عليها بالنواجذ في العض
تراهم كأن كانوا من العلم في السما — وغيرهم من ءال الغ على الارض
شبابهم في العلم والشيب مثل ما — تفتح أصناف الزهور من الروض
فمن تلق منهم تلق فكرا ومبحثا — وذهنا سريعا مثل أجدل منقض
اذا مامضى منهم همام تمخضوا — عن ءاخر مرهوب الظبا صارم منضى
فيقبل والتدريس يخفق بنده — ويدبر في ميدانه بالذى يرضى
فهم سيف الغ المشرفي وذكره — فشهر في طول البلاد وفي العرض
فما الغ لولا علمهم غير مجهل — متى شام منه الطرف يسرع الى الغمض
ولكنه روض أريض وجنة — بها كل ما تشهاه من زهر غض
من ءاثار ما يسقونه من قرائح — تثج بأمواج الترسل والقرض
«فما زين الارجاء الا رجالها» — والا فما أرض باشرف من أرض(١)

---

١) اصل البيت
فمازين الارجاء الا رجالها — والا فما ترب باشرف من ترب

تلك هي الاسرة الصالحية المباركة ، التى هى فى العلوم كسلسلة منذهب كلما مضتحلقة تتبعها حلقة أخرى على غرارها ، فقد شاهدنا من الاستاذ الكبير والد شيخنا هذا فحلا لايقدع انفه ، ويعبوبا لايشق غباره، ورأينا من الاستاذ الاديب على بن عبدالله عم صاحبنا هذا ، كذلك سباق غايات ،وصاحب ايات، ثمجاء الدور الثالث بشيخنا هذا ، فكان خير نتيجة لتلك المقدمات ، ممخوض الوطب ،مصفى الراح ، مسدد السهم ، مجلو النصل ، كأنما خلق للمعالى كما اقترحت ، ولابحاث المعارف كما شاءت ، فنشأ كما ينشأالخيزران فىروض خضل وارف الظلال ، متدفق المذانب ، قد أخذمنكل مايتقوم بهقوام المدن ، فتراه من عهداتصاله بالعلوم متى تناول البحث أمامه مسالة عويصة، كما قال ابن الوردى :

أنا كالخيـزور صعب كسره وهو لين كيفما شئت انفتل

ينصت بكلتا أذنيه المرهفتين الى من يجيبه عنبحثه ، ثميراده بلاطفة ، وهو بين هذا وذاك، لايسلم لمباحثه ، حتى يدرك مايقوله غاية ادراك، وحتىيشاهده بعينيهعيانا، وكل ذلكمنه خلق لاتخلق ، وهولايرهباثارة مبحثبين يدى من كانوا اسن منه، فلايمنعه صغره فىريق شبابه انيقابل عمه الاستاذوخاله الشيخ الوالد ، بمرادة فيمالميظهر له أنهالحق ، ثملاينقاد الااذا استبان الحقيقة ناصعة، وقد كان ادرك ماادرك منأيام والده ، فلاحظ منه والده بتفرسه منذذلك الحينهذا الاقدام، فقال كلمته المأثورة : «ان ولدى هذا لجسور»، فبين هذه المباحث درج، وبين هؤلاء الفحول شب، وفى هذه الاخلاق الوثابة والنفس الطموح ، نشأ مقداما لايهاب فى الحق احدا ، ولايحنى هامته الااذاحناها لمن يعرفه حقا،فلاخير فىطرف لم يك قماصا ، ولافى باز لايكون منقضا، ثممازالت به عناية الله حتى تكشف عن عالم خريت فىكلالفنون التىدرسها ، وشاعر خنذيذ فى الطريقة التى يسلكها الالفيون ، وفى الموضوعات التىيطرقونها ، والانسان لايطلب منه أن يخرج عن نطاق بيئته علما ونظرا وتفكيرا

مبتـــدأ لا

ان فى اليتم لنعما ادخرها الله لليتامى وحدهم، وزواها عنكل مندرج بين احضان والديه مدللا مرفها ، وفى مقدمة هذه النعم تكون الاعتماد علىالنفس فىالانسان، حتى انك انجلست بينك وبين نفسك ، فامررت بين عينيك من نشأوا فىهذه الحالة ، ومن نشأوا بين احضان الوالدين، لتعاين عشرات من الاولين ناجحين فى المعترك الحيوى ، ثملاتجد فى الشق الآخر الا وحدانا هم الذين صافحهمالنجاح ، وتخطاهم مايلازم غالبا من نشأوا ابناء الاحضان، من سفالة الهمم والاخلاد الى الارض

كفله عمه الاستاذ ، وجده الرجل الصالح الحاج عبدالله ، فهما اللذان مالا به الى العلم ، ورجوا منه ومن أخوانه أن يكونوا خير خلف لابيهم •

اخذ القرءان عن الاستاذ سيدى سعيد بن عبد المومن التاوييتى فى مسجدهم فى القرية الزاوية ، ثم فى مسجد تويبيت اخيرا ، وربما أخذ أيضا هناك عن الاستاذ سيدى الحسن بن عبد الله السملالى فى بعض الفترات التى ينتاب فيها سيدى سعيدا بعض الموانع ، فعليهما جود ، ووافق اتقانه عام ١٣٠٩ ﻫ ثم الحقه أولياؤه بشيخ الجماعة سيدى محمد بن الحسن فى مدرسة (سيدى هو واوالحسن) بالاخصاص ، فبقى هناك حتى أتقن عليه بعض حروف غير قراءة ورش ، وقد كان يتلو القرءان أحيانا على آخرين فينة بعد فينة •

في مناغاة العلوم

فى مفتتح عام ١٣١٣ ﻫ افتتح بالمدرسة الالغيـة ، وكان صنوه الذى يكبره سيدى أحمد المتقدم الذكر يأخذه بالحفظ وباتقان ما يأخذ ، وبعد شهور التحق بالاستاذ سيدى العربى الساموكنى فى المدرسة (الايغشانية) فعليه درس المتون الابتدائية بجد ، وكان الاستاذ يعركه تلك العركات المعلومة عن اساتذتنا الالغيين ، فبدا لصاحب الترجمة يوما ، وقد جاشت نفسه الابية ، فحمل بعض متاعه على كاهله ، فانسل فلحق بمدرسة (تافراوت) باملن عند الاستاذ سيدى عبد الله بن القاضى ، فحين بلغ الخبر أهله ، توجه اليه العم سيدى ابراهيم ، فما زال يفتل لـه فى الذروة والغارب حتى أتى بـه ، وقد وعده تعمية عليه ، أنـه لا يقرب بعد اليوم الاستاذ الساموكنى ، قال صاحب الترجمة ، فركبنا البغلة وفى بالى أننا متوجهون الى الـغ ، ولـم أكن أعرف الطريق ولا وجهات تلك الناحية ، فلم أشعر الا ونحن أمام باب المدرسة فسقط فى يدى ، ولكن ما عسى أن أصنع ، فهكذا رددت الى هذا الاستاذ أيضا وقد وعد أن لا يمسنى بعد ، ولكنه سرعان مـا نقض الوعد فعادت هيف الى أديانها (١)

ثم فى أواسط ١٣١٤ ﻫ انتقـل الى المدرسة الالغيـة ، بعد أن سافر الاستاذ الساموكنى والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الى فـاس ، سفرتهمـا المشهورة ، وقد انفرد الاستاذ التاجارمونتى اذذاك بالمدرسة الالغية ، فلازمـه شيخنا فكان الاستاذ سيدى محمد ابن الحاج الافرانى ممن يعتنى به أيضا فى المتون الابتدائية •

---

١) هو مثل ويروى أيضا هكذا ذهبت هيف لاديانها وهيف ريـح حارة تيبس النبات وتعطش الحيوان وتنشف المياه أى عادت الريح لما هو مألوف منها يضرب لمن رجع الى عادة منه قبيحة

وفى عام ١٣١٥ هـ ، انتقل الى المدرسة (التانكرتية) التى فيها اذذاك الاستاذ سيدى الطاهر بن‌محمد حفظه الله ، فاقبل على المجاهدة والمواظبة والاكباب، وقد تملص‌من قبضات الالغيين الشديدة التى لايسلم منهـا حتـى عند الاستاذ التاجارمونتى ، فكان ذلك من‌اسباب انتقاله ، والاستاذ الافرانى الهين اللين ممن طلق عادة الالغيين هذه ، وقد وقفت على رسالة للاستاذ سيدى على بن‌عبد الله أرسلها مع المترجم حين ارسله اول يوم للتلقى من الاستاذ الافـرانـى، فاحببنا سوقها هنا ونصها

«العلق الخطير ، وروض من الادب مطير ، وهمام لاكتساب المفاخر ، سيدى الطاهر بن‌محمد بن‌ابراهيم الافرانى ، لازال مصون الجناب ، وخير باب‌لمن بالهمة الصادقة اليه اناب، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فلاباس لله الحمد، فلاتنس حق الاخوة من الادعية المرضية ، فى الاوقات المرعية، ثم‌ان الاخ عبدالله‌شاقت همته لاكتساب المعالى ، ونيل المقام العالى ، واورد واردالاهى سوام همته من‌عين العناية نهلا وعللا ، فرأى كل جليل دون اكتساب العلوم‌جللا (ومايقال لفضل‌ذابكم) ثم‌انه لم يران يعنو هاديه (١)لهادسواك ولاأن يعتمد فى بلوغ أمله على غيرك بعد رب سواه وسواك ، ولقد أعطى القوس باريها، واسكن الدار بانيها ، وعليه فتطول أيها الاخ بغرس الصنيعة فى آزكى ترب ، وضع التجافى عن‌الاخلاد الى الراحة موضع القرب ، فالله سبحانه يبقيك‌ءاخذابزمام الفخر ، ناهضا باعباء البر ءامين ءامين»

وقد وجدت على ظهر هذه الرسالة بخط شيخنا سيدى الطاهر مانصه

«قرة العين ومنية النفس ، ونجى الروح ومنتهى‌الانس ، سيدى ابومحمد عبدالله ابن شيخنا المقدس بكرم الله‌الالغى ، أدام‌الله‌ارتقاءه، واطال فى‌معارج السيادة بقاءه، وسلام عليه سلام‌مشوق اليه، ورحمة الله وبركاته، هذا

فطر بجناح الشوق نحو متيم　　　لقاؤك دون الناس غاية مرماه

يقوم بنفسه فيتزوج

فى‌عام ١٣١٨هـ ، رجع الى البلد ريان ، وقداحس انه‌اكتفى من‌الاخذ، فتزوج فى ذى‌الحجة من‌السنة، فاستقل‌بنفسه ، وأدارشؤونه بيده، وقدكان‌ممن خلقه الله ليكون رئيسا لامرؤوسا ، وءامرا لامامورا ، كماتكون عليه جبلة بعض أباة الضيم، وسبب انعزاله عن ءاله بعض أمور وقعت بينه وبين بعض ءاله الكبار، ممالايسلم بين الناشئين المتطلعين الى امتلاك‌الحرية فى شئونهم، وبين الكبار الذين استمرؤوا الاخذ بازمتهم ، فتفرقت الاسرة بذلك، فاغنى الله‌كلامن‌سعته

١) الهادى العنق

في اولى مشارطاته

ان كل من احب أن يستقل بنفسه، وأن يدير أسرته بيده، وعول ان لا يكون كلا على الناس، فليبتدر بهمته وعزيمه الى ان يدعم ذلك بكسب يجعل يده هي العليا دائما ، ونفسه باقية بانفتها واستنكافها ، فمن لاكسب له لامال له، وان أنفته تذهب ادراج الرياح

في عام ١٣٢٠هـ ، شارط وهو ابن اثنين وعشرين ربيعا في المدرسة الايفشانية المرة الاولى، فاقبل على التدريس والتهذيب ، وقد انضوى اليه تلاميذ مبتدئون وغيرهم، ومالت اليه النوازل في تلك الجهة، قال ولكنى لما جربت نفسي، وجدتني لازال محتاجا الى بعض ريشات تستطيع الخوافي والقوادم من جناحى التحليق فلذلك طلق المشارطة حين تمت تلك السنة، فاقبل على الاخذ أيضا

ياخذ عن الاستاذ ايكيك

كان الاستاذ سيدى محمد بن علي ايكيك مشهورا اذذاك بانه فرضي عالي الكعب ولما كان علم الفرائض وما يحتاج اليه من الحساب ، من الامور التى لايزال شيخنا يجب أن يتضلع منها، وكان ايكيك اذذاك مشارطا في مدرسة بايلالن، التحق به فلازمه ماشاء الله حتى أتقن هذا العلم اتقانا، وحصله اصولا وفروعا ، فقوض خيامه من تلك المدرسة ، معلنا لاستاذها شكره العطر

يراجع الاستاذ سيدي الطاهر الافراني

كانت السنة التى التحق فيها بايكيك الحادية والعشرين ، ثم حط رحله في المدرسة (التانكرتية) يستتم من معارف الاستاذ ، ويستشف ثمالة الكاس التى لايزال متطلعا اليها، فقال كنا اذذاك تلاميذ قليلين في المدرسة، وأنا قد شب أوارى وتفتحت كمام ذهنى ، ولكن قلما أجد من يتعاون معى، فكانت الدروس تترى فينة ، وفينة تمنعه الموانع، فاكببت متكلا على الله الى مختتم عام ١٣٢٤هـ فاذذاك راجعت المشارطة، وافرغت في التدريس غاية جهدى ليصفى الراووق رحيقي المعتقة، والمدرسة أفضل مصفاة للفنون

في مدرسة أداي

قال كنت لازمت البلد عند مفارقتى لتانكرت، وانا انتظر محلا ييسره الله للمشارطة ، ففى عام ١٣٢٦هـ تيسرت مدرسة (أداى) بايت حربيل، حل بذلك المسجد الكبير الذى رده مدرسة مسموعة مقصودة بهمته ، كما حكاه عن الشيخ الوالد الذى كان يقول له، جئت بعجب ياعبدالله ، حين أصلت جذور العلم

ودراسته في (أداى) ورددت مسجد الحربيليين اليباب مدرسة عامرة ، كانما أسس على العلم من أول يوم

انثال اليه الطلبة من كل جهة، فاجتهد معهم اجتهادا كبيرا تكونت بسببه في تلك الايام طبقة عالية من الالغيين وغيرهم ، صاروا فيمابعد اساتذة اعلين وسترى من هم فيما بعد

ثم في أول ١٣٢٨ هـ ، أطلت مسغبة القت على الناس كلاكلها ، فكان ذلك هو السبب في مفارقته لمدرسة (اداى) بعد سنتين كاملتين

في مدرسة ايغشان أيضا

لقد صدق زعيم الشرق جمال الدين الافغاني رحمه الله حين عرض عليه مال يوم نفي من مصر ، ليتخذه ذخيرة ليوم ما، فرده على من عرضوه عليه قائلا: انفقوه في مصالح وطنكم ، فان الاسد لا يعدم فريسة أينما حل ، فهذا ما وقع لصاحب الترجمة الذى رأيناه مهتما بالدراسة والخوض في العلوم في هذا الدور، ثم حالت المسغبة بينه وبين ذلك في (اداى)، ففارق المدرسة بقلب مضطرم ولكنه ماكاد يبقى في داره بالغ حقبة حتى تيسرت المدرسة الايغشانية ، وقد غادرها الاستاذ الساموكني ، فحل بها فتطاير اليه تلاميذه ، فبقى فيها أربع سنين في اجتهاد وملازمة غريبين، فقد كنت ممن حظى بالمثول بين يديه اذ ذاك في أواسط عام ١٣٢٩ هـ فكنا بين طلبة كثيرين، ونحن في طبقتنا فوق عشرة من المبتدئين، يلزنا بالتعليم الابتدائى على مالوف الالغيين لزا ، فسار بنا أشواطا فكانت تلك الاسس التى وضعها منى في تلك الايام، هى الباقية محفوظة عندى، حتى وجدتها كما هي، بعد أن ثاب الى الرشد ، وطاف بي الندم ، وقد مضى عنى شرخ الشباب ضائعا ، وذلك بعد أن فارقناه بنحو عشر سنين

كنا عنده هناك ونحن نيف وعشرون،او نناهز ثلاثين بجميع الطبقات، فكان يتعهدنا جميعا ، كل يسيره بسيره الذى يليق به

فآونـة بالضغط ان عاين الونى   وءاونة باللطف ان شاهد الجدا
يعامل كلا بالذى كان لائقا   فيذكو لنا حينا وحينا لنا يندى
كطب نطاسي درى كيف يعتني   فابدى من انواع المهارة ما أبدى

أخذت عنه مع طبقتي سيدى احمد بن الحسن البنائي ، وسيدى محمد بن أحمد الايغشانيين وءاخرين ، متون المبتدئين ، ونحو نصف الالفية، وبعض الرسالة للقيرواني ، ولامية العجم ، وحفظناهذه كلها ماعدى الرسالة على يده، فكان حفظه الله مهتما بنا اهتماما كبيرا، يلقى علينا من المسائل بكل مصادفة فيباحثنا ، ولاأزال استحضرانني ذهبت اليه بالوضوء ظهر يوم فقال لى بالعربية الفصحى هل كان من مطر ؟ وكان اليوم غائما ، فقلت نعم، كان من مطر، فقال

اجعلت أنت أيضا (من) فى عبارتك ، فاجلس واعرب عبارتى ثم عبارتك، فوقعت فى الاحبولة، وانا لاأدرى من أبحاثه اذذاك الاطفيفا ، فماكدت اتملص من اعراب عبارته (هل كان من مطر) وانا لااكادانفذ فى أسئلته التى لم تترك تصريف (كان) على جميع اوجهه الفعلية والوصفية والمصدرية ، الى ان درنا فى كل أبواب اللامية ، وفى عمل (كان) واخواتها ، فطرقنا بابها فى الاجرومية والالفية ،حتى وصلنا ءاخر عبارته (من مطر) فوقف حمار الشيخ فى العقبة الكئود ، فصرت أرتعد خوف أن أكون ممن صفع منه قفاه ولهازمه، ثم بعد أن أرانى كيف تعرب الجملة ، دخلنا فى باب ءاخر ، هل (كان) هنا تامة او ناقصة ، ثم خرجنا منه الى باب (من) فى أى محل تزاد، ومن قال من النحويين أنها تزاد فى الاثبات، فلم انفتل من بين يديه حتى تصببت عرقا ، ولكنى رجعت بفوائد كثيرة، فصرت اقفز فى تلك الدرج عند النزول وانا فرح بسلامة قفاى ولهازمى ، فجئت أحكى لاترابى ماوقع لى ، فقالوا ذلك من اسراعك اليه بالوضوء ، فلئن عدت أيضا ليعودن الى مثلها، فقلت لهم : مادمت أسلم من الصفع وأرجع بالفوائد ، فانما أرجع بما فوقكم به ، والتفوق فى التحصيل هى شهادة عصرنا ذاك، وقد كان افتتح معنا (لامية العجم) بالصفدى ، فكان ياخذنا بحفظ الابيات التى ينتقيها لنا، فمما حفظته واستحضره الآن ، قول الشاعر

لايصلح النفس ان كانت مدبرة — الا التنقل من حال الى حال

وقول ءاخر

تنقل فلذات الهوى فى التنقل — ورد كل صاف لاتقف عند منهل
ففى الارض احباب وفيها منازل — فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تتبعن قول امرىء القيس انه — ضليل ومن ذا يهتدى بمضلل

ثم بين المقصود بالبيت الاخير ، وانه هو مطلع قصيدة امرىء القيس الشهيرة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل — بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومما حفظناه أيضا قول الشريف الرضى

ولقد مررت على ربوعهم — وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب — نضوى ولج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فمذ خفيت — عنها الطلول تلفت القلب

فكان ذلك أول نواة غرست فى ذهنى من الادب العربى ، ثم مازالت تنمو حتى كانت كماترى ، وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

كذلك كان استاذنا يسيرنا جزاه الله خيرا ، الى اواسط عام ١٣٣١هـ فغادر المدرسة ، فتفرقنا نحن شذر مذر

في المدرسة الايغشانية أيضا

رايت انالاستاذ فارق هذه المدرسة اواسط عام ١٣٣١هـ ، فذهب كلواحد منائجهة، ثمكنت أظن انه لازم البلد الىعام ١٣٣٤هـ ، ولكن الاستاذ ابنالعم ذكر لىانهراجعها أيضا بعدذلك فىهذه الفترة ، فاما أنا فلمأعرف من ذلكشيئا كماأناستاذنا لم يذكرهلى بين ماسرده على منتنقلاته، ولكن ابنالعم عارف كاف فىمثل هذا

في مدرسة سيدى علي بن سعيد

ثم التحق سنة ١٣٣٤هـ ، حينفارق المدرسة الايغشانية ، بتلك المدرسة التى فىالاخصاص ، فرجع الىديدنه في التدريس ، وسرعان ماحلق عليه تلاميذ كثيرون ، فأمضى فيها عاما واحدا ، فجاء سبب أزعجه فغادر ذلك المكان

في المدرسة البومروانية

فى سنة ١٣٣٥ هـ ، شارط فى المدرسة البومروانية التى رأت من الولد ما آثركانت تعهدها من والده قبل أربعين سنة، فمامجد اسرة تتسلسلحلقاتها فياتى أبناؤها فى معارض ءابائها ، ثمكانه عاين هناك مالايعجبه، وهو من اباء النفس فىالمكانة التى عرفتها ، فبعد سنة رجع الى البلد، فربض يشتغل بشئونداره ، وادارة اموره بيده وكان دمعات الدراسة التى تركها فى يتمها وزفرات العلوم التىغادرها فىزيزاء مجهل (١) ، سمعالله تضرعاتها، فامن على دعواتها التى تجأربها اليه، فراجع الاستاذ تراث والده، فاقرعينالمجدوذويه

في مدرسة اداى ثانيا

فىعام ١٣٤١ هـ شارط فىمدرسته الاولى التىلم تنسهى ولا أهلها أياديه، فاقبل أيضا علىالتدريس ، ولكن بدأ الفتور يعتريه، وصارت برودةالكهولة تطوف بهمته ودوام الحال من المحال كمايقولون ، وأظن ذلك من اعواز الطلبة المهتمين الذين يحفزون همم الاساتذة ويستنهضونهم ، لان هذاالعقد الخامس ماكاديطل علىطلبة سوس حتىظهر فيهم الفتور الذى كانبدأ فيهم منذعقدين، ولكنه الآن ظهرللعيان ، وصارت جذوات الهمم تتدرع باثواب رمادها ، فكيف لايغيض ضرع عدمراضعا ، أمكيف لاياسن راكد عدم مصفقا

---

١) الزيزاء الفلاة قال الشاعر

غدت من عليه بعد ما تم ظمئها تصل وعن فيض بزيزاء مجهل

في المدرسة الامسرائية

في عام ١٣٤٣هـ انتقل أيضا الى مدرسة (امسرا) في افران ، فصار يدور في بعض دروس، وقد التأمت عليه ثلة من الطلبة ، ثم في اثناء السنة وفد عليه وفد من الاخصاص يتطلبون منه الرجوع الى مدرسة سيدى على بن سعيد ، فواعدهم راس السنة حين رءاهم يلحون عليه كل الحاح

في مدرسة سيدى عـلي بن سعيد ثانيا

برغم ان الامسراتيين عضوا عليه بالنواجذ ، وأبوا أن يغادر مدرستهم ، فانه رأى أن قيد الحر من لسانه، وان الوفاء بالوعد واجب في شرع المروءة وان كان الفقهاء يقولون فيه ما يقولون ، فانتقل الى الاخصاص ، فلازمها عام ١٣٤٤ هـ فوفى لاهلها عمارة مدرستهم بما وعدهم به، ثم راجع السابقين ، فان الصيد لمن اخذه لا لمن اثاره

في المدرسة الامسرائية أيضا

مكث فيها سنتي ٤٥ـ١٣٤٦هـ ، وقد مد فيها من جناحي تدريسه بعض ما مد، وقد اكفهرت اذذاك الفجاج بالمسغبة العامة في سوس ، فاقفرت المدارس، وحلق الردى على القرى، وتقطعت الامعاء سغبا ، فتنكرت الدنيا لـمـن كان يعرف منها وجها بشوشا ، ودب الدهر وغيره من الجوع بالحرب لمن كانوا قبل ذلك لايزالون معه في مسالمة ضاربة أطنابها ، فكان ذلك كله من الاسباب الـتـى حملت الاستاذ ، على ان ينفض يده من مجامع الناس ، ومن مدارس القبائـل، فاوى الى داره التى تريد ايضا من يقوم بها ، ويلتفت الى ادارة شئونها ، فاذلم يكن التدريس الا في المدارس المقفرة ، وزهد الناس في العلم، واستبد كل جاهل برأيه ، فعليك ايها العالم بخويصة نفسك ، هذا ماحمل الاستاذ على ان قبع في داره

في المدرسة الايمورية

كان في هذه المدرسة بعد ١٣٥٢هـ نحو عامين ثم لازم داره الى الآن ١٣٥٨هـ

هل هذا عذر مقبول؟

في السنة الماضية ، سنة ١٣٥٦هـ ، بعد نفيي الى الغ ، كنت كلما جالست الاستاذ ، اجرمعه الحديث حتى نصل هذه النقطة ، فيدلى بما تقدم وبمثله من الاعذار، فاقول له، ان هذه اعذار حقيقية ، لو اعتذر بها غيرك من العلماء الذين

دونك لربما قبلناها منهم ، وأما مثلك ممن ظهرت ءاثار هممهم فى التعليم، وعرفوا بالتدريس ، فيجب عليه ان يتنكب كل هذه الاعذار ، وان يتخطاها رغم انوفها، فلن يعدم ياسيدى مثلك من الطلبة من يعرفون قدره، ويعطشون الى مورده العذب، فان الهمم السوسية بل المغربية كلها ، وان ماتت اليوم واستولى عليها الفتور العام ، وتنكبت المسابقة فى المعارف ، فان فى بعض الزوايا خبايا، ولايزال هناك بعض شباب يجعلون بين اعينهم العلم وادراكه ، فاضرب له مثلا بالاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى استاذ المدرسة الوفقاوية اليوم الذى دأب على التدريس، فلم يعدم عشرة من الطلبة يجتهد واياهم ، ثم أقول له ان الحكومة اليوم قدوطأت لامثالك السبل، وازالت ماكان يستنكف منه الابى مثلك من الخنوع لعامة النفاليس الذين يشارطون العلماء فى المدارس، فلم يبق اليوم الا رؤساء رسميون ، فى أيديهم وحدهم الامر الذى استمدوه من الحكومة، ولم تقف قط الحكومة ظاهرا –على الاقل– موقفا يقضى ان لايعطى للمدارس ماكان يعطى لها قبل ، الا تستغل انت وامثالك ذلك الاعراض من الحكومة فتوءدوا ما عليكم والحال اليوم فى هذه البلاد على كل حال أفضل منه أمس أمنا وتوصلا بالحقوق.

هذا ماأقوله مرارا ، وفى رمضان الماضى من عام ١٣٥٦ هـ، جاءنى يوما برسالة أرسلها اليه الاسرائيون يستحثونه الى مدرستهم ، فقلت له اسرع ياسيدى أسرع، لعلك تخرج من هذا الذى أنت فيه، فذهب اليهم وقد طاب نفسا بالمشارطة ، لان له من ولده صالح من يتطلب العناية بتهذيبه، ولكن سبق فى القدران وجد احد الافاكين قال للاسرائيين ، ان الاستاذ لاياتى اليكم، فقد شارط فى محل ءاخر ، فشارطوا عالما من عندهم ، فقضى الامر ، فرجع وقد اختار الله له مافيه الخير كما قال

بعض أحوال الاستاذ

ان لكل انسان من اعاظم الرجال وافذاذ العلماء ، ناحية كانها مقصورة عليه ، يستولى عليها ويتمكن من ناصيتها ، ويستحوذ على ذروتها العليا ، ويكون له فيها القدح المعلى ، ويكون فى ميدانها هو المجلى الحائز الخصل، فباى ناحية تفرد استاذنا هذا بين علماء بلدته ياترى ؟ وباى ذؤابة توصلت يده فادارها كيف شاء ، ثم لم يتمكن منها اقرانه غاية التمكن ؟ ان شيخنا الاستاذ الكبير كما بوأته السعادة فى مجد مؤثل ، واصل اصيل ، واسرة عريقة فى الفضل وفى بحبوحة نسب كريم ، كان فيه معما مخولا ، كذلك بوأته فى ناحية هى أشرف النواحى التى من استولى عليها فقد استولى على ملاك العلم ، ووضع يده على ما تستنبط به الافهام ، وتذكى به القرائح الوقادة ، فلئن كان والده الاستاذ مشهورا فى ميدان التدريس والتاسيس ، والهمم النافذة ، وعمه الاستاذ على ابن عبد الله معروفا بوثبات الخيال فى الاداب العليا ، والترسل المحبر الموشى،

فان استاذنا معالمامه بكل ذلك قد سبقهما في الامعان في المباحثة امعاناغريبا فلاتراه في كل المجالس التي تروج فيها تلك المسائل ، الاكرارا جوالا ، طلعة بحاثة ، لايفلت مبحثا مربه الامد اليه فكره ، ولايعرض ما يعرض الا أصلاه بحثه الذي لايعرف اغضاء، ثم لايطوي غراره الابعداستطلاع الحقيقةكما هي، فلا يداجي في ذلك ولايغمض ، ولايعرف الاالوصول الى اللبن الصريح من تحت الرغوة ، حتى لقبه الاستاذ علي بن عبدالله عن جدارة (مفتاح العلوم)

نشأ الاستاذ ونشأ معه هذا الفكر الحاد، فكان يكبر وهو يكبرمعه ، حتى اذا استوى سيدا ضخما ، استوى معه فهمه الثاقب ، كنصل عضب مرهف الطرفين ، مصقول المتنين ، أينما جال في مختلف الفنون لايلبث انياتي بفوائد معجبة باهرة

سمعت الاستاذ يقول كنت مرة فيموسم(تازاروالت) فوقفت فيمكان الفقيه سيدي اليزيد الروداني ، وهو اذذاك متصدر للاتجار في الكتب ، قال فلاادري في أي حديث كنا حتى احتجنا الى مراجعة المصحف ، فقام لياخذه منبينالكتب، فقلت لههل توضأت ؟ فتراجعنا نتباحث هل يرخص للتاجر في الكتب فيمثل ذلك الموسم ، أن يتناول المصحف بلاوضوء ، كما ذكره الفقهاء منانهمرخص فيهللمسافر ، اولابد منالوضوء على كل حال ، قال فجاذبته الحبل مجاذبة من لايسلم لهحتى يضع اليد على البرهان ، ذلك وازاءنا عالم واقف ساكتيتعجب مني، وانا مصقول العارضين ، أراد سيدي اليزيد الذي ابيض عارضاه ، ثمبعد ذلك في بعض وفدات سيدي محمد بن العربي الادوزي الى (الغ) عرفت انه هو ذلك العالم الواقف ازاءنا ، وعرفني أيضا ، فكان سيدي محمد بن العربي يذكر دائما تلك المرادة باعجاب ، كتنويه واجلال وتقدير لصاحبها

وحكى أيضا انه كانمرة في ثوي عمه الاستاذ ، وفيه الشيخ الوالد يجري ذكر الزكاة ، وكان الاستاذ عمه اذذاك يجمع غنم الزكاة ، وقد تنازل عنها القائد سعيد الحاحي الكيلولي للمدرسة الالغية، قال فسألني الشيخ والدك هل زكيتم ياعبدالله ماشيتكم ؟ فقلتلهلازكاة فيها ، فقالأوليس غنمكم تناهزالمائة؟ فقلتحقا، ولكننيأناوأخيعبدالرحمنواخوتنا متشاركونفيها،ولذلكلازكاةعلينا، اذلايصحلكل واحدمنا نصاب في نصيبه ، فقالالشيخ ولكن الشركاء فيالماشية كالمالك الواحد، فقلت نعم ، ولكن بعد أن يكون لكل واحد نصاب، والا فليزك منله نصاب وحده دون الآخرين ، فقال الشيخاو الفقه المالكي على هذا قال فاوقفت الشيخ على النص، فقالعجبا ، انني نسيت كل هذا فترجمت (مجموع الامير) للفقراء على ان الشركاء كمالك واحد مطلقا ، ولم افصل هذا التفصيل، فقدغاب عنياونسيته ، فسبحان منلاينسى، فقام الشيخ في الحين ، وذهبالى زاويته ، فاتى بما ترجمه فاصلحه في الحال ، فقال لولاك ياعبدالله لبقيت هذه كماكانت

قلت هذا الذي يشترطه المالكية قل من اشترطه من أرباب المذاهب، واخال ان ذلك مما انفرد به مذهب مالك عن غيره ، وهذه المسألة من المسائل التي ردها الامام الليث بن سعد على مالك في رسالته المشهورة اليه ، وقد اوردها ابن القيم في (اعلام الموقعين)

وحكى أيضا انه وقعت المذاكرة هناك حول مسألة في التشريح مايقصد بـه عند الاطباء ، فبينت لهم ماعلمه عنه، فقال الاستاذ علي بن عبدالله مباسطا ، انما هذا كله من عنديات عبدالله، فقالوا لي من أين رأيت ماقلته ؟ فقلت رأيته في كتاب (التذكرة) للانطاكي ، فقال الشيخ مباسطا ، أو تحسب ان احدا لايملك التذكرة سواك ؟ فذهب في بهرة الليل ، وقد تجلببت الارض بالثلج ، وتلوثت الطرقات بالاوحال ، فخاضها الشيخ من دار الاستاذ الى زاويته تحت اذيال الظلام، فلبث مليا ، ثم رجع وفي يده الكتاب ، فقال ان الذي ابطأبي هو اني وجـدت مجلس الفقراء قد خر سقفه، فوجدتهم واقفين متعجبين، فقلت لهم دعوا العمل واستريحوا الى الصباح ، فلا عمل مع الليل، فروجعت المسألة فوجدت كما قال الاستاذ بعينه

بهذه الحكاية وامثالها تعرف همم القوم في المسائل العلمية ، فمن ذا الذي يخوض الثلج والاوحال من دار الاستاذ الى الزاوية ذهابا وايابا ، في ظلمة الليل الحالك، مع أن مابين الدار والزاوية غير متقارب، ثم لايعوقه ماخر من سقف داره فيلغي ذلك كله لتتم استفادة الفائدة في الحين ، حتى لاتؤجل الى الغد ، ومـا أصدق قول بعض الالغيين في مثل ذلك :

لخوض الثلج والاوحال أولى	لدى العلماء من خوض الجهالة
وخر السقف والجدران أولى	من أن ينهار علم بالبطالـة
يثيرون القرائح حول بحـث	قـد اكتنفـوه بينهم كهالـة
فلا ينفك جمعهم لزامـا	الى ان يستشف الى الثمالة
بذلك يخدمون العـلـم حتى	غدوا من بين كل الناس ءاله
فذلكم بنـو الـغ ومـن لا	يكون كذلكم فأخو سفالـة

وحكى أيضا انه حدثهم يوما بانه قرأ في كتاب ان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل حماره يعفورا الى من يريده من الصحابة ، فيدفع بابه برأسه ، فيعلم أنه رسول رسول الله اليه فيجيبه ، فقام عليه من في المجلس ، فقالوا له في كل يوم تسوق الينا غرائب ، فان لم تغرب في فهمك أغربت في نقلك ، فهذا غير ممكن، ومتى عهدنا من الحمر الادراك قال فقمت فاتيتهم بالكتاب الذي قرأت فيه ذلك، ولعله (حياة الحيوان) للدميري ، فتعجبوا وعلموا ان ذلك ـان صح ـ معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لا للحمار ، وقالوا لم نر قط مثل هذه العقلية في الحمر قبل اليوم، ولم نقع على نظيرها فيما يمر بايدينا الى الآن ، ومن بين من في ذلك المجلس الاستاذ علي بن عبدالله والشيخ الالغي، وحكى أيضا ان الشيخ

هو الذى يتولى الامامة فى مجامعهم ، واذا لم يحضر فالاستاذ على بـن عبدالله ، فكان هذا الاستاذ مولعا بدعوات كثيرةجدا ، يقرؤها مابين الاقامة والتكبير، وفى يوم قلت له ان هذا التطويل ربما يذهب بحكم الاقامة، ونحتاج الى اعادتها ، فاجابنى الاستاذ بأن ذلك لاباس به، وان الطول فى ذلك المحل لايضر ، ثم قال اننى لا أطول كثيرا، وكان الاستاذ سيدى الحاج احمد بن محمد اليزيدى حاضرا ، فالتفت اليه الاستاذ ، فقال ماظهرلك ، هل أطول كثيرا ؟ فقال نعم، ربما تطول ، فبينمانحن نستعد لمراجعة المسألة، اذا بالوفد الافرانى فى الباب فقمنا فتلقينـا الاستاذ سيدى الطاهر، والاديب البشير الناصرى ومن معهما ، فدهانا الترحيب عن اتمام المسألة فى الحين ، ثم لما استقر القرار ، واستراح السفر، وطـاب المجلس ألقى الاستاذ ابن عبدالله المسألة على القادمين ، فكان سيدى الطاهر لم يكن اذذاك على ذكر فيما قالوه فى ذلك الطول، اواستحيا من شيخه ان يرد عليه، وتلك كانت حالته معه دائما ، فقال لاباس ، والاقامة أمرها سهل فى أمثال هذا الكلام الذى ليس بخارج عن الموضوع ولاداخل فيه، ثم مالوا الى مراجعة المسألة ، فوجدت كما قلت فالتفت الاستاذ ابن عبدالله الى الاستاذ الافرانى ، فقال له ءان لنا أن نرجـع الى الحق ، فالانصاف من شيم الاشراف • ثم كتب الاستاذ الافرانى رسالة فيها ان المسألة مبسوطة فى كتاب (سنن المهتدين) للمواق

هذه الحكايات كلها حكاها لى الاستاذ شيخى حفظه الله وانا اسأله عن مجالسهم اذذاك، وقد قال لى عنها انها كلها مملوءة بالمذاكرات دائما وبالمباحثات، قال وكان من عادة خالى الشيخ أن لايترك المجلس اذا حضره للكلام الفارغ ، ولا للتكلـم حول أى شىء الافى المسائل العلمية ، وان خالى الشيخ هو الـذى رشحنى هـذا الترشيح الى الابحاث ، فيشجعنى دائما عليها، وكان يحب ان أكون ممن يسترسلون فى ذلك ، فكان بمجرد ما يلج دار الاستاذ ابن عبد الله فى كل يوم يرسل الى فى الحين ، ويامرنى اما بالتلاوة ، واما بمراجعة شىء فى كتاب، وكثيرا ما ياتى بالشمع معه فى العشايا ، فابقى أنا وهو بعد أن يقوم الاستاذ الى مضجعه ، فى التلاوة والمراجعة الى مابعد نصف الليل ، ثم يتوجه الى داره ، وهو حقا فـــى المباحثات شيخى الذى جرأنى وقومنى ، وسن غرارى بمثافناتى التى يملأ بها المجلس كل يوم ، قال هكذا كان الحال فى عهده ، ثم تبدلت هذه الحال فى المجالس بعده، ودخلها بعض القيل والقال ، حيث لاتروج الابحاث كثيرا رواجا متصلا، الا بعض المرات ، ثم لما مات الاستاذ ابن عبدالله خوى النجم، وخرت سقـوف المباحثات وثلت عروشها ، هذا معنى ماقاله لى حفظه الله •

أقول لم يزل استاذنا الى الآن فى كل مجلس يحضره يثير الابحاث ، ويستطلع خبايا الافكار، فانه وان قال ان المباحث خرسقفها وثل عرشها بعد وفاة عمه، فانما ذلك فى مجلس لم يحضره ، وأما متى حضر ووجد من يجاذبه، فديدنه لايزال اليوم كما كان بالامس ، وأما مجالس الاستاذ ابن عبدالله التى تثج بالابحاث فى كـل

حين ، فقد طويت حقيقة ، ثم لاعوض عنها بكل أسف ، وكان دائما يرخى العنان في البحث لصاحب الترجمة، ويحب ان يتصدى له من يباحثه، ويقف هو متفرجا من بعيد، فقد انتشبت مرادة بيني وبين شيخي هذا ليلة حول مسالة في حضرة عمه الاستاذ

زرت الغ في أثناء عام ١٣٤٢ هـ ، فاجتمعنا ليلة زهراء في ثوى الاستاذ ابن عبدالله جماعة من الطلبة ، يراسه الاستاذ ابن عبدالله نفسه رحمه الله، وشيخنا هذا صاحب الترجمة ، والاديب مولاى عبد الرحمان البوزاكارني ، والاستاذ الاديب سيدي احمد بن محمد اليزيدي واولاد الاستاذ ابن عبدالله ، سيدي محمد ابن علي، وسيدي المدني بن علي ، والاستاذ ابن العم سيدي عبدالله بن ابراهيم، والاستاذ سيدي محمد بن احمد بن الحاج الصالحي ،وقد كان معنا اذذاك، فجلسنا من العشية الى ان صلينا الفجر ، فكانت والله احدى الليالي الغر التي عرفت بها اخواني الالغيين ، فشاهدت من اخلاقهم وتؤدتهم في المباحثة مااتخذته درسا اخذ نفسي بئادابه منذ ذلك الوقت •

كنا نتداول اول (نفح الطيب) تلاوة على العادة ، ثم نتشعب فيما عسى ان يعرض لنا في الكتاب، أما في المعاني واما في غيرها ، وكثيرا ماتختلف في شيء ، فيأخذ الاستاذ قطب المجلس سيدي علي بن عبدالله اصواتنا على الانفراد ، فيقول كل بحريته التامة مايظهر له ، فتجلى بذلك من أريحية الاستاذ ابن عبدالله وتواضعه للطلبة، وديموقراطيته العلمية مالم أنسه الى الآن

فمما اختلفنا فيه واخذت فيه الاصوات على حدة ، لفظة (معجم) الذى يطلقه كثير من أصحاب الفهارس على المجموعات التي يجمعون فيها اشياخهم ، وماأكثر المعاجم عند المحدثين ، فقال الحاضرون كلهم (معجم) بفتح الجيم ، الا صاحب الترجمة فانه قال بل (معجم) بكسر الجيم ، لان الكتاب ازال عجمة ما الف فيه، فاغتررت بهذا الكلام الذى ذكره، فذهبت معه وحدى ، وبعد سنوات ، عرفت أنني واياه سقطنا في هوة الغلط ، لان المعنى ان ماذكر في الكتاب قد أزيلت عجمته، فهو وصف لما الف فيه الكتاب، لا وصف للكتاب حتى نقول فيه (معجم) بكسر الجيم، وان كان هذا المعنى أيضا صحيحا في نفسه لمن يقصده ، ولكنهم لايقصدونه ، وهذا مؤلف البكرى سماه (معجم مااستعجم) فان الاولى فيه ما يقصدانه كان معروفا عنده، وقد ازيلت عجمته ، فبذلك جاء اسم الكتاب بفتح الجيم في الكلمتين معا ، وقد ذاكرته في ذلك في السنة الماضية ، فكأنه مال الى ذلك هذا اليوم بعدما فهم المقصود

ومما جرى أيضا تلك الليلة التي تنسى ليلة الشريف الرضي بذى سلم، ان سال أحد الحاضرين ، أصحيح مايقال من النهى عن قراءة القرءان فوق ظهور البهائم؟ فبادرته بانكار ذلك مبتسما، وبينت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتهجد فوق

ناقته بالقرءان، كما ينزل عليه القرءان وهوراكب على ناقته ،حتى أثقلها مايلاقيه النبيصلى الله عليه وسلم من الوحي لامنالقرءان نفسه ، كما هو معروففـي حجةالوداع ، بلانالفقهاء اجازوا التنفل على ظهور البهائم لصوب سفر قصر، وهل هناك صلاة بلا قرءان ؟ لهذا بادرت الى انكار ذلك ، ولم أستدل بان ذلك ظاهر فقط ، فقالصاحب الترجمة ، مباحثا على عادته المالوفة منانه لابـدان يباحث فيكل ماعرض ، وانوضح وضوح الشمس ، وماذا نصنع بقول اللـه (أناسنلقى عليك قولا ثقيلا) اوليس ان الممكن ان ينهى عن اثقال الدواب بذلك فقلت له : ان الثقل هنا معنوى، وان المقصود ثقله على قلوب المنافقين والكفار، فباحثني أيضا فيالجواب فقلت له بمباسطة ـ وقد تنكبت عنالدليلالاصلي ـ ينبغي لناالآن أننزن اوراقا بيضاء ، حتىنعرف ثقلها ، ثمنكتب فيها القرءان فنعيد وزنها ، لندرك هل الثقل حسي او معنوى ؟ فمال الاستاذ سيدى على بـن عبدالله ضحكا حتىبدتنواجذه من هذا الجواب ، وقد كان قبل يلحظنا ونحن نتحاور، وهو ساكت ، فقال له انهذا ياعبد اللهجوابك الحقيقي ، فاقتنع بـه ومل الى الوزن بالمكاييل ، يقول ذلك مباسطة ايضا ، فقال شيخنا لابد مـن التفاسير ، فانه لا يقال بالرأى فيالقرءان ، فاتي بتفسير البيضاوى المجرد عن الحاشية ، فالفى فيه أن الآية مكية قبل الهجرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم وهوفي حجرة عائشة ، فقلت انذكر عائشة هنا غلط ، فايدني استاذى مولاى عبد الرحمان البوزاكارني ، وقال ان عائشة لم يدخل بها النبى صلى الله عليه وسلم ولاكانت لها حجرة الا بعد الهجرة في المدينة ، فتوقف الاستاذ على بـن عبدالله ، واستبعد غلط البيضاوى ، فرجع فيالحينالى داخل الدار حيثالمكتبة فاتي بالحاشية للخفاجي ، فاذا به قد نبه على ذلك الغلط الذى مضى عليهالبيضاوى

وقد وجدت ابياتا مساجلة بين الاستاذ على بن عبدالله وبين شيخنا هـذا، ووراءهما بيتان لى ، وأنسيت في اى وقت قلناها ، ولااخال الاان ذلك كان فـي تلك الليلة ، ولم اكن في ذلك على يقين ، ولم اجد من عنده علمذلك ، وربماقال شيخنا بيتيه اذذاك ، ثمذيلهما عمه الاستاذ بعد، فذيلتهما أناحين اطلعتعليها، ومن العجب انينسى الانسان ماصنعه بنفسه

قال شيخنا :

الما يئن للدرس ان يتقوضا ... وساهر جفن العين ان يتغمضا
فقد كاد ماء البحث ان يتغيضا ... كلالا ونور الفجر ان يتعرضا

وقال الاستاذ على بن عبدالله :

تجلد فما كل الزمان مواتيا ... لما نبتغيه مذ زمان لنا مضى
فما المجد الا للمجدين والالى ... صلى الجد منهم كلوصل وارمضا

وقال محمد المختار

قصعب من اخلاق الزمان سماحة بتاج اجتماع مثل هذا مفضضا
فما كل وقت صافيا من مكدر ولا كل يوم مشرق الوجه أبيضا

من فوائد المترجم

سمع الاستاذ المترجم من ينشد هذا البيت :

اهن عامرا تكرم عليه فانما أخو عامر من مسه بهوان

فبنى تكرم للمجهول ، فتأمل شيخنا مليا ، فقال له الاولى ان يكون مبنيا للمعلوم ، من كرم يكرم ، فان المعنى على ذلك يصح ، وان اعتاد الناس فيما بينهم في المحافل انشاده بالبناء للمجهول

وسمع أيضا ءاخر ينشد هذا البيت :

أهين لهم نفسي لاكرمها بهم وهل تكرم النفس التى لاتهينها؟

فانشده أيضا كذلك كماشاع أيضا ، فقال له المتعين تكرم بالبناء للمعلوم من كرم يكرم ثم قال لى فى مذاكرة ، كثيرا مايغلط الناس فى هذين البيتين ، وكنا يوما نأكل لحما بالبطاطس فتساءل معنا عن اسمه بالعربية ، ثم افادنا ان اسمه القلقاس (١) ، وقال بعض الحاضرين ان النبى صلى الله عليه وسلم اوتى به اليه من اليمن ، فأكله واستطابه • كما أفادنا يوما ءاخر ان التناية اوالتناوة ترك مدارسة العلم والمذاكرة فيه

ذلك هو شيخنا سيدى عبدالله بن محمد الذى لايزال يفيد كل من جالسه ولوساعة ، فقد مضت بيننا فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ مجالس قيمة ، فيها ابحاث لطيفة ، كتبت بعضها فى الجزء الاول من (الالغيات) ولكن اكثرها باق فى صفحات قلبى منقوشا •

منها انه كان يوما يحكى نوادر ، فحكى أن أعمى قاده ولده فوصلا جدولا متسعا فقال اقفزن بالنون الخفيفة ، فقفز الاب قفزا خفيفا ، فاذا به فى وسط الجدول ، فمال على ابنه بعد خروجه بالضرب ، فقال له لم لم تات بنون التوكيد الشديدة التى يحتاج اليها المقام ؟ لاقفز قفزة كبيرة ، فحين أتم الحكاية ، قلت له ان مقتضى النون الشديدة أو الخفيفة ان تؤكد اصل مدلول الفعل الذى هو ايجاده ولابد ، فمتى وجد مايطلق عليه الفعل فقد امتثل المامور بذلك ، وأما النونان فالفرق بينهما فى كثرة التوكيد لمن يحتاجه من المخاطبين او قلته بحسب

١) الحقيقة أن القلقاس نوع ءاخر لاهذا البطاطس الذى نعرفه

أمارات الانكار اوظنه، فقولنا اضربن واضربن معناهما في ايجاد الفعل واحد، فمتى أوقع الضرب الذى يمكن أن يطلق عليه الفعل ايقاعا محققا ، فقدامتثل بلافرق في المؤكد بالخفيفة او بالمشددة ، وأماكثرة الفعل أو قلته، فلابد أن أريدت احداهما من شيء ءاخر يفيدها خارج هذه العبارة ، قلت له هذا ماكنت أفهمه دائما ، وما كنت أفهم مدلولا لهذه الحكاية ، والدليل على ذلك انك اذا حلفت على انسان أن يأكل واكدت الحلف بالنون الشديدة ، فصدر منه مايطلق عليه اكل مافقد بررت ، وان كان ذلك الاكل قليلا جدا ، ان لم يقتض البساط أوالعرف أكلا كثيرا ، ثم لافرق في بره ان اكد بالشديدة او بالخفيفة ، فناقشني في ذلك، فقلت له تراجعون المسألة ، ولكنهم بعد مراجعتها لم يحرروها ، وأنا الآن في هذا المنتأى ليس لدى مااراجع فيه من كتب ، فبقيت المسألة بغير تحرير وان كنت أنا لااكاد ارتاب أدنى ارتياب في الذى ذكرته (كتبت هذا يوم منعت في المنفى بان اتصل باى انسان)

ومنها أنه قال لى في ليلة ٢٠ من رمضان ١٣٥٦ ﻫ ، وأنا وهوجالسان في دارنا كيف تعرف هذا الحديث (ابلي واخلقي) فقلت له انني اعرفه للمرأة المخاطبة في الحديث الشريف هكذا ، ومعناه دعاء ان يطول عمرها في ذلك الثوب حتى يبلى عليها ويخلق ، فقال لابل المقصود أبلي وأخلقي اى تصدقي الآن وأنت لابسة لهذا الجديد بذلك الثوب البالي الخلق الذى نزعته ، قال فقد كنت أنا أيضا على ماانت عليه، ثم وقفت في (تاج العروس) على هذا المعنى الذى ذكرته لك ، وقال انه هو المقصود، فاجبته بكل جرأة انه لعمرى بعيد ، وان ذكره صاحب (التاج) فقام في الحين الى داره ، وهي بعيدة عن دارنا بغلوة او غلوتين، وقد ابهار الليل ، فاتى بالتاج ، فاذا به وقع له ذهول عما قاله صاحب التاج ، فتحررت المسألة لناوله على وفق ماكان اولا كما قلت ، لكنني ازددت تحصيلا ، وقد كان هوالسبب جزاه الله خيرا ٠

وقد نبهني الى فوائد كثيرة ، وضبط كلمات كنت الحن فيها ، ومن عادته بل ومن عادة كل الالغيين أن لايغمضوا على لحنة سمعوها متك كنت من كنت ٠ فلا يستحيي الصغير أن يرد على الكبير ، ولايتعاظم الكبير من ان يستمع للصغير، ثم يرجع اليه ان كان الحق معه ، ولم ارهذه الخلة في غير الالغيين جبلة ، وان كان كل الناس يدعونها

وكان المترجم في سرعة الذهن وتلفته الى الانتقاد عجبا عجابا ، قلت له مرة أن بين فلان وفلان الشقيقين تسعة اشهر تامة بلازيادة ، فقال لى بديهة : هذا محال عادى، فتنبهت الى انه راعى زمن النفاس الذى وان لم يطل لابد منه على كل حال، مع أن المحل يقاسي مايقاسي ، فلا تتاتى المباعلة في الحين ، فعلاني خجل من تنبهه الى مالم اتنبه له، ثم غلبني الضحك حتى كنت اضع كمي في فمي استحياء منه

وكان مرة يذكر قصة سيدنا سليمان ، وماحكاه المفسرون من انه احتجب سنة عن أهله ، وهو مستند على منساته ، حتى سقط حين أكلت الارضة المنساة، فقال ان العقل هنا لايجوز أن يغفل اهل الرجل عنه سنة تامة بل ولو شهرا ، والممكن أسابيع فقط مع ظنهم انه أدخل معه مايتقوت منه ، فى كلام مثل هذا ذكره، وهذا العمرى واضح وان خالف الوارد

وكثيرا مايقع بينه وبين الاخ سيدى محمد الذى اتقن علم الجغرافية وتثقف بالمطالعة فى الكتب العصرية ، مباحثات حول اعاجيب هذا العصر ، فكان شيخنا لايسلم ذلك ، ومما وقع بينهما محاورة طويلة حول كروية الارض ، ولم يسلم مغناطيسيتها التى يعلل بها كون أحد السكان يقف فى وجه على الارض فى الوقت الذى يقف فيه ءاخر فى الجهة الاخرى التى تقابله ، فينافح فى دفع ذلك ماينافح واخيرا يسكت ازاء كلام آخي ، سكوت من لم يدرك عقله مايقال حول ذلك

هذه نبذة من أحوال شيخنا الذى هو أول من غرس فى قلبى البذرة الاولى من العلوم ، ثم لا يزال يتعهدها بالسقى كلما اجتمعت به جزاه الله خيرا أفضل الجزاء •

تلاميذه

رأيت من جد شيخنا حفظه الله فى التدريس ما رايت زهاء عشرين سنة، وقد سمعت أن له تلاميذ عليه عولوا ، وبه تخرجوا ، وءاخرون مروا به وتخرجوا بآخرين ، ونحن ذاكروهم انشاء الله كلهم هنا ، ثم عند التراجم يظهر لك من تخرج به اوتخرج بغيره وان كنا لانلتزم ان نترجم من تلاميذ الالغيين الا لمن أخذوا من المدرسة الالغية لاغير اومن كانوا من الالغيين انفسهم

١ ـ أخوه الاديب سيدى محمد بن على
٢ ـ سيدى صالح بن أحمد
٣ ـ الفقيه سيدى عبدالله بن مسعود
٤ ـ صنوه سيدى احمد بن مسعود
٥ ـ الاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم
٦ ـ الاستاذ سيدى البشير بن الطيب المتقدم
٧ ـ هذا العبد محمد المختار لطف الله به
٨ ـ الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى
٩ ـ سيدى الحسين بن أحمد بن الحاج صالح
١٠ ـ الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناء
١١ ـ سيدى محمد بن احمد الايغشانى
١٢ ـ سيدى مبارك بن مومادين الايغشانى
١٣ ـ الاديب سيدى محمد بن الحاج اليزيدى

١٤ ـ سيدى محمد بن احمد العابد اليزيدى
١٥ ـ سيدى محمدبن عبدالله اوبالوش
١٦ ـ الفقيه سيدى على بن سعيد الامسرانى
١٧ ـ وولده سيدى محمد بن عبد الله
١٨ ـ وولده الاخر سيدى صالح
١٩ ـ وولده الثالث سيدى عبدالحى
٢٠ ـ وولده الرابع عبد الحق
٢١ ـ سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان الساموكنى
٢٢ ـ سيدى احمد بن محمد التاهالى
٢٣ ـ سيدى داوود بن عبد المنعم الرسموكى
٢٤ ـ سيدى عبد الله بن الحسين المسكناوى
٢٥ ـ سيدى عبد الله الاخفش الايغشانى
٢٦ ـ سيدى مسعود الايكدمانى ـ لعله حى
٢٧ ـ سيدى محمد بن عبدالله الايكداماني ـ لعله حى
٢٨ ـ سيدى محمد بن بوهوش الايغشانى
٢٩ ـ سيدى أحمد بن الحسن اليزيدى
٣٠ ـ سيدى عبدالله بن احمد السملالى مشارط اكادير ايزرى
٣١ ـ سيدى يعزى ابن عمه
٣٢ ـ سيدى محمد التيمولاءى التاعنونتي ـ والد الحسن الزمورى الوزير اليوم
٣٣ ـ سيدى محمد بن على بن همو توفى نحو ١٣٥٥ هـ
٣٤ ـ سيدى عيسى التيمولاءى التاعنونتي لايزال حيا
٣٥ ـ سيدى البشير بن بلا بن مومو الشقراوى • لايزال حيا
٣٦ ـ سيدى بلقاسم بن احمد الشقراوى من ايد حمزة • توفى نحو ١٣٦٩هـ
٣٧ ـ سيدى أحمد الكسيمى الامسراوى • توفى نحو ١٣٥٤ هـ
٣٨ ـ سيدى محمد بن احمد الامسراوى الاستاذ المدرس المشهور
٣٩ ـ سيدى محمد بن أحمد الفقيه الامسراوى • توفى بعد أبيه
٤٠ ـ سيدى الحسن بن حسانة الامسراوى لايزال حيا • كان يكتب في المركز وقت الاحتلال • ويشارط
٤١ ـ سيدى أحمد بن بلخير العلوى الاخصاصى المشارط في تيمولاى العليا • لايزال حيا
٤٢ ـ سيدى الحسن التسعودى الاخصاصى نجيب حسن
٤٣ ـ سيدى عمر بن بلقاسم البوياسينى الاخصاصى • لعله توفى
٤٤ ـ سيدى احمد البوياسينى من قرية ايكيووتا
٤٥ ـ سيدى ابراهيم بن عثمان الامسراوى فقيه حسن يقطن الان فى بعمرانة لايزال حيا

٤٦ ـ سيدى زكرياء الاصبوياوى • لايزال حيا
٤٧ ـ سيدى زبير الاصبوياوى • لعله لايزال حيا

فهؤلاء بعض من مروا الىالآن بين يديه ثم كان لهم ما يذكرون به ، وسترى ترجمة كل منكان منهم على شرطنا اذا يسر الله ذلك بفضله وحوله ، فعليه الاتكال فى انجازالاعمال

كيف يخيب من على الله اتكل ام كيف لاينجح مع ذاك عمل
والله لايخيب الرجاء فليرج منه من يشا ماشاء

آثــــــــاره

من ءاثار الاستاذ حفظه الله رسالته القيمة الخالدة التى تضم الى ءارائه السديدة ، استشفافا لما فى المستقبل ، وتوسم لما تلده المقدمات التى شاهدها من النتائج كتبها الى بعض ءاله بتزنيت ، حين اجتمع الناس هناك يأتمرونفيما يفعلونه فى أمورهم وقدبرز الشيخ أحمد الهيبة الى الميدان رافعا لراية الجهاد المقدس ، فآزره فى ذلك المجتمعون هناك ، وذلك فى جمادى الثانيةعام ١٣٣٠هـ

الـرسالة :

«وفق الله جمع الاخوان ، الذين هم على البر والتقوى نعم الاخوان والاعوان وأعانهم ووجههم لمافيه رشادهم ، لتحصل بذلك استقامتهم وسدادهم ، وسلام الله عليكم ورحمته ماتسددت لمن تأنى فى ارسال سهمه رميته»

هذا ولازائد والحمد لله الا مادهمنى من مضمن كتابكم الوارد علىبالوطن ، المنذر والعياذ بالله بانقداح الفتن ، وتواليها على هذا القطر المغربى الممنو من قديم الزمان بالمحن ، نسأل الله لنا ولكم السلامة منها والعافية ، وشمول رعايته الوافية ، آمين آمين ، بجاه النبى وءاله الغر الميامين ، وكان هذا المتشوف لهذا الامر الذى انبعث اليه اليوم ، ممنباء باشارة الاصابع اليه بانه عمر (١) بين القوم ، ولميدر هذا القطر وغدر أهله ومكرهم لانهم جميعا منجهلة البرابر، فتطاول بحسن نية منه الى ارائك الملوك وعروشهم ، بعد انلمتكفه فى مساجد الدراسة والارشاد الكراسى والمنابر ، وأهل المغرب كما قيل قبل ، معادن الهمز واللمز والمجون والاستخفاف بنظام الملك مالم يصل عليهم صاحبه بالصارم المسنون ، واخاف أنيندم حين لاندم نافع ، يوم لاينفعجاه ولاشافع ، لكن من صفعته يده لايعول علىمافعل بنفسه بيده ولايبكى ، ومنالقى بيده الى التهلكة

١) تلميح الى قول الشاعر
اذا ايقظتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

وهو ينظر ما جزاؤه الأن تصم دونه بعد المسامع فلايشكى ، وكأنه لايدرى ان لاهلك ، سوى الملك ، وأنلامنجى ، لمنزلقت رجله فى المهواة والليل قدادجى، لاسيما فى هذه البلاد ، العديمة الاوتاد والعماد

والبيت لايبتنى الا بأعمدة ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
فان تجمع أوتاد واعمدة وساكن بلغوا الامر الذى كادوا

فياليته انكان لابد له من هذا تستر اولا بالجهاد ،فقاد العباد، حتى يتمكن في القلوب ناموسه ، اذ يمكن ان ينجح فى طلب الملك بعضنجاح ، وانيرجى لهفى ذلك بعض الفلاح ، لكنه قد اغتر اليوم بمايسمعه منأنه كان سلطانا منصورا، وكان أمرالله قدرا مقدورا ، وطالما قام قبله لهذا الامر من ابناء الزوايا رجال ، فلم يتم لهمشىء ولاصلح لهمحال ، ولذلك ولامور أخرى تعلمونها أيها الاخوان احذركم أنيكون منكم لهذا الامر أقدام، فانكل خطوة تخطونها فانما تتقدمون بها لمزلة الاقدام ، فلا تغلطوا فانمثلهذا الغلط ماح لصحف المناقب، ويفضى بلاريب -والله أعلم- لسوء العواقب ، لاسيما اليوم والحالة تعلمونها جمعا، وقد حدث الواردون من الغرب فملأوا بماقالوه لنا ولكم سمعا ، وقد تحقق من أخبارهم خروج العدو وأنه غادر فاسا (١) ، حين اذاقه أهلها اعانهم الله مرارة الحرب وأروه نجدة وباسا ، وأهل فاس واهل الغرب أهل الحل والعقد ، والتسليم والنقد ، فهم آل الدار البيضاء وأهل النظام والملك وماسواهم رعاعأهل فوضى ، أتظنونهم يخرجون الملك من حضرتهم وهم ماهم وفاس هى ماهى، أم يعدون ذلك عليهم منأعظم المصائب والدواهى ، كلاأنهم لايرضون بذلك هم ولاكل من بالمغرب ، وفيه مافيه من قائد عظيم وعالم معرب ، وغيرهم فى الحقيقة جهلة بهذا وسوقة ، لايعرفون كيف يقايضون فى هذا الامرأندخلوا سوقه ، وكذلك جميع الامم حول المغرب ، لاتقبل كلاما الااذا كان من هـؤلاء أوممن عنهم يعرب ، ففاس ومراكش وماحولهما هما عماد القطر الكبير، وأما سوس والاطراف فلاتعد فى عير ولانفير، فلو دام استيلاء العدو على تينك الحضرتين الى اليوم واخذ منهما بالنواص لقلنا يمكن هذا الذى يحاول اليوم عندنا ان نجد لنا فيه عذرا مع مافيه من الاعتياص ، اماالآن فمن المحقق انمن سعى فى احداث شىء بهذه البلاد ، انما سعى فى اراقة دماء المسلمين فيما بينهم وفىافساد العباد ، وقد علمتم حفظكم اللهمافى اراقة محجة دم، من معصوم الحرمة والدم ، فاتضح لكم وضوح الشمس أيها الاعلام، أن الواجب اليوم الامساك والاحجام ، رعيا لمصلحة البلد والقوم ، لئلا يكونأحد منكم عونا على العدوان والاثم ، وان طلبتم منى الجواب الاخير فى هذا الامر، فلاأرى الا

---

١) راج بين الناس بعد واقعة فاس ان العدو قد انهزم ، وان جيش السلطان قد انتصر

التوقف والتريث حتى يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، واعتذروا بأن بيعة المولى عبدالحفيظ فى الاعناق، وجمع بيعتين فى حين لايجوز باتفاق ، لان موته المتداول لم يثبت كمايجب بالعدول، والمسارعة الى شيء اخر سوى هذا من الانحراف عن الجادة والعدول، سدد الله اراءكم لغرض الحق والسداد ، وذهب بناوبكم مذاهب المحبوبين من اتقياء العباد ، فلا ينبغى ان ينسى ماصدر من امثال هذا الذى يتطاول اليوم من العلماء المنتهجين هذا المنهاج الوعر السلوك ، المردى لكل من زاحم فيه الملوك ، كابى محلى رحمه الله، على أنه قال أردنا أن نجبر الدين فاتلفناه، والشيخ ابى عبد الله العياشى، والشيخ سيدى محمد بن أبى بكر الدلائى ، والشيخ أبى زكرياء سيدى يحيا بن عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم الحاحى ، وغيرهم من العلماء رحمهم الله، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر له شروط لم اعلم بعضها اليوم ، ولكن الله متم نوره بالصالحين اللائقين لهذا الشأن ، دون الاغمار ، المنتحلين لهذه الطريقة الجالبة للشنار، بالمكاثرة برعاع همج كالرمل والحصى، فهؤلاء حقا من يطرق لهم بالحصى ، ويقرع بالعصا ، ولكنهم مع ذلك قلما ينتبهون من الضلالات ومذاهبها ، وقديما قيل ان حب الرئاسة لايقلع حتى يذهب براس صاحبها، فعليكم بالاستئناء بهذا الامر ، فلا تعجلوا فيه بالسير ، اللهم الا اذا استحكم لهذا الانسان أمره وقر له القرار، فحينئذ نحن بالخيار ، فاما ان ندخل فى امره أو نترك له هذه الديار ، وكأنى بأمره قد انتقض عن قريب كما انتقض أمر امثاله المتقدمين، أتزنيت هى التى يتخذها الملوك دارا؟ وهل سكان الفحص الذين بايعوه اليوم هم الذين يأمن منهم غدا من حوله فرارا؟ أم يقفون له على عهد ، اويفون له بوعد ، أو يعرفون لمثل هذا معنى، أم يقدرو ن ان يحموا بدورهم مغنى، بل هم فى ساعة الوطيس ، يولون الادبار لاول وهلة تولية جديس ، وأيضا يوم يقر للملك بالفحص قرار ، لاتحفظ لناولا لعقبنا حرمة ولايحمى لنا ذمار، يومئذ تستباح هذه الاصقاع السوسية ، وتغشى بالمناهى والمناكر التى تنالها باستيلاء الملك ودوامه عليها فيغتالها بالجبايا والمغارم المخزنية ، الحذر الحذر، فقد قال الله جل من قائل ، وخذوا حذركم، اذلاداعى اليوم الى هذا الامر ، وقد كنا منه فى سعة ما نام عنا الدهر، وخصوصا حين نصر الله الدين بخروج العدو من كبرى الحضرتين اللتين هما قاعدتا الملك بالمغرب ، فلا ينزع الامر من أهله كما لا يسند لغير أهله، كما فى علمكم ممالا يحتاج قلمى ان يعرب به ، ايدكم الله وأرشد ، وأعان وسدد ، على أن الملك اذا قارب الهرم لاتشتد وطأته الاعلى من والاه ، ويستريح منه من باعده وناواه ، ويستمر كذلك الى ان يحدث ملك اخر صنديد، بصنع سديد، فيشعب الصدع ، ويضم الاصل والفرع، واتقوا الله يا أولى الالباب لعلكم تفلحون ، فلا يرتجى ورى فيما انتم تقدحون، فلاتجعلوا مدخلا لهلاككم وهلاك من بعدكم من أولادكم واخوانكم من المسلمين والمسلمات، والمومنين والمومنات، فلايخفى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة

أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون ، فهل انتم تصيخون أيها السامعون ، ثم انني وان أكثرت الكلام ، وتفيهقت فما على من ملام ، فالله يعلم صفاء النية وحسن الطوية، فانتم وان لم تحتاجوا لكلامي هذا لنفوذ بصائركم ، واستنارة سرائركم، فان الذكرى تنفع المومنين ، والتناصح واجب على كل حال بين المسلمين، فاوسعوني عذرا ، واسألوا لي من الله ثوابا واجرا ، وكتبه اليكم مسلما عودا على بدء ، اخوكم الجاني الفقير الى ربه ، عبدالله بن محمد سامحه الله في المقال ، واصلح له الاحوال ، ءامين»

هذه هي الرسالة الفذة التي ظهرت بها ناحية اخرى من نفسية الاستاذ وحزمه، وأنه ممن يزن الامور بما يراه من القسطاس ، ولايستهويه مااستهوى كل الناس ، فقد حدثني بهذه الرسالة في السنة الماضية ، وذكر انها قليلة الجدوى ، وان عهده بها في شق من سقف بيت في داره ، فالححت عليه أن يوصلها الى ، فبعثها فاذا هي قطع ممزقة ، قد تطاير بعض اطرافها ، وأتى القطع على سطور منها ، ولكنها قليلة جدا ، بل ماذهب يبقى بعض حروفه للعيان فكأن من سخرية القدر ، بعد ان قراتها فوجدتها درة يتيمة ، وأدركت لها من القيمة مالايعرفه لها ربها الذي جعلها من سقط المتاع ، طويتها في رق ءاخر، وكنت جلست عشية في سطح الزاوية، ثم قمت ونسيتها الى مابعد الغد ، فاتاني بعض اولادنا بقطعة منها وجدها في المركع ، فماكدت ارى القطعة حتى تذكرت فقمت كالمجنون أفتش عنها فلم أجد شيئا ، وبعد أيام أتاني موذن الزاوية ببعض القطع الاخرى صادفها في فناء الحائط الخارجي تتلاعب بها الرياح ، فأعدت قراءتها وقابلت بين قطعها ، فاذا هي تكاد كلها تجتمع من جديد ، على مافيها من محو وتمزيق في الجمل غير قليل ، ثم دفعتها الى انسان غير حاذق بالفهم ينسخ لي، فاعتراها من يده من التصحيف والتحريف وترك السطور بينها طامة جديدة، ثم تجددت ثانيا حين حررتها بيدي فاصلحت ، وأتممت ماكان نسيه الناسخ اوكان ممزقا من الاصل الذي نسخ منه، وقدكنت رددت الاصل لربه، وبقيت هذه الرسالة العالية بعد ذلك في يد التاريخ ، بعد ماتجاوزت هذه العقبات التي كادت تأتي عليها. وهي الآن على كل حال بعد تخريجها وتتميم ماسقط منها خلقت خلقا جديدا بهذا الاعتناء

ثم ان قول الاستاذ ان الاجانب خرجوا من فاس ليس الامر كذلك، ولكنه معذور ، لانه كتب ماسمعه عن الواردين (وما ءافة الاخبار الا رواتها) ولعل هؤلاء غرتهم وقعة فاس الشهيرة ءاخر أيام مولاى عبدالحفيظ ، فبنوا عليها ما يشتهونه ،

وأما رأى الاستاذ في الشيخ احمد الهيبة ، فقد أصاب في البعض واخطا في البعض، على أننا لايهمنا الآن اصابته او خطاه ، وانما تهمنا الرسالة وحدها التي خرجها تلميذه فسواها وقدمها بقلمه للتاريخ مستسمحا استاذه فيما فعله

بأثر قيم من آثاره

وكتب الى عمه الاستاذ سيدى علي ، وهو اذذاك لايـزال يتلقى عـن الاستاذ الافراني في المدرسة التانكرتية قبل عام ١٣١٨ هـ :

«سلام الله على من به تنورت ازهار تلك الرياض ، وبه نبعت فينا عيـون وامتلأت حياض ، أبى وشيخي وسيدى وسندى ابى الحسن ، حفظكم الله من كل مالايليق بجنابكم، ولايليق لكل من كان في حسابكم ، وقـد وصلني ياسيدى سرورك بتلك الابيات ، التى أتت الى ياشيخي وابى مـن الموهبات ، فـادع لى ياسيدى أن أرى في منزل الحق كالبدر ، مجتنبا للباطل لاأدنو منه بشبر اوفتر هذا ولاباس عندى ولله الحمد، فمرامى أن ترسلوا لى ماأتوقف عليه، مع طلبى من سيدى المعذرة ، فالحر من قنع لامن قنع ، واستاذنا الفقيه لايزال بالاخصاص يطلب غنمه المسروقة مع غنم جيرانه ، وقد ذهب الى القائد بوهايا ، وهذا ماتجدد عندنا والسلام»

انتهت الرسالة وقد اختصرتها ، ولنكتف بهاتين الرسالتين كانموذج في ترسل الاستاذ ، فقد كفتا وشفتا ـ يكفي من العقد ماأحاط بالعنق ـ

أما آثاره الشعرية فهناك منها ما انتقيناه من اشعاره الكثيرة ، ولكن قبل ان ندخل في ذلك ، أذكر أبياتا كتبها اليه أستاذه الافراني عام ١٣١٦ هـ ، حين كان يأخذ عنه ، نصها :

اجب عبد الاله وقيت عيا ... جوابا بالصواب يرى حريا
ووجه للبشير (١) فتاة فكر ... تروق اذا بدت حسنا وزيا
وشحذ للجواب شباة فكـر ... اذا رام الكلام فرى فريا
فلا تخلد لارض العجز واخلع ... لباس العى عنك وكن جريا
فاحسن ما اقتناه المرء فكر ... يرى مهما قدحت به وريا

هذا ماكان الاستاذ الافراني يحرض به تلميذه لقول الشعر، فحمله ذلـك على أن كان منه ما نقرؤه الآن

قال يرحب بالاستاذ شيخه وشيخنا سيدى الطاهر بـن محمد الافراني، وهي من مبادئه :

يا أيها السيد المرضى سجاياه ... ومن بافصح خير النطق فحواه
ومن له في سماء العلم منزلة ... ليس ينال لديها الغير علياه
نال المعالى والاقوام في سنة ... منتشئين بكاس العجز قد تاهوا
مدت له الراحة العلياء وهي له ... طوع يديه فيرضيها بفتـواه
والقول في مدحه جد المقال وفـى ... مدح سوى وصفه هزل وبهباه (٢)

---

١) البشير الناصري او البشير العزى
٢) البهباه : صوت الهدير العالى

ومنكر نوره من بعد ما سطعت
شموسه خر في شفير مهواه

اهلا بمقدمك الميمون طالعـه
ومرحبا بك ، والحمد لك الله

قد اقبل البشر اذ أقبلت ثم على
قلوبنا واستبان الجسم أدواه

أدامك الله للاسلام مكرمـة
وأنت تجنى ببوح العلم أحلاه

من ابنك البر عبد الله يسأئكـم
ماء رضاكم لنار ضمن احشاه

ويستمد دعـاء لينال بــه
صلاح داريـن دنياه وأخراه

أزكى السلام وعرف المسك يصحبه
من الاله ، الذى فى العد ضاهاه

اسبل رضاك وأهم سحب أدعية
على العبيد لينجاب اللذ أرداه

بجاه أحمد من تجلى به كرب
ويستجاب الدعاء عند ذكراه

تترى عليه صلاة الله صاحبة
سلامه وعلى كـل من والاه

اعذر اخا هذر ان يخط مرقمه
فى نفث فكر عليل الطرف مضناه

فاجابه الاستاذ الافرانى

لبيك من والد أحيا محيـاه
قلبا رماه النوى عمدا فاصماه

ما أنت الا حيا وافى على ظما
روضا ذوى زهره يوما فاحياه

لله منك سجايا كالنسيم اذا
صافحه الروض وهنا ذاع رباه

وفكره كلما حاك الذكاء لـه
محبرا من برود الشعر وشاه

وصارم الذهن يفرى كلما عرضت
كتائب البحث لاينبو غراراه

وهمة فى سماء المجد سارية
كالنجم لاتنثنى من دون أقصاه

ايه بنى فقد حزت الفخار بما
ورثت من والد قد طاب مثواه

فقد أفادك من علياء قد ملئت
بها من الناس ءاذان وأفواه

فجد فى قفو ذاك النهج مجتهـدا
فالمجد لايرتمي بالعجز مرماه

وحل نفسك بالعلم الكريم فمـا
للمرء قدر بلا علم ولاجـاه

لاتخلدن اذا رمت الكمال الى
ارض البطالة فهى شر أدواه

ولا تمـل لسوى تقييـد شـارده
فقد عنا صعبه من كان عاناه

فان مثلك لايرضي وليس يرى
فى صهوة العز والعلياء مغناه

لازلت ترقى الى ان تستطيل على
نعائم الجو او فوق ثريـاه

ممتعا بنعيم العـلـم تقسمه
بين الانام كما أعطاكه الله

ووفد الوفد الافرانى الى (الغ) يوما ءاخر والفقيه سيدى العربى الساموكنى بالمدرسة الايغشانية ، فلم يات اليهم ، فعاتبه بعض الحاضرين على ذلك ، فقال الاستاذ على بن عبدالله فى ذلك

دعوى المحبة والحبيب على كثب
مع ترك وصلته دعاوى من كذب

ما للمحب ، وقد زعمت وفـاءه ،
لم يعتذر (زورا) ولا عذرا كتب

ومما قال صاحب الترجمة

ماذا الجفاء وذا الاعراض ياعربى؟ فما رعيت حقوق الود والادب
وفد الاحبة حثوا فى زيارتهم ركائب الشوق فاستظهرت بالهرب

وقد كان أعار شرح الرباطى على العمل الفاسى لابن عمه الاستاذ قاضى (الغ) الآن ، سيدى الطاهر بن على ، فكتب اليه بعدما ابطاعليه فى الرد

ان لى بكتاب شرح الرباطى طاهر بن على أى ارتباط
انه ليس عنه صبر لانى قد شغفت بحبه من قماطى
فاذا ما قضيت ما أنت فيه مبتغ فلتعده دون تباط
لم حكمت وانت قاض بمطل فيه ، والمطل ما اقتضاه بساطى
لاتلمني فالكتب كل افتقادى ما حييت لها وكل اغتباطى
وهى انسى فى جلوتى واختلائى واشج عرقها بعرق النياط
كيف بالصبر عنه وهو سكابى هل تسام سكاب بالاشتطاط (١)
واستحثاث للرجع للكتب دوما من معار ، من أوكد الاشتراط
فهى مثل الشيوخ يلزم أن نسـ ـال عنها مخافة الاغتماط
فبها نستضىء فى ظلم الشـ ـك ، وندرا بها مزل الغلاط
والذى لايطالع الكتب دوما عن قريب يمنى بداء الحباط (٢)
وسلام على مقامك لازلـ ـت دواما على سواء الصراط

وقال يخاطب الاستاذ سيدى المدنى ويسترد منه كتاب بحراق :

برح بى الوجد من ذكراى بحراقا واحرق القلب والاحشاء احراقا
فوجهنه الى اليوم مبتدرا تورق اغصنه فى الحين ايراقا
لكى تكون سماء الهجر نيرة تشرق منها شموس الوصل اشراقا
بورك فيك مصونا ءامنا أبدا من الحوادث ارعادا وابراقا
عليك منى سلام الله ما سجعت ورق فهيجن فى المشتاق أشواقا
ماحن قلب الى رمق الدفاتر من كل أخ مطرق للعلم اطراقا

وقال يعاتب صنوه سيدى محمد بن على الالغى ، وقد رءاه يوما فى بطالة ملأها بالجرى على فرس فى بسيط الغ ، معان مثله ليس ممن يتفرغ لمثل ذلك ، وذلك ءاخر صفر ١٣٢٦ هـ :

---

١) سكاب كحذام اسم فرس قال فيها ربها
أبيت اللعن ان سكاب علق نفيس لاتعار ولا تباع
مفداة مكرمة علينا تجاع لها العيال ولا تجاع
٢) الحباط بالضم كمدام داء تنتفخ به بطون الابل من أكل الحندقوق.
يعنى به داء الجهل

محمد بن علي جرى القراطيس ... أولى بحالك من جرى الكراديس ١
مثلك يمعن في جني الدروس من ال ... ـعلوم غضا من افنان الكراريس
حتى تحوز من العلياء ما شرفت ... به مناصب اباء قناعيس (٢)
فلو علمت لما انفككت عن نظر ... منقبا عن علوم في الفهاريس
بذاك يرضى الفتي احبابه وبه ... يغيظ اعداءه غيظ الدهاريس(٣)
لكن جرت بك افراس الغواية في ... ميادين الجهل والجون الحناديس(٤)
اليك اهديتها أريد منك سليـ ... ـماني عزم بدا في شكل بلقيس
زفت اليك عروسا فاقبلنها فقد ... أتتك ترفل في حلة طاووس
وأسال الله توفيق الجميع على ... طريق سادتنا الغر النباريس(٥)
ثم عليك سلام ما سمعت أخي ... (محمد بن علي جرى القراطيس)

وقال أيضا يخاطبه ويهنيه بولد كان ولد له فمات بعد، وقد سماه عبد السلام ، والخطاب في القصيدة موجه الى الولد، وذلك في المحرم عام ١٣٥٤هـ

حفظت من كل هامة ... عبد السلام ولامة
ونلت عمرا طويلا ... مهنئا بالكرامة
تنشا ما بين أم ... ووالد بالسلامة
مشمرا ساق جد ... مجانبا للسئامة
حتى ينال غرار ... نافر دهرا منامه
حين تحل مقاما ... عجز عنه قدامة (٦)
فانت وارث سر ... تنال منه الامامة
تكون في العلم بحرا ... والجود كعب بن مامة(٧)
ومن أتاك اهتداء ... بك جلوت ظلامه
او ان أتاك اعتفاء ... فانت قاض مرامه
او ان أتاك ارتواء ... منك نقعت اوامه (٨)
محمد يا ابن امي ... ابشر بفرد السلامة

---

١) جمع كردوسة وهي القطعة العظيمة من الخيل
٢) جمع قنعاس بالكسر ، وهو في الاصل العظيم من الابل
٣) جمع دهرس كجعفر الداهية
٤) جمع حندس وهي الظلمة وهو بكسرتين والحناديس بالياء جائز في الشعر
٥) جمع نبراس وهو المصباح
٦) قدامة ابن جعفر شيخ الادباء والكتاب المشهور
٧) عربي مشهور يضرب به المثل في الجود
٨) الاوام كغراب العطش

وبـهــلال كـمــــال والزهر غب الغمامـة
فــلا عـــراه أفـــول ولا ذبول الكمامـــة
يبقى مـنــيرا مضيئا وراءه وأمــــامــــه
والسعد حيـث حماه فليس يعدو خيامـــه
حتى يرى ولد ولد فى نعـمـة وزعامـة
بجاه أحـمـد والـى علـيــه ربــى سلامة
بعـد الصلاة علـيــه تترى ليوم القيامـــة
ويجعل الله حسنــى ختامـنــا وخـتـامـه

وقال أيضا يجيب تلميذه وابن عمه سيدى صالح بن احمد عن قطعة خاطبه بها لم نطلع عليها الآن :

لبيك لبيك ياخير اللدات ندى وطالعا فى سماء المجد نجم هدى
انا لك اللــه ماتبغيه مـن شرف ومن علوم وسر ظاهر أبدا
هذى الجواهر أمهذى الزواهرام حسناء خود ام الاصباح حين بدا
غفرانك الله بل نظم الاديب حوى حلال سحر ودرفى الطلى نضدا(١)
لفظ لذيذ ومعنى رائق حكما تهدى لسامعها الآداب والرشدا
يقوله المنشدون الشدق فى نغـم كالصوت من بلبل فى غصنه غردا
كأنه لؤلؤ فى السمط تنثره حسناء من بعد ان قدكان منتضدا
لله درك من فذ قصائـــده مصفقات الطلى بالماء من بردى(٢)
فاحرص اخى على كسب العلوم فقد رأيت أن العلا مـدت اليــك يــدا
فمن يكن صالحا تصلح طرائقه لاخير فى صالح ان بعضه فسدا
عليك أزكى سلام الله من قلمى واسمع جوابى ياخير اللدات ندى

وكتب الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى الى صاحب الترجمة ، والى سيـدى البشير الناصرى ، وشقيقه سيدى الطاهر ، هذه الابيات يستدعيهم الى داره بافران وهم هناك أما فى المدرسة واما فى دار الناصريين

الى الثلاثة الاقمار، المزرى لطافتهم بنسمات الاسحار ، على صفحات الازهار، السيد عبدالله بن محمد الالغى ، والسيد البشير ، وشقيقـه السيد الطاهر ابنى الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، قدس سره ، امابعد :

---

١) الطلى جمع طلية العنق مضمومة الطاء فيهما
٢) الطلى بالكسر الخمر يشير الى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه فى بنى جفنة

يسقون مـن ورد البريص عليهـم بردى يصفق بالرحيق السلسل
والبريص مسكنهم وبردى نهر مشهور ازاء دمشق

فصلوا الفقير لدى الغروب بداره ... لتطيب من رياكم ارجاؤه
فبانسكم وحياتكم يجلى صدى ... قلب المشوق ويستجم رجاؤه

فاجابه سيدى البشير بقوله

لبيك ياعقد جيد المكرمات ومن ... لبى العلا اذدعته غير ذى وكل
دعوتنى ولهيب الشوق متقد ... فجئت أسرع للقيا بلا مهل
أبقاك رب الورى للدين تصلحه ... والادب الغض فى الاظعان والحلل

واجابه صاحب الترجمة بقوله

لبيك يا مولاى يا من دأبه ... تعجيله المعروف لا ارجاؤه
انت الذى يهدى العفاة لبابه ... عرف العبير تنمه أرجاؤه
العبد يسترضيك كيما ينثنى ... وتحفه من وصلكم ارجاؤه

ومما كتبه الى الطلبة يوما

اذا كنت تبغى دوام الشبع ... وتلبس اجمل ثوب صنع
وأن لا ترى كدرا أبدا ... وأن لايمسك شيء قدع
وان لاينالك حر الشتا ... ولا حر صيف اذا ما ارتفع
وتسكن فى مسكن بهج ... وتنعم فيه بنور سطع
فهيهات ان تدرك العلم يا ... مريد الروى دائما والشبع
فهم الفتى غير منقسم ... فشمر لعلم والافدع
فعلم الديانة من يبغه ... فلا بد من ميله للورع
والا يكن علمه للورى ... سموما فيردى به من جرع
نصحتك نصح المجرب يا ... اخى فاتبعنى ولا تبتدع
فلا يدرك الخير الا الذى ... اذا ما أشرت اليه اتبع

وقال مرحبا بالوفد الافرانى فى احدى وفداته الى (الغ)

جرت الصبا فتضوع النشر ... ودنا المنى فتناسق البشر

(وقد ذكرت كلها وجواب سيدى الطاهر عنها فى محل اخر)

ووفد الشاعر السيد ماء العينين بن العتيك الشنجيطى على (الغ)فنزل على الاستاذ سيدى على بن عبدالله هو واصحابه ، فخاطبهم المترجم بقوله

أ (ماالعين) بل يانورانسانهاالذى ... جلوت به السراء لائحة النقش
انخ مرحبا أهلا وصحبك من بهم ... اتتنا المنى تختال مسرعة تمشى
وقروا عيونا انها دار سيد ... يلاقى النزيل بالمرة والهش
فابقاه من ارقاه حصن سعادة ... يقيناصروف الدهرذى المكر والبطش

---

١) القدع كفرح ذو القدع بفتح القاف والذال القذر ، الخناوالفحش

فاجابه ابن العتيك بقوله

انخنا بكم لله در ابيكم   فبادرتم بالرحب والبش والهش
بدار من اعتاد القرى فكأنه   يضيق به ذرعا فراحته تفشى
واني ارى سيما السيادة والعلا   ايا ءال عبدالله داركم تفشى

فأجابه أيضا الاستاذ عبد الله بقوله

عروس غدت فوق الارائك والعرش   تتيه دلالا فى غلائلها الرقش
ام الشمس فى برج السماء تبرجت   اشعتها وسط الهواء وفى الفرش
ام الزهر فى روض الرياحين جاده   لدى سحر سح الغمامة بالرش
نعم انها الفاظ در تروق اذ   ترق وصافى الود من ضمنها تفشى
امام الهدى (ماالعين) سيدنا الذى   أتته حسان المجد سافرة تمشى
عليكم سلام الله ماجن غاسق   على عاشق فجن مذكرا ينشى

وقال أيضا يرحب بابن العتيك المذكور ورفيقه الامام من قطعة :

أهلا وسهلا بالامام وما الـ   ـعينين من ضيفين قد وفدا
ونازلين منزل القلب فى   ضلوع هذا العبد طول المدى
بشراكما عيني قد وردا   ماء كما الزمزم عذبا ردا
لازلتما ولا ازال أنا   معكما على بساط الندى

فاجابه احدهما بقوله من قطعة :

أمن لاركان الندى شيدا   واعتاد ما من فضله عودا
واذهب الوحشة ايناسه   وابهجت رؤيته المنتدى
وروح الروح وجثمانها   واحسن المنشا والمنشدا
ساعدك الدهر لقد سرنا   يوم بلقياك لنا أسعدا
اتحفك الله بنيل المنى   وكف عن نيلك كف العدا

وولد للاستاذ سيدى المدنى مولود اثر عيد فقال يهنئه به كما هنأه ءاخر

اتى فازدهت انسا صدور المنابر   وما ست به نشرا بنات المحابر
وحلت به العلياء اوج كمالها   وحلت به النعمى على كل شاكر
ووفت به الآمال ما وعدت به   وقرت بما تبغى عيون الاكابر
وليد سعيد من سعيدين كيف لا   وطالعه سعد الزواهى الزواهر
اتى العيد بشرى ثم اشرق بعده   بعيد عظيم لايماثل ءاخر
وما هو الا البدر اشرق نوره   فاشرقت الانوار أفق البصائر
او السيف يفرى فى غد كل شبهة   بعرفانه فرى الطلى والاباهر
او الورد فى روض نضير تفتقت   كمائمه غب الغوادى المواطر
او النجم يهدى فى مهامه ضلة   لوجه المعالى كل سار وحائر

بل البحر بحرالعلم يقذف موجه بـدر نفيس قيم وجـواهـر

فاجابه سيدى المدنى بقوله وقد لوح الى منهناه معه

اتى فاطباني مزريا بالازاهر	بروض اريض غب سح المواطر
آتى ساحرا لب الاديب بما حوت	معانيه من معنى بديـع المـنـاظر
وما هو الاالسحر حل ارتشافه	بكاسات الفاظ زواه زواهر
بلى انـه شعر يروق رواءه	فيطربنا انشاده فى المحاضر
حوى كل معنى عبقرى كانه	مغازلة من طرف احور فاتر
رقيق الحواشي مثل طبعاللذينقد	اجاداه صوغا قادرا تلو قادر
اديبين بدا فى البيان سواهما	سريين حازا خصل كل المفاخر

الى ءاخرها

وحدث مرة أن ذهب وفد من العلماء وفيهم المترجم للسعى فى صلح بـيـن متقاتلين ، فدارت بينهم ، وهم سائرون مساجلة كلها دعاء وتيمن ببلوغالغاية التى يسعون اليها ، (وهى كلها فى ترجمة سيدى بلقاسم التاجارمونتى) فـي (القسم الرابع) فى (الفصل الاول)

وقال مرة وقد رأى الناس يتأنقون فى الملابس ، فارسلها زفرة اعتباروتعاظ فى شيخوخته ، مستغيثا بالله من عقبى ما عسى انيفرطمنه، ومنعادتههوأن يمعن فى اخشيشان اللباس كلمارأى الناس يمعنون فى لبس المستحسن منه

أرى الناس غيرى يلبسون ملابسا	رقاقا كما دينى وبيضا كشيبتى
وما ضرنى لو تبت لله عاجلا	تصح ديانتى وتنصح توبتى
واساله التوفيق صفحا عن الذى	جنيته من ءالاف جرم وحوبة
وانى عبد الله ارجو كرامة	بما قد حبانى من اضافة نسبتى
وقد قال فىالذكر الحكيم(عباديا)	لها مـن اضافة تفرج كربـتـى
فيارب أنت المستغاث وانت مسـ	ـتعان على تانيس وحشة غربتى
بجاه أجل الخلق احمد مـن غـدا	شفيعى فى حالى شهود وغيبتى
عليه صلاة الله ثم سلامـه	الى أن يفوز القارظان بـأوبـة

وقال فى ءاداب مدير الكأس بين الناس ، وهو مقيم الاتاى

لابد فى المدير من نظافـة	ومن لطافة ومن ظرافـة
وان يـكـون طاهر الاعضاء	من وسخ وظـاهر الاغضـاء
بكـسوة حسـنـة نقـيـة	وبزة مغـبـوطـة مرضيـة
فان يـكـن متسخ الابـدان	فما له فى المنتـدى يـدان
لانـه مجلـبـة للـتـرح	مبخرة مدفـعـة للـفـرح
وأن يرى أهـلا لسرد ادب	مناسب لشرب أهل الرتـب

مراعيا من مقتضى المقام والحال ما يفضي الى الوئام
مجانبا ذكر النسافى المنتدى فانه مستهجن متى بدا
لا سيما والمنتدى بالادبا قد خص أو بعض لبعض قربا
وليحفظن محاضرات الادبا محترسا مما يشين الادبا
من كل ما يفضي الى تكدير خواطر الاصحاب أو تغيير
فلا يرى في مجلس نومانا ان الكرى قد يحفظ الندمانا (١)
ولينشرح منبسط الايناس مستقبلا بوجهه للناس
فلا يرى يبصق لكن ان خرج عن مجلس القوم لضر لا حرج
ولا يرى يحك بالاظفار اباطه او داخل الاشعار
كذاك لا يدخل من أصابعه في أنفه حرصا على توابعه
نعم ولا ممتخطا او ناتفا لشعر ولا لصدر كاشفا
وليحترس من أخذه القذانا والقمل والبق او الذبانا (٢)
وليحذر الشغل بالاستياك اذذاك بالاصبع او اراك
ولعبا بطرف العثنون وبا لسبال فهو من جنون
الى هنا الهنا بي وقفا من أدب المدير حسبي وكفى

وسيجد القاري ءانشاء اللهمثلهذه الارجوزة في ءاداب المقيم للاتاي في (القسم الثالث) في ترجمة سيدي محمد بنالعربي الادوزي ، ومن أراد الموازنة بين ماقاله وماقاله الادوزي فان ذلك ممكن ، لان الموضوع واحد٠ وكذلكماللرفاكي ولاهله الاكراريين في (القسم الرابع)

وكان خاطب عمه الاستاذ علي بنعبد الله بقصيدة يطلب منه ان يلقنهأذكارا ولكننا لمنقفعلىها ، ولم يستحضر القصيدة لماسالته عنها حتى كونهقالها، وقد أجابه عنها الاستاذ عمه بما نصه :

على الحبر عبد الله نجل محمد عبير سلام كل حين مجدد
ورحمة مولى لم يزل في تعطف لمد من قرع بابه وتعهد
وبعد فقد وافى نظامك مزريا بمنظوم در في قلائد عسجد
يبرد منه وقد علة غلتي معين المعاني فهو أعذب مورد
ينسي شهي الراح من مد راحه اليه ويسلي الصب عن حب خرد
ويخجل طلعة الغزالة في الضحى ويحسب سحبان به ذا تبلد
يذكرني عصرا تقادم عهده فيا برد ما اهدى الى قلبي الصدى
وبالغت في وصف العبيدبمااقتفت عيون الرضا من كل أسود أصيد
وتستسمن الاورام فيه ومن تحـ ـطه فعلته لم يعله قول منشد

---

١) أحفظه أغضبه

٢) القذان بكسر القاف وفتح الذال مشددة جمع قذة بضم القاف ومن معانيها البراغيث والذبان كالغربان جمع ذباب

وتطلب اذنا في اتخاذ طريقة التـ ـجاني ، وتلك جنة المتعبد
يروح الى نيل المكارم لابس لخرقته من غير جهد ويغتدي
ولم ار أهلا للشروط التى ترى من الناس الا الطاهر بن محمـد
فزره على شوق يبرح واتخذ عليه ، ومكنه المقادة في اليد

وقد كان ذلك في عاشر ربيع الثاني عام ١٣٢٥ هـ

هذه نبذة مما قالهشيخنا المترجم اوتعلق به، اختصرناها من كثير بين ايدينا وانتقينا مايمكن ا نيقبل عند القراء ،علىانه حفظه الله كثيرا مايقول انني لاأعرف للادب طريقا ، ويتبرأمن الافلاق فيه ، ويدل ذلك منه على شيئين أولهما تواضعه مع هذه المكانة التي يراها القارىء ، وقد رأى امامه ماتقدم، وثانيهما ان لهمقاما كبيرا وذوقا سليما عالي المنزع، فكان يحب أنيجول في اعلى مايجول فيه، وكفاه ذلك شرفا ونبلا ، وقديما قال أمثاله مانريده لايواتينا ، وما يواتينا لانريده ٠

هذا وقد وقفت على رسالة صغيرة كتبها استاذنا الافراني الى صاحب الترجمة في التهنئة باحد اولاده :

«الاخ الذي جلى في محل السيادة ، وأتى من معجزات الفضل بما خرق العادة ، وتكفل له رائد السعد بالبشرى والزيادة ، محل الولد في الشفقة، والاخ في الثقة ، والوالد في المقة ، سيدي عبدالله ابن شيخنا المقدس المتقلب في أردية الرضوان ، وأودية الروح والريحان ، اعز الله مقامه ، وأراه من الدهر ابتسامه ، وسلام عليه، ومن به واليه

ليهنك يابدر الدجى مطلع النجم بيمن الرضا والسعدوالسوددالجم

فالله يبارك فيه وينبته النبات الحسن، ويبقيكحتى ترى ولدا قدشب من ولده ونهنىء ابازيد بمثله ، ونسأل الله أنيبارك فيه وفي نجله، فوالله لقد قرت العين بهما ، وطال السرور لمطلعهما ، جعلهما الله قرة عين للمتقين ، وعلم هداية للمهتدين ، ءامين ، ويسلم عليكم الصهر سيدىالقرشي مهنئا وداعيا والسلام»

ثم وقفت على أخرى مثلها نصها :

«الاخ الاسعد والامجد الاصعد ، والفذ الاوحد ، قرة العين ، وانس القلب، سيدي عبدالله ابن شيخنا المقدس ، أعزالله مقامه، وأنجح بمنه مرامه، وسلام عليه ورحمة لله وبركته ، هذا فالله يقر عينكم بالولد وينبته النبات الحسن

هنئت بالبر التقي ومن يكن برا تقيا مثل ذلك ينتج

* * *

هنئت ياليث الشرى بالشبل فانتما خير اب ونجل

وقد فرحنا غاية الفرح بشروق طلعته ،ويمن غرته ، والسلام»

اخبار عنه اخيراً

عرفت فيما تقدم كيف يدير استاذنا التعليم ، وكيف يزاوله بهمة عالية انفرد بها من بين الالغيين ، وءاثارها تظهر في تلاميذه ، وفي كل من يمر بين يديه، وذلك من خلقه ومن صراحته ومن محبته لنشر العلوم ، ومن خوض المعارف ولكنه لما قوض أطناب المشارطة في المدارس ، واعرض عن ميدان التعليم والتهذيب ، تقوض به مطنب عالي العماد ، متسع النواحي ، حتى أن الذين يعرفون منه ما يعرفون ، ليرون اعراضه هذا أحد الاسباب الكبرى لهذه الظلمة التي صارت تخيم على الالغيين ومن اليهم ، فقد تولى عن ذلك الميدان فتولى تبعا له كثيرون ، ولما كنت جاريته في ذلك اذ أنا في (الغ) منذ عام ١٣٥٦ هـ الى مختتم ١٣٦٤ هـ ، كان يعتذر بالحالة التي خيمت على كل هذه النواحي بعد الاحتلال حيث لاحرية متسعة ، ولاارادة مستقلة لاى انسان، فكنت لاأقبل عذره، كما انني لاأحسبه مقبولا عند خالقه الذى وهب له ماوهب ، ممافيه منفعة العباد وتنوير البلاد ، وكم ءاسف حين أراه لايشتغل الافي الدفاع عن أراضي الاسرة الصالحية ، اذ يقف بنفسه ـ وهومن هو ـ أمام المحاكم التي تشتغل بالفصل في النوازل فاقول بيني وبين نفسي : ألمثل هذا خلق هذا الاستاذ العظيم ؟ اوليس الاجدر به أن يكب على التعليم والتثقيف والتهذيب ؟ فان ذلك هو المقام الذى لايقوم به سواه • أما مقامات المخاصمات فان اى فرد من أفراد الصالحيين ـ وقد وفر الله جمعهم وكثر عددهم بفضله ـ يستطيع ان يقوم بها احسن قيام ثم فيما بعد عام ١٣٦٥ هـ بشرني مبشر ـ وأنا بمراكش ـ أنه شارط في المدرسة الايغشانية • فعادت به الدراسة جذعة • فقلت الحمد لله الذى اعاد المياه الى مجاريها واعطى القوس باريها

وها هو ذا الآن منذ تلك السنوات يبدىء هناك ويعيد ، ويقبل ويدبر • وان كانت همته الآن • وهو ابن سبع وسبعين سنة • ليست بهمة ذلك الشاب القوى المقدام ، وان كان الاسد هو الاسد وان شاخ ، مادامت معه براثينه وأنيابه ، ولايزال هناك الى الآن ، ١٣٧٧ هـ محمود المساعي مشكور الاعمال

وبعد فقد جمعت في الالغيات كثيرا من ءاثاره التي بيني وبينه اذ كنت في الغ مابين مفتتح عام ١٣٥٦ هـ الى مختتم ١٣٦٤ هـ

حفظ الله شيخنا وجعل فيه البركة وارانا من اولاده الآخرين مما أرانا من ابنه النجيب العالم الكبير سيدى صالح خليفة ابيه ونتيجته الصحيحة •

وأخيرا

فارق تلك المدرسة (الايغشانية) فلزم داره حيث هو الى ءاخر ١٣٧٨ هـ ثم انه اتصل بمدرسة والده بعدما غادرها سيدى الطاهر بن علي بن عبد الله الـ

(تامكروت) فهو يوالي فيها الدراسة معؤلة من الطلبة يتناوبونها ، على ضعف في جسم الشيخ حفظه الله

اولاده

أدرك له أربعة محمد ، وعبد الحي (وقد ذكرنا في الفصل السابق) ، وصالح وستراه امامك . وعبد الحق ، وهو اليوم ازاء والده ، وهو وسط في معلوماته وقد عاني حينا التعليم في بعض المدارس الحديثة ، وهاك رسالة كتبها الى

الى معالي سيدي الوزير المحترم ، والى مقامه الافخم ، خير السلف ، وبركة الخلف، أزكى السلام،وأجل احترام،حضرة سيدي الارضي والاستاذ المرتضي أرضى الله مقامكم الافخم . وشيد صيتكم الاعم ، وطيب سمعتكم الشهيرة ، ووطد مجادتكم الكريمة ، وأحدق معاليكم باليمن والسعد وأظل سيادتكم بمديد العمر ،شيخ الجماعة ، وعلامة الساعة ، سيدي محمد المختار السوسي من به نفتخر بين الصادر والوارد

ويقول القائل شبه أبيات لاتقل ولاتقف من دون حد القصائد

يكفي لسوس اذا ما الغير فاخره مجدا ومكرمة مختارنا السوسي
قد قام بالجد حتى نال مرتبة شماء من كل معلوم ومحسوس
لله درك من مستخرج نكتا تذكر فيما مضى من جنس مرؤوس
ومنشئا حبرا جلت محاسنها ومقذعا زمرا تسعى بتدليس
ومنقذا أمة قضى الزهو بها ومنعشا رقبا ءالت بتفليس

هذا وان الغرض في سيادتكم بعد الحمد على سلامة الاحوال ان احيطكم علما اني وفيت بالوعد المفترق عليه من الرجوع الى تناول الغداء بحضرتكم الفخيمة فجابهني بعض الحراس بان سيادتكم توجهت الى البيضاء ، فرجعت على قدمي صوب بعض الاخوان هناك ، لان الوعد بلا وفاء كما قيل عداوة بلا سبب ، وقد رجعت الى مكتب وزارة التعليم حين وصلني ذلك الطلب المعلوم ، فلم يقبل مني عذر التأخر لمضي الاجل ، وبهذا اعلنوا واستغرقت هناك مدة لاتقل عن ثلاثة أيام ، ثم توجهت الى البيضاء ،حيث أبلغك شكري خوف أن يقال ذهب بلا وداع ، ولولا كثرة الحياء الذي حال بيني وبينك ، ولولا أنني اطلعت على انك في اقتحام الكرم والجود ، واختلاف الاضياف والوفود ، وارضاء رغبة كل بلا من ماقصدت سيدي ،ولااتخذت معاليك رهن اشارتي ، ولكني رايتكم اهلا لحاجتي فقصدتكم راجيا من الله بعض بركاتكم ونفحاتكم ، عسى أن أعطى حظا كافيا من النصائح والارشادات كامثالي ، وأملا مني ان لايخيب فيكم هذا الظن الجميل .

كفكفت عني همومي حين قلت لها هذا أبو دلف حسبي به وكفى

(الى ءاخر الرسالة)

ابنكم المخلص عبد الحق بن عبدالله بزاوية تحت الحصن في (تافراوت) بناحية (اكادير) وفقه الله ٢٣-٢-١٩٥٩م

الاديب محمد بن على الصالحى

١٣٠٦ هـ = حـــى

نســبــه :

محمد بن على بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هنيئا بدا للفضل من فلك المجد ... فضاء به افق الهدى كوكب السعد
وقرت به عين الفضائل واشتفت ... رسوم العلا مما بها من ضنى الوجد
وطاب بها مجرى النسيم فلو سرت ... لما قلت جاءت من سوى روضة الورد
واصبح سارى البرق يعدو مبشرا ... باشراقه من حل فــى جانبى نجد
فعاد محيا الكون مستبشرا بـــه ... واعلن للرحمان بالشكر والحمد
فلله طفل شاع فى الكون فضله ... جنينا وعمته السعادة فى المهد
والقت له شوس المكارم امرهـــا ... رضا وتلقته السيادة بالايدى
وترمـق عين البـدر نـور علائـه ... حياء كما يرنو ذو والاعين الرمد
فسوف ينيل المستميحين من جدى ... انامله ما يخجل البحر فى المد
وتضرب من شرق البلاد وغربهـــا ... اليه نحور العيس للفوز تستهدى
ويشرح من قوم ببالغ حكمة ... صدورا والبابا أصم من الصلد
ويشرب مـن حوض المعارف عذبها ... ويدرك ما أعيا الفحول بلا كـــد
فلم لا ولم يقصر بها عن بلوغـهـا ... ندى والد ندب كريم ولاجد
وماينكر الزهر الشميم بروضه ... ولا الدرة العصماء فــى وسط العقد
فياسعده نجلا نـزيها باصله ... شبيها كما قد قد سير من الجلد
فلازال محفوظ الجناب مباركـــا ... يسدد مايخفى من الامر او يبدى
مصونا بلطف الله من كل حاسد ... ومن ماكر غاو ومن كل ماكيد
ونفسى ونور العين منى وكل مـا ... حويت له من كل نائبة تفدى

٭ ٭ ٭

أياسيدى يامرشدى يامؤيـدى ... ويامن جميع الخير منه لنا أسدى
ليهنك ما أولاك مولاك منعمـــا ... عليك به من فلذة القلب والكبد
وأطلعه من افق مجدك منـة ... وشد به عضديك أحسن ماشد
فدام على علياكما الصون وارتدى ... جنابكما باللطف حالا ومن بعد
وردت بنحر الحاسدين نبالهم ... وأردفت النعماء عندك بالزيد
فليس سوى الاكثار منذا الدعا لدى ... عبيدك دينار ولا درهم يهدى

وقدقيل ان جلت على العبد نعمة — لمولى فما غير الدعا شيمة العبد
على انه لو كان ذا الكون ملكه — واعطاكه فى حق جنبك لم يجد
فدونكها بنت السبيل تروم من — ندى راحك الجم الرضا بدل الرفد
توقت بما من نفحة النجل عطرت — شمائلها من لفحة الرد والنقد
تجوب اليك البيد يقتادها الهوى — لساحتك الميمونة الوصل من بعد
فاول لها منك الرضا واقبلنها — بعلاتها من مقتر بالغ الجهد
عليك سلام يملأ الكون نشره — وعمت ذراكم نعمة الصمد الفرد

تلك هي التهنئة التى أرسلها العلامة الافرانى ، وهو اذذاك يتلقى فى (تارودانت) ولذلك عبرعنها ببنت السبيل ، وربما كانت هذه أول تهنئة لذلك الاستاذ فى اولاد استاذه الالغى ، فقد رأيناله منها كثيرا ، ويرى القارىء ما تيسر منها فى مناسبات ، وسيقرأذلك فى مفتتح التراجم التى ستاتى لاخوة هذا الاديب المترجم

هذا الاديب أخو شيخنا سيدى عبدالله بن محمد لامه ، فقد خلف الاستاذ على بن عبدالله صنوه الاستاذ محمدا على زوجه هذه مريم عمتنا كما ذكرنا ذلك فى ترجمته ، فولدت له بنات وأولادا منهم احمد بن على الذى سقط قتيلا ليلا برصاصة بعض من يزاحمهم امورا ، ومنهم صاحب الترجمة احد ادبائنا الكبار المكثرين الذين يقولون فى كل مناسبة ، ويبوحون على اقلامهم كل خوالج اذهانهم منذ عرف القلم الى الآن وهلم جرا

متلقاه للقرآن والعلوم

تلقى القرءان عن شيخ الجماعة سيدى سعيد بن عبدالمومن التاوييتى والفقيه سيدى الحسين الايموكديرى ، وسيدى ابراهيم الفقيرى البعقيلى القتيل فى الزاوية غدرا ، وسيدى مولود الصوابى ، وهؤلاء كلهم تقلبوا فى مسجدالزاوية العليا اذذاك ثم انه افتتح المبادىء على الاستاذ سيدى العربى الساموكنى فى المدرسة الايغشانية نحو ١٣٢١ ﻫ فلازمه سنوات الى سنة ١٣٢٦ﻫ حين شارط اخوه شيخنا سيدى عبدالله بن محمد فى (أداى) ، فالتحق به فلازمه فهو الذى شذبه وهذبه ، وخرجه أحسن تخريج بين الطبقة التى اقبل عليها اذذاك كل اقبال ، وقدرأيت فى ترجمة والده الرسالة التى أرسلها اليه ، وهوهناك يستحثه على استظهار (المقامات الحريرية) ، ثم فى سنة ١٣٢٩ ﻫ اتصل بالمدرسة (البومروانية) عندالاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى ثم انتقل معه الى المدرسة (التانكرتية) سنة ١٣٣١ ﻫ فبقى مابقى ، ثم التحق بالمدرسة (الالغية) حيث يكون فى متناول والده الذى يريدمنه المعاونة على الشئون ، لانه أكبر اولاده. فكان يتلقى عن والده وعن سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، مع ادارة اشغال والده ثم لايزال يميل الى مزاولة الشئون شيئا فشيئا فى دارهم ، حتى انقطع اليها بالكلية ، فكان عضد والده الايمن، وجنبه الذى يتكىء عليه ، ورسوله فى

الحاجات، ومنفذا لاموره كلها، مع ملازمته للمجلس العلمي الدائم في ثـوى الدار ، فكان يشارك في كل الابحاث التى تدورهناك في كل الاحيان متى حضر في الدار ، وبهذا لم تكن منه مزاولة للتدريس الا في حين انقطاعه في المدرسة، اذكان يعين الاساتذة في المبتدئين فممن اخذوا عنه اذذاك الحسن الكوسالي، وعبدالله بن محمد الايكدماني الايفشاني ، ثم لم يبلغني عن ذلك مايمكن ان يحوم حوله القلم اكثر من هذين ، وقد اخذت عنه أنا في (تانكرت) بعض (المبنيات) وكل حياته بعد ذلك انما هي في ادارة الشئون والقيام على العبيد ، والسفر معهم، والمراقبة على الدخل والخرج ، الى أن توفي والده سنة ١٣٤٧هـ ثم لايزال على هذه الحالة الى الآن ، في مزاولة شئونه الخاصة ، بعد ان اختص بنصيبه في الارث، وقد تزوج بكريمة الفقيه سيدي سعيد بن الطيب الاكماري أخت الاديب سيدي أحمد بن سعيد ، ولكن الله لم يبق له الا الولد المحفوظ من الذكور وبعض البنات ، بعد أن دفن منها كثيرين يدرجون في الصغر ، الى هذه السنة الماضية سنة ١٣٥٦

نبذ عنه

غبت عن البلد عشرين سنة ، فحين كنت أفتش في السنة الماضية ، وقـد عزمت على خدمة تاريخ الغ بهرني ماجده لصاحب الترجمـة مـن القصائـد والمقطعات الكثيرة ، فسألت عنه فاخبرت ان قلمه ماهدأ قط عـن القريض، يلقي ماتيسر على عواهنه كيفما تيسر ، ولامقصود له الا ترويج الادب ، مـع امعانه في الاشغال ، فاعجبني ذلك منه غاية الاعجاب ، وقد قلت له يومـا وقد زارني هذه والله مزيتك التي انفردت بها وأما فلان وفلان فماكادا ينزجان في الاشغال حتى نسيا القرطاس والقلم ، والقيا ماتلقياه في المدارس ظهريا، فالله يجزيك عن الادب ، وعن حفظك لهذا الكنز الذى ماادركه الاولون من الالغيين الابعد جهد على جهد • فاستبشر محياه عند سماعه ذلك ، فجزاني أيضا خيرا على حسن ظني به، وذلك كله يدل على أن محبة الادب خالطت فؤاده ، وجرت منـه مجرى الدماء في العروق ، ثم ان له مزية اخرى ظهرت لي منه هي طهارة السريرة وعدم كتمه ضغنا في صدره ، فانه كالماء الصافي في المنهل الذى صفقته الرياح يظهر لك كل مافي قرارته من حصباء بيضاء ، ولايخفى ذلك ، فهذه لعمـرى من مزايا الرجال ، حفظه الله ، وحفظ له ولده المحفوظ واخواته

آثاره

اعتاد منا القارىء ان نطرق نواحي عديدة ممن نترجمهم ، فنتعرض لاخلاقهم ولمشارطاتهم وللاخذين عنهم ، ثم نتفرع بعد ذلك لآثارهم ، ولكن ر ءانا الان وقد صمدنا للاثار من اول وهلة ، حقا ذلك ماكان منا ، لاننا رأيـنـا اخلاق صاحب

الترجمة ، وما يتعلق بحياته ، قد اكتفينا منها بمارايته أيها القارىء فيما تقدم وكفاه خلقا متينا أنه كان يدير ثروة والده الواسعة بكل امانة ، ثم كفاه شرفاان ذلك كله لم ينسه قلمه ، وما ذاأقول وراء ذلك ؟ فاما المشارطات والاخذون عنه فلم يتيسر له ذلك الى الآن ١٣٥٨هـ لانه كان تنازل عن شخصيته ، ووضعهافي يدوالده التى شغلها فيما يريد كيفما أراد حين كان حيا ، ثم استرسل على ماالفه بعده ، فان لم تكف الرجال هذه المناقب ذكرا خالدا وعلو مقام ، فباية مناقب تعلو مقامات الرجال بعد ؟

على اننا سنتتبع بعض تلك الآثار لنلمس منها ماخفى من ابن عمتنا الاديب، فيدرك انحن صادقون ان وصفناه بالاديب ، أم نحن من الذين يلقون الاوصاف جزافا

قال يخاطب استاذه الافرانى حين كان يأخذ عنه في (تانكرت) ويستأذنه في زيارة أهله فى ثانى ربيع الاول ١٣٣٢ هـ • (ولبعض الالغيين فيها يد)

غنى الحمام بروضة غنـاء ... وتجاوبت طربا بحسن غناء
فتقت بها أزهارها وتـفـجرت ... أنهارها ياحسنها للـرائـى
فقضيت من أنهارها وزهورها ... عجبا وقد أزرت بزهر سماء
وترى بها ملد الغصون كانها ... نشوانة من خمرة الانـداء
أرسى الربيع بروضها فكانما ... عقد الجمان بلبة الحسناء
لاعيب فيها غير أن حمامهـا ... يذكى رسيس الشوق في الاحشاء
قدزرتها في ضحوة فرجعت من ... أفيائها بجـوى المشوق الناءى
فصبا الى أهل كوته بشوقهم ... كف البعاد بجذوة البرحاء
تتضرم الاشواق منى بالبكا ... فاعجب لنار هوى تشب بماء
لمارأيت تذكر الاوطان فـــى ... قلبى ذكا فى الليلة الليلاء
أيقنت أن شفا الصدى بالوردمن ... عذب زلال الماء من داماء
هل يادنن الشيخ لى فباذنـــه ... فتح الرتاج ومدرك الحوباء (١)
شيخى واستاذى ومنبع رحمتى ... فلدى يديه الفوز بالنعماء
من ان يزر حضراته زواره ... ينسيهم اوطانهـم بحـبـاء
قدكنت أنسى الاهل في حضراته ... لولا الحمام بـروضة غناء
ياليتنى احظى بنيل وداعه ... متزودا مـنـه بخير دعـاء
فازور أهلا قدكوت أشواقهم ... قلبى وهم أهل السنا وسناء
منى السلام عليك يابدر الدجى ... وملاذ خائف نكبة وعنـاء

---

١) الحوباء : الحاجة

فاجابه الاستاذ وقد غير الوزن على غير المالوف عندهم او لعل هذاالجواب لغير هذهالهمزية

برزت في الحجال بنت ذكاء غازلتنا بمقلة وطفاء
غادة صاغها من القول طبع قد تحلى برقة وصفاء
وجلاها محمد بن على في منصات رونق وبهاء
وغداها بماء فكر رمد ته فهوم بصيب الانواء
فزهت من حلى البيان وكلت عن مداها قرائح الشعراء
زاده الله نور فهم وابدا ه بافق العلوم بدر سماء

وجدت هذه القطعة مؤرخة بسنة ١٣٢٧ هـ ، وذكرلى أنها جواب المتقدمة والله أعلم، معأنالتاريخ كماترى مختلف ، والخطب سهل في مثل هذا

وقال مرحبا بالوفد الافراني الذي يقدمه العلامةسيدي الطاهر بن محمد عادة قصيدة يقول في أولها ـ وهي من اولياته ـ

فرح القلب سادتي بالتلاقي بعدما اشتد شجوه بالفراق
قد تفضلتم علينا بوصل هو أرى المحب عند المذاق
سادة شرفوا العبيد بزور بين الخير للعلا منساق
مرحبا بكم وسهلا فانتم مورد القلب فرحة العشاق
كرماء أهلة نجباء علماء الجواب عند انغلاق
ما الفخار الا لمن فاز منكم بدعاء او نظرة او تلاق
فهنيئا لاحمد السمح لما جاء سيرا فحازخصل السباق(١)
قد رجوت لديكم ايها الجمـ ـع دعاء فذ المنى ترياقي
فسلام عليكم كل ما حـ ـن محب لحيه للتلاقي

فاجابه العلامة الكبير سيدي الطاهر بن محمد على عادته في جواب كل من يرحب بالوفد الافراني الذي يقدمه دائما الى (الغ)

نسمت من قريحة مغداق نسمة عطرت شذا الافاق
نسمة من قصيدة جادها الفكـ ـر بماء ذكائه الرقراق
قد جلاها محمد بن علي غادة تستبي بحسن مساق
ووشاها بكل لفظ رشيق وغريب من المعاني الرقاق
وادار منها على القلب كاسا أسكرت كل شارب او ساق
نشرت من أزاهر الادب الغـ ـض فنونا أعيت على الحذاق
واقامت سوق القريض فاغلت سومه بالفهوم لاالاوراق
فاجتهد يامحمد والزم الجـ ـد فبالجد يرتقي كل راق

---

١) لعله أحمد الايغشاني

كل عزان لم يوطد بعلم | فهو ذل والذل مر المذاق
كل مال يفنيه انفاقه والـــ | ـعلم ينمو بكثرة الانفاق
ملأ الله قلبك الصافى المر | آة علما مروق الاذواق
وسلام عليك ما مجت الاقـــ | ـلام مسكا بروضة الاوراق

وقال ايضا يخاطب الشاعر الافرانى فى كتاب

امرغ خدى فى مشاهد سيدى | واحثو ثراها فوق عينى والخد
وانشد فى دار الحبيب تحببا | لاطفىء عن قلبى لهيبا من الوجد
فبشرى لقلبى اذ هدى لزيارة | تلقحها الاسرار من منبع السعد
فيا سيدى وملجأى ومسددى | وغوث رجاءى حالة القرب والبعد
وصلت جنابا لايضام مضافه | ولا يكتوى بنار هجر ولارد
فان تقبل العبد الحقير لضعفه | فيا حبذا اولا فيا حسرة العبد
فها هو محسوب على كل حالة | على سيدى بدر الهدى الكامل المجد

وقال يخاطب اولا عبداللشيخ سيدى الطاهر يسمى (مبارك بن سالم) ثم تخلص لمخاطبة الشيخ

لله درك يا مبارك طالما | الزمت نفسك خدمة الاخيار
فكفيتهم كل الشئون فلا ترى | الا بصحبتهم من الاسفـــار
فى شقة الاسفار تبدو حـا | لة الاصحاب من خير ومن اشرار
دم خادما للعلم تحت ظلال من | خضعت لهيبته طلا الاحرار
شيخى الذى طاب الربيع بنشره | وبنور طلعته سنا الاقمار
اما الغمام فدون واكف سيبه | اما العلوم فلجة التيار
أما اللطافة فهى من أخلاقه | تزرى بما قد هب فى الاسحار
أو زهرة وسط الخميلة بعدما | قد حسها سحرا يد الامطار
سبحان من اولاه خلقا كاملا | ومواهبا مرفوعة الاقدار
ياسيدى انى اليك لمنتم | حسا ومعنى فاقض لى اوطارى
متوسلا ببنيك خير اعزة | ونجوم هذا العصر فى الاقطار
فالله يحفظ عقدهم ويحوطهم | باللطف من أهل العدا الاشرار
وينيلهم اعلى المناصب بالتقى | حتى يروا من سادة اخيار

وكان يوما يقيم الاتاى، فمد الكاس للاديب احمد بن زكرياء وقال له

أتاى احمر الخدين فانظر | وقل ان ذقته لله درك

ثم ذيل البيت بعض الالغيين فقال :

أجل فيه لحاظك تستبن من | سرائره اذا ما صين سرك
له حبب يشعشعه اذا ما | ترشفه تفجر منك بشرك

كأنك اذ تمص تمص ثغرا وقد لقم الشفاه اللعس ثغرك

وقد خاطب المترجم الشيخين سيدى الطاهر وسيدى العربى الساموكنى بقوله

بدر ان قد طلعا بافق سعود في السعد مذ خلقا بخير صعود
قل للذى يبغى منالهما فلا تتعب فذا فضل من المعبود
فحباهما الرب الكريم بانعم لم يحصها انشاء نظم مجيد
تلقاهما متهللين فلا أرى مثل السنا الاسنى لاهل سعود
سادا الانام بسبق كل فضيلة صار امدى الايام سر وجود
وفدا على شيخى ابى الحسن الذى فاق السوى فالوفد خير وفود
فغدا الامام يبين من اكرامهم مالا يعد فذاك صنع ودود
فعليكم بيد العبيد محمد اذكى وابهى من زهور نجود

جواب سيدى الطاهر

امحمد يا ابن الكرام الصيد يامن دنا لعلاه كل بعيد
اهديت بنت الفكر تزهو في حلا وشي البلاغة فازدرت بالغيد
نظمت يواقيت المعاني غضة فحكت جواهر نضدت فى الجيد
نفثت بسحر كان أسبى للنهى من نفث بابل والجفون السود
قسما بمن اغلى واعلى رتبة الا داب في انظار كل مجيد
ان القصائد ان أجادت سبكها الافكار احسن من ظباء البيد
وارق من لطف الهوى والذ من ظلم الحبائب وابنة العنقود
هذا وأحسن ما به يعنى امرء رام العلا وامد بالتاييد
أدب يؤنس فى الخلا ويزينه بين انملا بروائه المحمود
فالزم حماه وجد فى تحصيله واشف الغليل بورده المورود
منى عليك تحية موصولة امحمد يا ابن الكرام الصيد

وقال أيضا يخاطب سيدى الطاهر ارسلها اليه من الغ ، من قطعة معها رسالة لم نقف عليها :

ياايها العقد الفريد وغرة الـ ـدهر البهيم ونجمة المرتاد
والعالم الشيخ الامام بحلية الا فتاء والتعليم والارشاد
ومن ارتقى بين النوابغ خطة الا عجاز في الانشاء والانشاد
من كان لى يوم الوغى درعا به أحمى من الاعداء والاوغاد
نورى اذا ما ضل سار اهتدى بسناه بين قوافل القصاد
فانظر لعبدكم بعين رضاكم فهو الغريق بلجة الافساد
واسال له من ربه صفحا على زلاته تمحى من الامداد
ازكى السلام عليك ما هبت صبا تحيى مشوقا مات بالابعاد

فاجابه الاستاذ بكل ما ياتي شعرا ونثرا :

وصلت رسالة نخبة الامجاد ... نجل الشيوخ مناهل الوراد
فرع السيادة زهر افنان العلا ... زاكى الشمائل مرغم الحساد
بدر الدجنة سيدى من سادة ... غر هداة قادة امجاد
من حل فى صدرى محل ضميره ... حبا ومن عينى محل سواد
ان ادعه ولدا فرتبته ربت ... بابر فى قلبى من الاولاد
فهو الحبيب ولم اجد مثل المحبـ ... ـة لفظة اندى على الاكباد
ذاك السرى ابن السرى محمد بـ ... ـن على الالفى غيث الصادى
لازال فى كنف الصيانة عالى الـ ... ـكعب المبارك دائم الاسعاد
منى السلام عليه ماشاقت صبا ... صبا رمته يد النوى ببعاد

الاخ القريب بل الولد الحبيب ، نجمالسيادة ، وبدر السعادة ، قرةالعين، ومنية النفس ، وعيبة الانس ، سيدى محمد ابن شيخنا بدر الهداية ، ومورد العناية ، سيدى أبى الحسن ادام الله تلك الجلالة وارفة الظلال ، وحفظهاتيك المثابة الزكية الخلال ، الطاهرة الجمال والجلال ، وسلام عليهمنقلب يحبه ، يوحشه بعده ويونسه قربه ، ورحمةاللهوبركاته هذاوقدوردت الرسالة الكريمة ، ومأأدراك ما الرسالة ٠ جلبت الىالقلب الحزين ماانسى الاهل والبنين وأسلى عن كل قرين ، بما توشحت بهمنبرد البلاغة المنمنم وتعطرت به من نفحاتالبيان الذى نم ، وتحلت بعقد القصيدة المعجزة ، التىهى لقصب السبق محرزة ، وقد دعتنى القريحة الى المنادمة على دنها ، والتروح بافنان فنها ، فاكدى الخاطر ، واعياعن مساجلة سحابها الماطر ، فعأرض الصيب بالجهام وقابل الصارم بالكهام ، فقلت كما يحكىالصدى صوت الصائح ، او يحاول الاعزل مصاولة الرامح (تلك الابيات) فدونكها بنى ان كنت تستبدل بالصارم العصا أوتاخذ عن الدر الحصى ، والامن لى بشأوك ، والطيران فى جوك ، وقد قص جناح الادب وهيض ونضب ماء البيان المستعذب وغيض ، وكسدتبذهاب الشباب والاتراب سوق القريض ، فابقاك الله سيدى للادب تجيل قداحه، وترتشفكيفشئت أقداحه ،وتورىنار البيانبزند الخاطر كلمارمت اقتداحه٠ وتدير على بنى الادب العطاش راحه ، وترد على الخاطر القريح ببوارح التبريح انشراحه ، وأقول (كما قال اديب الاندلس (احيا الله الادب وبنيه ، واعاد علينا من ايامه وسنيه) فاصدح يابنى بفنون الاداب ، على افنان الشباب ، صدح الحمام على الغصن المروح ، وقدما شأوت حتى صوحت نباتابن نباتة وطوحت بذكر ابن مطروح ، وكف لا وانت سر الشيخ رضى الله عنهأبيك، فلميزل يغذيك بماء الادب ويربيك ، الىأنغصت منبحرهعلىدره ، بماوفقت اليه من ملازمة بره ، فظفرت يداك، واللهيكبت عداك ، بالبحر الذى قال فيه المتنبى:

ومن كنت بحرا له ياعـ ... ـلى لم يقبل الدر الا كبارا

فلله درك من فذ جد فوجد، وملأ الراحة من الدر والعسجد، مع اغتنام الراحة فما أغار ولا انجد ، فقد عرفت فالزم ، واكتبك الصيد فاعزم ، فالله يصلحك ويقيك ويديم سعدك ويبقيك، وسلام مني على حضرة الشيخ أرضاه الله ، وعلى جميع السادة الاخوة، ادام الله لهم الحظوة ، في ليلة الجمعة رابع شعبان ١٣٤٦ هـ

ولم أقف بكل أسف على الرسالة التي كتبها صاحب الترجمة الى المخاطب ، لان الالغيين ماكانوا يهتبلون بالنثر ، وان حاز من الاجادة ماحاز كأهتبالهم بالمنظوم وان لم يكن بذلك كما يمر كثيرا بالقارىء في كتبنا هذه ـ والنبيه لاينبه ـ فضاعت بذلك رسائل كثيرة مثل هذه الطاهرية التي رايتها ، وعليها ما عليها من نفحة أندلسية ، وقول الاستاذ الافراني في اثناء تلك المخاطبة ان والده قداعتنى به تغذية بالتربية ، حتى غاص على الدر في البحار ، ليس ذلك مما القاه الاستاذ في عرض الكلام ، بل ذلك حقيقة ، قد رأيت في ترجمة والده تلك الرسالة التي كتبها اليه وهو في (أداى) وهاك اخرى كتبها اليه في اوان اخذه فهي مع صغرها تدل على المقصود

أصلح الله الولد محمدا البار ، وأعانه ووفقه لاغتنام الخيرات ، واقتناء المكرمات، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فالاحوال والاهل داخلا وخارجا بخير وسلامة وعافية لله الحمد ، وأوصيك بتقوى الله ومراقبته وبذل الجهد فيما انت بصدده ، فان الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك ، والعاقل من اتعظ بغيره ، وتنبه باشارة دهره والسلام ، والدك علي

وهذه أخرى كتبها لبعض اولاده ، ولم أعرف من هو منهم

ولدنا البار أصلحه الله، وأرقاه في مراقي الصعود ، حتى يتسنم ذروة سعد السعود أما بعد فقد اخبرني الحامل انك مع جيرانك من الطلبة تدمنون اللهو كأنكم ماعرفتم لماذا خلقتم ، على أنهم لايخافون شماتة بين أهليهم يوم يرجعون وأما أنت فكيف تجالس أقرانك هنا ، اوكيف تكون بينهم ؟ فهل تريد ان يكون بنو أعمامك احسن منك ، ومن لاهمة له يوم التعلم، يتألم في مجالس اقرانه طول عمره غاية التالم ، وانا لست اباك وانت دونهم فان لم تكن خير أقرانك فانظر لك أبا اخر ، فقد يحفظ الطلبة متونا ان تركهم استاذهم في العواشر واما انت واصحابك فلا تعرفون الا اللعب دائما ، ولاحول ولاقوة الا بالله ، فاغتنم يابني قبل الفوت ، فقد نصحتك ان علمت انني ابوك والسلام ٠

وقد اخبرني اخو المترجم الاستاذ سيدي الطاهر بن علي ان والده كتب اليه وهو بالمدرسة السعيدية بالاخصاص انه ان حفظ قصيدة (بانت سعاد) حفظا متقنا واستحضر معاني كلماتها كلها ، والابيات الشواهد التي تحفظ عادة فيها، لينالن من يده جائزة سماها له ، ثم بعد ذلك حين وفى المقصود كما ينبغي ، مكنه الجائزة

وأخبرني أيضا انه كتب اليه ، وهو في بعض الجيوش التي تجتمع فيها القبائل اذذاك هذه الرسالة أملاها على من حفظه .

ولدنا الطاهر ، منحك الله السر الظاهر ، والفتح الباهر ، أما بعد فهذه رسالة كتبها بديع الزمان لابن اخته فتأملها واحفظها ، وتحقق اعرابها ، وكيفَ جملها ، فانني سامنحك جائزة بعد رجوعي ان كنت في ذلك كله على استحضار وهي

«أنت ابني حقا مادمت والعلم شأنك ، والمدرسة مكانك ، والمحبرة حليفك ، والدفتر اليفك ، فان لم تفعل ولا اخالك ، فغيري خالك والسلام»

وسمعت أيضا أنه واعدابنه سيدي المدني على حفظ (مثلثات العرب) لقويدر وهو مطبوع وفيه اكثر من الفي بيت ، على انّ يجيزه بحمل من السكر ، وقد وقفت على أبيات خاطبه بها يتطلب منه أن يقرب منه لسرد ماحفظه من (المثلث) ولعل ذلك كان حينئذ كما ظهر ذلك في هذه الابيات

الم يان للنجل الرضى اقترابه — يشنف من حفظ (المثلث) اسماعي
ويسرد منه باب همز فانه — يقوى على حفظ التوابع اطماعي
فانك ان اتقنت حفظ جميعها — تحز في ذوى الاداب خصلا باجماع
ويرفعك فعل الحفظ رفع السموفي — مراق ترى للاخرين باتباع
فقم واجتهد واترك وراءك ظالعا — ابى ان يرى في السابقين من اتباعي
فعاشر حماة العلم واغش حماهم — وزاول لكي تمتاز متسع الباع
عليك سلام الله من خير والد — تحل سوّاد القلب من تحت اضلاع

ووقفت أيضا للاستاذ على أبيات اخرى لعله يحض بها بعض اولاده ويعنفه على تركه اتباعه ، وهي في ضمن ورقة يكثر فيها محو الكلمات واستبدالها فكأنها مبيضتها الاولى

الى فلن ترى نظيري من الورى — من النصح والاشفاق والعطف والرشد
أتطمع في مجد اذا لم تبرني — ويرى فقط نهج لمثلك للمجد
أأرسلت مرات ولست مجاوبي — كاني غدوت أيها الابن في بعد
أعيذك يا ابني أن تعق فان من — يعق نظيري لم يرح راحة الخلد
فما كنت أبغي غير أن تغتدي على — مقام رفيع دائما ظاهر الايد (١)
نعم ان أبيت العلم والسعد والهدى — فبعد الآبى العلم والهدى والسعد
اذن تضحك الاعداء منك وقد عرفـ — ـتهم اذاشاروا اليوم نحوك بالايدى
فاطلب ربي ان تجيء هداية — فترجع رغم الانف منك الى قصد
بجاه رسول الله افضل شافع — يشفع لايخزى به المرء بالرد

---

١) الايد القوة

فهذا هو الاستاذ ابن‌عبدالله مع أولاده ، حتى خرجهم ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لذكرت هذا الفصل فى ترجمته ، ولكن هكذا قدر

ووفد على الغ يوما الاديبان سيدى البشير بن المدنى الناصرى ، وسيدى‌احمد ابن صالح الافرانيان فقال المترجم يرحب بهما

اضاء بنور نير فلك الـهدى ... وشمس سماء العلم فى افق الندى
جوانب الغ حازت الفخر اذ غدت ... مخصصة بوصل من‌خص بالجدى
هما الاخوان فى الندى توأما العلا ... رضيعا لبان المجد فى كل منتدى
وحبهما والله يبقى علاهـمـا ... أدين به الرحمان ما كوكب بدا
فاهلا وسهلا مرحبا الف مرحـب ... بسيدنا البشير من بالعلا ارتـدى
وسيدنا المفضال احمد من غدا ... مضيئا بنور الرشد فى فلك‌الهدى

وقال أيضا يخاطب سيدى الطاهر بعد قدومه من سفر ، وقد ذيل ءاخرهـا بعض الادباء

بشرى الفؤاد ومطمع الـعيـن ... وأعز من ذهب ومـن عيـن
سوداء قلبى نوره مهما دجا ... ليل الفراق بـظـلمة البيـن
شيخى واستاذى واحمى جنة ... من أزمة نابت ومن حـيـن
سفر به نجح المقاصد كلها ... قد أبت منه اليوم بالديـــن
قد غبت عن هذى البلاد فغاب عنـ ... ـها معك بشراها بلا ميـن
اذ أنت منها روحها وفؤادها ... كيف الجسوم بغير هاذيـن
بسلامة هذا الاياب وبـهـجة ... وصيانة من كـل ماشيـن
ازكى السلام كنفحة ورديـــة ... تنحو مقامك قرة العيـن

جلس يوما مع الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى فتساجلا هذه الابيات قال اليزيدى

خامرتنى الرحيق من كاس خمر ... مذ سقتنـى تـنـاءت الاتراح

فقال ابن على

واتانى السرور ينفى كروبـــا ... قد احاطت من قبل مهما تـزاح

اليزيدى

اسقنيها بغدوة ولك الاجـــ ... ـــر جزيلا والمزج ماء قراح

ابن على :

فاذا فاتـت الغداة فاطـيـب ... باصيل به الـنهـى ترتـاح

ولما أطلعت على هذه المساجلة قلت اذذاك :

ان روحي تلك الرحيق وهل يمـ ـكن عيش ان زايلت ارواح
كل جسم وما تعود في العيـ ـش وعيشي مدى الزمان الراح
غير ان الشراب لا بد من نقـ ـل وزهر به ترى الافراح
فانا مكتف بظلم غزال وبوجه خدوده تفاح

أسوق كل ذلك على ماهو عليه ، وقددخل ذلك في حساب التاريخ ، ومثل المساجلات ، والاخوانيات وان كان يتراءى فيها ضعف المنزع ، لكن الواقع لا يرتفع ، والموجود لابد على كل حال انيتحدث عنه كيف ماكان ، وأنا أتيقن أنه سياتي يوم يمر بالغ - لاقدرالله - كما يمر بزاوية (الدلائيين) فيتعجب المارحين يرى أنهكان مضى من هذه القفار من كانوا يزاولون العلم والادب كيفما كانت مزاولته ، أرانا الله خيرالدهر ، ووقانا من محنه ، ولنكتف بآثار أديبنا محمد بنعلي بهذا القدر الذى سقناه كناذج لمقطعات له كثيرة جدا، حفظه الله للادب ولقرض الشعر ، وفي كتاب (جوف الفرا) الذى يجمع حتى الغث قصائد له ومقطعات ورسائل، كما أنفي (الالفيات) ما جرى بيني وبينه حينا

أخبار عنه أخيرة

(كنت كتبت عن المترجم ماتقدم منذ نحو عشرين سنة ، ثمهاانذا ارجع اليه لاضيف الى ترجمته باختصار بعض ماعاش فيه في هذين العقدين من السنين

كانت حياة المترجم تمشي على وتيرة واحدة ، وقدلازم داره ، وانكمش على حياته الخاصة يسافر وقت جذاذ التمر الى (اشت) التي رد الله اليهم (املاكهم فيها اثر الاحتلال لصبرهم نحو ١٥سنة) ، ثم يحضر في موسم تازاروالت ، واجتهد ان لايزال على ماعرفه عنه الناس من شارة مرموقة ، وركبة على بغلته التي يحافظ انلاتفارقه ، وانكرت سنون عجاف على الغ ، وكان مع عركات الزمان ، يجالد ويحاضر في المجالس الادبية ، ويتجلد ويسير على سنن والده في مناغاةالقوافي كلماوفد الىالغوافد، فعلىهذاكنت عرفتهاذانافي (الغ)الىأن فارقته مختتم ١٣٦٤ هـ ، ثملمازل أراه كلما زرت الغ في شهر غوشت منكل سنة ، فكان دائما محور الاتصال بل يكاتبني وانا في مراكش

في مدرسة أكشتيم

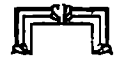
زارني في البيضاء حوالي ١٣٧٤ هـ ففاوضته فيان يشارط في احدى المدارس فان المدارس هي الميادين التي لاتوصد ابوابها دون أمثاله ، فلم ينشب اثر رجوعه أنسمعت بمشارطتهفي مدرسة (أكشتيم) منقبيلة التمليين

وان ثلة من الطلبة حلقت حوله فحمدت له الله بل زرته يوما في مدرسته هذه ، ثم بمضى الاعوام الف هناك ، حتى أنه لايزور الغ الالماما فاعانه ذلك على نفقات داره ، ولم يكن بذى عيال كثيرين ، وقد رزق امرأة لها من الاوراد والديانة والصبر مالها ، تقنع بما تيسر ، وتفهم عن الله ، فهاهوذا أديب الغ اليوم يستطيع أن يقضى ماتبقى من حياته في بلهنية ورخاء ، وأن تسير سفينته بريح رخاء ، وخصوصا حين راجع معلوماته يسترد منها ماتكاثفت فوقه السنون حتى كادت تنمحى ، أكتب هذا ونحن في جمادى الثانية ١٣٧٧ هـ وعنده ولده المحفوظ يتدرج في المتون واستحضار الفنون ، ويرجى منه أن يكون ابن أبيه وجده فيكون افضل نتيجة لتلك المقدمات الصادقة

ان الهلال اذا رايت نموه ايقنت ان سيصير بدرا كاملا

ثم انه شارط سنة في المدرسة الوفقاوية ثم في مسجد قريته الان شعبان ١٣٧٩هـ ولايزال هناك ١٣٨٠ هـ

هذا وللمترجم مجموعة كبرى تضم كل مايجول بين يديه من القوافي الالفية وقد انتفعت بها فيما انقله من القوافي وبعض الرسائل



الاديب سيدي الطاهر بن على

نحو ١٣٢٦ هـ = حي

نسبه :

الطاهر بن علي بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد .

قالت وقد نظرت في السجف بالمقل — بشرى بمطلع نجم الطاهر بن علي
بشرى بخير وليد دل طالعه — ان سوف يرأب ما في الدين من خلل
طفل تبسم ثغر العلم من فرح — به واشرق وجه المجد من جذل
لؤلؤة زين نحر المكرمات بها — من بعد ان لحقته وصمة العطل
شمس تبدت ببرج السعد طالعة — فاسفرت بسناها اوجه الامل
بانت فاخفت جميع الزهر غرتها — في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل[1]
طفل تولت يد العليا كفالته — والسعد صار له من جملة الخول
فالعلم يرضعه والعز يحمله — والمجد يلبسه من سابغ الحلل
ياخير من خاض موج المكرمات ومن — سواه يكفيه منها مصة الوشل
ويا اماما سما للمجد منفردا — فلانظير له في العلم والعمل
يهناك خير وليد يا اجل اب — والرمح نبعته من منبت الاسل
بقيت مغتبطا حتى تشاهده — كالبدر في القلب اوكالشمس في الحمل
ممتعا بالنجوم الزهر آخوته — شهب الهدى للورى في كل محتفل
لازلت يامل الراجين تكرع من — عين المعارف في عل وفي نهل

ولسيدنا (٢) المعذرة في كل جفوة او تقصير ، ونسأله ان يمتعنا برضاه، وبدعوة صالحة تنقذنا ممانحن فيه، فانما نحن بالله وبكم وليسلم سيدى على البركة الوالد ، وعلى جميع الاخوان والاولاد ويسأل لنامنهم الدعاء ثم ان سيدى محمد ابن أحمد قدكتبت اليه مرارا فأجاب بما في رسالته ، وأنا تنظر مافيها والسلام ابنكم الضعيف الطاهر بن محمد التامانارتي ، واخوه العربي بن محمد أصلح الله الجميع بمنه ٢٤ ربيع النبوى

بهذه الرسالة المشتملة على هذه القطعة اللطيفة هنأ شيخنا استاذه علي بن عبدالله بولده هذا الذى نترجم له اليوم ، فاذا كانت تهنئية والده بذلك وهو

١) شطر قديم

٢) يوتى لى أن الرسالة سقطت أوايلها او اكثرها

فى المهد ، فكيف تكون التهنئة اليوم لوكان بعد حيا ، وقد اصبح ولده هـــو العالم الشرعى فى الغ ، والاديب الذى يزاحم مناكب كبار ادبائنا عنداحتفال القرائح ، بعد ماأرضعه العلم ، وحمله العز والبسه المجد المؤثل حلله الضافية، وهو فى هالة اسرته العلمية كالبدر ليلة الكمال ، او كالشمس فى دارةالحمل

غادرت الغ منذ عشرين سنة ولم أكن أعرف بعد هذا الاستاذ الكبير بل لم أرقط وجه مترجمنا هذا الاديب اذذاك لكونه يلازمالمكتب ولكونى أناأيضا فى مثل ذلك او اشد

ثم فى هذه السنوات الاخيرة ، صارت أخبار نبوغه تصل الى بالحمراء ، ويلقيها كل من أساله عن اخواننا الصالحيين ، ويزيدون ان لهاخلاقا جذابة وابتسامات لاتفارق ثغره ، وتهللات من البشر الطافح ، لاتغادر وجهه ، فكأنما هي لونه الذى خلق به من أول يوم ، فكنت استكبر الاخبار قبل ان القاه ، ولكننى لماساقتنى الاقدار فى السنة الماضية ، وخبرته صدق الخبر الخبر ، وكأن بصرى حين جال فيه يملى على ماأثر على النبى صلىالله عليه وسلم حين رأى زيدالخيل كما فى الحديث المشهور

كانت مساءلة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذنى باحسن مما قد رأى بصرى

ذلك مع ما أتصف به من تواضع يظهر منه ، يخدم به جليسه ، واستمـاع يمتص به كل مافى سريرة محادثه ، ومن كرم يفيض منه(وماشهدنا الابماعلمنا) ولبعض الالغيين فى هذا المقام

يظنون انى عن يشيد تزلفا وانى نساج مطارف تـزوير
ولو علموا ما قد علمـت لا لحفوا جنابى بالتعذال اثواب تقصير
ومن كان كزا قاس كل الورى به ومن كان أعمى كيف يبصر من نور
ومن كان ذافضل ينل من جزائـــه ومن كان جعدا كان أنكـر مذكور
أقلوا على الغر الميامين او قفوا مواقفهم فالكز ليس بمشكور
فهذى ميادين المكارم اطلقوا بها ان أردتم أن تفـوزوا بماثـور
والا فللجود المديد رجالـــه يذودون عنه بالسيوف المثاثر

ورحم الله الاخ احمد الذى يقول دائما، ليس فى هذا النشء من الالغييـــن مثل سيدى الطاهر بن على وياليته جال وثافن ليزداد مقاما الىمقام ، ويلبس ثوب الصفاء من كل ناحية

أتم اللهعلى أديبنا نعمته السابغة ، وجعلهلاسرتهولالغ كلها ظلا وريفا،وروضا اريضا

في الاخــذ للقرآن

افتتح حروف الهجاء على الاستاذ سيدىابراهيم الفقير البعقيلى ، فلازمهحتى وصل حزب (قال فما خطبكم ايها المرسلون) ثم اناطه والدهبالاستاذ الفقيـه سيدى ابراهيم بنالحاج مبارك البعقيلى ألقاسمى الى حزب (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا ءامنا) ثم اتصل بالاستاذ سيدى على بنصالح الاوفقيرى فى مسجد (تاجارمونت) سنةونصفا ، ثمراجعالاستاذ القاسمى البعقيلىفى مسجد (تاوييت) ١٣٣١ هـ ففى ءاخر ١٣٣٨ هـ انتهى من القرءان بعد ماجوده

في مئاخذ العلوم

افتتح الاجرومية فى المدرسة الالفية عند الاديب سيدى محمد ابن الحاج احمد اليزيدى ، وهو هناك مرابط ياخذ ويعين فى المبتدئين ، فبه تدرج فــى المتون الابتدائية ، نحوا وتصريفا وفقها ، وكذلك فى بعض متون الدور الثانى كالرسالة ، وحين شدا التحق بدروس استاذ المدرسة الالفية اذذاك مشارطة الاستاذ سيدى احمد بنالحاج محمد اليزيدى فاخذ عنه الالفية والمرشد أيضا وهو اثناء ذلك ياخذ عن صنوه الاستاذ سيدى المدنى ، الفرائض والحساب، وفى سنة ١٣٤٠هـ صاحب صنوه هذا الى المدرسة السعيدية الاخصاصية ،فبقى هناك سنتين تقدم فىاثناءها تقدما ، وتفتقت زهرة نجابته ، وكان صنوهيلزه لزا، فاندلق من تحتيده يوما وحده، فباتفى (تالعينت) ثم اتصل بالاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى فى مدرسة (ايكونكا) من هشتوكة ، فارسل ذكرلى أن والده أرسل اليه اذذاك رسالة ، ياليتنا وجدناها الان ، لننظر أيضا (تارودانت) فحكى عن ملاقاته للفقيه سيدى محمد بن على اكيك كما سترى ذلك فى ترجمة هذا الفقيه ان شاء الله ثم اتصل به عند سيدى الحاج مسعود ،وقد ذكرلى ان والده ارسل اليه اذذاك رسالة ، ياليتنا وجدناها الان ، لننظر أيضا كيف يخاطب الاستاذ ابن عبدالله ولده النجيب ليكفكف من غلوائه وليردهالى الاستقرار

حدثنى ان والده استدعاه اذذاك (كماخال) فصار يحثهعلى ملازمته دروسه فكان أول وهلة لين الخطاب معه ، فلم يزل يتعالى صوته ، ويغلظ كلامه ، حتى قالله لابدلك انتشتغل بالتعلم رغما علىأنفك ، فهل انت تعدنفسك خلقتلغير العلم؟ قال فجال فىهذا صوته الجهورى ، وعيناه محمرتان ، وانا كالفرخ الازغب انكمش أمامه وارتجف ، فقلتله نعم ياوالدى ماشتغل الابالعلم ، ولااجعـل بين عينى شغلا سواه ، فانفش غضبه فقال هكذا أريدكيابنى ، ولهذا خلقت ثمسال على أيضامنه سيل منهر من الشفقة والحنان ، أقولهذا هو الاستاذ دائما فلايقبل فى أولاده الاالعلم ، ويوجههم اليه بماراءاه ينفع فيــهـم بحسب

الازمنة ، فتارة يلاطفهم ملاطفة المرضع لولدها الذى يحبو بين يديها ، وتارة يغمرهم بالغمرة التى قال فيها الشاعر

وكنت اذا غمزت قناة قوم   كسرت كعوبها او تستقيما

ثم أنه وجهه الى المدرسة (التانكرتية) عند الاستاذ سيدى الطاهر وولده سيدى محمد فرابط هناك ماشاء الله فكان ممن انتفع بهم الاديب سيدى الحسن الكوسالى ، وفى نحو ١٣٤٥هـ رجع الى (الغ) ثمصار يحضر فيدروس المدرسة الالفية ، واهتم بهاذذاك الاستاذ الاديب البوزاكارنى ، فشذ به وفجر من قريحته ينبوعا أدبيا معينا ، وقد رأيت فى ترجمة والده الاستاذابنعبدالله منرسالة (البوزاكارنى) أواسط ١٣٤٦هـ ، الوصاة به ليستتم بعض دراسات تنقصه فى اصلاح حاله ثم انه بعد ذلك اتصل بالاستاذ سيدى احمد بن سعيد فى مدرسة (افلاوكنس) فى رمضان سنة أرسله اليه والده لياخذ عنهالبخارى

فى المشارطات

وورى نبراس الغ والدهم ، وقد وصى صاحب الترجمة باتمام دراسته ، فلازم المدرسة الى سنة ١٣٤٩ هـ فاحس باجنحته قد نالت من المتانة ماتستطيع به التحليق فاقبل على المشارطة والتعليم

في المدرسة الايمورية

تيسرت المشارطة فيهذه المدرسة ، فبقى فيها تلك السنة ، وقدجالجولة فيالتعليم ، ولكن أين التلاميذ؟ واين ذوو الهمم المنهضة ؟ فقد وقع لسيدى الطاهر مثل ماقال ابن الحسين

جاء الزمان بنوه فى شبيبته   فحمدوا واتيناه على هرم

ولكن لابد من مسايرة الدهر بما أمكن ، فبعد سنة رجع الى المدرسة الالفية يحضر الدروس فيها ، وأخاله أخذ فيهذا الطور عن سيدى عبدالله بن ابراهيم الذى ذكره لىمنشيوخه ، وانكان يتراءى لىأنه أخذ عنه فى مبادئه

في المدرسة الايغشانية

فىسنة ١٣٥٥هـ شارط فيهذه المدرسة التىفيها بضعة تلاميذ ، فصاريعلم اياما ، غيران وظيفه الجديد لميدعله وقتا لذلك ، فاستعان بالاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى ، فقام له بهذه الناحية خير قيام .

فى مزاولة الشرعيات

أعلنت الحكومة لهذه القبائل المتصلة بمركز (تافراوت) انتعين كل واحدة منهامنيزاول قضاياها الشرعية ، فقام الاخاحمد المرحوم ، فقدم صاحبالترجمة

لماشاهده فيه من جدارة ومقدرة ، فانتظم في ذلك رسميا ، فصار يزاول قضايا الوفقاويين والالغيين والايغشانيين ، ثم في أواسط السنة الماضية ١٣٥٦هـ الحق به الفقيه سيدى محمد بن مبارك النوازلى الوفقاوى ، فصارا يتعاونان على ذلك ماشاء الله ، ثم الفقيه سيدى عبدالله بن احمد الوفقاوى ، ولاشك ان هذا ميدان عامي ، يترقى به صاحب الترجمة الى مقام أبيه النوازلى الشهير •

آثـــاره

تلك حياة سيدى الطاهر الذى تدرج فيها هذا التدرج الحسن ، وقـــد ذكرنا له يدا في الادب، فلنعرض اثاره الادبية بين يدى القارىء ليعرف بها مقام هذا الاديب الالغى الجديد الذى رايت له من الذوق السليم ومن جـودة القريحة مالووجد معه بيئة اخرى لكان أدبه هذا أرقى مماكان عليه اليوم

قال يخاطب جلالة الملك سيدى محمد بن يوسف وقد وفد على الرباط بذى الحجة ١٣٥٢ هـ

(ابرق بدا من نحو برقة تهمد) فهاج رسيس الوجد من ام معبد
ام النسمات العاطرات تأرجت باطيب من مسك ومن زهر ندى
لى الله مالى في الهوى من منافث مصيخ لما اشكو اليه فمسعدى
اليك عدولى لاتعنف عن الهوى فمالى في السلوان ويحك من يد
اذا اشتد لفح القلب اثفأ حــره بمدح امير المومنين محـمـد
سليل ملوك كالبحور وكالبدور في الجود والارشاد في كل مقصد
ووارث اباء مـلـوك غطارف هداة عظام سيـد اثر سيد
هوالنورما الشمس المنيرة في الضحى فمن يتبع اثاره فهو مهتـد
هو المنهل العذب الفرات ومن لنـا بطلعته انوار شمس وفرقــد
حباء لمعتف ، نكال لمعتـد ضياء لمستهد ، أمام لمقتـد
له همة كالدهر او هو دونها وحزم وعزم مثل حد المهند
الا يا امير المومنين محمـدا اليك ضربنا فدفدا اثر فدفد
نروم لديك العفو والعز والجـدى فتظفر بالمطلوب راحة مجتـــد
فتتبع فعل جدك الحسن الذى كسانا رداء العز مع ثوب سودد
وقد رفع العلم الشريف وأهلــه وأنت لما بناه خير مشيـد
حباك المنى رب الورى وحماك مـن شرور عدا من كاشحين وحسد
فدم زينة الاملاك بدر كمالها ودرة تاج الدهر ياخير أصيد
بجاه رسول الله افضل من بـــه الى سبل الخيرات والرشد نهتدى
عليك صلاة الله ماحن عاشق تذكر اطلالا ببرقـة تهـمـد

وقال أيضا يخاطب صنوه الاستاذ سيدى المدنى وقد ختموا عليه الالفية

تالق من نحو العذيب وعرعرا بريق فابدا في الحشا ما تسترا

وقد كنت حيرانا لما قد رأيته وعادة رب الشوق ان يتحيرا
وكم رمت اخفاء الصبابة والهوى وذو الشوق لايخفيه ان يتصبرا
اليك عذولى لاتعنف فانه اذا بت أنت بت ادمع احمرا
ولكننى فى اليوم حام على من سرور فؤاد ما أنار ونـورا
فهل كان من أحباب قلبى مواعد لوصل قريب فاكتسانى الذىأرى
على أننى أدركت من أين جاءنى من البشر والافراح هذا الذىعرا
وماذاك الا أن نظم ابن مالك ختمناه فالجهل المخيم قهقرا
على شيخنا هادى البرية كلها وان عاند الحسود فى ذا واكثرا
له همة تأبى الدنايا كرامة ونفس ابت من ان تروم المحقرا
يغيظ العدا جم الندا ضائع الشذا بعيد المدى شهم باقرانه زرى
فقل للذى يبغى العلوم باسرها هلم فان الصيد اجمع فى الفرا
باجداده نـال الـعـلائم زاده بهمته القعساء حتى تـمـهرا
فقل للذى قد رام احصاء وصفه مئالك ان تعيا وأن تتضجرا
وقد كان للجهل المذمم مرهما وللدين سيفا حيث وجهته فـرا
عليك سلام مثل اخلاقك التى تحاكى وحق الله مسكا وعنبرا

وكتب الى صنوه هذا يستعير منه كتاب الكامل للمبرد

منى على الندب امام الهدى أزكى سلام طـيـب كـامـل
من همه تـوفير مـجـد الالى مضوا ولا يـقـنـع بالحاصـل
المدنى الطبع من قـد غـدا امـام كـل سيد فاضل
وبعد فاعلم انـه هزنـى طويل اشواقـى الى الكامـل
فابعثه لدنا ناضرا نـاعـمـا فغيـره كالغصن الـذابـل
وفى كريم علمكـم انـه قد قـيـل ان الخير فى العاجـل

فأجابه أخوه ، ويامره أن يشارك فى مطالعته اثنين ءاخرين

منى على الصنو شقيق العلا الطاهر الفاضل والكامـل
ازكى سلام طيب عاطـر كالورد غيـب الصيب الوابـل
وبعد فاعلم انـه هـزنـى مثل الذى هزك للكامـل
لكونـه خـطـابه ثـمـر وغيـره كالغصن الـذابـل
لكـنـنـى ءاثرت شوقـكـم له على الاجل والعاجـل
فخذه لدنانا عمـانـا ضرا يسلى عن الطالع والافـل
واشركن فيه قرينى عـلا والفائقين كـل مـا فاضل
فالحمد للـه عـلى ملـكـه وحـوزه بالثـمـن الحاصل

ذلنكتف بهذا كنموذج لبنات لسان الاستاذ صاحب الترجمة مع تنبيهنـا على أنله ازديادا فىذلك الترقى ، وقدراج فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ ، معى

في قصائد اعلى من هذا الذي سقناه الآن ، وذوقه على كل حال عال وهو ان شاء الله مما سيتزين بهم الغ في الجيل الحاضر ، فكما أن يومه أفضل من أمسه، سيكون غده أفضل من يومه .

وقد اقترن ببنتي شقيقتنا فاطمة بنتي ابن عمه سيدي صالح المتقدم الذكر احداهما بعد أخرى ، وله مع الاخيرة الآن ولد سماه المدني ، أصلحه الله .

ثم ان القصيدة الاولى الطاهرية التي سقناها في التهنئة بصاحب الترجمة قد كنت كتبتها على ماهو التعارف من أنه هو المهنؤ به فيها ، لاننا لا نعرف لوالده ولدا قط يسمى الطاهر سواه ، وقدكان طرق سمعي قبل ان أتصدى لهذا المجموع أن شيخنا سيدي عبدالله بن محمد كان كتب على قوله فيها الطاهر بن علي، المقصود به الحبيب ، ولكننا ماكنا نحمل ذلك الاعلى غلط اوسهو ، وكنا نقدم ماتدل عليه العبارة على مايقوله شيخنا ، ولكنني بعد ان حررت هذه الترجمة في السنة الماضية عدت الى قراءتها ، فاذا بي أرى في آخر الرسالة ، (فسلم منا على الوالد) فوقفت متأملا ، فلاشك ان المقصود هو سيدي الحاج عبدالله المتوفى في ذي الحجة ١٣٢٢ هـ ، وصاحبنا هذا ماولد الا في سنة ١٣٢٦ هـ ، فادركت حينئذ ان المترجم لم يكن هو المقصود قطعا ، فصح راى شيخنا من أنه الحبيب الذي ولد اما في ربيع الاول ١٣٢٢هـ واما في ١٣٢١هـ ، فلاقيت صاحب الترجمة ، فقلت له انني اعزيك فانك رزيت رزءا عظيما ، فشده متحيرا، فاعلمته أن تلك التهنئة قد افلتت من يده ، واوقفته على الدليل فتضاحكنا مليا ثم قلت له انك على كل حال من تصدق عليه القصيدة اسما ووصفا ، فلئن غلط الاستاذ المهنيء في الولد المولود اذذاك ، فماغلط حين اهتدى الى اسمك أنت وان كنت بعد في العدم (ثم وقفت على جلية الخبر المحقق ، من أن القصيدة في ربيع الاول في سنة ١٣٢٠ هـ)

وأخـــيرا

جاء الاستقلال فرجع المترجم الى مدرستهم ، فعمرها سنين ، الى ان انتقـل الى (تامكروت) حيث هو الآن ١٣٧٩ هـ ، وفي كتاب (الالفيات) قواف كثيرة بيني وبينه .

من انشاداته

ترى الفتى ينكر فضل فتى ... لؤما وخبثا فاذا ما ذهـب
لج به الحرص على نكتة ... يكتبها عنه بماء الـذهـب

ومثله :

لاعرفنك بعد الموت تندبـنـي ... وفي حياتي مازودتني زادي

ومنها فى رجل اسمه بشير دخل مجلسا فسرق منه نعله

دخلت عليك ياامل بشيرا   فلما ان خرجت خرجت بشرا
فرد اليا كما كانت الى اسمى   فياءى فى الحساب تعد عشرا

يعنى الشاعر انه دخل متنعلا ، ثمسرقت نعله فخرج حافيا ، وذلك هوالمقصود ببشر الحافى المشهور بين الصوفية

ومنها للبستى

كتابك سيدى جلى همومى   وجل به اغتباطى وابتهاجى
كتاب فى سرائره سرور   مناجيه من الاحزان ناج

ومنها :

مالى أرى أبوابهم مهجورة   وكان بابك مجمع الاسواق
هابوك ام حابوك ام شاموا ندى   بيديك فاجتمعوا من الافاق
انى رايتك للمكارم عاشقا   والمكرمات قليلة العشاق

ومنها فى هذا المعنى نفسه :

على باب ابن منصور   علامات من البذل
جماعات وحسب البا   ب نبلا كثرة الاهل

ثمذكر مثلا عربيا فى هذا المعنى انالندى حيث ترىاضغاطا اى ازدحاما

ثم أنشد فى المعنى

يسقط الطير حيث يلتقط الحـ   ـب وتغشى منازل الكرام

وأنشد أيضا :

وخبر قيس بالجلية فى ابنه   فلم يتغير وجه قيس بن عاصم

وأنشد أيضا :

صدنى عن حلاوة التشييع   اتقاءى مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا   فرايت الصواب ترك الجميع

فقيل ان الشيخ الالغى كان يقولفى هذين البيتين :

قد حدانى للذة التشييع   اغتنامى حلاوة التوديع
لم يقم انس ذا بلذة هذا   فرايت الصواب فعل الجميع

هكذا يملا المترجم مجالسه بالانشادات بكل مناسبة ، وما احفظه واكثر استحضاره

من فوائده

منها : كان عبد الرحمن بن عوف يقال فيه : اقرى من حاسى الذهب، والذى يحسو من كاس من الذهب هو عبدالله بن جدعان الغنى المشهور صاحب الجفنة المشهورة التى قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : كنت استظل بجفنة عبدالله بن جدعان صكة عمى أى فى الهاجرة

ومنها :

المثل الذى يقال فيه دهدرين ـ بضم الدالين وتشديد الراء المفتوحة ـ طرطبين ـ على وزنه ـ سعد القين ، وذلك ان قينا نزل عند قوم فادعى ان اسمه سعد زمانا ، ثم تبين كذبه ، فقيل له ذلك ، اى جمعت باطلا الى باطل ياسعد الحداد . وهذا أحد التفسيرات للمثل فى (القاموس) فى مادة دهدرين ، وفى مادة طرطبين ، وقد اورد فى المثل أنه يقال لمن يستهزأ منه

ومنها :

من لم ينقد بشراب الليمون قيد بحطبه

ومنها

كانت صفية بنت عبدالمطلب تضرب ابنها ، فليمت على ذلك ، فقالت :

من قال قد أبغضته فقد كذب وانما أضربه لكى يلب

هكذا بفتح لام يلب ، على وزن يفرح من لب أصله لبب بالضم ، وليس عندنا فعل بالضم يفعل بالفتح سوى هذه اللفظة .

هذا هو العلامة الاديب الكبير المستحضر للادبيات ولنصوص الفقه ، وقد جالسه عشية ادباء الرباط فلم ينسوا بعد ماراوه منه من الاستحضار ، أقول: انه الوحيد اليوم فى (البلغ) ذوقا واستحضارا وصبرا على المطالعة وهمة نفاذة وعزيمة فعالة ، حفظه الله .

النجيب سيدى الحسن
ابن الاستاذ على بن عبد الله

١١-١٢-١٣٢٨ هـ = حـــى

نسـبـه :

الحسن بن على بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بــن أحمد بن عبدالله بن سعيد .

هذا ثالث اولئك الاشقاء المذكورين من أولاد العلامة سيدى على بن عبد الله ، وهم سيدى المدنى . وسيدى محمد . وسيدى الطاهر . وقد سرت اليهم وراثة العلم من والدهم اولا ، ومن بعض اجدادهم كسيدى المدنى الناصرى الذى عرف عنه من الشغف بالعلم وذويه ماعرف ، كان مولوديسمي الحسن ولــــد للاستاذ سيدى على بن عبدالله سنة ١٣٢٦هـ ، فهناه سيدى الطاهر بن محمد بقوله – على العادة –

ياسيدا فضله اعيا ذوى اللسن هنيئت بالولد البر الرضا الحسن
لاح هلال ببرج السعد فاجتمعت له السعادة والعلياء فى رسن
وأقبلت دولة الاقبال وانتبهت عين الهنا والمنى والانس من وسن
لازال يرقى الى اوج الكمال الـــى ان يجتنى من ثمار المجد كل سنى

ثم توفى وشيكا فعزاه فيه بقوله :

مولاى لله ما اعطـى وما أخـــذا والصبر أجمل اما مبرم نفذا
ففى الرضا بقضاء الله محتسبـــا مايزع النفس عن رزء وان وقـــذا
مضى بنيك للفردوس حين رأى ان المقام بذى الدنيا بلى وأذى
فالله يخلــفه فضلا ويــردف آ لاء تسر وتقــذى الحاسدين قــذى
عليك مولاى اعطر التحية من عبدأ جر الاسى لسانه فهــذا (١)

---

١) اجر الرجل لسان الفصيل اذاربط على لسانه لئلا يرضع أمه ، ليبقى الحليب لاهله قال

ولو أن قومى أنطقتنى رماحـهـم نطقـت ولـكـن الرمـاح أجرت

ثم ولد المترجم فهناه سيدى محمد بن الطاهر بقوله

أهل هلال المجد فى منزل السعد ... فاذهب غين الغى عن أعين رمد
بدا والعلا تشتاقه فتبرجت ... به واشتفت عما عراها من الوجد
فطبق ءافاق البسيطة عرفه ... كما فتقت ريح الصبا زهر الورد
وبشرت الامال بالنجح واكتست ... به رتب العلياء انفس مابرد
وهز له المجد المؤثل عطفه ... كما اهتزمن سارى الصباماثدالرند
وأضحى لسان الكون مستبشرا به ... يقول هنيئا قدبدا الحسن المهدى
وليد تولى الله حفظ مقامه ... وارضعه ثدى المعارف والزهد
تود نجوم الزهر لو نظمت له ... على النحر او كانت توطأ فى المهد
تطلع من دوج السيادة والهدى ... فاحسن به فرعا سما فى سما المجد
فياسيدى نور الهدى منبع الندى ... زلال الصفا مغنى الوفامنية المكدى
ومن حبه دينى ومغناه كعبتى ... وصرفى كفى عن سوى مدحه المجدى
ومن لم أزل والحمد لله مبصرا ... عنايته ترعى مقامى على البعد
فان قيل من عبد الهوى ونجيه ... وحائزه دون الورى فانا وحدى
ليهنك نجل أطلع السعد نجمه ... فاعلنت للرحمان بالشكر والحمد
فلازال يزكو فى الصيانة أو يرى ... بأفق العلا بدرا باشراقه يهدى
أراك اله العرش فيه واخوة ... له ماالذى تبغى من العلم والرشد
ودين متين والتقى وسعادة ... ونيل الذى ترجوه من كل ماقصد
ومتع هذا الكون طرا وأهله ... بطلعتك الميمونة الجمة الرفد
بجاه أجل المرسلين عليه مع ... صحابته أزكى صلاة بلا عد
على سيدى أزكى سلام كما سرى ... نسيم رضاه العاطر النفح للعبد

كما هناه أيضا الاستاذ الكبير والده سيدى الطاهر بقوله

أمولاى يامن حبه واجب عينا ... ويامن سناه قد هدى فجلا غينا
هنيئا بنجم أطلع السعد نجمه ... فسرت به العليا وقرت به عينا
فبارك فيه الله نجما قد اكتسى ... بطلعته الغراء افق الهدى زينا
وبارك فى اخوانه الشم من هم ... جياد المدى ان سابقوازايلواالاينا
زواهر أفلاك العلوم ازاهر الـ ... ـمحافل من عاداهم لقى الحينا
على سيدى بدر الدجا وعليهم ... تحية عبد نازح يشتكى البينا
عليه ديون من حقوق تكاثرت ... لكم فعراه العجز ان يقضى الدينا
يمت بصدق الود لاغير فاقبلنـ ... ـه فضلا فدعوى حبه لم تكن مينا
فهاهو محسوب على كل حالة ... عليكم عساكم (أدفلس أرتفكيم مينا)

ومعنى الشطر الاخير (عساكم ان لاتسلموه)

متعلمه

افتتح في مسجد قريته عند سيدى محمد بن محمد السملالى ، فبعد حين الحقه والده بالاستاذ سيدى احمد بن صالح الشكوكى التانكرتى الافرانى، وهو اذذاك فى مسجد (تازونت) بايسى ، فبقى معه هناك ست سنين ، وبعد ذلك انتقل به استاذه الى (افران) فلازمه هناك ماشاء الله ، ثم التحق بمدرسة الجمعة عند الاستاذ المقرئى سيدى احمد بن مولود ، من قبيلة آيت عبلا البعمرانية ، فهناك أخذ صاحبنا حرفى قالون والمكى فى ختمتين ، ثم رجع الى المدرسة (البومروانية) ، فختم فيها أيضا ختمتين بالمكى على الاستاذ سيدى أحمد بن محمد الشريف التومانارى ، وهذا منتهى زمنه فى تجويد القرءان وبعض رواياته، ثم افتتح المبادىء العلمية بالمدرسة (الالغية) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله اوبلوش البعمرانى باذن والده الاستاذ ابن عبدالله ، ثم لم ينشب والده أن توفى ، فالتحق بالاستاذ سيدى احمد بن سعيد الاكمارى فى مدرسة (افلاوكنس) ، فاتقن عليه المبادىء ، ومتون الدور الثانى ، ثم حصلت له فترة ، ثم راجع بعدها المدرسة الالغية يستتم فيها على صنوه سيدى المدنى أستاذها فى الدراسة النهائية • ولايزال الان ١٣٥٨هـ هناك فى جد واجتهاد هو والنجيب سيدى احمد بن زكرياء اديبا المدرسة ، والمذكور ان فيها بالتفوق فى طبقتهما •

أدبياته

أزهرت من أدابه منذ سنتين اوثلاث أغصان لفت اليها نظرى فى مفتتح السنة الفارطة ، حين حللت بالغ ، فصرت أرى له مقطعات وقصائد ، ورسائل نفسية اعجبتنى منه ، وقد أودعت كل ماصدر منه الى فى السنة الماضية فى (الالغيات) فهناك تجد رسائل وقصائد ومقطعات ، تبهرك من أديبنا الجديد• وقد كانت صدرت منى قصيدة فى وصف (العصيدة) لاباس بها ، وعهدى به قد أغرم بها، ويتتبعها بكل اعجاب ، وقد استاذننى فى ان يشرحها فاذنت له ، ولم ادر ماهو صانع بعد •

كان القاضى (سكيرج) الفاسى قاض (زطاط) رحل الى سوس رحلة خاطفة، سنة ١٣٥٥هـ فكتب فيما رءاه قصيدة نونية تعرف بـ(الرحلة السوسية) فطبعها باسم تاج (الرؤوس) فقرضها أدباء الغ ومن اليهم لما لهم به من الاتصال ، كشيخنا سيدى الطاهر ، وسيدى محمد ، وسيدى المدنى وسيدى الحسن المترجم وسيدى عبدالله الالغيين • وابن زكرياء ، قال كل واحد قصيدة على حدة، فقال المترجم من بينهم

سل عنك الهوى بتاج الرؤوس ... واتركن ذكر حسن تاج العروس
واهجرن الطلا مديد الكؤوس ... واملا السمع من حياة النفوس
رحلة أشرقت بنور علوم ... قد زرى ضوءها بضوء الشموس
رحلة أشرقت بنور علوم ... قد زرى ضوءها بضوء الشموس
رحلة انبتت بكل فؤاد ... حب منشئها المزيل العبوس
رحلة اخجلت فصوص جمان ... نظمت انجما بجيد العروس
رحلة قد حوت أهلة مجد ... لم تحز مثلهم وجوه الطروس
وقصورى عن عدهم اعتذارى ... واكتفاءى بصدرهم فى الدروس
احمد السيد السكيرج من قد ... فاق كل الورى بخلق نفيس
مركز العلم والسيادة والمجـ ... ـد وحصن النجا بحرب البسوس
بان فردا فاحرز السبق مجدا ... وارتضته العلا رئيس الخميس
بان شمسا بافق (زطاط) فاعجب ... لمنير اضا لغرب وسوس
ياهلال الدجى وكهف النجا انـ ... ـت سميرى بذكركم وانيسى
كل مدح اذا ذكرتم قليل ... فاقبل النزر ياربيع النفوس
وعليكم منى سلام ذكى ... متلال كالتاج فوق الرؤوس

وقد أجاب الشيخ احمد السكيرج هذه القصائد كلها لماوصلته على يد الفقيه سيدى محمد بن على السوسى ، ثم البيضاوى بقصيدة مطلعها :

حركت ساكن وجد حل فى خلدى ... به انقضى منه ماقد حل فى جلدى

واجتمع يوما صاحب الترجمة واخوه الاديب سيدى محمد بن على فى بيت الاديب أحمد بن زكرياء ، فطاب لهم الوقت والكاس تدار، والبشير يرشفهم رضابه المعسول ، فقال أبن زكرياء

لقد طاب لى وقتى بتكليم ساعة ... مع المفصحين سيد اثر سيد
محمد المولى كذا الحسن الذى ... أتانى به سعدى فاثرت به يدى

فقال الاديب ابن على

لقد قرت العينان ليلة جمعة ... بساعة جمع طاب فى بيت احمد
رضيع العلا الشهم الذى لايمل من ... مذاكرة ترقى لهامة فرقد
يعل بكاسات تجول براحنا ... كما جليت كاس الينا بصرخد

وقال صاحب الترجمة

سعدنا فطاب العيش ليلة جمعة ... مع السيد الندب الكريم الممجد
هلال الدجا فخر المجالس احمد ... من اعتاد أن يسطو بسيف مهند

فهذا نموذج من اقوال اليوم ، وهو في فجر حياته العلمية ، وهو بعد لايزال يجتهد في التقدم ، ولايزال فارغ البال من أهل ومال ، وطالما اتمنى لو اعمل الرحلة الى حيث يجد امثاله أمواجا متدفقة من الفوائد ، ولكن ماكل مايتمنى المرء يدركه ، فالله يجعله وأهله من المحافظين على هذا التراث العلمي والادبي فان ءال صالح وحدهم حفظة التراث العربي في الغ • وغيرهم لهم في ذلك تبع

وهناك ادبيات بيني وبينه في كتاب (الالغيات) ربما كانت أعلى قيمة مما سقناه هنا، لان ماسقناه هنا انما هو من الابتدائيات ، وحين نكتب هذه كتبناها للتاريخ لا للادبيات المتنقاة ، فصرنا نسوق ماتيسر كما تيسر •

وأخيرا

رأيت تقلب المترجم ، وهو اذذاك كما استتم معلوماته ، ومازال عزبا ، ثم أنه تزوج ، فتكونت له أسرة يزين الاولاد بهجتها ، كما صار مدرسا في مدرستهم بعد ماتوفي عميدها سيدي المدني ١٣٦٥ هـ فقد ءالت المدرسة اليه والى صنوه سيدي الطاهر ، فحين اشتغل اخوه بهمته القضائية ، قام هو بالتدريس، ولم يزل على ذلك الى انجاء الاستقلال ، فتعين استاذا متمرنا في المعهد الروداني يقوم في فرعه الموجود في (تاليوين) بحصص الدراسة اليومية ثم بذهابه هكذا من المدرسة اولا • ثم بالتحاق أخيه سيدي الطاهر بـ (تامكروت) ثانيا، شغرت المدرسة (الالغية) من عملها ، فانتدب اليها شيخنا سيدي عبدالله بن محمد فعمرها فرجعت اليه بضاعة والده ، وذلك في سنة ١٣٧٨هـ وعنده الان ١٣٧٩هـ ثلة من الطلبة يجول معهم في الدروس على مايستطيعه ابن الثمانين، وياطالما تطاول الى استرجاع تراثه من والده في المدرسة ، ولكن لم يتيسر له ذلك الاالآن والامور مرهونة باوقاتها

مستملحة

كان الطالب السيد احمد ارعم ـ الجمل ـ يباسط سيدي عبدالله بن محمد يوم توصل بمدرسة والده بلامشقة ، فيقول له : ان الله من في هذا العصر على اثنين بما يؤملانه بلا مشقة ، فالملك سيدي محمد بن يوسف ادرك ملك المغرب كله سهله وجبله بلا مشقة ، ولاسوق جيوش ، كماكان يفعل ءاباؤه ، وأنت أدركت مدرسة ابيك بلامشقة ولامجاذبة كما كان يفعل من يسترد حقا من حقوقه فكان فضل الله عليكما عظيما

سيدى صالح بن عبد الله الالغى

١٤ـ٣ـ١٣٤٣ هـ = حــــى

نسبــه :

صالح بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن صالح بن‌عبدالله بن صالح

هذا احد افراد حلبة جديدة الغية صارت الان تستولى على الراية العلميــة فى‌الغ ، كالاستاذين محمد بن احمد ، ومحمد بن ناصر فى ءاخرين، وقدجالست المترجم وثافنته وجاذبته مباحثات فرأيت من نجابته ماحقق بهأنه ابن أبيه القذ الخنذيذ

(ومن يشابه أباه فما ظلم)

متعلمــه

أخذالقرءان عن الاستاذ عبد الله بن أحمد الانامرى اليعزوى الطالــبــى الــسملالى الذى لايزال الى الآن حيا ، يجتهد فى كتاب الله بمسجد (ايشوكاك) من (أكاديرايزرى) وهو عمدته بعد ان‌ابتدأ عندابن عمه محمد ـ فتحا ـ بــن محمد الطالبى ، وهذا هو الذى تخر ج‌عليه كثيرون من المرابطين السعيديين فى زاوية (دوكادير) العليا •

ثم افتتح عند أبى العباس اليزيدى فى المدرسة (الوفقاوية) ، ثم‌بعده شارط هناك الاستاذ ابوالعباس أحمد بن‌محمد بن‌مبارك الاهرييى التاجارمونتى ، ثم أخذعن‌والده فى مدرسة (ايمور) مدة عامين ، ثم‌راجع أحمد اليزيدى فى المدرسة (الجشتيمية) ثم كانت المذاكرات التى لاتنقطع فى حضرة والده اكبر مشحذ لصارمه ،حتى صار قاطعا لانظيرله فى حلبته الالغية •

ميدان تعليمه

شارط اولا فى مدرسة (تاسريرت) وقدكان فيها والده ثم‌خلفه فيها١٣٦٥هـ ثم الى مدرسة (تازموت) بسملالة ثلاث سنوات ١٣٧٠هـ = ١٣٧٢هـ ثم صار يعين‌والده وينوب عنه كثيرا فى المدرسة (الايغشانية) ١٣٧٣هـ الى مفــتــتــح ١٣٧٨هـ ثم اوى الى‌المدرسة الجشتيمية حيث لايزال الى الآن ١٣٧٩هـ (ثم‌انتقل الى مدرسة (ايكفى)

أخلاقه

شاب غريب الاطوار بين الشباب الالغي ، فانه هين لين هادئ منكمش منعزل ، لايكاد يرى في المجتمعات ، ولاتراه الامطرقا ، كأن الدم الالغي الجرئ الوثاب المكر المفر لايجري في شرايينه ، ومتى كان في البلد لايفارق عقرداره ، وكان دائما يلازم والده بكل أدب ، ولايتخطى اشارته ، فاعتكف ببركة اشارته على المطالعة ، وفارق غرارة أقرانه حتى أنه صار مضرب الامثال عند كل من يعرف حاله بين لداته ، وقد أمره أبوه أن لايسافر الى الحواضر ، ولذلك لم يرها الى الآن •

مقدار غوره

له تحصيل تام ، ومشاركة استحق بها ان يكون خير خلف لسلفه الماجد المحصل ، الذي يبتدئ من جده محمد بن عبدالله ، ثم يتوسط بوالده امام هذا الجيل في (الغ) ومااليه ، وقد شهد له اقرانه بالتفوق والاستحضار ، حتى والده فانه كثيرا مايشيد باستحضاره ، ويقول انه يستحضر من المسائل مالا أستحضره ، وهاهو ذا اليوم كالتاج فوق الهامة العلمية في أهله ، حفظه الله للمعارف ، ولو كان ثافن وسافر وعاشر ، ورأى ماوصله هذا العصر ، لكان منه خنذيذ لايشق له غبار ، ولكن لامانع له الان ، الا أنه يتوقف عند رأى والده برا به ، والا فانه يحب كل ذلك ، ولعل الايام تاتيه بما يتمنى ، والله يختار لنا وله •

منشداته

أنشد يوما ونحن في مجلس في اثناء محادثات ـ فقيدت عنه ذلك في الحين ـ

قد عرفناك باختيارك اذكا ... ن دليلا على اللبيب اختياره

وأنشد أيضا :

وحبب أوطان الرجال اليهم ... مئارب قضاها الشباب هنا لكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا بها فحنوا لذلكا

وانشد أيضا :

اذا اظمأتك اكف اللئا ... م كفتك القناعة شعبا وريا
وكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا
فان اراقة ماء الحيا ... ة دون اراقة ماء المحيا

وأنشد أيضا :

متى يصل العطاش الى ارتــواء ... اذا استقت البحار من الركايــا
وان ترفع الوضعاء يــومــا ... على الرفعاء من احدى الرزايــا
اذا استوت الاسافل والاعالى ... فقد طابت منادمة المنايا

وأنشد أيضا :

كانت مساءلة الركاب تخبرنا ... عن جعفر بن فلاح احسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ماسمعـت ... اذني باحسن مما قدر أي بصري

وأنشد أيضا :

واذا الزمان كساك حلة معــدم ... فالبس له حلل النوى وتغرب

هذه نماذج مما يستحضر في اثناء المسامرات الادبية ، انشدها بمناسبات في جلسة واحدة

من آثاره

كنت حثثته ان يكتب الي من ءاثاره ، فملأ لي كناشة تضم غالب ماانتجه فكره، وسنلخص من ذلك مايوافق شرط الكتاب ، ونص ماكتب الي

(حضرة معالي الوزير الافخم ، الصدر الاعظم ، الاستاذ الاغر ، والمربي الاكبر الذي تعقد عليه الخناصر ، عند تعداد ذوي المئاثر ، كعبة الامال ، التي لاتعدوها الرجال، بل الترياق الانجع لداء اللهفان والزلال الانقع لغلة الصديان ، من يشيد ولايني بذكر قطرنا وابنائه ، وأطلع بدره بعد أفوله وخفائه ، فأصبح ليله نهارا وخموله ظهورا ، وبرز رجاله كماانشقت الكمام عن الزهر ، اوالاصداف عن الدر، وما فيه منقبة الانقب عنها وجلاها ، أو ذروة مجد انطمست معالمها الا اهتدى اليها فعلاها ٠

عشق المكارم فهو مشتغل بــهــا ... والمكرمات قليلــة العشاق

مولانا وسيدنا محمد الذي هو كاسمه مختار :

حاطه الله حيث أمسى واضحى ... وتولاه حيث سار وجــلا

* * *

(كان له الله حيث كان ولا ... أخلاه من عزه ومن نعمــه)
(حاجتنا ان تطول مدتــــه ... وسؤلنا ان يعاذ من المه)

هذا وانهي الى حضرة مولاي المحفوفة من الله بالعناية والرعاية ، رائـــق السلام ، وفائق الاحترام ، بالنهاية ، والى من تشبث بها ، ولاذ واعتلى بها ٠

ثم ان الكاتب لم يجد بدا من اسعاف طلبتكم ، عله ينال من بركتكم ، فلم يسعه الا الاتباع ، بقدر مااستطاع ، وان قصر في الاداب ، اواساء في الخطاب، وزاغ عن نهج الصواب ، فليغض مولاى عن عواره ، وليسدل رداء صفحه الجميل على شناره (فمن عفا واصلح فاجره على الله) وهاانا ذا يامولاى اوجه الى سيادتكم ماوجدته مما أكدت معاليكم عليه ، فان الهمة لم تتعلق من قبل بجمعه والميل اليه، ولم أخل ان في ذلك فضيلة تنشر ، وفائدة تذكر ، الابعد ان نبهني مولاى من سنة الكسل والاهمال ، كما نبه كثيرا من امثالى المتصفين بهذه الحال ، فجزاه الله عن العمل المبرور ، أوفى الاجور ، وأبقاه يحيى رسم العلم الشريف، ويحمى بيضة الدين الحنيف .

بقيت قرير الدهر فينا فانما	بقاؤك حسن للزمان وطيب
ولا كان للمكروه نحوك مذهب	ولا لصروف الدهر فيك نصيب

وأروم من سيدى زاده الله التقديس والتشريف ، أن يوقفنى على ماالفى من الغلط والتحريف ، فان ذلك صيقل الذهن ، وجلاء الفكر ، لاستضيئ بنوره، واغترف من بحوره ، وفقنا الله الى مايرضاه ، وهو الذى لامامول سواه ، وختم لنا بالحسنى ولجميع الاحباب ، والله عنده حسن المئاب

مما أجراه الله على لسان الكاتب ، قوله :

متى اجتمعت ثلاث فى لبيب	ينل عزا يجد مع الليالى
مخافة ربه وجميل حلم	وعلم زانه بين الرجال
وان يزدد ثراء فى سخاء	فقد بلغ النهاية فى الكمال

وقولى وقد اشتقت الى اصفى خلانى الاستاذ سيدى محمد بن أحمد السليماني أيام قرائته بمراكش فى صدر رسالة مسلما عليه

على السيد الحبر الهمام محمد	رضيع ثدى المكرمات ابن احمد
سلام كما هب النسيم بسحره	يحاكي شذى أنفاسه ترب احمد
سلام سليم القلب من حية الفرا	ق والوجد سالم الهوى والتودد

ومما للكاتب فى المديح ماالفظته قريحته فى جناب سلطاننا المحبوب سيدى محمد بن يوسف لماعاد من منفاه الى عرش أسلافه مظفرا منصورا:

اذا السعد راعي للمجد اجتهاده	فلابد يمضى فى الامور مراده
وتاتى المعالى الشوس منقادة له	فاضحى وساس الشعب صدقا وقاده
وما الحر من لايكره الضيم جهده	ويسعى لدنياه ويرعى معاده
وما المرء من يسعى لامر يخصه	وليس يعم قومه وبلاده
فهذا ابن يوسف الهمام الذى نكا	بباسائه جيش العدا وابـاده
يشمر طفلا للمعالى وكاهلا	سريا فبذ كل ملك وساده

فكافح بالاموال من بعد نفسه فمن ذا يجاهد العدو جهاده
واثخن في عدوه بظباتـه وطهر منه وهده ونجاده
فاخمد نـاره واخـلـد عـاره وأخفى فساده وأجفى عمـاده
وأجلى جموعه واخـلى ربوعـه كما بدد اتـحـاده واحتشاده
واقمعه بالجد والجد فاستوى على عرشه وقد حوى ما استفاده
ومن يصطبر يظفر ومن يحتمل ينل مناه ويستبن قريبـا رشاده
وفارق والعلا غوال عوالي الـــ مصانع ما أطبى سناها فؤاده
أعاد غداة عاد كل فضيلـــة فوفاه أجر الصبر ربى وزاده
وعاد لشعـبـه بعز مـؤبـد ووطد صرح المكرمات وشاده
وحقق للشعب الـوفـى رجاءه واعلى بنوده وأورى زنـــاده
وجدد رسم الملك بعد انـدثـاره واعلى منار شعبه واعاده
وأطلع بدر العز بعد افولـه وانقذ دين ربـه وعباده
ومن يحتوى النفس الابية لم يكن يرى غير متن الشعر بين مهاده
ويسترخص الفخر الصميم وان غلا ويستهل انساقـه واطراده
ولا غرو فهو من صناديد ماارتفوا اذا عز صيد العز الا اصطياده
ومافيهم الا من الشعب مخلص لـه جهـده ولاءه ووداده
رعاك رعاك الله ياخير ماجد يرى للعدا وقع الشبا واشتداده
فدم سالما والسعد يكنف ملككم فما دمت لانخشى عليه نفاده

ولي في التعزية والتسلية لابن عمنا الاديب السيد الطاهر ابن علي الالغي وقد توفي له ولد صغير لم يكن له غيره حوالي ١٣٦٩ هـ

اصبر ولا تجزع له انـه وديعة ردت الى المودع
عسى الذي جاد بذا ان يـجـى بآخر من فضله الاوسع
فالكوكب الدرى ان غاب في المغـــرب جاءاخر في المطلـــع

ولي في رثاء شيخ المشايخ سيدى الطاهر بن محمد الافراني سقى اللـه ثراه صوب رحماه ءامين ، ماتصه :

أرى فوديك في الامساء شابا وقد حكيا لدى الصبح الغرابا
كذا الاجفان أمست ليس يرقا لها دمع كأن بها السحابا
وشجوك عائل وحشاك صال وطرفك شاخص وانقلب ذابـا

(الى ءاخرها وستذكر انشاء الله في ترجمة المرثى)

ولنقنع الان بهذا القدر من ءاثار هذا الاستاذ الجليل ، وقـد رأيناه يـــزاول التأليف في فنون شتى فلئن زاد قدما ليكونن غدا علامة الغ الفريد ٠ كما عليه والده الان حفظه الله ووفقه ٠

سيدى احمد بن عمر الصالحى

١٢-٦-١٣٤٤ هـ = حـــى

نسـبـه :

أحمد بن عمر بن ابراهيم بن الحاج عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد •

من نجباء الناشئين الالغيين ، وهو في طبقته يكاد ينفرد باشياء من معلوماته ولوساعده الدهر ، كما ساعد من قبله لكان من الفطاحل • وهو ابن سيدة من بنات العلامة ابى الحسن الالغى • فسرى اليه نصيبه من الارث العلمى ، والدنيا احاظ وقسم • والعرق نزاع

ومن طاب أصلا طاب فرعا وهل ترى اسود الفيافى الغلب الا من الاسد

متعلمه

كن أصيب اثر مافطم بمرض عرقل نموه الطبيعى ، ولذلك لم يلتحق بالمكتب حتى كان ابن سبع (١) سنين ، فاخذ في مسجد القرية عن الاستاذ محمد ابن الحسن التدليبى الايغشانى ، وعن استاذ الجماعة عبدالله بن احمد الانامرى الوليلى السملالى ، وعن الاستاذ العربى بن عبدالله من ءال الحاج من (أنزى) وعن الاستاذ الحسن بن سعيد السملالى ، وكان الثانى اعلاهم له افادة • وقد استتم حفظ القرءان واتقانه سنة ١٣٦٠ هـ ثم افتتح المتون بين أيدى أخواله في المدرسة على يد عميدها سيدى المدنى بن على ، ثم أخذ عن اخويه الاستاذين: الطاهر والحسن ابنى على كما اخذ أيضا عن استاذ الجماعة سيدى عبدالله بن محمد ، وعن ابنه صالح ، كما أخذ أيضا عن الاستاذ ابى العباس البناء الايغشانى قال وأعظمهم لى فائدة الحسن بن على وصالح بن عبد الله ، وقد مر على كل المتون وألم بكل مافيها من الفنون ، كما أنه تلا على هؤلاء الاساتذة من كتب الادب ماكان مثله معتادا عندهم ان يتلوه التلاميذ على الاساتيذ فى أوقات العطل •

من آثاره

كتب لى مفتتحا لتطورات حياته مايلى ـ وفى ذلك تصوير للمدرسة الالغية فى عهد اخذه ـ

---

١) يقول الالغيون وقت افتتاح التلميذ القراءة ، اذا كان له خمس سنين وخمسة اشهر وخمسة أيام

(تلبية لطلبكم المشرف تجدون صحبته ورقات تتضمن المقصود من ذلك ، وستلاحظون ان المدة التى قضيناها فى الحل والترحال بين مدارس ناحيتنا كافية للحصول على قدر وافر من العلم ، الاان الامر ربما كان بعكس ذلك

والاوراق مشتملة على الفترة التى ابتدأت فيها الحروف الى أن غادرت القراءة ووليت وجهـــى نحو التمعش وذلك مـــن عام ١٣٧١ هـ الـــى مـــا بعده بعدما أثرت عـــوارض قاسية فـــى العـــزم ، ولا يخفى عـــلى معاليـــكم أن القراءة فى جميع المدارس المحلية لايذوق فيها المتعلم حلاوة الابعد فترة ، لاتقل عن خمس سنوات ، وذلك راجع الى عدم الاسلوب الجذاب فى الطور الاول من تعليـــم المدارس العتيقة ولذلك لم يكد يتراءى لنا بصيص من النور الا فى العام السادس من القراءة ، اذفى ذلك الحين ندرك للبيت اللطيف حلاوة ، ومن ثمة تتطلـــع النفس الى مطالعة بعض الكتب الادبية ، وكنا معشر الطلبة فى تلك الفترة نتألم كثيرا من الظروف المحيطة بقراءتنا، اذكثيراما تعترضنا عوائق عن متابعـــة الدروس الى ءاخر رحلة ، وأبرز العوامل وأكثرها هدما للـــجـــهود الحصاد والحرث • ففى ابانهما تهجر الدروس نهائيا شهرين وأكثر ،وفى غالـــب الاحيان ينقطع فوج من الطلبة ، ويتجددفوج ءاخر وذلك مايجعل الاستاذ مذعنا لرغبة المتجددين ، فتبتدىء الدروس من باب ءاخر ومن تأليف ءاخر ، وهكـــذا تنقضى الاعوام ، وليس للدروس اساس ثابت على ان الاستاذ لايالو جهدا فـــى افادة الطلبة الا أنه لايملك شيئا فى نظام المدرسة فهى مفتوحة فى فصول السنة امام الواردين والصادرين ، وللطلبة كامل الحرية فى الحضور والتغيب ، زيادة على ان الطلبة يقسمون درجات متفاوتة فلكل طبقة منهم دروسها الخاصة بها، حسب فهمها وقدميتها ، وفى بعض الاحيان يتفرغ الاستاذ لطالب واحد ليقرىء له درسه وحده ، لانه فى طبقة عليا او اولية ، وذلك حرصا من الاستاذ على أن لاتضيع لكل طالب مكانته ، ويسبب له ذلك انقسام الفكر ، وتعدد الدروس وتعطيل بعض منها ، الى غيرهذا من العوامل التى تشكل اسوارا من حديدفى طريق التعليم والمتعلمين

وذلك بعض ما أوقفنا بصفوف المتاخرين ، وحال بيننا وبيـــن مانصبو اليه من المعرفة ، ولايزال يتجدد لنا البعد عن الطالبية كلما قرأنا للذين يحق لهم التحلى باسم الطالب ، وتبين لنا انماكنا نسميه الطالبية انما هو كآل يحسبه الظمئان ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا، وهذا ماجعلنا ننحاز الى العامية،وتيقنا انه ليس التكحل كالكحل ، وما كنا لنقرأجريدة أومقالة فى مجلة الا والاسى والاسف يتجددان ، ويعملان بسكا كينهما فى القلوب ، ولكن ٠٠٠وليس هذا احتقارا للنعمة وانما كنا نرغب فى وصل الحاضر بالماضى)

ثم ان المترجم ممن يخبون ويضعون فى القوافى على عادة الناشئة الالفية ، ومن مطالع ماقال

روض الذهن فالمجال عريض   وزن القول ان لديك قريض

وقد اعتذر كثيرا عن سوق ماصدر منه ، لكونه دون مايختاره ، وانشد فـي ذلك قول الخطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه

اذا ارتقى فيه الذى لايحكمه

زلت به الى الحضيض قدمه

ولعله ان امعن وزاول واطال المعاطاة ان ينال مايصبو اليه فى باب الادب العالى

وظيفته

التحق بالمحكمة الشرعية فى (تافراوت) ثم انتقل الى مثلها فى (أنزى) ولا أخاله ينقطع عن المطالعة ـ لانه أهل لكل تفوق ـ وهناك اخوان له سيدى محمد ابن عمر ، لاباس بمعلوماته يقطن اليوم بالبيضاء مقدما على حومـة ، وسيدى عبدالله الطالب النجيب لايزال يتابع فى القرويين وكانى به تخرج استاذا متمكنا ، وكذا من اللهعلى والدهم سيدى عمر السيد الوديع باولاد لهم ظهـور فى الميادين

الفوز كل الفوز ان يكونا   من همبنوك فى الورى عيونا
تراهم فى العلم هاما عالية   عليهم تيجان مجد زاهيـــة

سيدى محمد بن نصر الالغى

١٣٤٢ هـ = حـــى

نسبـه

محمد بن نصر بن الحسين بنعبدالله بن بلقاسم بن محمد بنعلى بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

هذا استاذ ءاخر من أساتذة الغ الجدد ، ممن نبغوا فى جيله نبوغامرموقا بين أقرانه . ثم لاحظته السعادة فتأتى له خارج مسقط رأسهمالم يتأتلكثرين ءاخرين ضيعوا نفوسهم فى مسقط رؤوسهم (الغ) الام الناتق التى تلد كثيرا أمثاله

متلقاه للقرآن

لم يتجاوز عهد اخذه للقرءان مسجد قريته (الزاوية العليا) واساتذهالذين مروابذلك المسجد وقت أخذه : الاستاذ سيدى محمد السملالى الشهيربالتخريج فقد أخذ عنه كلأهل ذلك الجيل فى القرية ، ثم تلاه الاستاذ سيدى عبدالله بن أحمد السملالى المحظوظ فى التخريج حظوة مرموقة ، فقد تعدى الذين تخرجوا به،واتقنوا حفظ القرءان على يده عشرات ، ثم لميزل على ذلك الى الان ١٣٧٧هـ وهذان هما استاذا المترجم الذى أعاد القرءان خمس مرات ، وقد غادر المكتب سنة ١٣٥٥ هـ

في مدارسة العلوم

طاف فى مدارس شتى طوفان الصديان النهم الذى يستنشف كل مايراهمن الماءالصافى، فلم يترك كلمافى امكانه ، فقد افتتح فى المدرسة الالغية عـنـد الاستاذ سيدى المدنى ، فاخذ عنه المتون الابتدائية على العادة الجروميـة والجمل والزواوى واللامية وابن عاشر ، وبعد نحو سنة انتقل الى المـدرسة الايغشانية ، وفيها كمدرس الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى تحت اشراف الاستاذ سيدى الطاهر بن على الذى كانت المدرسة فى يده ، وانمااستناب الآخر للتعليم ، فأخذ عنه نصف الالفية والرسالة ، مع اعادة بعض المتـون المتقدمة ، بقى هناك نحو عام ونصف ، ثم الىالمدرسة الوفقاوية عند الاستاذ

سيدى أحمد الاهريبي التاجارمونتي ، فاستتم عليه الالفية وربع العبادات من خليل ، وبعض التحفة ، لازمه نحو سنة ، ثم راجع المدرسة الالفية عند سيدى المدني ، حيثاخذ الربع الثاني منخليل ، وبعض المقامات الحريرية ، وبعض المعلقات السبع ، وبانت سعاد ، ولامية العجم ، والبخارى على العادة في رمضان والحساب ، وبعد نحو عامين انتقل الى المدرسة (الكشتيمية) وفيهـا الاستاذ الكبير سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى ، فاعاد عليه كل المتون ، فاخذ عنه المختصر الخليلي مرتين ، والتحفة مرتين ، والالفية مرتين ، والمقامات كلها ، والحساب والفرائض مرات ، والشمقمقية والدالية لليوسى ، ومصطلح الحديث والبخارى والعروض ، وبعض التلخيص والمنهج للزقاق ، هكذا لازم هــذا الاستاذ الهادى الخريت نحو خمس سنوات ، لازمه الى ان توفي ١٣٦٤هـ ثـم لازم بعدهالاستاذ سيدى محمدبن الحاج أحمد اليزيدى الذى خلفه هناك ، وبعد نحو خمسة شهور غادر المدرسة

في المشارطة

ثم انه توجه الى وادى الاكماريين فانابه الاستاذ سيدى أحمد بن سعيد فى مدرسة (تاكاترت) هناك فى التعليم ، فبقى هناك شهورا قليلة فقط ، ثم غادر مثل تلك المشارطة ملاحس البقر أولادها ، لمااستفزه العزم على ان يستــكـمل معلوماته فى الحواضر

في مراكش

فى مفتتح ١٣٦٦هـ ، اثر رجوعى من الحجة ، اتصل بدروسنا بباب دكالة حيث انتظم بين من ياخذون ما نتذاكر فيه مع الطلبة ، فاخذ (الورقات) لامام الحرمين ، و (الاشارات) للباجى و (مرتقى الوصول الى علم الاصول) والبيان والحديث فى البخارى ، أخذافنيا متتبعا فيه البحث على قدر الاستطاعة ،والمنطق و(نوراليقين) فى السيرة النبوية • الىغير ذلك من النحو والفقه فــى المختصر والتحفة والتفسير

في المدرسة البنكريرية

كان صاحبنا القائد العيادى اصاخ لى فبذل بعض مافى يده لمنفعة العباد، فبنى المدرسة فى قرية (ابن كرير) من قبيلة الرحامنة وجعلها على يدى ، فاخترت لها منبين الاساتذة المترجم وذلك فى اواخر ١٣٦٧هـ فقام بمانيطبه أتم قيام ، ولميزل على همته ومرابطته هناك الى الآن ١٣٧٧هـ مع انه مربصاحب المدرسة مامر ، ولكن منعرف ماطلب هان عليه مابذل •

يؤسس اسرته

اقترن اثر نزوله في المدرسة بسيدة كانت هي الاولى منزوجاته ، ثمفارقها فاقترن بأخرى فتوفيت ، ثم ثلث بهذه السيدة التي عنده الآن ، وله منالاولاد بنتان فقط ، (رب لاتذرني فردا وأنت خير الوارثين)

نتف من أخلاقه

للمترجم اخلاق يمتاز بها، منها علوهمته في اموره كلها ، ملبسا ومركبا ومجالسة ، ولذلك سرعان ما انقلب الى شارة من رءاه فيها الآن لايجول فيذهنه أنه ابن الغ البدوي القنوع الذي يقنع من البلغة بمضغة ومن اللبسة بشملة ، ولولا بعض توان عن المطالعة يتجاوز الحد المطلوب منه لكان لـه مـن الشأن أكبر مماهو له الآن ، ولعله في المستقبل يظهر من النشاط والاقدام والاكباب على المطالعة مايدعم به مكانته بين أقرانه ، فما فائدة الاستاذ الالغي انلم يلتهم مئات من الكتب الادبية ، حتى يستحضر كما يستحضر أهل الجيل قبله ٠ ومن في يده مقواد مستقبله ، ومرقاة شفوفه فلماذالاينهض ويلقي الكسل والتواني ظهريا ، فان باب المجد مفتوح ينتظر دائما اصحاب الهمم

ولم أر من عيوب الناس عيبا — كنقص القادرين على التمام

ورحب به الاديب محمد بن علي وقد ورد مرة الى الغ بقوله

أهلا بمن قد اتى والقلب يرعاه — في القرب والبعد لست قط انساه
مذ ساقه الشوق نحوى ردلي جذلى — شكرا فقد ءانس الاحشاء مرءاه
ياحبذا الوصل ماأحلى مذاقته — يزرى بشرب سرى فيالجسمسراه
يشفي الوصالجراح البين فيكبدى — وقد ازاح عن الفؤاد غمـاه
فانعم وطبخاطرى فالسؤلفيقرن — وابغ رضا الرب في العلم وتقواه
واحرص فديت على نشرالعلوموكن — موضح اللفظ مع تبيين معناه
فالله يبقيك بدراذيقيك من العـ — ـين ويقضي الذى تبغي وتهواه
مني السلام على علياك معتذرا — بالعي اذ لم اوف المدح اقصاه

وخاطبته مرة بقولي بديهة ، وقد بلغني عنه انه نافح عني في مجلس :

كفاني كفاني أهل الغ ابن ناصر — اذا كان مابين المجالس ناصرى
لنعم الفتى حزما وعزما ونصرة — اذا لم يكن في الحي اى مناصر
له في شغاف القلب ودمروق — يفوزبه مني ابن خير العناصر
فمنكان ينسى الخيرفيالصفووالوفا — فلست بناسي الخير من ابن ناصر
فاني ان اعدد تلاميذ مدرسي — وفاء يكن في العد بدء الخناصر

محمد بن الحاج بلقاسم الزواوى

٦-٣-١٣٢٠ هـ = حـــى

نسبـه

سيدى محمد ابن الحاج بلقاسم بن عبدالله بن بلقاسم بن محمد بن احمد ابن على بن أحمد بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد •

ذكرت هذا السيد وان كان دون اترابه هؤلاء في المعلومات ، ولم يحصل بينهم كل ما حصلوا حتى لايعدونه في طبقتهم ، لانني كنت شاهدت له مـــن النشاط فيجميع أعمالى بكل همة الشيء الكثير ، ولم يعره مثل اقرانه الكسل والجمود الفكرى ، كما شاهدت له أيضا دؤوبا على خصال حمدتها منه ، وقـد كان ممن ءانسوني واعانوني على هذا التاريخ منذ نزلت في الغ مفتتح ١٣٥٦هـ فهو الذى نسخ لى ادبيات تقع فى مجلد ضخم ، استمددت منها ما اختارهلهذا الكتاب ، كمانسخ لى مجلداءاخر كبيرا فيمختلف تآليف قيمة للسوسيين وله خط واضح ، وهو وان لم يرم الى الجودة ، لكنه غير رذيل بحيث يقتحمهالطرف وهو أيضا ممن توسط لى حتى استفدت عن سيدى محمد بن بلقاسم فـقيـه تيبيوت مارايته في ترجمته ، فهكذا كان لىخير معين ، جزاه الله خيرا ، وهو على كل حال متوسط فى معلوماته ، ممنكان فى شرطنا ذكره •

أخذالقرءان عنوالده وعن ءاخرين ، ثمأخذ المبادىء في المدرسة الالغية ،وعن الاستاذ سيدى محمد بن أحمد ابن الحاج صالح بحاحة ، فتكونت له معلومات لاباس بها ، وله عقل حاد يستعين به ، معميل منه الى الانقباض ، كأن ذلكورثه عن والده ، ومنلم يكتنه خلقه يظنهرجلا ءاخر ، والذى حال بينه وبين اتمام دراسته الذى شدا فيها وظهر منه في ميدانها تقدم ، انهلما توفي والده شغرت الدار ، فاضطر ان يكون قيم الاسرة، ولهاخيسمى الحسين لايزال الان١٣٥٨هـ يتلقى عنسيدى الحاج مسعود الوفقاوى ، ويذكر انه نجيب ، وقد أخذ أيضا من المدرسة (الالغية) وقد رزق صاحب الترجمة بنتا فى السنة الماضية ، وهو من اشياخ ابنالاخ محمد بن الحبيب فى القرءان ، فقد اخذ عنه فـى السنة الماضية ، ونحن كما جئنا الىالغ ، جزاك الله ياسيدى محمد بن الحاج بلقاسم ووفقك ورزقك من يعينك على مهماتك ، كما اعتنتنى على مهمتى فى تـهـيئـة مستمدات كثيرة لهذا المؤلف ، وقد شارط فى مسجد تيبيوت اواخر ١٣٥٥هـ وأوائل التى بعدها ، وفى رمضان جاء الى فذكر انه سيتوجه الى جهة حاحـــة،

لعل الله ييسر له من فضله مشارطا نافعا ، فذهب هو وسيدى احمد بن محمد الزاوي المذكور، ومما انشدني

مـن حط ثـقـل همومـه في باب خالقه استـراحـا
ان السـلامـة كـلـهـا حصلت لمن ابقى السلاحا

آثار قلمه

من ءاثاره هذه الرسالة التي كتبها الى •

الاخ الاعز الارضى ، الاستاذ الكبير ، السميدع الشهير ، سيدى (فلان) عليك من اعطر السلام اذكاه ، وما يتعطر الجو اجمع برياه ، أبـقـاك الله مصون العرض مظفرا مكرما على رغم انف من أبى ، دائم العزوالابا ، فانني فيغربتي لاازال اليكم فيشوق ، ياخذ بالطوق •

أنا المحب ولو ادرجت في كفني انا الذى لـم يزل بالعشق متصفا

واني ياسيدى لاجد عن ذكراكم صبرا جميلا ، وقد ملأت اللهفات اليكـم صدرا فسيحا

والصبر يحمد في المـواطن كلها الا عليك فانه مـذمـوم

أما أحوالي فاني غريب حقا ، مشوش البال مهيج البلبال •

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركـــم انوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى وتحتي بحار بالجوى تتدفـق
سلوا ام عمر وكيف بات اسيرها تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا انا مقتول وفي القتل راحـــة ولا أنا ممنون عليه فيعتـق

وبعد فلايشفي العليل ، ولايبرد الغليل ، الا المشافهة والسلام •

أخبـار عنه أخيرا

كان جال في مساجد كثيرة بالمشارطة في (اكادير ايزرى) ، وفي غيره بالغ، وفي جوار (تافراوت) دام على ذلك سنين ، حتى تقلب به الدهر ، وعرفالعصر ومايتطلبه ، فاذا به يفكر في حالة الامة ، فصار يلبس لباسا ءاخر بين الناس في محادثاته ، ولم تكنالادارة لتغفل عنامثاله الى ان اعتقلتهشهورا ، فكان ذلك هو الذى حداه حتى طلق تلك البلاد ، فنزل في البيضاء ١٣٧٢ هـ فاستقر فيها بأولاده ، حيث يفكر كما يريد ، ويعلم بعض تعليم ، ثمصار خطيبا فيمسجد (قرية الجماعة) فحسنت حال معيشته ، وصار يلقي دروسا في المسجد وفي غيره ، فاكتسى ابهة الفقهاء ، فهنئيا مريئا له ماحصل عليه الآن ١٣٧٩ هـ وانا لنرجو لهفوق ذلك مظهرا ، وله أذكار وحالة حسنة •

سيدى محمد بن عبد الله

المدعو بالشيخ موح

١٣٢١ هـ = حـــى

نسبــه :

محمد بن عبدالله بن احمد بن ابراهيم بن محمد بن احمد بن علي بن أحمدبن عبدالله بن سعيد

مشـاخــذه

افتتح على يد سيدى محمد بن محمد السملالى ، ثم اخـــذ ايضا عنسيدى ابراهيم الفقير البعقيلى ، ثم جلا أهله عن الغ الى (انامر) بوادى (أملن) فبقوا هناك سنتين ، فكان ياخذ هناك عن سيدى محمد بن موح منأهل تلك القرية ثمراجع اهله فى الغ ، فلازم أيضا سيدى محمد بن محمد السملالى فى مسجد (الزاوية) ، فبه تخرج فى القرءان ، وفى سنة ١٣٣٦ هـ افتتح المبادىء فـــى المدرسة على الاستاذ سيدى علي بنعبدالله ، ثمأمر النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم بن عبدالله بنصالح الالغى الذى تقدمت ترجمته انيدر به على المبادىء ولمينشبأندهم ذلكالوباء فجرف هذا النجيب فيمن جرف ، ثمأخذ عن سيدى المدنى ، وسيدى احمد الاهرييى التاجارمونتي ، والاستاذ سيدى احمد بـن محمد اليزيدى فنجب على ايديهم ، ثم لازم مايلقيه الاستاذ الكبير عميد المدرسة سيدى على بن عبدالله ، فظهر منهلسان سئول ، وقلب عقول ، وقد أثنـــى عليه منعرفوه وخالطوه من أهالينا ، كسيدى الطاهر بنعلي ، لانني لاأعرفه وفى سنة ١٣٤٦هـ أرسله الاستاذ علىبن عبدالله الى زاوية (أقا) عند القاضى سيدى الهاشم الفاسى ، فاخذ عنه أيضا حتى مضت تلك المسغبة ، ثم انتقل الى (ايمور) ولم يلبث ان شارط فى مسجد هناك ثم انتقل الى مسجد (ضاباشين) من (تاهالا) حيث لايزال الى الآن ١٣٥٨ هـ ، وقد طابت له الحياة هناكفسكن، وقد ذكر لى عنه نظافة فى البزة ، وعلو همته وتحصيل حسن كما ذكرناه وهو ممن يجول فىالادبيات ، ولكن لميتيسر لى الآن انأتصل باثرله فى ذلك ، الا أننى وقفت على ابيات اجابه بها سيدى محمد بنعلي عن ابيات له لم اقف عليها قال الاديب ابن علي

زففت الي يا أخي محمدا عروسا تهادى مالاوصافها مدى
آتت نحونا تختال في حلل اللغى فتبهر افكارى متى كنت منشدا
فمن رقة اومن لطافة منــــزع بطوق كان قدضم درا وعسجدا
وكيف وانت المصقع المفلق الذى بنى من قوارير البيان ممردا
جزيت على مدح العبيد محمد رضا الله من قدطاب فرعا ومحتدا

وكتب اليه أيضا يستدعيه مع امام المسجد

ايها الشيخ من محضت ودادى وجعلت محله بـفـؤادى
مـن غدا سيدا وبدر كمـــال في سماء العلا وبدر رشاد
من جنى الزهر من غصون المعالى زاهيا حسنه جرى في ازدياد
سيدى المرتضى محمد المنـــ ـخول من خير جلة انجاد
ان قرات الرقيم فاعجل لكيما تتملى المنى بنــجح المراد
اننى راقب طلوعـك بدرا مع امـام معلم الاولاد
هاك منى رسالة نظـمـتها يد فكرى من نرجس ووراد
ثم منى عليك أزكى سلام طيب لايكـت بالتـعـداد

ثم وقفت له أيضا على رسالة كتبها من (أقا) الى استاذه على بن عبدالله الالغى لاباس بايرادها وهى ـ باختصار ـ

العلامة النحرير ، البركة الشهير ، شيخى وابى الثانى ، ومن هو أولى بمدح لسانى ، سيدى على بن عبدالله بن صالح افضل السلام وأتمه ، وأطيبه واعمه، على مقامكم الكريم ، وقدركم العظيم ، أما بعد فلازائد على مايعـلم سيدى ، الا مايسر الاصدقاء ، ويسوء الاعداء ، وقد وصلنا كتاب سيدنا ، وفهمنا مضمنه ففرحت لدعاء شيخى لولده ، وانه لم ينسنى من مدده ، وأنا عند هؤلاء الناس كالابناء ، اذكنت أنت عندهم كالاباء ـ الى ان قال ـ وسلم منى عـــلى شيخنا سيدى المدنى الذى يعطف علينا عطف بيان ونسق ، ويفوح لنا باذكى عبق، ثم اننا هناك وان كنا هنا ، فارواحنا فى مكان واحد ، وان غدت اجسادنا فـــى العراق أو خراسان ، واقول

ان شيخى خير البرايا وانى لاأرى فى الورى اماما كشيخى

فى منتصف شوال ١٣٤٦ هـ

سيـــدي

محمد الخليفة بن الشيخ الالغى

١٠-١-١٣١٤ هـ = حـــى

نسبـــه

محمد بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمدبن عبدالله بن سعيد ·

أتى نبأ دالت به دولة الانس ... واضحت به العلياء طيبة النفس
بمولد نجل يملأ الكون نوره ... ويخجل اشراقا سنا طلعة الشمس
يجدد رسم المكرمات باسرها ... ويقدم ارشادا جميع بنى الجنس
وينشر اعلام العـلـوم مبرزا ... اذا جرت الافكار فى حلقة الدرس
يدب الى نيل العلا بعزيمـة ... تذوب لها صم الجلامدة الملس
الى ان يعيد المجد حيا بعيد ان ... تنوسي حتى عد من ساكني الرمس
وليد بدا من مطلع السعد فاختفى ... بميمون اقبال له كل ما نحس
ويظهر في برج الكمال مؤيـــدا ... باتقان اسرار الجنيد اوالمرسى(١)
وحكمة لقمان وهـمـة حارث ... وحلم ابن قيس فى زهادة اويس (٢)
تفرع من غصن السيادة فاستوت ... منابته فى منبت طيب الغرس
فياسيدا ضاقت بماثور فضله ... اذا رمت احصاء له ساحة الطرس
هنيئا بما اولاكه السعد طالعا ... بافقك بدرا جاليا ظـلـمة اللبس
يشب ببحر المكرمات مشمرا ... لادراك فضـل غير وان ولا نـكس
مصونا بعون الله فى كل حالة ... وليدا وكهلا من أذى الجن والانس

شمس الحقيقة وقمرها ، وسمع ذات الكمال وبصرها ، من طبق ءافاق الفضاء ذكره، وخيم على هام السماكين فخره ، وسما حتى لم يجد مستمي قدره، من نظمت لبة الدهر من فرائد فضله قلائد درها، واطلعته الحـقـائق على مكنون سرها ، فكان احق بقول الخنساء فى صخرها

وما بلغت كف امرىء متطاول ... من المجد الا والذى فيك اطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة ... من القول الا والذى فيك أفضل

---

١) هو ابو العباس المرسى تلميذ الامام الشاذلى

٢) المراد الحارث بن عباد فارس النعامة وابن قيس الاحنف الحلـيـم المشهور واويس تصغير اوس ولاتشدد واوه وان كانت هنا كذلك ، والمراد به الزاهد اويس القرني

سيدنا وشيخنا ، ابو الحسن علي بن احمد الدرقاوى ، هذا وقد اتصل الخبر باستهلال هلالكم السعيد ، الذى عاد به اليوم بالفرح كيوم عيد ، فتكلف العبد تهنئة على جمود الخاطر ، وانقشاع سحاب الفكر الماطر ، خدمة لتلك الطلعة المباركة ، بالقول ، اذا لم يسعد الحال بخدمتها بالنول ، كما قال المتنبى

لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

رجاء الظفر بدعوتكم المجابة ، لتعود بها الاهواء عن قلوبنا منجابة ، فان العبد والحمد لله ممن اخذ فى حبكم باوفر نصيب ، وضرب فيه بالسهم المصيب ، فما تخيب وقد تمسك بامثالكم آماله ، ولاتضيع ببركتكم أحواله، والسلام الاتم الاطيب الاجمل عليكم ورحمة الله وبركاته ، من العبد الفقير الى الله فى الباطن والظاهر ، المتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع المظاهر العبد المضطر الطاهر .

بهذه التهنئة العلية ، وبهذه اللهجة الادبية ، يهنأ الوالد من شيخنا سيدى الطاهر شاعر الجنوب ، لما ولد له صاحب الترجمة ، اصيل يوم (عاشوراء) فكانت القصيدة فالاحسنا جاء الزمان بتصديقه

تفاءل بما تهوى يكن ولقلما يقال لشيء كان الا تكونا

تقلباته بين يدى الوالد

افتتح القراءة فى الزاوية ، فتدرج فيها عندالفقير سيدى الحاج بلقاسم البوزياوى الحاحى ، وسيدى احمد الماسى الاعمى ، بعدما أخذ الحروف الهجائية عن الوالدة مؤدبة البنات فى الدار ، ثم بعدذلك أرسله الوالد مع ابن عمه سيدى عبد الله بن ابراهيم الى قبيلة الساحل عند طالب يسمى سيدى عمر ثم لم يلبث ان مات فجاة ، ثم الى قرية (تالاتووشن) بايت براييم عند سيدى الحسن الذى لايزال حيا الى الآن ١٣٥٨ هـ ، ثم نقله بعد شهور الى (بوكورا) عندالاستاذ سيدى ابراهيم بن الحاج ، ثم عند سيدى عبد الله الاكمارى بالزاوية ، فعلى هؤلاء قرأ القرءان ، وفى سنة ١٣٢٥هـ افتتح المتون الابتدائية عند الوالد بالزاوية ، وبعد شهور دفعه لشيخنا سيدى سعيد ، التنانى ، فلازمه نحو سنتين ، وهو الذى جال معه فى جل المتون الابتدائية، وكان سيدى سعيد ضعيف النزع ، قدنسج العنكبوت على بعض ما اخذه - كما كان يقول - فحين كلفه الوالد بتعليم صاحب الترجمة صار يستعد لما يعلمه اياه ، فيسأل هذا وذاك ، فكم حقائق وحدود وابيات قواعد نسخها له سيدى موسى بن الطيب ، وكم أمور اخرى افاده بها سيدى احمد بن مسعود المعدرى ، فى فترة كان فيها هناك بالمعدر ، فكان ذلك فى الحقيقة نفعا أوليا لسيدى سعيد ، ثم نفعا ثانويا لصاحب الترجمة ، وكأن الوالد يحول بين

ولده وبين هذه المدارس الموبوءة اذذاك بما لايحمد من جهة الاخلاق ، وهو دائما يراعي الدين وسلامة الاخلاق قبل أن يراعى العلوم ، ويراها ثانوية بعد الاخلاق ، فهكذا بقي أخونا بين يدى سيدى سعيد يعلمه ويهذبه ، ويثقفه قدر جهده، وقد وقفت على نسخ أمور يعلمه فيها الكتابة ، وكان سيدى سعيد ابن مقلة الثاني فى الخط ، وربما يعلمه غيره كسيدى موسى الذى درس معه الوردية في شهر ، وكان الوالد مع ذلك يصاحبه معه فى السياحات ، ليتربى باخلاق الفقراء ، وليتسرب الى قلبه وخلقه ودينه منهم مايجد بركته ولو فيما بعد ، فقد كان معه فى سياحة الى أيت صواب ، واخرى الى ادا وزكرى ، ومرارا فى أزاغار ، ومرة فى سياحة طويلة مرفيها الشيخ الوالد بكسيمة ، فحاحة ،فادا وتنان ، فمتوكة ، فالحوز ، فالحمراء ، فالسويرة ؛ وقد مروا بكل القبائل التى فيها اتباع الوالد ، وهو اذذاك فى عنفوان شهرته التى بلغت مبلغا عظيما ثم فى نحومفتتح سنة ١٣٢٨هـ ، الحقه بالاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى فى المدرسة البونعمانية ، لانها ربما كانت خالية مما فى مدارس الجبال اذذاك مما لوحنا اليه ، فاقبل عليه الاستاذ اقبالا كليا ، فصادف منه قابلية وأدبا وليونة ، فخاض معه خوضا في متون ، وذلك هو الذى عاد عليه بالنفع الجم، وقد طرق به كل باب ، باذن الوالد ، لانه سأله مرة عما يقرأون ، فذكر له السلم ودروسا قليلة ، فقال له الوالد الامر اعجل من ذلك ، فاطلعوا من كل ثنية وأسلكوا كل طريق كيفما تيسر ، فقدر الله بعد شهور ان سقط الوالد مريضا مرض موته ، ثم كتب وصيته ، وقد وصى فيها انه خليفته في كل شيء ، فارسل الوصية الى الاستاذ ابن مسعود ، فاستدعى صاحب الترجمة ، فأمره بالطلوع الى الغ ، وقد فهم من الوصية ان اجل الشيخ قدحان ، قال الاخ فناولنى اذذاك كتابا فقال اذهب بهذا فاخبأه ، فان قضى الله بوفاة الشيخ فكفنوه فيه ، ثم قال بعد ذلك ، ولاتظن اننى اتفاءل بموت الشيخ ، الاان هذا ذكرته لك احتياطا وانت لاتذكر ذلك لاحد ، قال الاخ فنفذت كل ماقال لى عند وفاة الوالد .

هنا وقف اخذ صاحب الترجمة ، وهو اذذاك كما راهق ، ونزعه في المبادىء ضعيف لما ذكرناه عن سيدى سعيد الذى أخذها عنه ، ولكنه مع ذلك حاذق لبيب ، فلو دام سنة او سنتين فى بونعمان ، لنال مبلغا عظيما .

بعد وفاة الوالد

توفى الوالد والزاوية تعج بالفقراء ، وناهيك بان المنقطعين وحدهم يناهزون المائة اوفوق ذلك ، وكلهم ممن تهذبوا على يد الشيخ ، ونسوا أنفسهم ، وفنوا فى مبدا الشيخ وغرقوا فى التصوف ، وبلغوا فى ذوق علمه مبلغا ساميا ، واما الاتباع الآخرون فهم الذين يطلق عليهم وصف المتسببين كما يطلق على هؤلاء وصف المنقطعين أووصف المتجردين ، والجميع فيما قدرته انا وغيرى يبلغون

نحو عشرين الفا، كما بينا ذلك في ترجمة الوالد ، فهؤلاء كلهم ينظرون الى من جعله الشيخ خليفته في كل شيء شيء ، نظرهم الى الشيخ نفسه ، ففتح له باب هذا المنصب على صغره قبل ان يجرب الامور ، فدخله دخول من اتكل على الله والكبار من الفقراء يعينون في كل جهة ، وكان من أفضل ماعرف عنه منذذاك الحين من صغره ، أنه تجلت منه اخلاق قلما تتجلى من كبار الناس المجربين، منها الصبر ، فقد عرف به من اول يوم، ومنها الكتمان للاسرار ، حتى كان في ذلك الحين مضرب اللامثال فيه عند كل من خالطه ، ومنها التأني في الامور وعدم العجلة ، فتيسر له بهذه الاخلاق ان يحوط وهو صغير كما ترى اسرة كبيرة فيها ضرات وصبية وبنات ، لكل واحدة واحدة منهن نظر خاص ، وشهوة على حدة، وان يضم شمل الفقراء الذين قاموا اذذاك بالزاوية كأن ألشيخ لايزال حيـا، فكانت الزاوية كأنها لم تفقد رئيسها •

وكان شيخنا سيدى سعيد قام اذذاك مقاما يعرفه له ربـه ، فكان يرشد ويعين، ويتمشى مع تلميذه هذا بمثل ماقاله هرون الرشيد للاصمعي ، علمنا في الخلا ، وعظمنا في الملا ، وكذلك سيدى محمد بن مسعود ، فقد قام بنصح تام بلغ فيه من الارشاد مبلغا عظيما ، فقد اطلعني الاخ على رسالة كتبها اليه في هذا الطور ، وذلك في اواسط سنة ١٣٢٩هـ ، فوجدتها في نفس الناصحين الكبار الذين يعرفون كيف يرشدون ، فمما حثه عليه فيها ملازمة الصلاة في الجماعة ، وان يكون اماما فيها ، وان لايهتز في القيام وان لايتمايل ، وان يقبل على الفقه اقبالا كليا حتى يعرف منه كل مايحتاج اليه، فانه علم كبير والله لايعبد الا بالعلم ، وان يكثر من مطالعة مثل كتاب (الاحياء) للغزالي من الكتب التـي تهذب وتري الانسان عوارت النفس ودسائسها ، وان يدخل بنفسه بين الفقراء وان يتهيأ بهيأتهم المخصوصة ، وان يذكر الله ذكرا كثيرا، وقال له فيها ان سر الشيخ لم يعد اصحابه ، فمن أراده فليخالطهم بتأدب ، ثـم نهاه عن الاشتغـال بقرض الشعر ــ على عادة الالغيين ــ ، لانه اذذاك كما تفتح ذهنه ، وقد كان سيدى احمد البوالوقتي التيزنيتي في الزاوية ، كان سيدى محمد بن مسعود أرسله اليه ليذاكره ، ولكنه بكل أسف ، كان اذناولسانا ، فكل ماسمعه فسرعان مايفشيه اقبح افشاء بلسانه الى الاستاذ ابن مسعود ، وان لم يسمع شيئا افترى حتى كان سببا من الاسباب الحاملة للاستاذ على كتب تلك الرسالة المتقدمة، وقد كان صاحب الترجمة ربما يلم بقرض أبيات يمتحن بها فكرته ، وشيخنا سيدى سعيد الواسع العطن يحرضه على كل شيء ، ولكن هذا السيد التيزنيتي سامحه الله يقول للاستاذ : انه أعرض عن كل شيء واشتغل بقرض الشعر ،ولذلك نهاه عنه نهيا خاصا ، وقال له في الرسالة انه لايشتغل بذلك الا اهل البطالة، وهي كلمة حق لمن نظر بنظرة الاستاذ ، هذا مضمن مافي الرسالة على مااستحضر

ثم قال له في ءاخرها ، ان سمعت ان بني فلان اجتمعوا على امر جامع وارسلوا

اليك فلا تصلهم ، وقد كنت طلبت من الاخ يوم اراني هذه الرسالة ان انسخها ولكنه ءاثر صيانتها ، فاستحييت ان الح عليه ، والحامل له على صيانتها ان الاستاذ اوصاه في ءاخرها ان لايريها احدا ، ومقصود الاستاذ فيما أظن ان لايراها أحد اذذاك ، ليكون ذلك ادعى للاخلاص ، واما الآن وقد دخلت في ضمن التاريخ ، فينبغي ان تنسخ وتشهر ، لئلا تدور بها ءافة من الآفات، وما اكثر ءافات هذا العصر في أمثالها • ويوجد نظيرتها في ترجمة الوالدة رقية في (القسم الثاني)

كان سيدي سعيد رحمه الله وصاحب الترجمة يجتهدان في سنة ١٣٢٩هـ وفي اوائل التي بعدها في المطالعة وفي الانشاء ، وفي تحسين الخط ، حتى كان في هذه الثلاثة فريدا ، وان كان لسانه في التلاوة لايزال يعثر احيانا الى الآن، وقد قال سيدي سعيد مازلت اعيره بالخط حتى كان خطه احسن من خطي ، وبنقص في الترسل حتى أصبح بيني وبينه مابين الثرى والثريا ، وهذا من تواضعه ، والافالخط السعيدي لايزال فريدا ، وان كان خط صاحب الترجمة أيضا غاية ، على ان متجه خطيهما مختلف ، وأما المطالعة فقد دفعه ما الفه اذذاك الى أنه الى الآن لايرى كتابا من الكتب الا طالعه من اوله الى ءاخره ، ولكن هذا مقصور على كتب التواريخ ومااليها ، ثم لما اتصل اليوم بالكتب العصرية الجديدة وجد منها طلبته التي كان يتطلبها وينشدها ، فثابر عليها حتى كان منه ماستراه فيما ياتي ان شاء الله •

عند ءال ماء العينين

ماكادت السنة الثلاثون من هذا القرن تمر فيها شهور ، حتى تم للشيخ أحمد الهيبة ماكان يبتغيه ويتطاول اليه منذ زمان، وفي جمادى الاولى منها ائتمر بعض الناس بتيزنيت ، وفيهم بعض رؤساء القبائل ، فانجلت الجلسة على تقديم المذكور، وفي جمادى الثانية ، جاء طلبة من هشتوكة والجبال فاحكموا تلك العقدة وتم الامر ، وتسابق المتأخرون لئلا يخرجوا عن ربقة الاجماع ، فحضر هناك صاحب الترجمة برسالة خاصة من الهيبة ، وقد حفزته مكانته بين الناس على الحضور اثر ماتم ذلك ، وقد كان الشيخ الوالد زار الشيخ ماء العينين ،وولده الشيخ أحمد الهيبة بكل طائفته عام ١٣٢٨هـ ، كمايوجد ذلك في ترجمته ،فكان ذلك أول تعارف، وكذلك لماجاء اليوم بين الناس ، سمع من فم الشيخ أحمد الهيبة ثناء عطرا ، وحضه على ان يكون من السابقين الاولين في هذا الامر ، فكان الامر كذلك، وكل من كان فيه اذذاك حبة من الايمان فانه يجب عليه اذذاك ان يبادر لمثل ذلك •

خرج الشيخ احمد الهيبة من (تيزنيت) في شعبان ، ومعه كل من له مكانة بين السوسيين ، الابعض اناس قليلين ، فكان صاحب الترجمة وكل الفقراء المتجردين الذين بالزاوية في ضمن الجيش ، وهم بالعدد الذي ذكرناه

فدفع لهم الامير الجديد قسطاطا كبيرا ، وءاخرصغيرا، وكان الشيخ سيدىسعيد بينهم ، والفقراء كلهم تابعون لاخينا ، فتقوى بذلك جنب الامير الجديد ، وهو يهتبل بالاخ في المجامع ، وخصوصا حين وصلوا (امسكروض) وقد سمع الناس أن خليفة للقائد عبد الملك المتوكى متوجه الى قبيلة (اداوزيكى) ليدافع عنها الامير ، فتخابر اخونا معاداوزيكى ، وكانوا كلهم منَاتباع الشيخ الوالد انضوى غالبهم تحت طريقته ، فجاءوا بأمره ، ففتحالباب للجيش اذذاك الى الحوز ، فعرفله الاميرذلك، خصوصا حينيرى منه العزوف وعدم تطلب اىشيء منه، لانكلمن كان في معسكره يتطلب منه كل شيء فيذهب به، والاخ ومن معه لايتطلبون منه أدنىشيء ، وقد حكى الاخأنهكان مرة فىقبة في المعسكر اذا بالفقيه الشهير سيدى الحاج عابد دخل عليه ، فوجدهم يشربون الاتاى، قال فكانت جلسته كلها كرامات ومنامات ومثل ذلك مماشتهربه هذا السيدالفاضل ثم انهماحتلوا مراكش، فنزل الاخ اولافى الزاوية بباب دكالة ، ثمأنالتيزنيتيين نزلوا في (الباهية) وفيها اتساع كبير، فاذنوا للاخ والفقراء فجاءوا الى جناح منها ، وكان الاخ يذكر اخلاق الاعراب بعدما دخلوا مراكش ، قال قد تنمروا وليسوا على مانعتاد منهم، وقد استداروا بالامير وحدهم استدارة الخاتم فمتى جاءأىانسان ليفاوضه فى سر فضلا عماكان جهرا ، فانهم لابد مشاركون فى السر ، كأنهم قلبوا ظهر المجن لكل السوسيين ، لكنان جاء اعرابى جديد منالصحراء فانهيتلقى بكلتا اليدين فى الحين ، وقد حكى لىهو وانسان ءاخر ممنمعه اذذاك ، ان اعرابيا طرق التيزنيتيين فى الباهية جائعا عريان،فاطعموه وستروا سوأته ، وفى اليوم التالى جاءفىحلة جديدة وأنفه فى السماء ، يقول لهم انكم أمس اكرمتمونى ، وأنا اليوم بلغت مرتبة اقضي بهاكل حاجكم، فافضوا الى بما تريدون ، فغاظهم ذلك وقالوا عجبا ، انكون بهذه المثابة ؟ ولولانا ماتم لهذا الانسان أمر ، ونحن نذهب اليه اليوم فلانلقاه ، فيجيء مثل هذا فينال فى لحظة مرتبة عليا، قال الحاكى : فكان ذلك سبب انخرجغالبهم منمراكش قبل يومالهزيمة، نكتب هذا للتاريخ ليدرك الباحث احد اسباب الانهيار السريع لدولة تلك الايام ، وان كنا نبرىء ءال الشيخ ماءالعينين أنفسهم من التحيز رضى الله عنهم .

ثم فى الليلة التى غادر الامير فى صبيحتها مراكش ارسلالى صاحبالترجمة وأمره أنيبكر بعد السحور ـ وكانالشهر رمضان ـ فذهب معبعض أناس ، فوقفوا فى المشور ، فاذا بالرئيس سيدى محمد بن عبد الرحمان الكسيمى رئيس قبيلة كسيمة ، وكان ممن اخلصوا للشيخ الوالد، وقدجمع كل متاعه، وأتىبه علىالبغال مع أصحابه ، وقد تسرب اليهم الخبر، وعرفوا ان الامير سينجو براس طمرة ولجام ، فحين ابصر بالاخ أمر أصحابه فاستداروا حوله بخيلهم ، ثمقالله الم تات بالمتاع ؟ فقال له انىلاخبر عندى باى شيء فافضى

اليه بماكان ، ثم قال له اننا لانفارقك ولاتفارقنا ، فارسل الاخ رفيقه سيدى محمد بن أحمد الطحاني التيزنيتي ، ومضى على رمكة فجرى الى (الباهية) فامر بجمع المتاع بسرعة ، وتناول هو صندوقا فيه الدراهم ، فطار به الى الاخ،فماج الفقراء ، وهم اذذاك فيأذكارهم بعد الصبح ، وكان هناك فقير جرب الامـور وكان يحضر في الجيوش المخزنية ، فاولمابدأبه من المتاع جمع الدقيقوالادام وكل مايوكل ، فحملذلكعلى البغال ، ثمترك ماسوى ذلك للفقراء ، فتناول كل واحدفييده شيئا ، اوجعله على رأسه، ولكن غالبهم لما قاربوا القصبة ، وقـد بدأ الهرج في الازقة ، وخيول المتوكيين والكلاويين تجوبها جاريـة بالاقبال والادبار، القوا ذلككله ، فنجوا بانفسهم ، وقد تفرقوا شذر مذر ، فكانذلك اليوم يوم شئوم علىهذه الطائفة المهذبة التي يانس بعضها ببعض ، فقدانفرط في ذلك اليوم سلكها ، ثم لم يعد الى مثل ذلكالالتئام ، فهذا ماربحه الاخ وزاويته وفقراؤها مندولة هذا الاميرالجديد ، ولكن اذا أراد الله أمرا هيأأسبابه ، ومتى كانت النية حسنة فان التضحية في سبيل الله تطيب لها النفوس ٠

أخبر الاخ انهم وقفوا هناك بالمشور، ثم صلوا الصبح فيه جماعة،والناس يموجبعضهم فيبعض ، ثم خرج الامير فتوجهوا الى متجه الجبل ، ولم ينلهـم ماقاساه من تأخروا عنهم بعدذلك ، ثملم ينزلوا تلك الليلة حتى تسلقواالجبل، وانقطع عنهم الطلب ، فنزل الامير تحت شجرة يراه كل أحد ، وكذلك عياله، ولميحملوا معهم من الطعام شيئا ، فلاقاهم منذلك جهد جاهد ، وأما الاخ ومن معه، فقد كان معهم من الزاد ماقطعوا به وادى نفيس بسلامة ، وقد فتح القائد الطيب الكنتافي الطريق للمنهزمين واباح لهم انياكلوا منثمار الاشجار ،ولم يمس هناك أحد منالمارين بسوء ، فكانت حسنة من حسناته رحمه الله، على حين انالذين مروا في (فروكة) قد امتدت اليهم الايدى نهبا وسلبا وقتلا ،فبرهن الكنتافي بذلك عن دخيلة نفسه، وهل يعبر عن دخائل النفوس سوى أمثال هذه الوقائع ؟ ولوكان رجل سوء لامكن له ان يتقبض على الامير وان يسلمـه للحكومة ، فينال بذلك مقاما جليلا يحسده عليه أقرانه من الحاج التهامـــى والقائد عبد الملك المتوكي ٠ ولكن حاشا الحاج الطيب المسلم ان يجترح ذلك ولم يكنيواخذ الا بتغريم من تحت يده

حل الاخ بـ (تارودانت) بسلامة وعافية ، ثماقتضت المصلحة للامير في الاخ ان يرسله الى قبيلة (اداوزيكى) لئلا تمتد اليها يد القائد المتوكي ، فيوتى سوس منتلك الطريق ، وكان الامير ءامن من طريق (تاكونتافت) ولكنه لم يلبث أن جاءه الحاج التهامي الكلاوى من هذه الطريق نفسها ، فتقوى به جانب القائد حيدة بنمايس المنابهى الذى يجاذبه اذذاك حبال ذلك الوادى ، فلم يطل يـوم ١٧ـ٦ـ١٣٣١ هـ حتى غادر الامير (تارودانت) ايضا ، فطار الخبر بذلك الى الاخ في (اداوزيكى) فسرى ليلا فاصبحفي كسيمة فطلع في طريقه الى البلد،

وقدعرف منحال هذا الامير وأهله ماعرف ، وأدرك انه غيور على الاسلام ، لكنهليس في مسلاخ السياسي الذى يتطلبه الوقت ، ويقول انالشيخ احمدرجل محمود خلقا ومباشة ، لاينهر احدا ، ولايعرف لسانه لا ، ولكنه قلما تتمالحاجة على يده الامادمت واقفا عليه، واذنه مفتوحة لكل كلام ، فكل منقال عنده فانه عندهمصدق، وهكذا كان كلءال الشيخ ماء العينين دينا ومروءة وسلامة طوية ، وقد حدث يوما بهذه الحكاية المضحكة ، قال حدث فلان من شيوخ هشتوكة أن انسانا قتل ءاخر فخاف على نفسه ، وأراد تبرئة من الشيخ الوالى أخي الشيخ أحمد الهيبة ، وهو عامل هشتوكة لاخيه ، فاتى القاتل الى هذا الشيخ باربعين ريالا ليذهب بها الى الشيخ الوالى بسبب مافرط منه منالفتك ليبرئه ، فتناول الشيخ الهشتوكي تلك الدراهم فوضعها في صندوقه ، وبكر الى ضيعته فحمل منها بطيختين كبيرتين ، واصبح على الشيخ الوالى فقدم اليه البطيختين ، ثمقال لهانني ياسيدى محترمبعطفكم ، ملتجىء الىظلكم ، فقد أبى الله الان تظهر كراماتكم لكل أحد ، فقال له ماذاك ؟ فقال له انرجلين جاءا معافدخلا في معسكرك هذا ، فسرقا منه ، ولكنهما لماأراد أن يخرجا بالسرقة وجداسورا من الحديد مستديرا بالمكان فحطا السرقة ، فانكشف السور ، ثم أعادا حمل السرقة فعاد السور ، ثم فعلا ذلك مرارا ، حتىاذاعرفا وتيقنا الامر، وادركا ان ذلك من الكرامات التي لاريب فيها ، حطا السرقة فخرجا ، ولكن مع ذلكأدركتهما مصيبة من أجل ماكانا هما به من السرقة فيهذا المعسكر السعيد فثارت بينهما خصومة فقتل احدهما الآخر ، فصاح الشيخ الوالى بزمرة من الاعراب ووجهه يقطر بشاشة وبهجة ، فقال لهم تعالوا تعالوا تسمعوا بركة شيخنا وشيخكم الشيخماء العينين لتدركوا أنه لايزال حيا بكراماته، فطلب من الهشتوكي ان يعيد القصة فاعادها ، والآخرون يحملقون عجبا ، فتصايحوا بآخرين ، فأمرهثانيا ان يعيد القصة فأعادها ، فما زال يقص حكايته على جماعات اثر جماعات ، حتى اهتز المعسكر بها، ثمانحنى على ذيل الشيخالوالى يتمسحبه ، ثم تطلب منهانيكتب براءة لذلك المسكين القاتل الذى شاهد بعينيه هذه الكرامة ، فان فرائصه لاتزال في ارتجاف، خوف أن يقعله من المصيبة مثل ماوقع لصاحبه ، وهو ياسيدى يعاهدكم الله على الولاء ماحيي ، وقدجاء ليتلقن طريق الشيخ على يدك الآن ، فنادى الشيخ الوالى كاتبه ، فأمره بكتب البراءة للقاتل بأنه ءامن من كل شيء ، فهكذا تسوت القضية ببطيختين، وباكذوبة لفقت تلفيقا عجيبا • والحكاية تدل على تشيطن السوسيين اكثرمما تدل على سذاجة الصحراويين •

وهي حكاية صحيحة واقعة بلاريب ، وبها تعرف ماتلهج به حاشية الامير الجديد ، وما يطمعون به من الانتصار ، وتعرف أيضا انهم اشتهروا بذلك ، حتى علمه امثال هذا الهشتوكي الذى يعرف كيفيضرب على الوتر الحساس ،

وللتاريخ فقط نسجل ليدرك الباحثون حسن نية ءال الشيخ ماء العينين وسلامة طواياهم ، وأنهم صالحون ذاكرون ، لاسياسيون ماكرون ·

حل الشيخ أحمد الهيبة فى (كردوس) نحو عام ١٣٣٤هـ ، بعدما كان فـي (أسرسيف) بهشتوكة وفى أيت وادريم ، فكان الاخ يصله فينة بعد فـينـة، ولكنه كادت تقع فتنة غير محمودة بين مرابطينا بسبب عدم تنظيم الامير لاموره فقدكان كتب للاخ فى هذا العام ١٣٣٤هـ بانه نفذ لهاعشار المرابطين ، وكتب بمثل ذلك أيضا للاستاذ سيدى على بن عبدالله الذى الف اخـذ الاعشار باذن الحكومة فى عهد الكيلولى ، فوقع سوء التفاهم بينهما بسبب ان كل واحد منهما لايعرف ان عند صاحبه مثل ماعنده من امر الامير ، ولكن الله مع ذلك سلـم المرابطين من الفتنة ولعل ذلك بحسن نية الامير ·

الاخ يقتـرن

رجع من اداوزيكي كماذكرنا وهو اذذاك لايزال عزبا ، فاختيرت له كريمة الرئيس احمدبن الحاج ابراهيم الايغشاني، وهى بنت بنت عمتنا ، واسمها رقية، وكانت من فضليات النساء ، وارقهن قلبا ، وكنت أنا ممن نال من رقتها ظلا وريفا رحمة الله عليها من غير أن أعرف لها وجها ، لانني كنت أجانب المنزل الذى تكون فيه، فقد كانت ترسل الى دائما ماتدخل به السرور عـلى قلبـي الصغير ، متى جئت للبلد ، وقدكنت اذذاك طالبا بالمدرسة التانكرتية ، وكان لها فى ظن جميل ، فكانت تنفحنى بالدراهم والكسى والبسيس وهو خير مايستطرف فى بلادنا ، وهى فى كل ذلك تطلب منى الدعاء ، ثم انها لـم تبطىء اذ استاثر الله بها فى عام ١٣٣٧هـ ، بعد ان ولدت ولدها عليا هذا الذى بلغ اليوم وتبـة فى الجندية وولادته فى عام ١٣٣٦هـ رحمها الله ، وان كانت لمن النساء الهينات الصابرات ، فهذه هى التى اقترن بها الاخ أولا ، وكانت له من خير النساء ،ثم خلفتها عنده اختها عائشة · ثم السيدة فاطمة التزنيتية ١٣٥٣هـ

الاخ والقبائل الجزولية قبل الاحتلال النهائي

كانت السنوات التى تمتد من ١٣٣١هـ الى ١٣٥٢هـ فى هذه النواحى سنوات كفاح ودفاع بين المجاهدين والمحتلين ، ومتى انقضت الحرب ترجع القبائل فيما بينها الى المهاوش والنهابر (١) ، فقد كان ذلك كله من حين احتل ابن دحان تيزنيت عام ١٣٣١هـ ، ثم امتد يد القائد حيدة بن مايس الى ازاغار عام ١٣٣٣هـ فانه جاء الى (وجان) فحورب فيه من بعد ان كان فى الاخصاص ، فلاقاه هناك مبارك

١) المهاوش مايصاب من غير حل ولايدرى ماوجهه ، والنهابر المهالـك، قالوا (كل مال دخل من مهاوش ذهب فى نهابر)

أبوالطعام الرخاوي فصالحه ، وكانت الجيوش القبلية اذذاك تقاوم ، والعلماء وأرباب الزوايا ، وان كانوا لايجدون فتيلا ، يحضرون هناك ولابد ، فحضر الاخ في محاصرات لتيزنيت وفي وجان حيث حارب بنفسه ، وبندقيته الرباعية في يده ، ثم في مقاومة القائد حيدة ، حين قتل في ١٣ ربيع الاول عام ١٣٣٥هـ، وكذلك فيمقاومة الجيش الجنرالي (١) الكبير الزاحف في جمادى الاولى منهذا العام ، فقد سقط هناك تحته فرس جيد وحفظه الله ، وقد جرح اذذاك اثنان منأصحابه ، كذلك أيضا يحضر في المجامع التي تقع اذذاك ، ولكن بعد ١٣٣٦هـ شاهد ان الجو لايزداد الاعتكارا في الاختلافات القبلية ، وأنه انتمادى على الدخول في تلك الاختلافات فانما يخسر تراثه العظيم الذي كان في يده، وقد طار كثيرمنه ، والواجب المحافظة على الباقي ، فصار يحضر ويغيب ويرشحالاخ احمد لينوب عنه .

وذلك انمجده الذي عرف به ، وورثه عن الوالد ، هو ارشاد العباد ، والاخذ برسن اصحاب والده بما أمكن ، لتعمر زواياهم ، وينتظم جمعهم ، وقد خسر غالب ذلك حين اضطر لاتباع رؤساء القبائل المتشاكسين فيما بينهم، فخالف بذلك طريقة الوالد الذيكان دائما يبتعد عنمثل هذه الاوساط ، ولا يقربها الا ليؤدي ماعليه فيها من الارشاد والنصيحة ، وقد مرذلك في ترجمته ولهذا كله ادرك الاخ ان استمراره في هذه الطريقة ربما يفضي الى مالاتحمد عقباه ، فتسد زوايا اصحاب والده هناوهناك، وفيذلك مافيه منخسر لايمكن اى ربح من ورائه ، وقد رأى ذلك كله بعينه النافذة التي تنظر من بعيدبتوفيق الله .

هذا وقدبدا منا نحن اخوته اذذاك انتشار في البلاد ، وظهور وعقلية اخرى فلميامن ان يصيب احدنا انغاب عن الدار مكروه ، فبهذا كله وامثاله انقبض عنمجامع القبائل منعام ١٣٣٧ هـ ، وقلما يرى فيها بعد ، وكان الاخ أحمد الذي ينوب عنههناك يخب ويضع منعند نفسه ، وقد رزق مالم يرزقه صاحب الترجمة من المرونة في ذلك ، بين المكافحين المنافحين عنتلك الناحية في نحر الاستعمار .

وفي عام ١٣٣٩هـ أعمل ركابه الى نحو السويرة والحمراء ، فجال على بعض فقراء والده ، فوجد ان العرى قد انحلت كثيرا ، وانماكان انشب فيه نفسه من الاعراض عن طريق القوم مضطرا وعن حسن قصد، وصفاء نية ، قدكر عليه بالخسران الذي لايعوض ، وكان قبل هذا العام قدساح أيضا الى زوايا القبلة حتى وصل الى (ألوكوم) هو وجل الفقراء الذين كانوا لايزالونمتوفرين وفيهم شيخنا سيديسعيد التناني وسيدى احمد الفقيه ، فكانت لها منافع ،

---

١) نسبة الى الجنرال لان قائده الاكبر اذذاك جنرال فرنسييسمىلاموط

ولكن الاهوال التى مرت قبل هذا الحين اوتلاحقت بعد ، اظهرت انالحال قد تبدل ، وأن ماكان تيسر للوالد فيعصره ، لايتيسر فيهذا العصر ، فكان صاحب الترجمة الذى حفظه الله مندعوى ابناء المشايخ الذين يتربعون فـي منصات والديهم بالكذب والبهتان ، قد شاهد بفكرته ذلك كله وأمعـن فيـه النظر، فأمسك رجله ، فماشي الزمن كيفما تحول ، وقد رأى ان الواجب عليه انيكون ظلة تقى اهله الهواجر ، فاقبل على اصلاح ذات يده ، فاسعده الحظ ، فماترك تجارة ولافلاحة ولاتاثيل املاك ، ولا الانعام الثاغية والراغية ، الاجال فيهـــا جولات ، فدر ذلك عليه اموالا هى فى وسطنا ثروة كبيرة ، وقد ثارت بينه وبين أناس من جيرانه أمور خرج منها كل جانب منه ومنهم محفوظ الكرامة ، وقد حفظ الله الغ من عقابيلها، والحمد لله ، وكان صلب الارادة ، قوى العزيمـة، لايعرف الا الوقوف حيث يطيب له، وناهيك بان بعض المجاطيين الوقحيين الذين ترتعد منهم فرائص المرابطين ، يقف أمامهم وجها لوجه ولايحنى لهم هامة، وذلك منعدم تخطيه لمايراه حقا ، وهو دائما مدافع لامهاجم ، ومنكان كذلك يكوناللهدائما فيعونه، ثملما استقام أمره خيراستقامة ، وثبت مركزه وعظمتعليه نعمة اللهتعالى ، حام حول نعمته منحسد الحساد مالايعدمه أمثاله، ثملميزل كذلك يعظم حتى صار يذكر فى مجامع القبائل بانه مضاد لها، ومتجه لغيروجهتها ، وماسببذلك الاماجرته تلك الحادثة ، فكانالقائد المدنى ومن لف لفهيذكره بسوء لمايراه من مناواة الاخ احمدلكل مايهمبه مماذكرناه فيترجمة الاخ المذكور، هذا والمترجم معكلذلك رابض فى ساحل الامواج ، فلا تكادموجة تتهيأنحوه حتى تتكسر مياهها ، فتتراجع ساكنة هامدة ، بعدما حملت زاخرة صاخبة ، وذلكمنأجل فريق كبير من مجاط وأيت بعمران ، ينظرون الىمقامه نظرات الاجلال ، فكانوا يفلون سيوف القائد المدنى وأصحابه ومن اليهم ، التى ترهف دائما لجهته ، فيفلون الحديد بالحديد ، ويبقى صاحب الترجمة منبعيد سالما ، لميعمل فيذلك لسانا ولايدا وذلك كله منعناية الله تعالى ، وهـذه الحملات ابتدأت منذ جلس مربيه ربه فيمكان أخيه المرحوم الشيخ أحـمـد الهيبة ، فمازالت تتوالى حتى وقعت هذه الواقعة الآتية

بينما كان صرير طيارة يسمع ذات يوم فى جوالغ ، اذا بها تسف الىالارض فتنزل فى ذلك البسيط ازاء (تاوريرت اوساياك) فشاهد نزولها المرابطـون والوفقاويون والايغشانيون ،فتجارى الناس اليها ، فاسرع صاحب الترجمة على رمكة له وقدتقلد بندقيته ، فوصل مكان الطائرة ، فاشار الى مـن هناك ، فافرجوا عنها، فاشار الىمن فيها بأن لاباس ، وان لايخافوا ، فوقـف دونهم حتى أصلحوا ماكان مختلا من ءالات الطائرة فطارت منغير انيمسها من حضروا معأنهم يحرقون علىمافيها الارم ، لولاهذا الذى يعرف انها اذا مسها أدنى شيء فان سربامن الطائرات سيبكر الىالغبقنابره من الغد،ثملايبقىفيها لاعيناولاأثرا

وغنيمة صغيرة تؤدى الى اضرار جسيمة ليست ممايفرح بهالعقلاء ، وقد جاء الرئيس احمد الايغشانى فى الحين بعد تحليق الطائرة ، فجزاه خيرا ، وقال له لولاانت لتسبب هؤلاء الرعاع فى اهلاكنا جميعا من حيث لايشعرون •

هذه هى الواقعة ، وهىمعقولة كما تراها، لايرتكب فيها خلاف ماارتكبه صاحب الترجمة الاحد رجلين ، منكان احمق اهوج لايدرى مايصنع،فيحسب أن فى مسها نكاية ، ثم تصب النكاية الحقيقية على رأسه ، ثم لاتتغير أرض ولاسماء ، اومن عرف مايقدم عليه وأدرك أنها مغامرة يتبجبح فيها جالبا عليه قضاء الله ماكان جالبا، ثملاعليه بعدذلك انسلم اوكان من الهالكين ، وصاحب الترجمة ليس احدا من هذين، فهورجل تؤدة وتعقل وتبصر فى العواقب ، فلذلك جاءت علىيده نعمة شكره عليها العارفون ، كصهره الرئيس احمد بن ابراهيمالايغشانى ، رئيس الغ وصاحب الكلمة النافذة فيه اذذاك •

انتشر خبر الواقعة ، فقام القائد المدنى ومن معه وقعدوا ، فقال الم نقل لكممرارا انهذا الانسان ليس منا، يقول ذلك فى مجمع ، والسامعون يصيحون، ولكن عقولهم تحدثهمبأن هذا الرجل ، انما تتحلب شفاهه على درهم يأخذوراء اولئك الذين فى الطائرة ، ثم لاعليه انتهدمت ديار مساكن الغ اوبقيت ، مع انه يتصل دائما بالحكومة بواسطة (على نبوهوش) وياخذمنها ماياخذ كلما قضى لها وطرا • هذا ما يقال ، وانكان الثابت عن المدنى انه نفور من رجال الاحتلال عمره ، فلم يتصل بهم قط

بهذا عرف قائد تيزنيت صاحب الترجمة ، وارسلت اليه رسالة شكر خاصة علىماقامبه، فأجابها بانذلك من الواجبات عليه ، حفظا للنفوس واحتياطا لما عسى أنيجره مس الطائرة ومنفيها بشىء ، فهكذا عرفه منفى تيزنيت بادىء ذىبدء بمد يدهماليه، لابمده هو يده اليهم •

جاءت قضية السكر الذى احتكرت الحكومة بيعه عن هذه الجبال ، الامن مكنتهمنه، فيتوصل بهمنها بقدر محدود ، فيبيعه على يده ، فكانت الواقعة المتقدمة سببا حتى توصل الاخ احمد بنصيب منالسكر ، والناس اذذاك يتسابقون اليه ، حتى ان الذين لم يجدوا اليه سبيلا انما يتمثللسان حالهم فى انكارهم لذلك بما قاله الشاعر

أيها العائب سلمى أنت عندى كثعالة
رام عنقودا فلما ان رأى العنقود طاله
قال هذا حامض لما رأى ان لا ينالـه

فكان صاحب الترجمة ممن يتوصلون بالسكر تبعا للاخ احمد فيبيعانه على ايديهما ، وذلك لايعدو التجارة ، فيربح المترجم من تجارته فى هذاالسكر ربحا حسنا ، ونصب فى سوق الخميس ميزانا كبيرالذلك ، فلماراى من ينافسونه نجاحه ، تآكلت قلوبهم حسدا ، وصاروا يذمون هذه التجارة ،

فتمشت المسارة بذلك بين الذين يتقطعون لهنا على ماتيسر له، على حين انهم محرومون منه ، فاوعزوا الى الوفقاويين أن يمنعوا تلك التجارة من سوقهم ، فجاء من ذلك لصاحب الترجمة ماهو خير ، فنصب الميزان فى وسط داره ، فعادت أفنية الدار سوقا دائمة مدة الاسبوع ، لايوما واحدا فى الاسبوع ، حتى تضررت سوق الخميس بذلك ، فأرغم الوفقاويون على تغيير موقفهم ،وقد نادى أيضا البعقيليون ان الدرقاوى وقوافله السكرية لاتمر بعد فى أرضنا، فقام المجاطيون يفتحون للقوافل الباب ، فكانت أرض مجاط الواسعة الفجاج، ماعوض الله به تلك الشعاب البعقيلية التى كلهاعقاب الى عقاب ، لايسلكها مختارا الامن كتب عليه فى هذه الدار العقاب ، وقد جاء الاخ أحمد مرة من تيزنيت وقد تلقى أيضا من هذه السلعة ، فكارى عليها قافلة مرت من ارض مجاط ، فسلك هوليلاارض البعقيليين ، فلما وصل اخبر بان كمينا كان يكمن له فى الطريق ، ولكن الله نجاه بسلوكه فى تلك الليلة ترهة غير مطروقة كثيرا، هذا ماحكى لى عن قضية السكر ، كتبته كما سمعته •

ذلك بعض ماقاساه صاحب الترجمة من بعض رؤساء القبائل الذين لاتهمهم المصلحة العامة فى شىء ، وكانوا جاهلين غفلا عميا صما ، لايعرفون من احوال العالم مايعرفه غيرهم ولالهم تمييز يعرفون به مايفعلون اومايدعون ، والمترجم يعذرهم بجهلهم المتكاثف ولكنهم لايعذرونه فيصبون عليه جامات التانيب واللوم والتقريع والتعنيف ، فلم يزل يماشى الحالة حتى جاء ماجاء مماهو متوقع من أزمان ، وكل من عرف اختلاف فرنسة واسبانية حول نقطة فى تلك الناحية ، ثم عرف كيف عقلية رؤساء بعض القبائل اذذاك من كونهم لايحرصون الاعلى ان يجروا النار الى قرصهم وحدهم ، فانه يدرك الواقع قبل ان يقع ، وقد كان المترجم فى طليعة هؤلاء العارفين بما استفاده من مطالعة الكتب العصرية والجرائد والمجلات ، وتفهم حالة العصر وسياسته •

بعد الاحتلال

قضى الامر ، ووقع ماكان يتوقعه من يسمون أنفسهم العقلاء منذ عشرين سنة، وكان عندهم تاخره من خرق العادة ، وهذا هو مقياس العقل والنوك ، ولكن أبى الجهل والنوك الا ان يسودا فى المغفلين الذين تخطوا كل ماأمرهم به الدين من الاستقامة فى هذه القرون الحاضرة ، ومن الاستعداد بالعلم الصحيح ، والفكر المتزن، وبالعدد الحربية التى تفلح الحديد بالحديد ، فليت شعرى كيف يتصور ان تمتنع شرذمة قليلة جاهلة متشاكسة فيمابينها دائما ، لم تعرف من سنن الكون ولامن مخترعات العصر ، ولامن سياسته شيئا ، بل لم تسمع قط باثارة من ذلك ، بل لاتصدق به ولو سمعته ، هذا مايقوله هؤلاء العقلاء ، واما أنا فأقول ان أهل تلك الجهة مع كل هذا يجب ان يعرف لهم

التاريخ تلك المقاومة المتسلسلة طوال اثنتين وعشرين سنة ، من ١٣٣١ هالى مختتم ١٣٥٢ ه وهم وان لم يتسلحوا بالتسلح العصرى ، فقد تسلحوا بغيرة استمدوها من التقاليد ، أفيقبل أدنى مسلم ـ وانلميكن اسلامه الاصوريا ـ أنيخضع عن طواعية لاجنبى يتحكم فيه ، كلا ، فانذلك خصوصا منأهل ذلك الجيل هوالموت الزؤام بعينه ، وهذاهو احد الاسباب التىتاخرتبها تلكالناحية ثم لم تحتلها الجيوش الحكومية الا بعد ان احتلت كل القمم فى الاطلسالكبير، فليحفظ التاريخ ، وليسجل ان ءاخر معقل سقط أمام الاحتلال هو معـقـل الاطلس الصغير بسوس ، ثملميسقط الا بعد ان طوقته الجيوش من جميـــع النواحى تطويقا تاما ، ثم دهمته وتخللت شعابه ، حيث تستسلم كل قبيلة على حدة، وتحط امام قائد الحملة السلاح الذى يتقلده كل واحد ، من البندقية الى الخنجر ، وذلك كله منغير محاربة مجدية فى ذلك الوقت الذى طوق فيهالجميع

تقدم الالغيون مع صاحب الترجمة وصهره الرئيس احمد الايغشانى الى جيش نزل فى (امونوز) ، فى ذى القعدة عام ١٣٥٢هـ ، وهو فرقة زحفت مـن مركز (ايغرم) فيها جند حكومى وقواد من راس الوادى القائد محمد بـــن ابراهيم التيبيوتى وأمثاله ، فتلقوا هناك من رئيس الجيش ، وانتفعالالغيون بماكان منصيانة تلك الطائرة ، فلوحظوا ملاحظة خاصة ، فحين طلب الاخ أحمد ان لاينضم المرابطون الى غيرهم منمجاطة اوسواهم ، اجيب الى ذلـــك فأصبح المرابطون السعيديون قبيلة على حدة ، بعدأن كانوا تحت ءاباط غيرهم، الذين يلاقون منهم قبل الاحتلال ما يلاقون •

وقع اثر ذلك هرج فى الغ اثاره فيها القائد مبارك الذى قيل له انترئيس مجاطة كلها ، فتذكر قيادته أمام الحاحيين ، وتلك الاتاوات الباهظة، فحسب انهذه أختتلك ، فأرسل اعوانه يجبون الاتاوات المستعجلة من المرابطين ، والحكومة لاتزال فى أسابيعها الاولى ، تنظم المراكز ، وتهيئها بين القبائـل ، فقاوم الاخ دفاعا عن المرابطين المستضعفين اعوان القائد مبارك ، وهم معولده وبعض اصحابه ، فبعد حقبة صغيرة تنظمت المراكز ، ولميتم ذو الحجة حتى دفعت القبائل السلاح ، وتعين النظام ، وقدكان ذلك الجيش الذى ذكرناهمر بالغ مغربا الى سوق الجمعة بسملالة ، فالتقى هناك بئاخر طلع من (كردوس) فنزل الجميع فى وادى سملالة ، ثمتوجه غالبه او كله الى أيت صواب ورسموكة، فتم الاحتلال والقى بجرانه ، وانتهى كلشىء ، فاعلنت الحكومة الامان للارواح والنفوس ، فلم تواخذ أحدا بشىء مما اجترحه قبل ، ومنلم يجرم من جديد فلايخاف سوءا يحيقبه ، وهذه حقيقة لابد من الاشادة بها • والحق يـقـال ولو فى العدو •

المترجم رئيس لاخوانه المرابطين

حكى لى الاخ احمد قال كنت ارشح نفسي لرئاسة اخواننا المرابطين،وما كنت أحسب أنها تتخطاني ، وكنت حريصا عليها، الاأن الاقدار حالت بيني وبينها فقدمتها للاخ الذى ماكان يتعالى اليهاولاتهمه ، ولااتخذ لها سببا ، قال فقد وقفنا أمام قائد الحملة الذى نزل في (تافراوت) ثم تعين مراقبا فيها ، فسأل عن الاخ وقال له انك اكبر أهل بيتكم ، وأنك أحق من يتحمل المسئولية ، فلا تهرب منها ، قال ثم التفت الى وقال انك ستنوب عن أخيك وتسانده ، قال الاخ احمد هكذا اعطى الرئاسة من لم يتطلبها ، وحرم منها من يتطلبها ويحرص عليها .

عينت الحكومة الرؤساء للقبائل ، فتعين صاحب الترجمة كما ترى رئيسا لاخوانه المرابطين القليلين جدا ، حتى ان الرياسة عليهم لاتبني مجدا، ولاتعلي شرفا ، وكانوا في أول الامر يحسبونه فظا صارما ، بحسب ماكان يسيء به سمعته من كانوا يناوئونه من بعض جيران الغ وغيرهم ، اذ الناس قبل الاحتلال من عزبز ، ومن غلب سلب ، فكان اذذاك ذائدا عن حماه ، لايطرق جواره احد ، فلابس عقول الجهلة من المرابطين اخوانه من حالته تلك مالابس، ولكن ماكادت تمر أيام ثم شهور ، بعد ان عينته الحكومة ، حتى بهت المرابطون وغيرهم ممن كانوا يجهلون نفسيته ، حين راوا من صبره ونزاهته وتؤدته وملاطفته وكتمانه ومن كل أخلاقه مابهرهم ، فوقفوا يتعجبون ، فلم ينشبوا أن كرروا الحمدلله الذى يسرهم له ويسره لهم ، فلم يدخل أحد منهم سجنا بسببه الخاص ، ولاافتضح احد منهم قط في عرضه ، فمن وقعت منه زلة اغمض له عنها مااستطاع وحثه على اصلاح حاله، ومن رأى منه خروجا عن المحجة وعظه فيما بينه وبينه ، من غير أن يرسله الى المركز لينال مافيه من عقاب ، على خلاف شأن الرؤساء اذذاك ، فهذه أربع سنوات مرت (١) والالسنة لاتزداد الارطوبة بذكره ، وليس هذا من بنات قلم اخ يريد ان يشيد بذكر أخيه ، بل هذا من بنات الحقيقة التى املتها السنتها على قلم المؤرخ الذى يبتعد جهده عن التحيز

أقلوا عليهم لا ابا لابيكم من اللوم اوسدوا المكان الذى سدوا
يعاتبني ابناء سعد عليهم وما قلت الا بالذى علمت سعد

أخبرني كثيرون من غير المرابطين أن المرابطين على اختلاف طبقاتهم قداشتد عجبهم مما وقعوا عليه في المترجم ، فيجيبهم من كانوا معه قبل الاحتلال : اننا كثيرا مانقول لكم انكم لم تعرفوه فتكذبوننا ، فيقول لهم الآخرون : اننا اغتررنا بمانسمعه

١) كتب هذا عام ١٣٥٧ هـ

من فلان وفلان ، من المتقولين عليه ، ثم يتفقون على الدعاء بلعنة الله على الكذابين الافاكين ، والله تعالى يابى الا أن ينصع الحق •

هذا ثناء المرابطين على صاحب الترجمة ، وليت شعرى مافى طوايا الحكومة نحوه ، أخبرنى من اثق به انرئيس مركز (تافراوت) الماضى المسيوبوريوس قد ذكره فقال لم الق هنا فى هذا المركز اثبت ولااعقل ولااثبت جاشا ولا أصلح للرئاسة من فلان ، يعنى صاحب الترجمة ، فان كل خطواته متزنة ، ولسانه لايحوم حول بهتان ، وما جربنا عليه فرية ، ولاتقرب الينا بتجسس عن غيره ، وقد أخبرنى اخر عن هذا الرئيس ايضا بذلك ، حدث به فى جلسة اخرى بمناسبة، فربما كان هذا هو نظر الحكومة الى صاحب الترجمة ، لانه حاول جهده ان يجعل ظاهره كباطنه ، وكثيرا مايقول يجب على الانسان ان لايخرج عن محجة الصدق ، فان الصدق اذا لم ينج به الانسان فلامطمع له فى النجاة بغيره ، وهو لم يصدر منه قط أن تقدمت به شكوى صحيحة ممن هم الى نظره ولاأخذت عليه زلة، ولاحسب عليه دانق توصل به من احد من مرؤوسيه ، وكان ذلك عند الناس كلهم عجبا ، لان رؤساء اخرين فى جواره ، وكانوا قد تعودوا ذلك من قبل ، أمعنوا فى هذه النقائص امعانا ، والحكومة لايخفى عليها شىء من مثل ذلك ، وقد اتاه مرة مرابطى بشىء ليقف معه فى دعوى له ، فاسمعه مالم ينسه مما وصل الى مسامع كثيرين ، فتنكبوا مثل ذلك لئلايقعوا فى مثل ما وقع فيه ذاك الانسان ، ومايسر له كل ذلك الا القناعة التى تعودها ، زيادة على المكسب المشروع ، والا مافى يده من مال لم يزل حريصا على تنميته ، فيستفيد منه ما يغنيه عن مثل هذه المصاصات التى لايتدلى اليها الا الجشعون الادنياء ، ومن استغنى يغنه الله ، ومن استعف يعفه الله ، كما فى الحديث الشريف •

مداركه

رايت نبذة من حياة الاخ ، وابصرت الميدان الذى تركه فيه الوالد ، ولم يزل يترجرج فى اراجيح الاقدار حتى أصبح فى ميدان اخر ، والانسان مصير لامخير وليس معنى هذا أنه طلق ميدان والده ، فانه لايزال معنيا باصحاب والده، ولكنهم اليوم كادوا ينقرضون بالموت ، ومن كانوا لايزالون فى الحياة ، تشتت غالبهم بتصاريف الاقدار ، وتتبع المعاش ، ولايزال بعضهم يتردد الى الزاوية خصوصا فى المواسم ، وهو يقابل كل من يجىء بالوجه الذى يعرفه منذ عام ١٣٢٨ هـ ، وشاهدت أيضا ماذكرنا عن مآخذه ، فرأيت هناك ان المطالعة صارت من أحب الاشياء اليه ، وانه وحيد فى ذلك لافى الغ فقط ، بل فى جميع الاطلس الصغير ، ثم من باب المطالعة هذا نمت مداركه بتدرج ، وتزايدت شيئا فشيئا حتى أصبح مثقفا ثقافة عليا •

بعد ١٣٤٠ هـ ، اتصل بالكتب العصرية الشرقية ، فأقبل عليها كل اقبال،

فدرس بواسطتها حالة العالم اليوم وأمس ، وأدرك فيها علم الجغرافية الذى درسه وحده دراسة تامة، حتى اننى كثيرا مااختار الصمت امامهاذا كان يجول فى احوال الامم اليوم ، لنقص دراستى عن دراسته فيهذا الفن ، وكل من له المام بمنزلة العلوم وفوائدها ، يعلم حق العلم ان فائدة الجغرافية عظيمة جدا، فاذا كان النحو يصلح لسان الانسان ، والمنطق يوجه عقله وجهة متزنة لاخبط فيها، فان الجغرافية تصقل مرءاة العالم بها ، بعلومها المتنوعة المختلفة التى تتركب من التاريخ ، وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد وغيرها، فتكون لهبمنزلة مجهر يضعه على عينه ، فيرى قريبا ماكان يراه غيره بعيدا ، فاذابه اصبح قريبا عنده كأنه فى متناول يده ، وخصوصا اذا الم الانسان مع ذلك بما وصلت اليه الحالة اليوم، ممالايصلح ان يعبر عنه الا بقول أبى تمام

على أنها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

فهذا كله قد حصله الاخ تحصيلا تاما بدرسه وحده ، وزد على ذلك علم التاريخ القديم الاسلامى ، مع الالمام بغير الاسلامى الماما ما، فقد التهم كتباكثيرة فى علم التاريخ الاجنبى ، كما طالع أيضا من تفسير الطانطاوى جوهرى ، وهو أول مندادخله الى تلك الجبال ، فاستوعب من الافكار التى ذكرها فيه ، وعرف تلك النظريات العليا ، التى يوالى الاستاذسردها بمناسبة وبغير مناسبة ، وقد اختلط فيها الغرب بالشرق ، والعصر القديم بالعصر الحديث ، ونهاية افكار الجامدين المتوقفين ، ببداية افكار العصريين المتجرئين ، الذين لايزالونيخبون الى الآن ولما يمكن لقائل أنيقول انهذه نهاية أفكارهم ، كل ذلك مر به الاخ، وهضمته فكرته ، فكان له بكل ذلك ثقافة عالية ممتازة ، نتجت لهاستقلال فكريأبى بهان ينقاد الالمايعرف، ثمجاءت رزانته وتؤدته واكتنامه العجيب الغريب ، فجعل دون ذلك كله حجابا مستورا ، لايبدى منه صاحبه الابمقدار جليسه، ان كان يصلح للخوض معه فىذلك ، والا طوى ذلك طى السجل للكتاب، هذامع ذوق أدبىعال ، سمعت منه يوما انتقادات وقفتنى مشدوها من هذا الرجل الذى يجهل الناس قدره ، وبقى هنا لقى كسقط المتاع ، وشيخا منشيوخ القبائل لااكثر ولااقل .

كان الاستاذ سيدى الطاهر بنعلى يوما يسرد عليه قصيدا قبل انادخل ، فانتقدعليه فيه انتقادات لم استحضر منها الآن مايذكر ، ثملمادخلت عليهما ناولانى القصيدة ، فصرت اتلوها وحدى واكتب فى حاشيتها ماظهر لى من الانتقادات ، فاذا غالبها سبقنى بها الاخ منقبل ، وسمعته مرة يقول: انالشعر الالغى الذى تسمونه شعرا ليس بشىء ، ولاروح فيه ، وهى عبارات تكررونها بأوزان مختلفة ، وكلها امداح مزخرفة ، فيها من المبالغات ماتعد بها سمجة، وزيادة على ذلك انما هى كلها تملقات يعلم القائل والمقول فيه أنها رياء وسمعة وكذب وبهتان، فاندل ذلك على شىء ، فانما يدل على انمنيعدمثل هذا شعرا

عربيا لايعرف الشعر العربى ، ووجدنى مرة اشتغل فى كتابى (جوف الفرا) الذى جعلته ديوانا عاما للآثار التى اجدها للالغيين ومن اليهم ، مما يتبقى لى وراء ماسطره فى التراجم ، وكان جل مافيه من نوع هذا النظم الذى يقول فيه مايقول ، فلم يصبر على ان قال لى – معانه يراعينى ولايقف منى امثال هذه المواقف – بالله عليك ماذا تعمل الآن ؟ افى مثل هذه الالاعيب تقطع نفيس العمر وتؤذى بصر عينيك ، فقلت له ان هذا للتاريخ فقط ، ومعدة التاريخ كمعدة النعامة تهضم حتى الاحجار، فسكت لانه لايريد ان يمس شعورى ، وان كان لم يقتنع بما قلته له . ثم ماراى القارىء الاديب الذى لايتعصب للالغيين أوليس فى اثناء هذا الكلام كثير من الحق الصراح ؟

وحين توفى اخى احمد رحمه الله ، جاءتنا مراث كثيرة – قدجمعتها كلها فى الالغيات – فكان لايصبر على سماع تلك القصائد ، بل يرمى بها الى ، ثم تداولنا فى المراثى ، فانشدته من دالية ابن عبدربه التى يرثى بها ولده ، ومطلعها

(واكبدا قد تقطعت كبدى)

فقال لى بسرعة هكذا تكون المراثى ، لاتلك التى عنيت أنت بها، فما زدت على أن قلت له ، اننى كمؤرخ اجمع كل ماوصلت اليه يدى – فان لم يكن مانريد ، فلنرد ما تكون – ثم ان الزمان متكفل بغربلة مايقدم له ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض ، ولكن الجواب الحقيقى الذى عندى اذذاك لم أذكره ، وهو ان مقصودى من كل هذا اننى أخاف ان ينقطع العلم العربى فى (الغ) ان لم يعجل الله بتبديل الحالة ، وقدطلعت علينا فى هذا الجيل امارات ذلك الانقطاع، فأردت أن يبقى فى التاريخ مايدل على أنه كان مرهنا عصر كانت فيه العربية مزدهرة بعلومها وادبها ، ولاازعم أن هذه القصائد كلها جيدة ، كما لااحسب انها كلها رديئة ، لاتجد بين ادباء اليوم او الغد من يمد لها يد القبول ، ولكنى اجمع مايكون مجموعه مفخرة الغ العالمة الادبية التى شاركت بقدر ماتستطيع فى المحافظة على الادب والعلم العربى الى اواسط هذا القرن ، ثم لايضيرها أن لايكون علماؤها كفريد وجدى والطنطاوى جوهرى ومحمد عبده والالوسى والشيخ شعيب الدكالى ، كما لايضيرها ان لايكون ادباءها وشعراؤها كشوقى وحافظ والزهاوى والرصافى والمنفلوطى وزكى كبارك والعقاد والمازنى والشابى ، فانه لايمكن عند حصيف عاقل ان يوازن بين علمائنا واولئك العلماء ، ولابين أدبائنا واولئك الادباء ، لان البيئتين مختلفتان مفترقتان لكن من وازن علماء الغ وادباءها بمن كانوا فى مثل بيئتهم فى المغرب ، قبل أن يعلم هذا العصر ، وقبل ان يطلع على الناس باعاجيبه ومخترعاته وافكاره ، فانه يجد فى كفة الالغيين رجحانا ليس بقليل ، ثم ان تامل العقبات التى يقطعها الشلحى الذى لم يلك الكلمة العربية الاولى ولاتفهم معناها الا بعد ان يبلغ الحلم، ثم لايزال مكبا صبورا على التفهم حتى يتشرب معانى العربية وءادابها ، حتى

يستطيع ان يشارك فى حلبتها ، ان كل من تأمل ذلك يقدر قدر الالغيين ويعذرهم ان نقصوا فى غير لغتهم الاصلية ، ثم يشكر النبغاء منهم ان تفوقوا فيهـا ، ويجب على التاريخ ان يسطر كل هذا للغد كيفما كان ، وهذه المهمة هى التـى جعلتها أمامى ، وكنت احب ان أقوم بمثل هذا لكل المغاربة حاضرهم وباديهم، ولكن الدهر لم يساعد ، فاقتصرت على هذه القرية وما اليها فجعلتها كنموذج لمدارس سوس التى قامت بما قامت به منذ عصور ، وفقنا الله لاتمام المرام، وجعله خالصا لوجهه الكريم ، انه سميع مجيب •

ذلك هو الاخ المؤرخ الجغرافى المفكر العصرى الذى قطع اليوم فى مرحلة حياته ثلاثة واربعين ربيعا ، وهو لايزال فى عنفوان همته وقوة شبابه، متطلعا الى زيادة المعارف ، نافض اليد من الدعوى ، فلا يقول الامايعرف ، ويسـأل العارفين عما لايعرف من غير استنكاف ، وكثيرا مايسأل من هو أصغر مـنـه مثلى ، فينتهى الى قوله فيما لايعرفه ، وهو كله تطلع الى استدراك ماكان فاته فى صغره من العلوم، وقد أكب اليوم على كتب فرنسية عربية لتعلم الفرنسية ولايبعد ان ينجح فيها كما نجح فى كل ماتقدم ، وكان كثيرا مايشتكى من النسيان وأرى انه لولا هذه العلة لكان نادرة سوس ، يطل من مقام فوق هذا الذى هو فيه •

اننى اليوم غريب فى الغ لاأجد من اتفاهم معه سوى صاحب الترجمة ، فتطيب لنا المذاكرة ان تيسر الاجتماع منفردين، فنطرق كل الابواب بكل حرية وكثيرا مااحضر فى محاورات بين شيخنا سيدى عبدالله بن محمد وبين صاحب الترجمة ، فكنت اسكت واتعجب ، فكان صاحب الترجمة يحاور بفكره وبعلمه الذى يستمده من الكتب الحديثة والتاريخية ، ومن أحوال هذا العصر الـذى يعرفه أتم معرفة ، واستاذنا يحاوره بأقوال الفقهاء من أهل القرون الوسطى، وبماشاهده فى بعض التواريخ القديمة ، فيكونان بين مشرق ومغرب ، وقـد كانا ذات يوم يتكلمان حول مصر ، فيحتج استاذنا بماكان طالعه فى مثل (مروج الذهب) عنها، على حين ان الاخ يدلى بماعليه مصر اليوم ، فكان بينهما فى التفكير مثل ما بين القاهرة اليوم ، وبين الفسطاط التى كان يسكنها الطولونيـون والاخشيديون فى عصر (المسعودى) بين ءاخر القرن الثالث وأول الرابع ،وفى ذهنى ان المروج ألفها صاحبها عام ١٣٣٢ هـ ء كنت أرى امثال هذه المحاورات، فأقول أين أنت ياصاحب (حديث عيسى بن هشام) لتؤلف لنا كتابا ءاخر ، بل أنت أيها الشيخ رشيد رضى لتزيد حلقة أخرى لكتابك (محاورات المصلح والمقلد)

هذه نظرة حول مدارك الاخ تفهم منها مكانته ، وتعرف بها انه أول الالغيين تثقيفا عصريا ولكنه يسدل على ذلك ذيلا طويلا من الرزانة والصمت الطويل العريض مالم يصادف من يعرف عنه مايقول •

أخلاقه

أخال القارىء يدرك فيما تقدم كثيرا من اخلاق صاحب الترجمة ، فان القارىء الحاذق يدرك نفسية الانسان وشمائله من قراءة سيرته، كان الاخ قدعرف من صغره بماذكرناه عنه من الصبر والتؤدة والتكتم الشديد ، فما زالت هـذه الاخلاق تنمو فيه وتنمو معها الرزانة ، وتمتص من الحوادث المختلفة التى تمر به، ومن المعارف التى تتصل به ، ومن عصارة التجارب ، حتى أصبح اليوم فى الغ مؤهلا لهذا المقام الذى يشغله ، وكأنما خلق له ، فظهرت بذلك تـوسمات الشيخ الوالد الذى استخلفه على أهله ، فشبوا كلهم بين يديه ، وتربوا جميعا حتى استغنى شارب كل واحد منهم عن المسح ، وكان عليهم منذذلك النهار الى اليوم كظلة واقية تحجب لافح الهجير ، وتاذن للنسيم ، وتحنو على من تظلهم حنو المرضعات على الفطيم ، فتحت هذه الظلة شببنا جميعا ، وتحت يدصاحبها ترعرعت منا الغصون ، فكان ربما يلقى من جفوتنا مايلقى ، ولكنـه بصبره لايعدو ان يغضى ، ثم يسير فى اداء الواجب عليه ، وهو مع ذلك صلب الارادة اذا عزم على شيء لايرتد عنه ، كأنما تكلم على لسانه رشيد مصوبع شاعر لبنان فيماأنشدنيه بنفسه

اذا شئت أمرا لم أكن مترددا ... وأقبح مافى المرء ان يترددا
اذاشئت أمرا كان بحرا ركوبـه ... جعلت العدا جسرا فسرت على العدا

ومما فيه أنه اذا أهوى الى شيء ورأى فيه مصلحة ، فانه لايعير لاقوال الناس اهتمامه ، وقد كنت اتعجب منه دائما فى هذا الخلق ، لاننى خلقت على عكسه فيه ، وكثيرا ماازن افعالى بما سيقال حولها ، وكنت أذوب اذا سمعت انتقادا مرا ، أعرف فيمابينى وبين نفسى انه انتقاد حق ، وكان هذا الخلق الذى فى صاحب الترجمة هو الذى سجله بشار بن برد فى قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبـات الفاتك اللهـج

وسلم الخاسر فى بيته المشهور :

من راقب الناس مات غما ... وفـاز باللـذة الجسور

ومن أخلاقه كما ذكرناه الكتمان ، فهو والصبر من ابرز اخلاقـه ، فقلما يرشح بقطرة مما فى صدره ، ولوكانت اساءة له بلغت حزتها العظم ، ولكنه مع ذلك لاينساها ، فيحتاط كل الاحتياط لئلا يرى منه مرتكبها مايمكن له أن يسيء اليه منه ، وكان عجيبا فى ذلك ، وقدكان شيخنا سيدى سعيد يذكرعنه دائما هذين الخلقين ، ويقول انه انفرد بهما من بين أخوته ، كان رحمه اللـه يذكر لنا عنه ذلك فى معرض معاتبتنا ونحن صبية على عدم معرفتنا لمكانته التى هوفيها منا، وقدكان له ذات يوم فى ذلك درس شديد معى •

ومن اخلاقه عدم الجمود على المألوف ، والميل الى اتباع الاحسن من كل شيء، ولذلك ماكادت الحكومة تحتل هذه البلاد ، وتفتح الطرق ، حتى طلب الرخصة فالتحق بالدار البيضاء حيث دخل معملا تمرن فيه على سوق السيارة في شهور، ولم يبال بما وجه اليه من الانتقاد من بعض أناس، لان أهل بلادنا يستنكرون اذذاك مالم يألفوه ، حتى ولوكان مثل هذه السياقة ، ثم رجع وقد فاز بمعرفة ذلك، فاشترى سيارة يمرفيها على اولئك الناقدين ، فاصبحوا يتمنون لو اقتدوا به ، وهو أول من اكتسب سيارة في (تافراوت) سنة ١٣٥٣هـ ، وقد ظل مقبلا على ما تظهر له فيه المصلحة ، ملقيا دبر اذنه كل ماعسى ان يقوله الناس. وفي تسميته لاولاده باسماء فيصل وفاروق دليل على حبه للجديد ، ثم سرعان ماانقلب جميع أهل تلك الناحية الى التجديد في كل شيء ، سواء في سوق سياراتهم بأنفسهم اوفي غير ذلك ، ومن الذي يجهل الآن أهل تافراوت بين السوسيين وقد قال لي يوما انني لاحتقر نفسي الااذاكنت بين امثال هؤلاء الرؤساء الذين تحشرني معهم هذه الوظيفة •

ومن اخلاقه أيضا الانفة الزائدة ، ولكنها مع ذلك متشحة بالتواضع الظاهر، فكنت أراه يجالس بعض الجهلة من رؤساء هذه القبائل ، فيطرق هو الى الارض فيبدئون ويعيدون في احاديثهم التافهة ، وهو يلحظهم من عليائه ، فيتخذهم كما يتخذ الانسان اشباح السينما الناطقة ، اذ يلحظها وهو على كرسيه مستندا صامتا ، يتخذ كل مايراه من حركاتها ملهى جديدا يمضي به الوقت ، اوعبرة يعتبر بها في أطوار الناس ، وأنا أعتقد كل الاعتقاد أنه لولا الضرورة لما تركته نفسه يجالس اولئك الجهلة ، ولكن للضرورة أحكام •

ومن أخلاقه البارزة أيضا الصمت في المجلس ، خصوصا اذا اختلط الناس، فلايمكن ان تجد منه كلمة واحدة ، الااذا اقتضى الحال شيئا فياتي كلامه بمقدار وكثيرا مايكون هو صدر المجلس ، فيستحي منه فيمضي المجلس كله صمتا الى منتهاه ، وقد كان الاخ احمد رحمه الله على ضد هذا الخلق، فكان في أمثال هذه المجالس ربما يتسار مع من في جواره او يقوم ، وكذلك أنا لاأقدر على مثل هذا الخلق ، وتكون أمثال هذه المجالس عندي أطول من ليالي الشتاء ، بعد ماالفت مجالس المذاكرات العلمية الحافلة ، وليس هذا الخلق من ألاخ ابن اليوم بل هو منه منذ قديم ، كما أنه ليس عن تكبر ولاعن تعال على الناس ، لانه خال من الكبر ولايطرق حماه ، وما هناك الا الانفة المحمودة من الاحرار ، وانما هذا الصمت جبلي طبع عليه ، ويستمده من رزانته الثابتة كثبات الاطواد •

ومن أخلاقه عدم التكلم في الناس ، فانه في ذلك اية الآيات، كما انه لاينبس بمافي صدره ، فيشهد بذلك كل من يلازمه ، وبهذا يملك زمام اموره ، ومن أعرض عن التقول في الناس ، حفظ من الوسواس •

هذه نبذة منخلق أخينا ، فصلنا بعضها ليعلم التاريخ أنه من الرجال الذين لهم ميزات ، فاذا نالوا أمس أواليوم أوالغد مقامات عليا ، فانهم ممن يزينون المقامات والمراتب بأخلاقهم ، لاممن يتزينون بالمراتب والمقامات .

نبذة من آثار منه واليه في طوره الاول

مضى في كلمة متقدمة انه كان يقرض الشعر ، ثم اقلع عن ذلك ، وان له ترسلا حسنا غبطه عليه شيخنا سيدى سعيد ، فاما آثاره من الترسل فهي كثيرة ، ولكنها عادية لم أر عندى منها مايستحق التخليد ، لان مافى متناول يدى انما يتناول موضوعات لاتظهر فيها البراعة ، ولايسر القارىء بقراءتها ، وكتابته اليوم مكتسية بالحلة العصرية في عباراتها وايجازها ، حتى عادت كأنها رسائل تلغرافية ، وأرى أنه لو طرق موضوعا لاجاد فيه (١) ، وأما آثاره الادبية فلم اجد عندى مما كان يتعاطاه في صغره الاقطعتين خاطب باحداهما شيخنا معا سيدى سعيدا ، وأجاب بالثانية الاديب سيدى محمد بن علي بن عبدالله عن قصيدة هنأه بها حين أعرس اعراسه الاول ، وقد وقعت على هذين الاثرين وهمـا ممزقان ، فأما الذى خاطب بها سيدى سعيدا ، فهي هذه ، وكانه طلبها منـه ليتمرن بذلك ، وفيها وصف وردة في وسط كاس :

انني ان أرد مقاما لشعر	لست آتي بغير مشبه نثر
انني قائل كما كنت تبغي	ما تريد وان أكن لست أدرى
سيدى ياسعيد يا خير مرء	ضم منه العلوم في وسط صدر
كيف قولي في وردة وسط كاس	ظهرت مثل جوهر وسط نحر
عطرتنا بعطرها فكـأن الــ	ـخلق منكم قد فاح فينا بعطر
وسلام عليكم سيدى مـا	دام ماء وسط الجداول يجرى

فهكذا وجدت هذه القطعة في بطاقة ممزقة ، وفيها اصلاحات فـي كلمات ، وأظن الاصلاحات بخط شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، لان الخط يشبـه خطه ، على ان البطاقة لا تكاد تقرأ ، فما أضيع أمثال هذه .

ووجدت أيضا هذه القطعة للاديب محمد بن عـلي يهنئه ، وقـد سقط أول القطعة ولم اجد منها الا الابيات الآتية

هنيئا مريئا أيها الخال بالذى	منحته من ذات المجادة والمجـد
فلله يوم نلت فيه الذى تشا	على رغم كل الحاسدين ذوى الحقد
فما شئت من حظ فخيم ومنة	واقبال عز والزيادة في الايد (٢)

١) في اثناء الرحلة الاولى من (خلال جزولة) بقلمه وصف لاعراس (تارودانت) كما أن في رحلته الحجازية التي كتبها أخيرا اوصاف كثيرة لكل مايصادفه .
٢) الايد : القوة .

لقد كان هذا اليوم يـومـا محجلا اغر كلمع الدر في لبة الخود
ولاغرو أنت السيد الماجد الرضا الـ ـلذى حاز أرثا من أصول ذوى رشد
كاني بالعرس الذى اخبر المبشـ ـرون به كالحور فى جنة الخلد
أوان وفرش والنشيد كانمـا سرت نسمات الصبح فى روضة الورد
أدام اله العرش جمعكما عـلى بساط التهاني والمسرة والسعد
وصان من الاغيار ساحتك التى اليها التجاء طالبى الخير والرفـد
على قدرك المرفوع صوب تحية زرت باريج المسك والعود والند

وأعذرني ياسيدى من هذه النفثة ، فما للنجوم الثواقب من احصاء ، وقـد دعوت لكما بالرفاء والبنين ، ولكن عليك مـاعليك اذ لـم تعلمنى والسلام ٠
حفيدكم محمد بن علي لطف الله به

ووجدت فوقها بخط المهنا صاحب الترجم

جزيت كفاك الله غائلة الدهر على شعرك المنظوم كالدر فى النحر
فصاحة قس حزتها سيدى فـلـم ينلك سواك فى الرسائل والشعر

هذا ماوجدته ، ولم أدر الهذين البيتين اخوات املا ، لان ماتحتها ممزق فى المحل الذى مزق فيه أول القطعة الدالية لابن علي ٠

وكتب اليه أيضا ابن علي ماياتى

سيدنا الذى ابدى من الهدى سرجه ، وقوم من الدين عوجه ، ذو المزايـا الجليلة ، والمكارم الجميلة ، خالنا سيدى محمد ابن الشيخ المقدس كرم الله، أدام الله عزكم وأبد حرمتكم ، وسلام الله ورحمته وبركته عليكم ، أما بـعـد فهذه أبيات تقف ماثلة مهنئة بالعيد المبارك ، ومتطلبة حاجة مـن يقف عليها لايؤم الادارك ٠

اني شغفت بنفح الطيب ياسندى خالي محمد مكنه بكف يـدى
ونفح خلقك قد عمت روائحه هذا البسيط فاذكى سائر البلد
فاليوم عيد مبارك نسر بـه والكتب خير انيس فيه للخلد
فانعم وطب وابتهج وافرح فمجدك فى زيد وفضلك كل الدهر فى صعد

هذا كل ماوجدته مما يتعلق بصاحب الترجمة فى ذلك الطور، وقد كتـب عليه ان يحسب فيمن يقول مثل هذا الشعر الالغى كماسماه ، وان كان نفض يده منه بعد ، واخال أنه لوكتب له أن يتوجه الى الادب لكان فيه أيضا ناجحا، وأمارات النجاح تظهر من هذين الاثرين ، ورحمة الله على سيدى سعيد ، فانه لاشك كان يحفز همته لذلك حينئذ ، كما كان يحفز همتى ، أنا ايضا لذلك ، وقد ألممت بذلك فى ترجمته فى هذا الكتاب

وهاك الآن رسالة لسيدى محمد بن مسعود الى المترجم ، غير الرسالة المشار

اليها فيماتقدم ، ومنها يعلم لب ماهناك ، نصها :

«سيدناالاعز الاصيل الماجد اللوذعى الالمعى الاغر الجليل ، مولانا الشيخ ابو عبدالله سيدى محمد ابن الشيخ الاكبر العارف الاشهر ، مولانا ابـــى الحسن سيدى الحاج علي بن أحمد الالغى رضى الله عنهما وعنابهما ، وسلام على السيادة العلية بالله ورحمته تعالى وبركته ، هذا ولازائد بحمد الله الاالخير وكتابكم الاعز ورد وفيه أبيات ، ذكر سيدنا أنها من انشائه وانشاء الاخ سيدى احمد البوالوقتى علىطريق الاجازة المعروفة بين الادباء ، وهى انيقول واحد بيتا او شطرا ، ويزيد الاخر عليه مثل ذلك ، فليعلم سيدنا أن أمرها متقارب من جهة الصنعة فيما يظهر ، وهاأناذا أنبه على بعض ماظهر لى فيها زيادة فى المذاكرة ، فقول القائل فيها «وياورد الورود وياخليدا» هذه اللفظة اعنى خليدا، لم أفهم معناها ، فان كانت صيغة مبالغة من الخلود فهو صحيح فى اللغة، الا أنهغير معروف فى الاستعمال ، وقد تقرر أن الالفاظ الغير المتداولة عند الادباء يعاب استعمالها ، وان صح نقلها فى اللغة ، وقد أشار له اليوسى فىالمحاضرات فى حكاية وقعت له مع بعض شيوخه ، وأظنه المرابط الدلائى صاحب تصريف المكودى ، وأشار فى (نفح الطيب) الى نحو ذلك فى ترجمة ابن زمرك ، وكذلك قول القائل «وياخير الورود وياوعيدا» لاادرى ماالمراد بلفظة الوعيد ، ومعناها المعروف غير مناسب هنا ، وكذلك قوله «وياجل الشموس وياقصيدا» لـفـظ القصيد ان كان معناه المقصود فيرد عليه ـ انلميثبت فى اللغة ـ ان فعيــلا بمعنى مفعول مقصور على السماع كما قال ابن مالك : «وناب نقلا عنه ذوفعيل» وكذلك قوله «وياتاج الاباد وياسديدا» لايتزن الا بحذف مد الهمز فى الآباد جمع ابد ، ولااتحقق الآن هل تجوز الضرورة مثل هذا على الخصوص املا ، فليحرر من محله ، وقوله «وياحصن المعالى الخ» وجدته بخطكم المبارك بياء بعد اللام ، ولايتزن الا بحذف الياء ، وقوله «ويامليح المجالس» انكان بضم الميم وفتــح اللام جمع ملحة ، صح منجهة اللغة على ثقل فى الذوق ، وان كان المرادبه المليح ، وحذفت الياء ضرورة او غفلة ، ففيه نحو مامر ، وكذا قوله «وياطيب الخصال» ان كان مخففا كميت فى ميت صح الوزن ، ولاأدرى هلهــو مقيس أملا ، فليحرر ، وقوله «وياعقد المحاسن ذات در» وصف العقد فيه وهو مذكر بذات وهو مؤنث ، ان كان على تاويل العقد بالقلادة صح وفيه ثقــل ظاهر، وقوله «وذاك الدر من نوع فريدا» صحيح بتكلف ينبو عنه ذوق البلاغة جدا، وقوله «يكون نظامنا» فيه الزحاف المسمى بالكف ، وهو هناثقيل فى الذوقكما ترى، وقد وقع فى الابيات المذكورة معهذا اشطار مليحة ، والذى أحرضعليه سيدنا الاهتمام بتحصيل المواد أولا ، قبل الاشتغال بنحو هذا ، والمواد اذا تكيفت النفس بمزاولتها ، انفتحت منها عن باطنه ، فيسهل بها النظموالنثر على متعاطيه بلا كلفة ، والمواد هى علوم الادب الاثنىعشر ، وقد بلغنى انسيدنا

جر به الحال الى الاشتغال عن مذاكرة العلم بمخالطة ابناء الدنيا ، وقد كنت خطر لى لما بلغنى ذلك ان أبعث اليه بالتاليف المسمى بكتاب (المزايا فيما احدث من البدع بام الزوايا) وهو للحافظ العلامة الشهير ، سيدى محمد بن عبد السلام الناصرى ، ذكر فيه أحوال زاوية الشيخ ابن ناصر بعد وفاة الاعلام من العلماء الذين كانوا بها ، وءال أمرها الى ان تولاه بعض المقدمين ممن لاعلم عنده ، والذى نحب لسيدنا ان يرجع همته الى اكتساب العلم والتقوى ، ويشد عضده باهل الدين من الفقراء ، ويعتزل عمن لايصلح ، ويعزل عن أموره من يتهم بالسوء ، ولايخف من ذلك تعطيل أمر الزاوية ، فانها ان شاء الله قائمة بالله ، كماقال بعض السادة واظنه بعض الملوك لمن طلب منه من الفقراء ان يعطيه ساقية يقيم بها زاوية ، فقال له وللحاضرين ، أتعرفون زاوية سيدى محمد بن يعقوب بـ (فم تاتلت) وهل فيها ساقية ؟ فقالوا لاليس بها ساقية، فقال للسائل اذهب ، فان الزاوية بالله لابالساقية ، والساقية هى العين التى تسقى الحرث وما فى معناه ، والمراد بها مطلق الدنيا ، وكل ماشغل عن الله فهو ساقية وهو دنيا ، والشاغل عن الله هو مايصد عن ذكره ، وأما مالامندوحة عنه فهو شريعة ، أى امر مشروع يتقرب به الى الله ، لاحرج فيه ان لم يله بالاغفال عن ذكر الله ، وبلغنى أيضا ان سيدنا كان يخالط بعض الجيران ، ممن لايناسبه ولا أدرى من هم، فليعرف سيدنا أيد الله قدره ، وليعرف المرتبة التى أحله الله فيها ، والاسم الذى سماه اياه ، فانه تنبيه من الله ليلزم حد الشيخ والده رضى الله عنه ، والعلم والتقوى والاعتزال عن قرناء الغفلة ، ان قام سيدنا بهذه الثلاثة رجى من فضل الله ان تكون زاوية والده زاوية فقر وتصوف وعلم ودين ، وكل خير بحيث يقام فيها أمر التصوف على حاله ، وأمر تعلم علم الظاهر على حاله ، وأما مخالطة ابناء الدنيا فهى سم قاتل الا بقدر الحاجة ، ثم لاباس باطعام أهل الحقوق منهم ، كالاصهار ومن فى معناهم ، والترحيب بهم ، وايناسهم بالبشر وطلاقة الوجه ، والعزلة عنهم الا حالة الدعاء معهم عقب الاكل ، وان دعت الضرورة الى يسير مجالسة وقت الاتاى ، فلاباس اظهارا للمؤانسة اليسيرة ، وأما مصادقتهم والركون اليهم بالقلب فضرر والسلام»

ثم ذيل الرسالة بنبذة أخرى فى الارشاد فى موضوع ءاخر ، سيجده القارىء ان شاء الله فى محله ، وقد جاء اثناء هذه النبذة ما نصه : «وقد طال الكلام ولكن فى بسطه شفاء للنفس كما قيل»

ما ناصحتك خبايا الود من رجل　　　مالم ينلك بمكروه من العذل

وليعذرنا الشيخ ، وليدع معنا ، فاننا والله نحب له كل خير والسلام»

وقد كنت قديما خاطبت هذا الاخ بابيات ، وقد ورد علينا بمراكش عام ١٣٣٩هـ اعتذر فيها عن مشاغبة وقعت بيني وبينه قبل ذلك ، لصغر سنى ،

وعدم ادراكي مكانته اذذاك ، ولا أدرى هل أريته اياها أولا ، وقد وجدتهااليوم بين الاوراق :

مسامحة اني الى الله تائب — الى السيرفيالنهج الذى شئت،ائب
فقد كان ماقد كان مني لغضبة — أثيرت على رغمي وقلبي ذائـــب
فانـت أبونا من يكون لذنبنا — غفورا فلا تقضى علينا المعاتب

ومنها

أعاهد ربـي بعد ان لاترى سوى — شمائل مني ليس فيها معايب
فسامح وأغمضمنك طرفكعنقذى — تراه ، والا كنت دوما تعاتب

هذا هو أخونا الاكبر الذى تركنا والدنا صغارا في حجره ، فشذب وهذب، وربى بقدر جهده، وبحسب استطاعته ، وردنا كلنا الى المعارف ، فنجح مننجح وسقط من سقط ، حتى ملكنا انفسنا جميعا ، فقال هاانتم اولاء وحياتكم ، فليفعل كل واحد بنفسه ماطاب له بعدماشببتم ، جزاهالله خيرا أمس ، وجزاه اليوم فانني بعد ان ابتعدت عن الغ عشرين سنة ، ساقتني الاقدار اليه بعدها، فدخلته مغموما محزونا، مثلوم الفؤاد ، فكان هذا الاخيمسح عن صدرى بلطفه وبذاتيده ، وباخلاقه الدمثة ، فيفرش لى بيده، ويقدمني في كل مقام امامه للصلاة وغيرها ، كل ذلك ليميط عني اثر هذه الصدمة التى تلقيتها من يـد الدهر الذى لايرثي ولايشفق ، فهذه ثلاثة عشر شهرا ، وهو يعاملنى بهـذه الملاطفة ، ولعل الله يفرج عنا قريبا بفضله ورحمته

عسى الكرب الذى امسيت فيه — يكون وراءه فرج قريـــب

وله اليوم ١٣٥٧هـ من الاولاد اثنان لاغير ، على المولود عام ١٣٣٦هـ ، وقـد ذكرناه ، وأمه هيرقية المتوفاة ، وقد تزوج أيضا اختالها ، فـولـدت له اولادا كلهم ذهبوا افراطا ، وفى عام ١٣٥٣هـ ، اقترن بابنـة الفقيه سيدى الحسن العفياني التيزنيتي ، على يد القاضي سيدى محمد اوعامو ، فولدت له عـبـد اللطيف الملقب فيصل ، فى جمادى الاولى عام ١٣٥٤هـ ، وهاهو اليوم شاب نشط كما يجرى ، أنبته الله نباتا حسنا ، وأقربه أعين والديه ، ثـم فـى ١٦ـ٣ـ١٣٥٧هـ ، رزق من هذه السيدة ولدا ءاخر سماء عبدالوافي فاروق، فكتبت اليه فى اليوم الثانى

بشرى بتلك الزهرة الارجـــة — فأى نفس لم تكن بهجـــة
تألقت من ثغرها بسمـــة — عنها ثنايا السعد منفرجـــة
ومن يكن روضا أريضا فـــلا — يشذى بغير النفحة الارجة
دم للعلا تنجب ابناءهــــا — يارب نفس بالعلا لهجـــة

ثم لما سماه يوم العقيقة قلت مخاطبا لصنوه فيصل وهو صبي لايعقل الخطاب:

أتـاك يـا فيصل فـاروق ... كلا كما للمجد مرمـوق
فال سعيد لـكـما حسـن ... تصور يتلوه تصديـق
تصفيان المجد مما بـه ... كمـا يصفى الراح راووق

وقد أبت الكلمات المنطقية الا ان تستولى على الشطر الثاني من ثاني الابيات من غير ان نرى وراءها معنى حسنا مقبولا لطيفا ، وماأبعد كلمات العلماء الجافة عن لطف الادب وذويه •

وقال الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليماني يهنئه بالولد فـي ٢٤-٣-١٣٥٧هـ

انعم صباحا أطيـب الازمان ... فاليوم يوم مسرة وتهانـي
لله أنت وما حبانا السعد فيـ ... ـك من الهناء بنيل كل أماني
فكأنما روض تـفـتـق زهره ... ترتاح في جنباته الـعيـنان
كل النفوس تميس في حلل الحبو ... ر تمايل الاطيار في الاغصان
صفت القلوب كأنها ما مسها ... من قبل هذا اليوم من أدران
ما ان ترى الا الوجوه تهللت ... من كل من تلقاه من انسان
فكأنما الجنات فـتـح بـابها ... والناس بين الحور والولدان
كل يهنىء جالسيه بما بدا ... من طلعة الولد الرضى النورانـي
نجل المجيد أبي المعالي من لـه ... في كل مكرمة تكون يـدان
من كان هذا أصله سيكون عـن ... قرب كـذلـك سيد الاقران
ياسيدى ياخير من نال العـلا ... من غير ماسيف وغير سـنان
هنئت بالابن الجديد ودمت فـي ... أفق السيادة دائم الـطـيران
فالله يكلأه ويمنـحـه هـدى ... ومجادة قد حازها الابـوان
ويمتع الاباء بالابـنـاء فـي ... ظل الامان وانعم الازمان
لاسيما من منهم سعد الاوا ... ن بمجدهم ، بل فاق كل أوان
فعليكم أزكى التحايا مثل مـا ... طابت شمائلكم لدى الاخوان

ولم يطل الزمان بالولد عبد الوافي ان رزئت به الاسرة ، فبكته كل عين منها

ثم ولدت له أيضا من السيدة عائشة الايغشانية بنت في أواخر جـمـادى الثانية عام ١٣٥٧هـ ، فسمتها اختنا الكبرى عائشة (ربيعة) وقد صادفـت ولادتها أمامها حين وردت من مقرها من (اداواتنان) لزيارة الغ ، وقد قلت في هذه البنية أهنىء والدها ، ثم ذهلت عن ارسال ذلك اليه في وقته ، قلت ذلك ارتجالا

في كل يوم كوكـب نير ... أفقـكـم بنـوره مـزهر
كأنما الربيع قد حـل فـي ... روض فريا زهره تـنـشر

تتابع الروض بأزهــاره فكل كــم منــه مستبشر
ربيعة الزهراء قد أرجـت زهرتها فـجـوها يعطر
لعلها تــنــال فــي عصرها في العلم ما بمجده تذكر
فالعلم أيضا زينة الخــود لا غلالـــة تشف والمئـــزر
جعلها الله لنا قرة الـــ ـــأعين ان غابت واذ تحضر
وعنبرا يشذى بـأسرتـنـا فوق الـذى يشذى بـه العنبر
لاخير في دار اذا لم تشد فيها الخــلال غــادة معصر
فالبنت أس المجد في كل مـــا دار مجيد مجدها يبـهـر

ثم لحقت بربها يوم الاربعاء ٢-١١-١٣٥٧هـ

أخبار عنه أخرى بعد ذلك

صاحبت المترجم وانا فيالغ منفردا فقيرا وقيرا ، فكان لي خير مؤنس ومعين، وماكثر من لايشيدون بشكر من يحسنون اليهم مثل هذا الاحسان الذىأسداه الى المترجم ، فهاأنذا اراجع هذه الترجمة بعد نحو عشرين سنة ، وانــا الآن من (وزراءالتاج) ومن خلصاء ملك القلوب ، قبل ان يكون ملك البلاد محمــد الخامس أمده اله بالعون والتوفيق ، وقد من الله واضفى ، بعدما كتبت كــل ماتقدم ، بالفرج الذى جر وراءه ماجر من شهرة طنانة ، ومن سمعة يراهــا النافسون كالثوب الفضفاض على تنبال (١) - وأنا معهم في هذا الرأى - ومن مكانة لمتزل تتزايد حتى وصلت بالعبد الضعيف ما وصلت بفضل الله لاغير، ذلككله قدكان كماكان ماقبله ، وسيزول أيضا يوماما كمأزال مأقبله ولايدوم الاالله وحده • نطلب الله انيختار لنا دائما مافيه كل خير ، هذا وقد مر مامر ولكن مااسداهالى المترجم لاتزال انطباعاته في القلب ألواعى واضحة نيرة ، فقدكان كالطود الشامخ أمام كل ما أراه يحوم حوله في كل هذه السنين ، فان يعجب القارىء ، فليعجب من أكذوبة صريحة لااساس لها ، كانت تروج اثر مانفيت اليالغ ، فيقال انفلانا مانفى الابطلب من أخيه الذى ينفس عليه مكانته بين الناس، فيا للناس لأكذوبة لاتجد ازاءها مايدعمها ، فأولا ، أية مكانة كنت فيها قبل النفى حتى ينفسها على أمثاله اذذاك ، وهو من هو رئاسة ونفوذكلمة، وسعةذاتيد ، وأنا انما كنت استاذ الاجرومية لاغير ، فقيراوقيرا ، لاأرجع الى مدخر ، ولااتوسع في عيش ، ثانيا ، ماكان منه نحوى اثر النفى وهو يملك مني مايملك رسميا ، والحكومة دفعتنى اليه يدا بيد ، فهل فرط منهنحوى أدنى شيء يدل على تصديق هذه الاكذوبة ؟ لا والله، بل مارايت منه الا كــل

١) التنبال بكسر التاء قصير القامة

اجلال واحترام وتوقير، كأنني أنا الكبير وهو الصغير ، بل كنت نجي اسراره التي كان يحملها ضد الحكومة اذذاك ، فكان يفضي الي بكل مايراه يصدر منها مما لايوافق ، وطالما ظللنا أو بتنا أو وصلنا الليل بالنهار في تتبع مايفعله بعض المراقبين في (تافراوت) وزد على هذا كله أن بعض من كانوا يحومون حولنا بالتجسس كان ينقل الى المراقبة أن فلانا وفلانا لايكادان يفترقان ، فكان ذلك هو الخيط الاول الذي نسج منه مابين المترجم وبين مراقبة (تافراوت) وقد صدقت مايبلغه اليها بعض الالغيين ـ سامحهم الله ـ من أن محمدا الدرقاوي قد تشرب مبادىء الوطنية من أخيه المختار ، فهو مثله كراهية للاجنبي ، فيجب أن يخاف منه أيضا كما خيف من أخيه ، فلم يزل ذلك ينمو في المراقبة حتى كان هو السبب لزحزحته عن الصدارة التي كان يحتلها من بين رؤساء قبائل (تافراوت) ثم أدى ذلك الى ان نفي هو أيضا بدوره الى (أكلو) نفيا ملففا رسميا باسم قيادة خلقة متقطعة ، مافيها الافقاقيع على الزبد ، كان ذلك يوم أفرج عني فخرجنا معا من الغ ، أنا الى الحمراء ، وهو الى تيزنيت حيث تهيأت له السكنى فلم يكن يزور قبيلة (أكلو) الا يوما في الاسبوع ، يوم المحكمة ، ياتي هو والمراقب الى السوق ثم يرجعان ، ولم يكن يابه لمايابه له القواد هناك، من مص أموال المساكين ، واثارة بعضهم على بعض ، وهاهم أولاء رجالات (أكلو) المنصفون ، فليشهدوا بماكان ، وقد كفوا شهودا مرضيين ، ثم لما اشتدت الازمة ، واطلت قضية الكلاوي ، ودعي كل القواد الى (اكادير) فاذا به لم يحضر فقال الجنرال حاكم ناحية اكادير والحاضرون كلهم يسمعون ، اننا نعرف قبل اليوم فلانا ومبدأه ، وهو وأخوه المختار كفرسي رهان في الوطنية ، الا ان المختار لايقدر أن يخفي أفكاره لسذاجته ، والآخر يقدر على اخفائها ، ولكن الحكومة تعرف كل شيء ، ثم لماجاء خليفة الكلاوي (سي بيه) ليتصل بقواد أزاغار وصى على عدم الاتصال به وبقائد ماسة القائد مبارك ـ لان هذا أفشى سر اجتماع حضره القواد في دار الكلاوي ـ فذلك هو السبب حتى لم يحضر المترجم ، لافي دار الكلاوي في ذلك الاجتماع ، ولافي اليوم الذي وقعت فيه القبائل مع رؤسائها ضد العرش التوقيع المشهور ، ولا في الاجتماع الذي وقع في دار الكتاني بفاس من القواد ورؤساء الطرق الصوفية حتى ان هناك مقالة كتبها المومني الصحراوي الجاسوس المتجول المشهور الذي اعتقله جيش التحرير أخيرا بأكادير ونقله الى اكلميم حيث لاقى حتفه، ونشرنها كماقيل الى جريدة (الوداد) التي كانت لسان حال تلك الحركة المشئومة ، قال فيها ان كل رؤساء الصوفية حضروا الا محمدا الدرقاوي الالغي وحده ، ثم لما وقعت بيعة ابن عرفة حضرها جميع اللامعين من الناس فضلا عن القواد ، ولكنه هو لم يحضر ولم يستحضر ، وهكذا تمت كل هذه الادوار المتتابعة ، ولم يحضر فيها قط والمستعمرون اذذاك في اشد الحرص على ان يكسوا مايزعمونه من اتفاق الناس

على مايريدون منهم اجماعا تاما، ولذلك لايستحضرون من غابوا من امثال المترجم لئلايخرق الاجماع من عسى أن لاينقاد لماانقاد اليه الناس •

جاء الاستقلال ، فحدثت من بعده امور ، وفتح الباب للمواخذات ، فصار جيش التحرير يضع يده على الخونة السوسيين واحدا فواحدا ، فانجى الله المترجم من ذلك، لماضيه الذى يعرفه عنه كل احد ، وقد حاول بعض من لايعرفون الحقائق ان يلفت الانظار الى المترجم ، ولكن لمابحث عن أمره ازداد نصوعا وبراءة تامة ، والبحث أبو الحقيقة ، وقد ظفر يوما بزيارة الملك اثر رجوعه الى عرشه ، وقدم لجلالته العذر عما وقع فى موسم الزاوية الالغية اثر بيعة ابن عرفة ، وذلك ان المراقب فى (تافراوت) تقدم اليه بعض المتزلفين من رؤساء الغ ، واقترح عليه ان يطلب من كل من فى الزاوية الدرقاوية ان يبايعوا ابن عرفة ، فان رئيسهم - يعنى المترجم - لم يبايع مع الناس ، فاما أن يبايعوا واما ان يعرف عنهم أنهم خرجوا عما دخل فيه الناس تبعا لرئيسهم فبينما الفقراء الذاكرون المساكين الذين لم يالفوا أمثال هذه المخالطات فى مجلس ذكرهم ، اذا بالمراقب جاء مقترحا لذلك ، فقال له المترجم ان هؤلاء فقراء من شذاذ القبائل ، لاناقة لهم ولاجمل فى أمورالسياسة ، وكل واحد منهم تابع لرئيس قبيلته الاصلية فيما يفعله مما فعله الناس • وهو كما يرى القارىء كلام معقول حتى ولولم يكن فى معرض الدفاع والمراوغة ، ولكن المراقب أصر على مايريد ، فدار بعض الحاضرين على الفقراء ، فاخذ توقيع بعضهم بشبه الارغام ، لان القلوب كلها نابية عن ابن عرفة ، حصلت هذه الواقعة ، فطار بها المراقب كل مطار ، ووجد بها المتقولون مايقولون ، حتى أنهم زعموا أن المترجم هو الدافع وحده لما وقع ، فانقلبت الحقائق ، مع ان موقفه هو صريح، وماجاء هذا الارغام من المراقب الا ليضاد موقفه ، ثم لما جاءت القائمة الاولى التى أعلنت أسماء بعض الخونة ، حاول بعض من لايعرف الحقيقة ان يدرجه فى القائمة الثانية التى كان مزمعا ان تصدر أيضا ، ولكن فرع حزب الاستقلال بسوس بحث بحثه الخاص حول المترجم فوجده طاهر الساحة ، نقى الذيل، فأعلن فى تقرير حسن عن كل الادوار التى مثلها مع الاستعمار ، فهكذا طويت هذه الصفحة السوداء عن المترجم وكفى الله المومنين القتال (ان الله يدافع عن الذين ءامنوا)

حجته

كانت قيادته على قبيلة (أكلو) سحابا جهاما لامجد فيها ولامال ولاحال ،ولم تكن رسمية بظهير ملكى، ولم تكن الانكاية به قصد بها من الحكومة قصدا ، ثم ساء المراقبين حواليه تعففه وتعاليه عن الاسفاف ، وعن التنكيل بكل من يلمز عندهم بالوطنية ، ثم هاهى ذى القيادة انطوت منذ نشر الاستقلال لواءه ، وقد

139

كان عبدالسلام الصفريوى العامل الاول فى أكادير أتى باسم المترجم بين الذين يستحقون ان تناط بهم القيادة من جديد فى سوس فى عهد الاستقلال، لماستقاه من المعلومات العجيبة عنه فى حسن الادارة ، والاستقامة والنزاهة، وعلوالهمة والاقتدار ، فقدمه بين الذين رشحهم ، الا اننى ظهرلى بعد اتروى ان‌أعارض فى‌ذلك الترشيح ليبقى اسمه مصونا حتى فى‌هذا العهد ، وقدأدركت أن‌كل‌من قدموا الآن للوظائف لايمكن أن يسلموا من الالسنة بحق أوباطل ، فاوصيت فى الداخلية ان يحذف اسمه وها هما ذان السيدان مولاى هاشم العلوى والسيد عمرو الزمورى يشهدان بذلك • وكم عجبت حين بلغنى أنه هوأيضا لارغبة له فى التوظف بعد، وقد وجد نفسه مستريحا منذ تملص‌مما كان فيه، ثم طرق سمعى أن اسمه جال فى الداخلية ، وقد ذكر هناك باكبار وتقدير ، فقال بعض من‌هناك بمثل هذا يجب ان‌يستعان فى هذا الوقت،لوكان مثله‌يستجيب ، أولوكان فى سن من يتوظفون الان على القانون الجديد •

هذاوقد بدا للمترجم ان يؤدى فريضة الحج فسافر الى الحجاز فحج‌عام ١٣٧٦هـ ، ثم ألم بالشام ولبنان ومصر وليبية وتونس وروما ومدريد فئاب مغتبطا برحلة كتبها بقلمه فى مجلدة حسنة •

وبعد فها هو ذا يعيش الآن فى دارله بناها فى (تيزنيت) ويلم فينة بعد فينة بالغ ، وهومحترم موقر ، وحوله هالة من المحبين المكبرين ، يرون له مقاما صوفيا لايراه الا الافذاذ لامثاله ، وهو يتبلغ من دخل أهراء فى بناية له باكادير ، ومن مطحنتين بتيزنيت ، وعنده من‌الاولاد زيادة على على وفيصل خمس بنات شقائق لفيصل ، وهن رقية وفاطمة وخديجة ولطيفة وشادية ، وشقيقهم فريد ، ثم انه اشترى أرضا فى هوارة فحفر فيها البير ، وهى شغله الشاغل الان ١٣٨٠هـ

الخاتمة

نختم الآن ترجمة والدنا الثانى هذا بأنه فى نظرى وفى نظر كل من يعاشرونه رجل سوس اطلاعا وتفكيرا ورجوعا الى الله ، وتؤدة وعقلا وكتمانا للسر وحفظا للسان عن الاعراض ، وتحملا وحلما واغضاء، ثم زادعلى ذلك كله كرما يتزايد بتزايد عمره ، وله وراء ذلك كله تحمل عجيب ، فقدمضت عليه أوقات عصيبة بعد الاستقلال تلقى فيها صدمات لاتحملها الا الاطواد ، فتلقاها هوبما تتلقى به شماريخ‌الجبال الاعاصير ، فلايتشكى ولا يتزلف، ولا يظهر عليه التأثر ، وهوالآن على أبواب السابعة والستين محنك مجرب،أخذ الدروس العليا عن الحياة وأهلها ، فجمع همته كلها فى الله ، ثم لايبالى بأى انسان بعده

فاز من خلى الشواغل ولمولاه توجه

ولده علي

ولد ١٣٣٤ ﻫ ثم الحقه بي والده وهو صغير سنة ١٣٤٧ﻫ بمراكش فكان يأخذ القرءان والعربية في زاوية الرميلة عنا ماشاء الله الى انشب ، ثم التحق بمدرسة ابتدائية حيث توصل بشهادة ابتدائية ، وبينما هو في الثانوي بمدرسة مولاي يوسف بالرباط اذا بالدعاية تبث بين التلاميذ عند انتشاب الحرب الثانية للالتحاق بالدار البيضاء بمكناس حيث المدرسة العسكرية . فصبا الى ذلك فساعفه والده ، فبقي هناك ماشاء الله ، ثم دخل الجندية الفرنسية ، فشارك في حروب (الهند الصينية) وفي (ماداغاسكار) ثم بقي في هذه الجندية الى انجاء الاستقلال ، وتكون الجيش المغربي فكان من بين الضباط الصغار فيه ولايزال على حاله هذه الى الآن ١٣٨٠ﻫ ، وقد تزوج هذه السنة وأمه رقية بنت الرئيس احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني ، وهو الوحيد الذي بقي من أولادها . وقد توفيت عنه صغيرا ، وقد كنت قلت على لسانه حين يتلقى عني صغيرا قطعة اولها

أنا علي ولم اسم به الا لاني علوت اقراني
أسست مجدي وما اتكلت على أصلي العظيم الفخار والشان

الى ءاخرها

وقلمه في العربية والفرنسية حسن . وقد كان مر على القرءان كله

ولده الاخر فيصل

ولد ١٣٥٤ﻫ أمه السيدة فاطمة بنت الفقيه سيدي الحسن العفياني التيزنيتي كان مر بالمكتب الموجود في الزاوية الالغية ، ثم انخرط في مدرسة ابتدائية فرنسية عربية حتى نال الشهادة الابتدائية ، ثم انخرط في الثانوي ، الى ان استتم سنواته ، وفي عهد الاستقلال التحق أيضا بالمدرسة العسكرية في مكناس ، حيث أمضى سنتين ، قضى بعضها في مدرسة عسكرية في فرنسة ، الاانه أصيب بشيء حجز بسببه في مستشفى ابن الرشيد شهورا ، وقد لازمه تردده الى هذا المستشفى حتى غادر بسبب ذلك صفوف الجندية ، فبقي عند والده في تيزنيت الى الآن ١٣٨٠ ﻫ وقلمه بالعربية حسن ، بخط حسن ، وكذلك الفرنسية ، وقد كنت قلت أيضا على لسانه قطعة مطلعها :

اذا عن في الميدان مجد يؤثل ففيصل ما بين التلاميذ فيصل

الى ءاخرها

الاخ سيدي عبد الله بن علي

٢٠-٣-١٣٢٣ هـ = حـــي

...ooo...

نسـبـه :

عبدالله بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمدبن احمد بن عبدالله بن سعيد ٠

كان الفقيه الصوفي سيدى عبدالله بن محمد الايديكلي التملي اصهر الى الشيخ الوالد ببنته خديجة نحو ١٣١٢هـ ويفد عليه مرات في كل سنة ، فوفد في ربيع النبوى ١٣٢٣هـ ليزور شيخه ، فألم به مرض لم يلبث أن قفى عليه٠ فحمله الشيخ والفقراء الى قبيلة (أملن) ليدفن الى أهله فبات هناك ليلة فرجع، فوجد صاحب الترجمة قد ولد فسماه باسم جده ، تفاءلا انيكون على غراره فصدق الفال ، فجاء كأنما افرغ في قالبه تصوفا وخشوعا ، واقبالا على شأنه، ولاأزكى على الله أحدا ، الاانا ناخذ بماظهر ، ولله مااستتر ، ولكن الغالب أن من اسر سريره البسه الله رداءها ، فالله يعلم اننا أبناء الوالد تسعة لم يكن بيننا من ينظر هذه النظرة التى ينظرها المترجم بنظرة التصوف الى الحياة٠ أتم الله علينا وعليه بالحسنى ، وقد حكى ان الشيخ الوالد قال فيه يوم ولد: ازداد عندنا فقير يكون لمعاصريه كشمعة في الفنار ٠ هذا ماشاع والله اعلم

مـآخـذه

أخذ القرءان عن سيدى عبدالله الاكمارى في الدار ٠ ويحكى أنه لايـزال يتذكر ذلك النهار الذى افتتح فيه ٠ وقدقال الوالد لوالدته : ايتينا بتمـر يصحبه عبدالله الى الاستاذ ، ففر هو واختبأ بين نسوة في محل عينه لي في الدار ، ووقت مفتتح تعلمه كان اوائل ١٣٢٧هـ فوقف على حزب (قل أوحى) حين مات الولد مختتم ١٣٢٨هـ ثم لازم أيضا سيدى احمد السكتاني ، ثم سيدى محمد الالوكومى ثم اتصل بشيخنا جميعا سيدى عيسى الاكمارى في قريـة (ايحلوان) في صحبة قرينه الاخ سيدى عبدالحميد ، وفي أوائل ١٣٣٨هـأرسلا معا الى المدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتي ، فبقيـا شهرين، وقد افتتحا المبادىء عند سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح ، لان الاستاذ في تلك المدة حفزه حافز على مغادرة المدرسة الى داره ، فليلة راح الى المدرسة راجعا اليها وصل سيدى الحاج محمد بن عدى الواعظ ، وقدأرسله

سيدى سعيد التناني ليذهب معه في مصاحبة شقيقته السيدة عائشة زوجة سيدى سعيد ، وقد آزمع النقلة الى (أزيار) ، وذلك في شعبان ، فانقطع هناك عند الاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم في مدرسة (ايت خميس) المبنية على ضريح سيدى علي بن محمد ـ فتحا ـ ثم في المدرسة التامرية ، فجود عليه المتون الابتدائية في نحو ثلاث سنوات ، وشدا في الدور الثاني ، ثم التحق بالاستاذ سيدى محمد بن احمد ابن الحاج صالح في (دوملت) فتقدم به كثيرا وتوسط في الدور الثالث وقد ظهرت فيه نجابة فائقة ، وتحصيل في كل ما اخذه ، وهمة تخطب المعالي ، وخطوة تمتد الى الثريا ، وقد أقبل أيضا على النسخ فحسن خطه ، وجعل يجول هكذا • والاستاذ مقبل عليه اقبالا كليا ، فحفظ جل المقامات ، وبعض المختصر ، بله غيرها من المتون حفظ المتفهم ، حتى كنت أقول انه سيكون عالمنا الفذ ، ونابغتنا في هذه الجهة أيضا ، كما كان منذ ذلك الحين سيدنا جميعا اخلاقا ودينا واخباتا وانابة ، ولكن القواطع التى تتسلط على الافذاذ ما افلتته من براثينها

مفارقته للاخذ

توفي سيدى سعيد ءاخر ١٣٤٣هـ فترك أيتاما خفنا عليهم الضياع ، فلم نجد من عسى ان يقف عليهم سواه ، فغادر دروسه وهو يتقطع أسفا لولا انه لا يحب المخالفة لما في ذلك ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، فنزل عن ارادته الى ماتريده منه الاقدار ، ونحن أيضا أمرناه بذلك رغم انوفنا ، والضرورة اذا أملت حكما فلا يمكن ان يستانف بعد •

اقترن بسيدة تنانية بعد ذلك ، فطاب له المقام ، وقد قام بمانيط به خير قيام وقد عادت عليه صحبة سيدى سعيد بكل خير ، فكان يرد علينا ونحن اذذاك ممعنون في التعلم بفاس والرباط مع الاخوين الاخرين : ابراهيم وعبدالرحمن ثم حططنا الرحال في الحمراء فجلنا في التعليم بما يسره الله ، فكان كلما ورد علينا ورأى مانحن فيه يطير قلبه شعاعا على عدم نيله ماأراد من العلوم ، ثم حملته هذه الهمة الحافزة الى ان يتملص منسلا مما هو فيه ، فوصلتنا الاخبار بأنه فارق داره الى جهة مجهولة ، ففتش عنه في نواحي البلاد فلا يدرى أين قبع ولاى طريق اتبع ، وبعد حين عرفنا انه مر بفاس • وذلك انه نزل بها للقراءة ولكنه يعلم أننا واردون عليه ورادوه الى داره التى تركها شاغرة ، لا قيم عليها فخرج من (فاس) الى (وزان) ثم الى مشهد مولاى عبدالسلام على رجليه ، وقد طاب له ان ينفرد كذلك • وان يجول في مجالات السياح كالفقراء الذين رءاهم واخذ بأحوالهم وقرأ عنهم في كتب الصوفية ماقرأ ، ثم انفتل الى مدينة (تطوان) فرساهناك ، فصار ياخذ بعض دروس في البيان والفقهيات وغيرهما ، وبعد شهور اعتراه مرض ، وطافت به الغربة ، فلم يجد مايصنع ، وقد افلت من يده

مايتطلب، فرجع من هناك ، ولم نشعر به حتى جاء فتلقيناه بكلتا اليدين ، فقلنا له الاتزال حيا ؟ فقال بلسان الحال ، لورجعت بحاجتى من المعارف لرجعت اليكم حقا فى حياة ، ولكننى ماذا اصنع ؟ وقد افرغت وسعى وبذلت جهدى ففهمت عن الله ، فهكذا حرم من منيته ، ثم أقبل بعد ذلك على الفقراء الذين ينتسبون للوالد فى تلك الجهات ، وقد كانوا يجدون من حاله ووعظهماينهضهم فصار يجول فى ذلك باخلاص ، راميا الدعوى وراءه ، وكل مايتردى فيه مثله من اولاد المشايخ ، ثم لم يزل فى ذلك المركز الى سنة ١٣٥٤هـ وقد وقعت وقعة (الوغزنى) الشهير فالتفتت حكومة الحماية التفاتة خاصة الى رؤساء الطرق الصوفية، تباحثهم وتتبع آثارهم، فنادته القدرة ان ينكف عن السياحات، فان الزمان قد استدار ، وان الوحدة قد جاء عصرها فاطاع ، وقد مسته يد جالت حوله . فبقى فى مركز (اداوتنان) الحكومى نحو نصف شهر فى صفة معتقل ، ثم سرح وقد عرف أن ذلك من الله، وأن الله قد أمره ان يعتزل ، فهو اليوم ١٣٥٧هـ على هذه الحالة ، وقلما يفارق داره الا الى الوقوف على ضرورياته ، او الى صلة الرحم ثم صار بعد انتهاء الحرب يتقلب كيف شاء ، وقد علا شأنه ، وازداد كثيرا، وله خط جيد والمام حسن بالعلوم ممأخذه ، وان كان اعتراه خسوف وقد غلب عليه التصوف ، فرتب له أذكارا ونوافل ودعوات واحزابا يواظب عليها ، وقد وفقه الله الى ترجمة السيرة النبوية الى اللغة الشلحية فى ثوب قشيب فى مجلدين، كما ترجم (رياض الصالحين) للنووى فى أربعة مجلدات ، ويشتغل الان بغيرهما وفقه الله ، وله اليوم اولاد ذكورا واناثا اكبرهم جعفر وحمزة ، أنبتهم الله نباتا حسنا ، وزوجة سيدى سعيد التى رابط عليها وعلى أولادها هناك لاتزال حية الى الان ١٣٨٠هـ ، وهى كما قال بعضهم رابعة عصرها ، وأخت صاحب الترجمة فى أوصافها فكما أنه انفرد بين الذكور من ابناء والدنا بما كان له هنيئا مريئا، انفردت أيضا بين اخواتها بمثل ذلك أو اكثر، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، وحال المترجم اليوم ١٣٨٠هـ فى مقام عظيم نباهة ورجوعا الى الله وارشادا للعباد ، وقد حججنا معا سنة ١٣٦٥هـ فكتب عن رحلته كتابة حسنة فى مجلدة .

القاضي عبد الرحمن بن على

١٣٢١ هـ = ليلة ٣ ـ و ـ ١٣٧٩ هـ

نسبه :

عبد الرحمن بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن أحمد بن عبدالله بن سعيد •

هو شقيق الاخ احمد والاخ عبد الله المتقدمين وهو ثالثهما من الاشقاء الذكور ، وكلهم من أسباط الرجل الصالح سيدى عبدالله بن محمد ابنالقاضى فعادت عليهم جميعا نفحة منه •

متعلمه

أخذ القرءان عن سيدى احمد السكتاني ، وعن سيدى محمد الالوكومى بالزاوية ، ثم عن سيدى موسى بنالطيب فيالمسجد السليماني أياما ، ثم التحقوا بشيخنا سيدى عيسى الاكمارى فى (ايحلوان) باداكمار ثم الاستاذ سيدى الحسين الاسغاركيسى فى اداوتنان فهناك جود تجويدا حسنا، وهو وأخوه سيدى عبدالله اللذان بقيا بيننا فى حفظ القرءان حفظا متقنا ، بتعاهده وتفقده الى الان •

افتتح المبادىء في دار القائد سعيد التيكزرينى ، وقد ذهبتاليهابه وبقرينه سيدى ابراهيم سنة ١٣٤١هـ ، فثقفهما سيدى محمدبن احمد غاية التثقيف، فاجاد صاحب الترجمة المبادىء ومتونها ، وكانت له قريحة وذاكرة ، كأنهما ذاكرة صنوه الاخ احمد ،فقد جئت هناك مرة ، فأعجبت بهحين امتحنته على حينأن الاخ ابراهيم دونه بمراتب ، ثم ذهبتبهوبصنوى ابراهيم الى فاس ١٣٤٤هـ ، فبقى معنا صاحب الترجمة نحو سنة ، أخذفيها عن بعضالفاسيين وتقدم وأقبل على المطالعة ، وأنابه معجب غاية الاعجاب ، ثمان صحته لميوافقها هواءفاس ، فطلبمنى ان اسرحه لصلة رحم والدته ، فكان ذلك ءاخر عهده بالدراسة الجدية الحضرية التى نحن فيها اذذاك ، لانهلازم بعد ذلك المدرسة الساعدية فى قبيلة ابى السباع، وفى سنة ١٣٤٧هـ كان معنا ماشاء الله فى (الرباط) ثمرجع الى محله ثم انتقلنا سنة ١٣٤٨هـ الى (الحمراء) فاطل علينا أيضا ، فحثثته على الانقطاع الينا ، ولكن لم يتيسر له ذلك لشيئين اولهما :

انه - كماقال - لايقدر على الجدالذى وجدنا فيه ، وثانيهما مراعاة شيخنا سيدى عبد القادر السباعى التى لازم المدرسة عنده تسع سنين ، وهو يحضر فى الدروس ، وقد مر على المختصر مرة او مرتين ، وعلى الالفية مرات ، وعلى المنطق والاستعارت ، ومختلف الفنون ، ولكنه مع ذلك ناقص التحصيل، لانه لم يبعث همته الى ذلك بعد ، مع انذاكرته وفكرته وتمييزه كلها تشهد انّمن كانت فيه لابد ان يتفوق ، وليس معنى هذا انه كان متاخرا كثيرا ، بل انالمقصود أن المرتبة التى تنتظره لم يصلها بعد ، وفى السنة الماضية ١٣٥٦هـ انقطع معى بالغ شهورا ، فمررنا على بعض التلخيص ، فرأيت منذكائه وسرعة فهمه مالو أدركت حريتى للازمته حتى أغادره كماارید ، لاننى أرىمنه اخا حبيبا مفكرا ، متطلعا الىالمعالى منكلجهة ، له أوراد وأحزاب وتلاوة فى القرءان ومحافظة على شعائر دينه ، معمعرفته بأحوال الوقت ، فيارب اعنه حتى يستتم دراسته ، ويصل بهذه المشاركة العلمية التى أطل عليها مقاما عاليا ، هذا وله حافظة أدبية ،وذوق جيد وفهم ثاقب ويستحضر نوادر الابيات فى محادثاته، ولمأكن قيدت عنه شيئا فاذكره الان وقدكان فى سنة ١٣٥٤هـ اقترن ببنت القاضى سيدى مسعود الشياظمى الكرائمى ، وبنى داره ازاء داره ، ثم كان هناك فى المدرسة (الكرائمية) ماشاء الله مشارطة .

ومن أغرب مافى فىذكائه أنه يستحضر يوم فطم عن الرضاع ، وكان أخوه أحمد أيضا يذكروقائع عنذلك الطور، وامثالهما فىذلك قليلون، وبمثل هذا الذكاء وبنظير هذه الحافظة تدرك العلوم العليا ، وتخاض بحبحة المعارف ، والمرجو من صاحب الترجمة انيستدرك ، ولايزالذلك فىيده انشاء الله وفقه الله لما فيه خير ، وقد رزق أولادا ذكورا واناثا مع بنت القاضى انبتهم الله نبتا حسنا .

أخبار عنه اخيرا

مر على ماتقدم سنون كثيرة ، ولدفيها للمترجم بنون، منهم المهدى الذى سنذكره لانه الان نجيب ، وأخوه المختار النجيب أيضا وسعدالدين ، وعياض ، معبنات أخرى والكبيرة منهن تزوج بها عبدالسلام بناحمد الذى سترى ترجمته أيضا ، وقد لازمنى المترجم بعد مارجعت الى الحمراء من ١٣٦٥هـ سنوات ، حتى علا كعبه فى العلوم وحصل وعد حقا منعلماء (الغ) وقد كان درس حينا فى مدرسة (الكريمات) الىأن فارقها ، ثماشترى دارا بمراكش ، وقطن فيهاحوالى ١٣٦٨هـ ، فصار مراكشيا ، وهوالذى اليوم شيخ وقور نبيل ذو مركزودائرة متسعة ، وقد جعل لربه وقتا لاوراده واذكاره ، ولهذكاء غريب ، وحافظة واعية ، توكىء على كل ماجعل فيها ، فيستحضر فى البيان والاصول والحديث والتفسير والتاريخ استحضارا فوق ماكنت ارتجيهله منذ عقدين من السنين وقد درس فيها كلها فى مسجد (باب دكالة) ماشاء الله فيشكره الاخلون عنه

وقد سمى ولده (عياضا) حين كان يدرس الشفاء ، والاخر (سعد الدين) حين كان يدرس التلخيص .

توليه للقضاء

جاء الاستقلال فغاضت طبقات الموظفين الذين كانوا في عهد الاستعمار ، وبرز ءاخرون منهم المترجم ، فتولى القضاء في درعة بمركز (زاكورة) حيث بقي نحو سنة ، ثم انتقل الى (اكادير) عضوا في مجلس الاستيناف الجهوى، حيث هو الان مختتم ١٣٧٨هـ ، وقد الحقنا هذا الان تتميما للفائدة (ثم لايزال على ذلك الى الان ١٣٧٩هـ)

استشهاده

يالله ولكوارث الدهر التى تفجع الناس باخوانهم وأصحابهم ، فقد كنا خرجنا هذه الترجمة بايام ، فاذا بحادث (اكادير) الذى زلزل زلزاله جرف المترجم فيمن جرفهم ، ولاحول ولا قوة الا بالله ، فقد أرسلت حين بلغني خبر الواقعة الى (تاردانت) بعد زوال الثلاثاء ثالث رمضان ، فأفادوني ان المترجم انهارت عليه داره هو وولده سعد الدين ابن عشر سنين وبنتاه ليلى بنت ثلاث سنوات ونفيسة كما ولدت ، وامهما وخادمتان ، وقد انجى الله فاطمة وعياضا فانقذا تحت الهدم كما انجى بنتا للاخ سيدى عبد الله كانت عندهم ، فجميع الهالكين سبعة ، وقد انهال على المعزون بالرسائل والبرقيات والمكالمات التليفونية بله القادمين بأنفسهم ، وقد كان الرزء جللا ، ولكن لامرد لقضاء الله ، وهاك رسالة مسهبة كتبها الاخ سيدى محمد ، كجواب لبرقية استفسرته بها عما وقع ، ففيها الخبر اليقين الشافي .

الرسالة

بكرنا صباح يوم الثلاثاء من (تيزنيت) حين سمعنا نبأ حادثة (أكادير) وعميت عنا الانباء ، فلا هاتف ولا خبر تحقيق ، وركبنا السيارة متجهين الى (اكادير) في سير حثيث ، حتى وصلنا الحى الصناعى ، فرأينا شيئا خفيفا من الخراب ، ثم وصلنا المدينة الجديدة ، فزاد الخراب فقد خرت العمارات السامقة وما يجاورها مثل سوق الخضر الجديد ، ولما وصلنا (تالبرجت) وجدنا عاليها سافلها ، وقد انسدت الشوارع بالانقاض ، وصرنا ندور قاصدين دار أخينا سيدى عبد الرحمن ، حتى اضطررنا لترك السيارة من بعيد ، فمشينا على أقدامنا ، الى ان اتجهنا الى شارع (كولمة) الذى يسكن فيه سيدى عبد الرحمن ، ونحن نمشى على الانقاض ، ولابناء واقف في جهتى الشارع ، ولما توسطناالشارع التقينا مع السيد الخنبوبى الخليفة في (انزكان) وقال ان هنا سيدى الحبيب أخاكم ، فمشينا والتقينا مع ابراهيم بن الحبيب ، فسالته

عن عمه ، فقال مات فصدمنا صدمة عنيفة ، حتى كدت أكون بها ك (تالبرجت) ولما استرجعت وعيي قصدنا الدار المهدومة ، فوجدنا الاخ الحبيب مع خدامين جذبوا سيدى عبد الرحمن ، ووقفنا عليه مسجى ، وهو جثة هامدة ، وشمرنا على ساعد الجد ورجعنا الى الدار ، وتركنا امينا ليحفظ الحوائج ، وأرسلنا المتوفى الى (الدشيرة) مع الاخ الحبيب ليدفن في مركع (الزاوية) على سيارة مولاى سعيد القاضي ، وهم الذين صلوا عليه ، فقابلنا نحن الخدمة ، وعندنا قليل من العملة ، واجتهدنا حتى انقذنا (سعد الدين) فأرسلناه ايضا على سيارتنا الى (الدشيرة) وهناك من يحفر القبور ويغسل ويدفن ، ثم واصلنا الخدمة لانقاذ السيدة ، وفى وسط ذلك نجمع كل ما ظهر من الحوائج كيفما كانت بحيث لم يضع شيء مما ظهر ، فاذا بسيدى الحاج عبد الله حضر في ظهر الثلاثاء ، لانه وجده الحال في (تاماعيت) فخدمنا الى المساء ، ولم نجد الجثث الباقية ولكوننا لم نعلم محل مخدع السيدة (زينب) زوجة الاخ ، قلت لسيدى الحاج عبد الله أنت تروح الى (الدشيرة) لتعلم من هناك ثم تاتي معهم بكرة غد ، وانا سأروح الى (تيزنيت) لاستخبر ربة الدار عن محل مخدع السيدة والخادمات ، فتركته أمام (الدشيرة) وجيئت الى (أيت ملول) فوجدنا الوقود قد نفد في السيارة ، وطلبناه في (أيت ملول) فلم يوجد ، والمغرب وصلت واليوم يوم صيام ، فرجع السائق عبد الله بالسيارة الى (اكادير) للتزود بالوقود ، فبقيت أنا في (أيت ملول) وأبطا عبد الله لكون الوقود مفقودا ، وفي انتظارى ومشيي في الشارع ليلا ، ناداني سيدى الحسن البونعماني ، فتوجهت اليه وحمدت له الله على سلامته ، وقد كنا في رواحنا مررنا بداره ، وسألنا عنه وعما تعلق به احد أصحابه فأخبر بأنهم سالمون، فعزانا في الاخ ، وقال اني أرسلت في هذا المساء برقية للوزير اعلمته بالواقع ، فشكرته ، وبقينا منتظرين ، حتى اتى السائق فافترقنا ، ونحن توجهنا الى (تيزنيت) وهو متوجه الى ضيعة قبلة (أيت ملول) ، رحنا الى تيزنيت وزرت في المستشفى ليلا (فاطمة) بنت عبد الرحمن لانها متضعضعة ، ولاكسر فيها بعد انقاذها و (عياض) الذى لاباس عنده أيضا بل لم يمس بأى شيء ، وهما وجدناهما ظاهرين عليهما قليل من التراب ، فاخرجا واتى بهما الى المستشفى استاذ من (تيزنيت) ثم سألت ربة المثوى عن محل مخدع السيدة في الدار ، فدلتنا عن المكان ، وكذلك مكان الخادمات ، فطلبت من سيدى الحاج عبدالله التيزنيتي ان يطلب من احبابنا الغوث للانقاذ وليبكروا فبكرنا يوم الاربعاء الى (اكادير) ومعنا حمل السيارة من الناس ، والاخرون راكبون في الكار نحو ١٠ فلما وصلنا محل الخدمة وجدت سيدى المهدى بن عبد الرحمن هنالك وحده ، ولما يات سيدى الحاج عبد الله مع أهل (الدشيرة) فخدمنا ورجعت انا الى (الدشيرة) حتى وصلت الاخ الحبيب ، فسألته عن الموصى عليهم

فقال عهدى بهم امس ، وهم ناوون البكور الى (أكادير) فرجعنا الى (اكادير) والحبيب معنا ، واركبنا في الطريق من رأينا من اصحابنا فواصلنا الخدمة، وقد قامت الخدمة على ساق الى ما حوالى طلوع النهار ، فوصلنا السيدة وبنتيها نفيسة ، وليلى جثثا هامدة ، فحملنا هن في السيارة ، وذهب معهن سيدى الحاج عبدالله والحبيب ، ودفنوهن بعد تجهيزهن ازاء أبيهن ، فواصلنا نحن الخدمة حتى وصلنا الخادمتين جثثا هامدة كذلك ، فارسلناهما أيضا في السيارة ، ودفنتا الى من تقدموا ، وأخبرنا انسان ان عنده بنت سيدى الحاج عبد الله الكائنة عند سيدى عبد الرحمن ، فقد لفظها الهدم ، فخرجت والتقت مع من يوصلها الى خالتها في (انزكان) ، وفي وسط ذلك نجمع ما عثرنا عليه من الحوائج بأنواعها الكتب والاوراق والملابس والفرش والاثاث وكل ما عثرنا عليه ، بحيث لم يضع منه شيء ، ولم يضع الا مابقى تحت الردم الذى نوينا انقاذه يوم الخميس ، فاذا بطريق (اكادير) مغلق ، والذى وجد يوم الثلاثاء من الحوائج حملته شاحنة في المساء الى (الدشيرة) والذى وجد يوم الاربعاء حملته أخرى في المساء اليها ايضا ، وكل ذلك مجموع وسيكون مقدار حوالى حمل شاحنة كبرى ، وفي عشية يوم الاربعاء بعد اقلاعنا عن العمل ، ذهبت لارى الزاوية والدار ، فوجدت دار بوحموش الكائنة في يسار الزاوية تهدمت كلها ، ثم درت بالجميع ورأيت الجدران الخارجية واقفة ، والسقف كذلك واقف ، وهناك شقوق في الجدران ، فدخلت الى المركع فرأيته نزل الى تحت ، والزليج كله منتثر ، ودخلت الدار ، فرأيت مابين البيوت مهدما ، وقد اختلط كل شيء والابواب معوجة ، وقلنا الى الغد يوم الخميس نأتي بشاحنة لحمل ما في الدار ، وذلك شيء مهم وقد رأينا يد الناهبين امتدت الى الدار . فسرقوا منها مذياعين واغطية ، ولما جيئنا يوم الخميس وجدنا الطريق الى (اكادير) مغلقة ، فملنا الى (انزكان) ظانين أننا سنقدر على أخذ جواز لاتمام العمل في دار سيدى عبد الرحمن ، ولحمل حوائجنا من دارنا، فالتقينا مع الباشا سيدى الحسن البونعماني ، فأخبرناه بغرضنا ، فقال أنا بنفسى لاأقدر على أن أحصل على جواز لاذهب الى (أكادير) وقد التقيت مع الكولونيل اوفقير فلم يعطه لى ، وقال لى تذهب الى محل الاشغال العمومية ، وتطلب من رئيسها ان يعطيه لك ، وأنا لاأدرى ماافعل ، وفي الاخير قال اتبعونى لعل وعسى أن نجد حلا فتبعناه ، ولم نخرج من (انزكان) حتى أوقف سيارته ، ونزل ونزلت من سيارتى ، فقال لى لاتحتاج ان تمشى ، فانه لا يمكن أن تمر بسيارتك قطعا ، وأنت وحدك ، فاذا أردت أن تركب معنا فسنقدر على أن ندخلك الى أكادير ، فقلت له أنا وحدى لا فائدة في أن أذهب الى أكادير وأنت ترى السيارة مملوءة بالعملة ، والمقصود ذهاب العملة ، وأما أنا وحدى أفأذهب الى أكادير وأرجع بلا فائدة ، فقال فحسن ان ترجع اذن ، فرجعنا

الى (الدشيرة) فوجدنا الاخ سيدى الحاج عبد الله ، فقال ان الطريق الى أكادير مغلقة ، وقد حاولنا الذهاب اليه فمنعنا ورجعنا ، ثم حوقلنا واسترجعنا ، ودخلنا مركع الزاوية فوجدنا الاخ عبد الرحمن ومن مات معه فى المقابر السبعة كالاصابع رحمهم الله ، وجلسنا مفكرين ، فاذا بسيدى الحسن بن أحمد ابن اخينا أتى من مراكش مع ولدى القاضي سيدى مسعود الشياظمى ، فبعد جلوس قليل قال سيدى الحسن سأذهب الى (تارودانت) فقلت له وأنا معك لنعـزى السيدة خديجة فى أبيها ، فقلت لسيدى الحاج عبد الله حـيـث نحن اليوم جلوس ، وعندك من يخدم فاجمعوا الحوائج ، وانفضوا عنها الغبار ، ونظفوا كل شيء ، واطلع على ماهنالك • وفى المساء سيجتمع الاحباب هنا للترحم على هؤلاء السادة • وسنرجع فى المساء ، فذهبنا الى (تارودانـت) فأدينا حـق الزيارة والتعزية ، ولما صلينا العصر رجعنا الى (الدشيرة) كلنا ، ومعـنـا الاستاذان سيدى احمد البعمرانى ، وسيدى الحسين وكاك ، فبتنا فى الدشيرة وقد صنع الفقراء الطعام ، واجتمعوا على ذكر الله الى هزيع من الليل ، فقرأنا الفاتحة وترحمنا على سيدى عبد الرحمن ومن معه وعلى جميع الاموات فـى الزلزال ، وفى ذلك الوقت تذاكرنا على نقل الحوائج ، فأراد سيدى الحـاج عبد الله أن تكون فى (تيزنيت) فقلت له بما أننى ليس عندى محـل لضيق المسكن ، فأنا تذاكرت فى هذا الصباح مع القاضى سيدى أحمد أعمو ، طالبا منه ان كان عنده بيت حصين لوضع الحوائج فيه حتى يظهر ما يظهر ، فقد أطلعنى على محل فى بيته لائق ، فاذا لم يكن محل اخر فهذا البيت عند القاضى ولكن أننا رأينا الحراسة حوالى (تارودانت) تفتش كل الواردين ، فربما يكون ذلك على من حمل شيئا من الحوائج احتياطا عـلى السرقة ، لذلـك فيليق ان تستأذنوا الخليفة الخنبوبى ، فاذا كان فى الطريـق عارض يعطيكم جـوازا واذا لم يكن شيء فسيقول لكم احملوا حوائجكم ، فذهب عنده سيدى الحاج عبد الله ، وسيدى عبد السلام بن أحمد ، وسيدى المهدى ابن المرحوم ، فلما مثلوا عنده بينواله مقصودهم ، فقال لهم اتركوا حوائجكم لاتحملوها حتـى تمضى أيام ، فرجعوا واخبرونا بذلك فنقلوها من الزاوية الى بيت عند المقدم، وبتنا فى (الدشيرة) الى صباح يوم الجمعة ، فقصدنا تيزنيت جميعا ، وقد كنت لما وصلت (انزكان) معى فى السيارة سيدى الحسين واكريم ، فقال لى لابد ان تذهب لترىهل يمكن لنا أن ناخذ الجواز ، لنحمل الحوائجمن الدار فى (اكادير) فقصدنا (أنزكان) وسألنا عن الخليفة الخنبوبى والساعة هى التاسعة صباحاً ، فقالوا لنا مازال فى الدار ، فقصدنا داره فطرقنا ، وخرج ودخلنا، فقلت له أريد مكالمة تليفونية مع الباشا ، فصار يدير الالة حتى أعيت يده ولا من يجيب من بريد (انزكان) فقلت له مرادنا ان تيسر لنا تسريحا نحمل بـه حوائجنا فى دارنا من (أكادير) وهى واقفة ولم يمت فيها أحد ، فقال انـــك

تطلب المحال ، فاخرج ذلك من عقلك الان فودعته وانصرفت ادور في جهة مركز (انزكان) متحيرا فالتقيت مع الباشا ، فبينت له غرضي ، فقال ليس شيء في يدى تماما ، والكل في ايدى الجند ، فقلت له ياسيدى أنا ومثلي الذين حوائجهم على وجه الارض اذا لم تساعدوهم على نقل حوائجهم فانكم تسببتم لهم في مصائب أخرى ، زيادة على ما حل بهم ، فهذا الذى نراه ليست فيه انسانية ولا عطف ولا رحمة ولا معرفة الخدمة الصالحة ، فهذا الجند هو الذى يذهب بالناقلة مع رب الحوائج ، فيجمعون له حوائجه ، وهي لاتحتاج الى عمل فاس ، ولاالى أى عمل، فمن كتبتم له ورقة يصل بها الى الضابط العسكرى يطبع له جوازا ، فقال نحن لايسمع منا كلام الان ، وعلى كل حال رأيت مثلي كثيرين منالذين حوائجهم على وجه الارض ، فمنعوا من نقلها بأنفسهم ، ولم يقم أحد بنقلها لهم ، ولا ندرى من أين ضاع المفتاح ؟ فتأثر سيدى الحسن الباشا تاثرا كبيرا ممايرى من مثل ماذكرنا ، وفي ءاخر الامر ناداني الى كاتب ، بعد ماقال قلت لسى صالح كاتب العمالة مع ممثل الداخلية ان كثيرا من الناس حوائجهم مهيأة ، وهم يطلبون المساعدة لنقلها ، ومنهم فلان اخو وزير التاج سيدى المختار السوسى ، فنهرني سيدى صالح قائلا خلنا من الشخصيات يافلان فقلت له ليس هناك شخصيات انما ذكرت لك الناس كلهم ومنهم فلان ، فالحاصل تاثر جدا ، فقادني الى كاتب هناك ، فقيدت ماعندى في الدار وأن الشارع الذى فيه المحل لم يمت فيه أحد ، ولم تسقط الدار وفتحت الى الخارج وفيها حوائجنا جميعا ، وأردت ان احملها ، فقيد الكاتب كل ذلك ، وقال : ان الورقة سنرسلها لمحلها ، ثم التقينا مع القائد الممتاز فقال متى سمعت النداء فتقدم بهذه الورقة ، فخرجت يائسا من كل شيء ، ورجعت الى تيزنيت ظهرا ، وكنا مع الاخوان سيدى الحاج عبد الله وسيدى عبد السلام وسيدى الحسن ، وسيدى المهدى ، وولدى سيدى مسعود ، وسيدى الحسين وكاك ، وسيدى أحمد البعمراني ، الى صباح يوم السبت

نعم قلنا ان الخنبوبي قال لسيدى الحاج عبد الله اتركوا حوائجكم في (الدشيرة) ولما اتينا الى تيزنيت لم نر في الطريق عارضا ولا مانعا ولا حارسا ففهمنا ان السيد الخنبوبي انما يتكلم احتياطا ويامر من غير ان يعلم ان هناك ما يخاف منه .

ثم ان الاخوان سافروا الى (تارودانت) سيدى الحاج عبد الله مع بنته وسيدى عبد السلام مع عياض ، وأما فاطمة بنت عبد الرحمن فقد بقيت في المستشفى لاباس عندها .

ظهر ان من السيد العامل الى أصغر موظفيه كلهم امام المكاره والشدائد كالصفر ، ولو كان العامل عاملا حازما لانقذ نصف او ثلثي اكادير في يوم

الثلاثاء والاربعاء باستدعاء جميع المجاورين لاكادير ، ولكن أين هو وهم ؟ وقد اسكرتهم المصيبة ، وقد أصيب العامل في بعض عائلته ، ولكن يجب عليه أن ينسى نفسه ، لانه هو الراعي ، وهو المواسي ، وأما رئيس الاقليمية سيدى محمد الاخصاصي ، فقد خربت عليه الدار ، وهو وبعض أولاده سالمون والبعض هالك • واماالحاج الحسن بوسكرى فان أهله واولاده وأخاه مبارك تحت الهدم، وقد اتى يوم الاربعاء ، ولم يصلهم أحياء و (فونتي) مهدومة كلها و (القصبة) و (تالبرجت) المدينة الجديدية نصفها ، واما الحي الصناعي فخفيف الهدم ، ولا موت فيه و (احشاش) كلها تحت الهدم ، بدأت الرجة يوم الاثنين قبل رمضان بستة أيام ، وكانت خفيفة ، ثم عادت يوم الاثنين ثاني رمضان نهارا ، وهي كذلك خفيفة ، وفي ليلة الثلاثاء ثالث رمضان حوالي ١٢ انفجر الزلزال ، وجعل عالي (أكادير) سافله ، بينما كان أكادير في مساء يوم الاثنين ثاني رمضان زاهيا لاهيار رافلا في حلل البهاء ، فاذا به أصبح يوم الثلاثاءثالثرمضان خرابا مغبرا ، لامنظر ولاماء ولانور ، فاينما مررت تسمع أنات وآهات تحت الانقاض ، ولا من يغيث فهذه صورة أكادير اجماليا وما وراء كمن سمع

* * *

تلقيت ركاما من الرسائل في التعزية وغالبها عادى ، وهاك بعض الرسائل التي لفتت نظرى بعباراتها الرائقة التي لها نصيب من البلاغة من بعض تلاميذتنا وفرهم الله •

١ ـ حم القضاء ، وزلزلت الارض زلزالها ، وذابت النفوس حسرات واسى على فقد الاخلاء والاخوان وكنت واحدا ممن ابتلي بفقد اخ كريم عليه ، فعوضك الله عنه الصبر ، فقد كتب عنده سعيدا ، حينما توفاه شهيدا ، وانت من هانت عليه المصائب ، فاحرز ثوابها ، وتجمل باليقين ورضى بالمقدور ، واطمان للموعد لاسخنت لك عين ولا انكسر منك فؤاد بعدها

(ابن المعلم المراكشي)

٢ ـ بأى لسان اعزيكم عن مصاب عم الوطن اجمع ، ولم يدع مقلة لم تدمع ولا فؤادا لم يتوجع ، ولاكبدا لم تتقطع ، فقد استولى علينا الجزع ، وتملك قلبنا الفزع ، لفقد ان مدينة من اجمل المدن المغربية ، وفقدان من فيها من الاصدقاء والاخوان ، وبالاخص الفقيه الاخ سيدى عبد الرحمان برد اللـه ثراه وأكرم مثواه ، وجعله في أعلى الجنان : بفضل الله ورحمته •

وفي مثل هذا امتحان الرجال ، وموطن الصبر والاحتمال ، والمرء باعز ما لديه يمتحن ، والصبر على مقدار الهمم والفطن ، اسأل الله سبحانه وتعالى أن يوليكم سعة الصدر ، ويمنحكم نعمة الصبر ، وجزيل الاجر ، ويكون لكم برد الرضا والتسليم ، وسيلة للفوز للثواب العظيم ، ويجعل هذا المصاب خاتمة

الاحزان ، ويلهمكم جميل الصبر والسلوان ، ويفيض على الفقيد سحائب الرحمة والرضوان . (قاضي زاكورة احمد العرفي)

٣ ـ كنت عزمت أن أهنيكم بشهر رمضان المعظم ، ولكن في هذه الاونة التاريخية أبت قدرة الله العزيز الجبار الا أن تفجأنا وتنذرنا بالفاجعة المؤلمة كارثة مدينة (أكادير) الشهيدة . وفي الصباح توجهت الى البريد فعجلت بمكالمة تلفونية لدار الاذاعة المغربية طالبا ، منها ان تذيع سؤالنا عن حالة أخينا واستاذنا المسلم الغيور سيدي عبدالرحمان أخيكم وعائلته ، وفعلا سمعنا ماطلبنا اذاعته ، ولكن هذا لايكفي لاطمئناننا . بل لابد ان نعجل بمكالمة تلفونية نحوكم لنتمكن من الحقيقة ، وفي الحين اتصلنا بادارة البريد ، وسرعان مادق الجرس الهاتفي ، فاشرأبت الاعناق ، واشخصت الابصار ، واصيخت الاذان ، في صمت وهدوء ، لانها ستسمع كلمة الفصل ، كلمة اطمئنان او افجاع ، فمن مكالمتي معكم في الهاتف بعد ان سلمها لي مولاى علي الرحماني ولم أدر ما راج بينكما وانما رأيته لم يتمالك نفسه فشد راسه بيده ، ودموعه متدفقة مما زادني اضطرابا عنيفا ، وأنا أضع سماعة الهاتف على أذني (ألوألو) فعرفت من كلمة واحدة كل شيء ، ولايعلم الا الله ما الم بي فلم اشعر أوضعت السماعة في مكانها ام لا ، فصار بعضنا ينظر الى بعض نظرة الحزن ، والاستسلام لقضاء الله وقدرته ، فلم أستطع أن أتطلع الى الخبر الذي كتمه عنا مولاى علي الا بعد نصف ساعة تقريبا . فكانت صدمة في القلوب لاتستطاع ، ولكن ماذا يجدي البكاء أمام هذا المصاب الجلل ، والانسان عبد مملوك للاقدار (كل نفس ذائقة الموت) (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ان القنطرة الاجبارية لابد ان يمر بها كل حي (فهنيئا لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

وفي الختام يا استاذي لا يسعني الا أن أطاطيء الرأس أمام هذا المصاب العظيم ، فبالاصالة عن نفسي ، ونيابة عن أهل حومة باب دكالة نرفع تعازينا الحارة في أخيكم المغفور له : سيدي عبد الرحمان وعائلته ، أحسن الله اليكم فيما سامكم ، وأمطركم غيث احسانه . واذاقكم برد رحمته ، وأبقاكم ذخر للجميع ، فانتم ذ حر عظيم لنا ولجميع أخواننا .

وسدل على الفقيد وعائلته الرحمة والغفران ، وعلى جميع الشهداء الجنة والرضوان ، وأن يشفي مرضى الكارثة شفاء لايغادر سقما ، وأن يلطف بنا لطفا يليق بكرمه ، وان يرزقنا واياكم وجميع المسلمين مقعد صدق عند مليك مقتدر ، انه على مايشاء قدير ، (محمد بن ادريس)

* *

ثم كان من بين ما وصلني ، تعزيتان عامتان لمنكوبي الزلزال . احداهما

نثرية من محل ولدنا الاستاذ احمد الاخصاصي كتبها من (مصر) وهي نثرية، والاخرى شعرية من الاديب العلامة سيدى الحاج احمد بن بلقاسم الزياني ، فنص الاولى

(ياللهول ٠٠ يالها من ماساة في أكادير)

الى البقية الباقية من اخواني في ارجاء سوس ٠ الى هؤلاء أكتب بالدم الذي يبض به قلبي ، أكتب اليكم تعزيتي هذه ، والاسى والحزن والكمد والالام تنفطر به كبدى ، وتحتدم به احشائي ، وتتصدع به آمالي ومناى ، وأخيرا يذوب بـه قلبي ثم جسمي ٠

(يا للهول ٠٠ يا لها من مأساة في أكادير) ، اخواني انني رغم ما سمعته من اذاعات العالم كله ، ورغم ما قرأته في صحف الشرق عن الزلزال في أكادير رغم هذا كله ، فانني لاأستطيع ولن أستطيع ان أصدق او أتصور أن ءالافا من اخواني قد ابتلعهم ذلك الزلزال الجبار الخاطف في لحظة واحدة ، كانما كان الجميع على ميعاد ٠

وكيف أصدق هـذا ؟ وقـد كان اخواني يسارعون الى الخيرات في كـل ميادين الحياة ، مادية كانت أو معنوية ؟ وكيف أصدق هذا واخواني فـــي أكادير هم الذين يؤسـسون المعاهد الدينية والمدارس والمساجد من عرق جبينهم في حين كان غيرهم يبني العمارات الشاهقة للترفيه الفردى ، والقصور الضخمة للتنعم الشخصي ؟ وكيف أصدق هذا واخواني في أكادير كانوا ينفقون ملايين وملايين من الفرنكات على ءالاف التلاميذ الذيـن يتعلمون فـي تلك المعاهـد المنتشرة في انحاء سوس ، ذلك كله لوجه الله والانسانية ؟

أيها القدر المحتوم

قل أيها القدر المحتوم لي بربك قل لي   كيف أصدق خبر هذه الكارثة التي أودت بحياة ألوف من اخواني الابرياء ؟ أليس هناك من يستـحـق هـذه الفاجعة الاليمة الا اخواني الابرياء ؟ قل لي بربك قل لي ٠ ماجريمة اخواني وما ذنبهم ؟ أليس هناك طغاة جبابرة فرنسيون ينكلون بالاطـفـال والنساء والصبيان في بلاد الجزائر ؟

لماذا ـ لماذا لم تأخذ بثار اولئك الاطفال والعجزة والنساء مـن الطـغاة الجبابرة الفرنسيين بدل اخواني الابرياء في (أكادير) ؟

قل لي بربك قل لي ، كيف تجاهلت وتناسيت طغيان وجبروت الصهيونية في تشريد ملايين العرب ، من النساء والصبيان والعجزة من ديارهم ؟ كيف تجاهلت هذا كله ، ومددت يدك الخفية متناسيا جبروت الطغاة فـــي باريس وجبروت الجرائيم الصهيونية ، مددت يدك الخفية وخطفت بها اخواني مـن (أكادير) وهم لم يقترفوا اثما ولاذنبا ، غير أنهم يبذلون كل ما يملكون فـي

مشاريع البر والخير ؟

ماذنب اخوانى ؟ هل ذنبهم انهم يجودون بكل نفس ونفيس فى تشييد المعاهد والمدارس ، لنشر تعاليم الدين الحنيف ، ونشر الثقافة فى ارجاء بلادهم سوس ؟

أليس هذا الذى كان أيها القدر الذى آمنا بخيره وشره ، قلبا للحقائق المعروفة فى نواميس الحياة ؟ أم أن هناك حكمة ربانية خفية اختص بها القضاء والقدر دون غيره من البشر ؟ آمنا بالله ، وآمنا بقدره المحتوم ونستسلم لكل ما فعلت يا ربنا فلا تسأل عما تفعل وهم يسألون ، ومع هذا كله فانني لهول الكارثة لاأستطيع أن أتحمل آلام هذه الكارثة ، لانها طامة كبرى للمغرب عامة وسوس خاصة انها لقاصمة الظهر ، انها لاحدى الكبرى .

لمثل تلك يذوب القلب من كمد ... ان كان فى القلب اسلام وايمان

أخوكم الذى تتلظى احشاؤه ، فاحترق قلبه بنار الكارثة وهو الفاجعة

٦ ـ ٣ ـ ١٩٦٠ م (أحمد بن محمد الاخصاصى)

القصيدة

ماذا دهاك أخيسة الاشبال ... احصبت أم روعت بالزلزال
أين المبانى الشامخات بأنفها ؟ ... أيـن القصور العادمات مثال ؟
أين المدارس فى سمو علومها ... طلابها فى عقدها كلئال ؟
أين المصانع زاحمت نجم السها ... عقدوا عليها الجم من ءامال ؟
منها المشيد فى السماك وبعضها ... كالطود فى قمم هناك عوال
سام على هام الثريا رفعة ... يزهو على الزهراء كالمختال
أين الغوانى الزاهيات بحسنها ... فى كنها وكناسها كغزال ؟
بات الجميع على فراش هناءة ... فى مأمن فى راحة من بال
الطفل فى حضن يداعب أمه ... كالطفلة الحسناء ذات جمال
والشيخ فى أكناف سربه هادئا ... والعيش رغد فى بنيه وءال
والتاجر المبروك فى دكانه ... يرعى الصباح لصالح الاعمال
والفالح الارض المثير ذخائر الغ ... ـلات ثم ثقائل الاحمال
ماكان يخطر ان تداعى فوقهم ... تلك الربا من حادثات ليال
وتصير بعد غضارة من عيشها ... كسراب قيعة او تلعلع ءال
حجراتها منقضة وقصورها ... خرب من الانقاض والاثقال
كانت تعج عمارة وتغص بالر ... واد كانت مطمح الامال
والطرق مزدحم الخلائق كثرة ... طراقها الاجناس فى أشكال
قدأصبحتهمس الشفاوفىالثرى ... ذابت وغاصت ثم فى اوحال

والروض أخرس غيرنةلوعة!لكـــلوم ثــم ممــزق الاوصال
قلب يذوب واعين تهمي كـمـا   تهمي القراب بمائها وعـــزال
أبكي أسى وتفجعا لفجيعـــة   فمصابها قد شط في الايغال
لك أن تلوم على بكائي أو فدع   قلبي عليهم قط ليس بسال
هي حرقة في القلب في كبدي لقد   زاد العناء فزدت في الاعوال
ولقد سرى للنفس في أعماقها   ألم الم وجاء بالـبـلبـال
هاج البلابل فجأة من حره   حلت شغاف القلب دون زيال
في ليلة ليلاء طـــال ظلامهـا   لم تنحسر عن نجمها وهلال
وتطاولت حتى كأن صباحـهـا   هو موعد للحشر يوم زوال
طال انتظار القوم مايبدو به الا   صباح بالتفصيـل والاجمال
حتى اذا خيط الصباح بدا بدا   عن محشر بالرعب من أهـــوال
أين العروس عروس سوس ءاذنت   بالبين في لمح وبالترحال
وغدت محاسنها البديعة ءايـــة   ءايا من الانقاض والاطلال
يا للفواجع ، والفواجع جـمـة   في الشيخ في الشبان في الاطفال
ياللمصائب والمصائب جـمـلة   جاءت على الارواح والاموال
ماكان أقساها ـأجل ـ وتتابعت   في المغرب الاقصى غدت بتوال
ياهل ترى افعالنا السوأى جنت   أو جاء منها حاصب بوبال
اوذي بوادر طامة كبرى غـدت   قابا لتنهي خاتم الاجـال
قم أيها الشعب الكريم مكفرا   عن سوء مكتسب من الافعال
وانب الى المولى بمعتقد مـن الا   يمان صاف لم يشب بضلال
وانهج شريعة احمد المثلى فمـا   مثل الشريعة قط من منهال
فهي السنا وهي الهدى للسارى بل   والنور والمثل السمى العالى
وانهض غيورا غيرة الملك المفـــ   ـدى الالمعى بل الاب المفضال
ماكاد يقرع اذنـــه ذاك النبـا   حتى اعترته صولة الرئبـــال
لم يكتحل وسنا ولم يطبق لـــه   جفنا على جفن من الاهوال
حتى استقل الطير فيه محلقا   ويحثه في السير باستعجال
حتى اناخ به على ارباضهـــا   فرأى بمرأى العين شبه محال
فرأى أكادر يالها نهب الـبـلى   وهي الهدى الرؤد ذات دلال
فرثـى لها ولناسهـا ومصابهم   والدمع لم يرقا لرقة حـــال
وهناك طاف الاريحيي (محمد)   حلف الندى رب الجدى ونوال
يسلى ويأسو جرحهم بتواضع   وتواضع السلطان تاج جمـــال
في رحمة بالقلب ـاى ـ وتخشع   وتخشع السلطان اوج كمال
ويهيب بالحسن السرى لنجدة   هو قدوة فيها وخير مثال
في اسرة ملكية علويـــــة   في همة علياء ذات جلال

في رقة وحنان قلب مــزده بجلائل الاخلاق والاعمال
يايها الشعب الوفي قم واقتده هذي الشمائل منه مثل لئال
واهرع لنجدة اخوة منكوبــة هــي أخوة الاسلام خير منــال
وابذل جهودك جاهدا في غوثها بسخاء كف بالجدى هطال
وانظر بعيني رحمة في دمعة حمراء من كبد وجد بوصال
ترضي الاله غدا ، وفي هذي الدنا تبغي الثنا فابغ الثناء الـغـالي
ياأهــل سوس دونكم مرثـيــة في الاسدفي اللبوات في الاشبال
ياأهل سوس انها رمــز الوفــا ان الوفا في الشعر خير خــلال
ياأهــل سوس انها من مخلص جهد المقل ولاك ليس بسال
يا أهل سوس انها لعزاؤكـــم في الراحلين بروعة وجلال
شهداء عند الله جل جلاله في مقعد الصدق المقام العالي
قد شيعوا بملائك الرحمان ا ن ملائك الرحمان خير مــوال
ساروا بهم يحدوهم التعظيم با لتقديس والاكبار والاجــلال
نثروا عليهم من زهور جنانـــه وسقوهم بــالروح لا السلسال
رحماك رب لوافدين لبابـكـم رحماك ياذا الجود والافضال
رحماك رب بفتية من أمة المختــ ــار طــــه سيد الارسال
صلى عليه الله ما غيث همى أو جــاد بالابكار والاصال
والنخبة الابرار من اصحابـــه والصفوة الغر الكرام وءال

وادي زم ــ (احمد بن قاسم المنصور الزياني)

هذه دمعات على (اكادير) التي هلك فيها من الانفس زهاء عشرين الفا ، ومن الاموال ما انهار به اقتصاد سوس ، ثم لايمكن ان ينجبر الا بجهود أخرى بعد سنين ، فالله يحفظنا من جميع الكوارث ظاهرا او باطنا ، انه سميع مجيب

أولاده

له من الذكور والاناث خمسة ، خديجة قرينة الاستاذ عبد الســلام ، وفاطمة العذراء ــ وهي الناجية من الهلاك ــ والمهدي ، والمختار الذي يتتبــع دراسته في الثانوي ، وهو من أنجب الناشئين ، ومن أثبتهم واهدئهم ، وهو الان يتتبع بعد الشهادة الثانوية ، وعياض الصغير ، واكبرهم المهدي ، وهاك عنه كلمة فقد ولد ٢٦ــ٩ــ١٣٥٦هـ وهنأت والده به بقولي :

هلال تبدى ساطع النور في المهد هنيئا بما أوليته يا أبا المـهـدي
فبشرى ءلال الشيخ قد زاد بينهم جديد رضيع المجد في كنف السعد
تفصل من ابنائهم عقد جوهر فجئت ابا زيد بواسطة العقد
كأني به فذا بغير مشابــه وعذبا بلا رنق وعضبا بلا غمد
فيهدي الى العلياء من ضل سبلهــا ومن لم يكن يهدى فلم يك بالمهدي

متعلمه للقرءان

كانت ولادته ومنشأه فى قرية زاوية سيدى احمد بن ابراهيم منالكرائمات فى الشياظمة ، فهناك اخذ القرءان اولا عن الاستاذ سيدى الحسين البعمرانى فى المدرسة هناك • حتى قارب أن يستتم الختمة ، ثم انتقل والده الى (الحمراء) فأخذ ختمة اخرى عن عمه بلقاسم بن على أخينا وشقيقنا فى الزاوية بالرميلة، ثم انتقل هو وولداى عبد الله وسعيد الى (ابن كرير) فختم أيضا هناك ختمة أخرى عند الاستاذين سيدى محمد بن ناصر وسيدى ابراهيم بن أحمد الالغيين فهناك اخذ القرءان فى نحو ثلاث ختمات •

مآخذه للعلوم

افتتح العربية عند الاستاذ احمد الوفقاوى فى مدرسة (تمانار) بحاحة فاخذ عنه الجرومية والجمل والزواوى ولامية الافعال وابـن عاشر والسيرة النبوية ، والالفية الى جمع التكسير ، والفرائض والحساب ، بقى هناك عامين، ثم انتقل الى مدرسة (ابن كرير) بالرحامنة ، فاخذ النصف الاول من المختصر والتحفة ، النصف الاخير منها ، والجوهر المكنون ، والمقنع ، والالفية والدروس النحوية ومحاضرات الخضرى ، وأدبيات كثيرة ، والمقامات الحريرية ، بــقـى هناك عامين ثم انتقل الى مراكش ١٣٧٢هـ فانخرط فى كلية ابن يوسف فـــى الرابعة من الثانوى ، فتتبع السنوات حتى أخذ الشهادة السادسة سنة ١٣٧٥هـ ثم انتقل الى (تطوان) حيث التحق بالنهائى الممتاز ، ثم التحق بالحى الجامعى فى (الرباط) وهو الان ١٣٧٩هـ فى السنة النهائية فيه ، وله نجابـة وشفوف وتحصيل • جعله الله خليفة والده بفضله وكرمه •

ثم انه حصل على الشهادة العالية من الحى الجامعــى ، فهاهــوذا الان يتوظف قاضيا ، وقد أملك باحدى كرائم عمه سيدى محمد ، وقد تحسنــت اخلاقه كثيرا ، وخصوصا بعدما أصيب بكارثة والده ، والمصائب أفضل مشحذ لمن يريد الله به خيرا •

الاديب سيدى ابراهيم بن علي

مختتم ٧ـ١٣٢٨ هـ = حـــى

نســبــه :

ابراهيم بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد ٠

في أول رمضان ١٣٢٨هـ ، كنت بين يدى والدى امام السريجة على البغلة وقد رجع بنا الوالد أنا والاخوان : أحمد والحبيب من قرية (افريان) حيث كنا نقرأ القرءان اذذاك ، فبتنا في دار الشيخ على الديلمي في قرية (تيلقايد) انتشر الفقراء الذين مع الوالد في الطريق ، ونحن متوجهون الى جهة (المعدر) ثم الى البلد ، فقال لى وهو يحدثني محادثة الاطفال ، أتدرى أنه ازداد اخ لك ءاخر، فقلت له لا ياابتاه ، ومتى ؟ وما اسمه ؟ فواليت الاسئلة ، وانا جذل على عادة الصبيان في العجلة الشديدة العنيفة اذا استفزهم فرح جديد ، فقال كان ذلك عند أول الشهر الماضي ، فكان الوالد أول من بشرني ببروغ طلعة هذا الاديــب الاستاذ الكبير الذى نترجمه اليوم ٠ ثم بعد يومين وصلنا البلد ، فتلقتني أمى بما تلقى به كل والدة رؤوم ابنها الصغير الغائب عنها كثيرا يوم يدخل عليها، وكان وقت وصولنا أصيل يوم ، فاول ما صنعت أن هرولت الى مهد الاخ الصغير فاطللت عليه ، ولا أدرى هل رأيت من عينيه اذذاك هذا النبوغ والعبقريـــة اللذين ظهرا منه فيما بعد اولا

متعلمـــه

أخذ القرءان في رفقة عبد الرحمان سواء بسواء عن السكتاني والالوكومى وسيدى أحمد الحاحي البيضاوى ، وسيدى موسى ، وسيدى عيسى ، ثمافتتحا معا كما ذكرناه في ترجمة الاخ عبد الرحمان في حاحة ، ولا ازال اذكر انني حين جيئت بهما من الغ في المحرم ١٣٤٢هـ وصلنا في الطريق غابة (اكيافرني) بين (أيت تامر) و (أورير) فكنت القن هذا الصنو هذه الابيات التي قلتها على لسانه في تلك الغابة ، ونحن على البهائم وهو رديفي ، فقلت له كل من سألك من أنت ؟ فأجبه بهذه الابيات

أنا سمى الخليل ... أنا رشاد الضليل
أنا النمير فقد فـــ ... ــاز ان أتى ذو غليل
أنا طبيب ومن شـــ ... ــك ياتني بالعليل

فصرت أمليها عليه حتى حفظها ، ولكنه لم يعرف معناها بعد ، ثم دارت دورات الزمان ، وذهبت وجاءت امور ، فاذا به مرشد الضالين الى مناهج العرفان ومروى غلة العطاش الى العلوم ، وطبيب بين هذا وذاك بحذقه وحسن تنظيمه ومعرفته كيف يضع الهناء مواضع النقب •

في ميدان المعارف

فى سنة ١٣٤٤هـ كنت فى قرية (دوملت) بحاحة حيث افتتحوا المبادىء على يد الاستاذ سيدى محمد بن احمد ابن العم فى دار القائد سعيد (رحمه الله) فامتحنتهم ، فساءنى جدا اننى رأيت من المترجم تأخرا كثيرا عن أخيه سيدى عبد الرحمان ، حتى أنه لايفرق بين الجموع الثلاثة جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم ، وجمع التكسير ، فكان ذلك سبب أن ذهبت بهما معى الى فاس ، وكنت اذذاك فى تذبذب فكرى ، وأنا كما اتصلت بالحياة الجديدة وكما ظهرت على أخبار العالم الحديث ، بأفكاره المزوجة المختلطة المتضاربة، فكنت معها اذذاك كريشة خفيفة لا تستقر على حال ، فربما اعقد عزيمتى اليوم على شىء ، ثم انقض غدا ما ابرمته أمس ، وأنا مع ذلك اتطلب أن أصل الى الحقيقة حتى لا أقلد أحدا فيما آتى وما أذر • وكان لهذا التذبذب وقع سيىء فى سيرنا أنا وصاحب الترجمة الذى نز معى ، فيسير بسيرى ، ثم لم ينجل عنا ذلك الا بعد زمن فاتنا فيه من علماء القرويين ما فات ، وفى أثناء ١٣٤٥هـ ، سرت اتبين الموقف ، وأدرك أن ذلك السير لايفضى بى الا الى تخطى معارف هى كل ما أمكن لى الاحراز عليها فى الوقت ، فاقبلت على النحو واللغة والادب والتاريخ أدرسها مع هذا الاخ وءاخرين ، فانتفع هو بذلك احسن انتفاع ، وقد أخذ هناك عن علماء ءاخرين ، منهم سيدى الطاهر الكتانى الذى أخذ عنه من الفقهيات والاستاذ سيدى العباس بنانى والشيخ سيدى محمد بن الحبيب الفلالى ، وكنت أعنى بتقويم لسانه فى العربية ، فأكببت معه على كتب المنفلوطى الادبية فبها تخرج ، يتلو غالبا ، خصوصا حين امتد فى مضجعى – على عادتى مع أمثاله – ثم يتلو لنفسه ، فتعلم من ذلك ان يعتمد على نفسه • هذا وهو ياخذ الادبيات عن شيخنا المفكر الكبير سيدى محمد بن العربى العلوى فى (الكامل) و (المقامات) وغيرهما ، وقد اخذ عنى كثيرا من النحويات وبعض كتاب (الاحكام) للمعافرى ، ثم فى سنة ١٣٤٧هـ ، رأينا ان نحط رحالنا فى (الرباط) فمضت تلك السنة علينا سنة مباركة عظيمة الفائدة ، وقد واظب معنا الاستاذ شيخنا سيدى المدنى ابن الحسنى بدروس متعددة فى الحديث والفقه والبيان ، وما اليها من المباحثات القيمة فى المجالس التى لم تجعل للدراسة ، وءاخر ماأخذناه عنه (أرجوزة العراقى) فى الاصطلاح فى اسبوع ، بعدما اتممنا عليه (بلوغ المرام) وقد أخذنا أيضا ماشاء الله من (عمدة الاحكام) عن شيخنا سيدى محمد

السائح ، هذا ونحن دائما نحضر (التحفة) صباحا و (التفسير) بين العشاءين على شيخ الاسلام سيدى ابى شعيب الدكالى أمام الجيل ، ومتى رجعنا من دروس هؤلاء الاساتذة أقبلنا على دروس اخرى خاصة أدرسها للمترجم ومن معه منها النصف الاخير من (القوانين) لابن جزى درسناه بتتبع ، فنفعنا جدا في الفقه و (ارجوزة ابن عاصم) فى الاصول ، و (المقامات) و (المغنى) لابن هشام وأنا بين ذلك مكب على المطالعات المختلفة ، حتى كان كل النهار معمورا بهذه الاعمال ، فكنا مغتبطين مغبوطين ، ونحن الى الان لاننسى (الرباط) وسنته الميمونة المباركة التى استطعنا ان نؤسس بها لاعمالنا المراكشية المشهورة ، ومتى أراد الله شيئا هيأ أسبابه •

وفي مفتتح ١٣٤٨هـ ، القينا الرحال بالحمراء بعد ، فاقبلت على المدارسة مع هذا الاخ • وبضعة طلبة اتصلوا بنا اولا ، فمررنا بادئى بدء على (جمع الجوامع) و (الرسالة القيروانية) و (الزقاقية) و (الموطا) و (العمدة) فى احاديث الاحكام وأدبيات كثيرة ، ثم انه أخذ أيضا من الجامع اليوسفى عن شيخنا مولاى احمد العلمي ، وسيدى محمد بن عمر السرغيني فى الاصول والفقهيات ، كما أخذ ايضا هو وبضعة اقرانه عن الاستاذ سيدى عبد الجليل ابن القزيز التفسير وعن الاستاذ سيدى أحمد اكرام وعن سيدى احمد بن المحجوب الرجل العابد ، فهذا ما أخذه الشقيق قبل أن ألقى رسنه على كاهله ، ثم لما رأيت منه ما يبهجني صرت أطلقه شيئا فشيئا حتى استقل بنفسه ، ويفعل ما يشاء ، وكان دائما منذ حللنا بالحمراء يتطلب الرجوع الى (القرويين) ولكن ذلك لم يتيسر •

في ميدان التعليم

أقبل على التعليم فى مدرسة جديدة فتحناها بمراكش نحو عام ١٣٥٠هـ (وهى التى تطورت فى عدة اطوار فكانت بعد هذا الحين مدرسة (الحياة) • المشهورة باستاذها الجليل سيدى بريك الغراس) فظهر من مقدرة المترجم وحسن تأنيبه وصبره ، ودماثة اخلاقه ، وادارته وتنظيمه ، ماحمل الاستاذ سيدى محمد بن عثمان (رحمه الله) ان كان يقول دائما سبحان الله ، فشتان ما بين (فلان) وسيدى ابراهيم ، فبينما هو نجده لايزال بدويا صعب الاخلاق ، ذا مخاشنة فى الملمين به ، محتوشا لاموره بلا نظام ، اذا بسيدى ابراهيم حضرى الطبع ، لطيف المنزع ، دمث الشمائل ، ملمسه ألين من الحرير • محب للنظام الموافق لهذا العصر ، فهذه قولة الاستاذ التى لاتزول عن لسانه فى كل مناسبة ، وانا انصف من نفسى فانزل عند هذا الحكم ، فلئن فاتتنى هذه الخصال فما حرمت مما فاز به أخى الشقيق ، فان كنت على جبلة غير محمودة فارجو الله أن لايفوتنى من ورائها الانصاف الذى هو بفضل الله جبلى فى والحمد لله •

ظهرت مساعي الاخ في مدرسته غاية الظهور ، مع أنه لامعين ولا منشط، الا أنه يستمد من عزم بين جنبيه فولاذي ، لاينثني دونالغاية المنشودة ، ولعل الذين درجوا به في الابتدائيات ، وحفظوا مع ذلك القرءان أو أشرفوا على حفظه يعدون بالعشرات (وقد أصبحوا بعد اساتذة كبارا ، كالاستاذ عبد النبي،والاستاذ الصديق الغراس وأقرانهما) •

فتحت (مدرسة جسوس) بالرباط على يد الاخ المجاهد الحاج احـمـد بلا فريج ، الذي هو أول من طلع على المغرب من بين الاهالي بتعليم جديد ، يماشي العصر الحديث باساليبه ، ويجمع بين الثقافة العصرية الغربية وبين المحافظة على الثقافة التي لايزال اثرها واضحا للعيان ، صار الحاج احمديتطلب الاساتذة المقتدرين العارفين كيف يكتشفون متجهات التلميذ حتى يقوموها على الصراط السوي ، فذكر له صاحب الترجمة ففاتحني في استخدامـه استاذا عنده ، فكان ذلك سبب ان غادر المترجم الحمراء ، فترك ءاباء تلاميذ مدرسته فـــي حيرة ووله لو لم يجيء الاستاذ سيدي بريك الغراس ، فكان هناك خير خلـف لخير سلف ، وكان هذا الانتقال في مفتتح رمضان ١٣٥٤هـ فظهرت أعماله في (مدرسة جسوس) فكان سعيه مشكورا بكل لسان ، وهو مع اشتغاله هكـذا مكب على المطالعة ، حتى التهم عشرات فعشرات من الكتب الادبية والتاريخيـة والاجتماعية ، وقد كان في الحمراء حيث لم يتم له النظام كما يشاء ، يلاقـي صعوبات في أن يجد فراغا للمطالعة التي أغرم بها ، فكان ذلك أحد الاسباب التي التحق بسببها الى هذه المدرسة التي هي في النظام على أحدث اسلوب ، وقد كان بيته في النزل في (باب الاحد) مجتمع كثير من ادباء الرباط اذذاك ، بل مقصدا للواردين من غير أدباء الرباط • فهذه هي حياة الشقيق ابراهـيـم وهكذا تدرج حتى وصل الى هذه المرتبة التي يتمتع فيها اليوم بما يتمتع بـه العاملون المجدون ، ومما تقدم تدري العلوم التي يخوض فيها ، والاخلاقالهينة اللينة التي خصه الله بها ، وربما كان لما يراه مني أحيانا اذ يفلت زمامعواطفي من يدي ، هو الذي أراد أن يتحفظ جهده ، حتى لايقع فيما أقع فيه ، مع توفيق الله اياه واعانته ، ومعلوم ان من ساء اخلاقه تحسن اخلاق اصحابه ، ومـن حسنت أخلاقه تسوء اخلاق اصحابه كما يقوله المامون ليحيا بن اكتم •

ءاثاره الاولى

لم يحضر عندي الان في (الغ) من ءاثاره الاولى ما اتخير منه كما أريد ، وانما عندي هنا في منفاي بعض ما وجدته بين الاوراق ، ولعل في ذلك خيرا لنثبت له ما يتيسر من بواكير منتجاته ، مما يرسله عفو الخاطر ، فلا أدل عـلى الانسان من هذه التي يرسلها على عواهنها ، ثم يكتب له الخلود بها ، وأما مـا توفر عليه ، فربما يكون فوق مستواه العادي الذي يجول فيه

كتب الينا من الرباط الى الحمراء -٩-١٣٥٤هـ

(بعد تهنئتكم بعيدنا الوافى ، أبلغكم تحياتى وسلامى المصحوبين بكل اشتياق وتحنان ، الى زيارتكم وملاقاتكم التى لم يصدنى عنها الا أمور نفسانية وعلائق ودية ، مع اخرين متشبثين بالاذيال ، لنقضى معهم أيام الافراح والمسرات فى هذا العيد ، علاوة على تهاطل الامطار ، واسترسال أنابيبها لغسل الاوحال العائقة عن الانتقال والترحال ، ولد حض الاتراح العالقة بالقلوب والنفوس وكان من أمر الاقدار أن ذهبت بنا مطية الامال الى بعض الادغال ، حيال الرباط برسم التجوال ، وترويح الخاطر من عناء الدرس والمطالعة ، بعد ماشاهدنا صفاء الاديم ، وبروز الغزالة من وراء الغيوم ، لتحيى الامال ، وتبعث الحياة فى النبات والحيوان • وقد أشعت على الفضاء بحرارتها الدافئة فترة من الزمان حقا اغتررنا بها واستهوتنا كما تستهوى سحابة الصيف قافلة من قوافل الصحراء ، فارسلنا للراحلة عنانها ، حتى استقرت بنا تحت خيمة تقلها دعامتان ، وتبسطها أطناب واوتاد ، يسكن فى زاوية منها خرفان صغار ، وفى أخرى هرة واولادها ، وفى ناحية نساء مع اطفالهن الذين لايفترون عن النحيب والعويل ، حين كانت الطاهيات يهيئن لنا الطعام ، وقد اوقدن جذورا لعلها رطبة فملات سماء البيت دخانا وظلاما ، وفى الوسط قافلتنا المتركبة من ثمانية فأكثر ، وقد استدرنا فيما بيننا ، ويطرقنا من النواحى غثاء الحملان ومواء السنانير ونباح الكلاب الخافرة للحى ، كان كل واحد ـ عند نفسه ـ شرطى فى معقله ، تشول باذنابها كما يشير بدبوسه ، وتكشر عن انيابها كما يصوب بنادقه ومسدساته ، وتملا الفضاء بنباحها ، كما يلقى أوامره وضوابطه وهناك القينا عصا التسيار ، لناخذ منه الى مرحلة أبعد ، فحمدنا مستقرنا ، وشكرنا مثوانا ، باعتناء أرباب البيت الرافع العماد ، الكثير الرماد ، فلئن كان المجازيون يتخيلون ذلك فنحن شاهدناه حقيقة لاخيالا ولامجازا ولا كناية، ثم أرادت الطبيعة ان تحاكي جود رب مثوانا ورباته ، فارسلت سحبها غيثا مدرارا ، لم ينقطع ليلا ولا نهارا ، حتى استحالت أرض المكان زرقاء (كأن لون أرضها سماؤها) وقد ضعفت سماء البيت عن الاستمساك ، حتى جعل ابن امكم يتلقى الوكفات بكلتا الكفين ، بعدماثقل بالابتلال من أرديتنا كل ما خف ، فكان كل ما تشتغل به ألسنتنا ترديد قولنا (اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الظراب والاكام) اللهم استجب دعاء الابوصيرى فى قوله

(على الربا والهضاب انهل وانسجم)

وأصبح كل منانا أن نجد منقشعا من السواجم لنرجع الى بيوتنا ، وقد قنعنا من الغنيمة بالاياب ، واجتوينا رؤية هذه الروابى والهضاب ، فنترجى بعدما انستنا اسواط السماء ببروقها ورعودها ، ومنهمر مائها الدائم ، ماكنا خرجنا اليه ، أن نرجع كفافا ، لا لنا ولا علينا ، ولكن هيهات أن يصحوا أديم الجو ، وان يسفر بعد ان تقنع بسحب دكناء ، فان اسفر حينا وتراءت لنا لمع

منه ، كما تتراءى لمع المحيا الوسيم ، من تحت قناع خلق تتخلله شقوق الوصاوص (١) فما ذلك الا ليرجع كرة أخرى الى تجهم جديد ، وانهما رينسى ماتقدمه ، وهكذا دواليك ، الى أن استدار ليل ونهار ، فايقنا أن الحزم يقضى بالرجوع على أدراجنا ، لان أحسن المتنزهات فى الايام الممطرة الغرف الدافئة ، وقد اتكأت على اريكتها تتمتع من هناك بالجو المكفهر من نافذتك ، فابنا يومنا هذا ، وقد حمدنا سلامة الاياب ، عاقدين العزائم على أن لانعود لمثلها ابدا ، ما دامت فى السماء قزعة ، وان لايغرنا من فصل الشتاء سحاب عارض

ذلك من اعذارى أيها الاخوان ، حتى لا اشاركم فى تعييدكم ، ولكن ان شاء الله سنخلف ما اضعنا بعد العيد بيومين او ثلاثة ، فنفوز بكلا الفرحين ، ونضيف انس (الرباط) لانس (الحمراء) فنجمع بين الحسنيين ، ويعود سلامى الاذكى على جميع الاخوان والطلبة ، وتكون منه للاديب البونعمانى نفحة تليق لمقامه السامى فى الادب ، ان كان الكتاب صادفه هناك ، وابث اليه من أشواقى)

* * *

أيام كنا بفاس كانت عندنا بالبيت هرة صغيرة ، ففرط منه وهو صغير، أنه أعطب احدى أرجلها ، وهو يلاعبها بموسى او بمثلها ، فخاف ان يناله منى بذلك ما يسوءه ، فكتب الى هذه البطاقة الصغيرة ٠

استاذى واخى الشقيق :

انني لفى استحياء عظيم ، وفى خجل كدت منه أذوب حتى سبق منى لهذه الهرة المسكينة ما سبق ، فاننى أقدم اليك ياأخى الحنون ، واستاذى الشفوق اعتذارى ، واقسم لك ياسيدى اننى ما تعمدت ما فعلت ، وانما هى زلة من غير عمد ، وهى بنت الغلط ، فاتطلب من سيدى طلب المستحيى الخائف الوجل ، أن يسامحنى وان لايواخذنى ، وأن يقابلنى بما قابل به يوسف اخوته من عدم التثريب وبالمغفرة التامة ، والسلام الاتم على سيدى واخى واستاذى ورحمة الله ١٣-٢-١٣٤٦هـ ، أخوك وتلميذك الخجول الوجل ، ابراهيم

بهذه الرسالة استطاع ان ينسل من التقريع الذى يولع به المربون القساة (نظرائى) فى أمثال هذه المواقف ، وقد كان اذذاك يعانى صناعة الانشاء ، فوجد بركة هذه الصناعة فذهبت دماء الهرة المسكينة هدرا ، وليس بالاديب من لايرق قلبه لسحر البيان ، حتى يبدر به دماء كل الهررة والسنانير (٢)

---

١) الوصاوص خرق فى الستر بمقدار ما تنظر منه العين ، قال الشاعر:
وشققن الوصاوص والعيونا

٢) كان شيخنا سيدى المدنى ابن الحسنى يقول ان كلمة الهر الالمانية جمعه هررة ، والسنيور الايطالى جمعه السنانير ، ومسيو الفرنسية جمعه المساوى فيقول عن جفلة أوربية جمعت الهررة والسنانير والمساوى ٠

في تطوان

رأيت الان ابراهيم بن علي الذى قضى ما قضى في (الغ) ثم في (حاحة) ثم في (فاس) ثم في (مراكش) ، ثم في (الرباط) والان سترى ابراهيم ءاخر المسمى في تطوان (ابراهيم الالغى) فان هذين الابراهيمين متباينان على خط مستقيم ، فعهدنا به وهو تلميذ ثم استاذ اولى ، وما بين هذين الا خيط رقيق، كما عهدنا فيه اريحيا فكها سهل الاكناف معاشرا ، ينسى ان له وجودا خاصا ـ كما هو ديدن ابناء البهجة من الانسجام مع المجالسين المؤانسين في مجالس المؤانسة ـ عهدنا أنه احد الطلبة المتفوقين في النكتة ، والاخذ والرد ، والاقبال بقلبه وجيبه وعهدنا به أيضا أن له قوة على هضم كل ما يلتهمه من كتب المطالعات التى يواليها ثم يوليها كل مافيه من قوة ، هكذا كنا عرفنا استاذنا ابراهيم أمس يوم فرق الدهر بيننا وبينه أواخر ١٣٥٥ هـ ، ثم دار الزمان دوراته دورة بعد دورة ، ثم لم اتصل به الا ببضع رسائل تعاطيناها ما بين(الغ) و (تطوان) ـ توجد في كتاب (الالغيات) ـ ثم لما انحلت عقدة النفى عنى ، وراجعت الحمراء ، وتمكنت من زيارة (طنجة) تلقانى هناك سيد وقور عصرى على ءاخر طراز ، بشوش يجارى بمقدار مايسمح به وقاره التطوانى ، والعجيب انه لو لم يقدمه لي جليس لما استرجعت معرفة محياه ، فكانت لقيا ابتلت بها الجوانح مما كان يتلظى فيها قبل من أشواق لافحة تنشأ عن ذكريات طافحة، وقد ذكر لي اذذاك أنه على نية الاقتران بسيدة كانت يراعتها أعلنت مكانتها على صفحات الصحف قبل هذا الحين ، ثم بلغنى ان ذلك قد تم على احسن مايرام، وفوق ما يرام ، ثم تتابعت السنون ، فجاء الاستقلال ، فأزيلت الحواجز بين المنطقتين ، فوقعت اتصالات متعددة منه الى في (البيضاء) ومنى اليه في (تطوان) حيث نزلت على اسرته الكريمة ليلة هي من ليالى العمر التى لاتنسى.

وبعد فكيف ابراهيم الثانى هذا التطوانى الذى نراه الان بين أيدينا ؟ أنه ذلك الاستاذ العظيم الذى قضى زهاء عشرين سنة في التعليم والتخريج ، فقد كان أولا في (معهد مولاى الحسن) مع الاستاذ الكبير المكي الناصرى ، ثم كان في مدرسة حكومية أخرى ، فامكن له باكبابه وحسن نظامه ان يمر بين يديه طبقات من كل الذين استتموا بعده دراستهم في (اسبانية) وفي (مصر) حتى أن كل من القاه من الشباب المثقف في الشمال يفتخر بانه من تلاميذ الاستاذ (ابراهيم الالغى) حتى أن بعض المنكتين من بعض الحواضر قال في مجمع يوما ، ان المختار وأخاه ابراهيم ينتسب اليهم في (مراكش) و (تطوان) كل من دب ودرج ، وقد كان ابراهيم الالغى استطاع اداء هذه المهمة بتباعده ظاهرا عن التحيز الى هيأة من الهيئات ، وان كان وطنيا في قرارة نفسه ، فتفرغ لاداء مهمته ، ثم كان لانزوائه الغريب عن المجتمعات سنين طوالا ، اثر في

زيادة انكماشه ، حتى كأن ذلك مما طبع به من صغره ، مع ان ذلك انما حدث فيه منذ انزوى فى (تطوان) ثم استطابه فعض عليه بالنواجذ ، وقد عرف هناك بالتمكن فى الادب العربى العالى ، فيتحاكم الى ذوقه وينبه على السرقات فى قصائد الشعارير ، بل أعلن يوما عن قصيدة مسروقة من (ديوان على جارم)، غفل عنها كثيرون من المصيخين لها ، وبهذا الاكباب على الادب العربى استطاع أن يخرج كتابا ادبيا مدرسيا فى جزءين وهو مطبوع ، كما كانت له مؤلفات أخرى عربية مطبوعة كسلسلة ، فقرر الجميع للدراسة الرسمية اذذاك ٠

زرت مولانا الملك محمدا الخامس يوم رجع من سفرة (طنجة) المعلومة ، فقال لى ٠ عجبا ان شابا ألقى أمامى قصيدة فى الشمال فقيل لى انه أخوك ابراهيم ، فأعجبنى فوصيت عليه الخليفة مولاى الحسن ، قلت له انه من أسرة لها عندنا مقام عظيم ٠ هكذا قال لى الملك ، فزادت تلك التوصية المترجم مقاما الى مقام ، فنال الشفوف فى البلاط الخليفى .

تلك كلمة صغيرة عن ابراهيم الالغى التطوانى ، الاستاذ العلامة الوقور الوديع، ألذى استطاع أن يرقى نفسه بنفسه بعدما فارقنا ، فكان مجمعا عليه بين التطوانيين أخلاقا ، وحسن معاملة ، ورفع همة وعزوفا ، حتى لو عرف أن فى شرب الماء القراح ثلما لمروءته لما شربه ، وقد حافظ على كثير من مزايا أسرته من ملازمة الصلاة والتزيى بمحاسن الاخلاق ، فلا تدخين ولا اسفاف ولا معاشرة تخل بمقامه ، وله المام باللغة الاسبانية ، ولعله تمكن فيها فى جولاته الكثيرة فى كل سنة فى ذلك (الفردوس المفقود)

في المجلس الاعلى بالرباط

جاء الاستقلال ٠ وصدمت (تطوان) بزوال أبهتها التى الفتها فى عهودها الاخيرة فلم يمكن بعد للمترجم ان يبقى فيها ، لانه انما كان ملتجئا اليها يوم نفيت أنا الى (الغ) خوف أن يلحق بى ، وقد تسرب اليه ان ذلك يحبك حواليه فانسل الى (طنجة) ثم الى (تطوان) فحين عاد جميع الملتجئين يحق له هو أيضا أن يرجع ، فتهيأ له ان يكون فى المجلس الاعلى للنقض والابرام ، حيث هو الان ١٣٧٩هـ ، وقد اشترى دارا فى الرباط فاستقر به القرار ٠

آثاره الادبية في تطوان

بين يدى الان سجل طافح بادبياته نثرا وشعرا ، مما كان ينشر له فى ظرف عشرين سنة ، فهناك من المقالات الطنانة ، والقصائد البديعة ، ومساجلات بينه وبين معاصريه ٠ ووصفيات شتى يصف بها مناظر طبيعية خلبته ، أما فى (تطوان) واما فى غيرها ، زيادة على قصائد المناسبات التى يقضى عليه مقامه

أن يشارك فيها ، وان كان عزوفه وانكماشه المعهود قلما يسلسان لذلك ، الا اذا لم يجد منه مناصا ، كما أن هناك موشحات واناشيد على غرار الموشحات الاندلسية القديمة ، او على غرار شعراء المهجر الذين يظهر ان لبعضهم في قلبه مكانة مكينة ، حتى انه ليشتغل احيانا بدراسة شعر بعضهم ٠

ذلك جماع ما أراه الان أمامي اجمالا ، وحين لم يمكن لي ان اسطر الجميع ذكرت بعضه مما يستحق الذكر لئلا يغفل عنه التاريخ ، وناهيك بكونه في (تطوان) معروفا بالعبقرية في الادب ، حتى كان جل دراسته في (الثانوى) هو الادب ، وقد حاز باعماله في هذا الميدان جوائز مرات ، وناهيك به حين حاز كتابه المدرسي في الادب (العربي) الجائزة الاولى في (الرباط) بعد الاستقلال وهكذا كان أديب أمس الاستاذ ابراهيم الالغي ، نبراس الادب في (تطوان) ذا ءاثار حية ممتازة تكون أكبر شاهد على أنه أديب اليوم أيضا ، فهاك الان من بعض مقالاته اولا التي تظهر مكانته كعلامة عربي أديب مفكر ، ثم نسوق لك ما أمكن لنا سوقه من القوافي ، حتى لا نخرج من ترجمته الا وقد أدركنا من هو ابراهيم الالغي التطواني ثم الرباطي ٠ فان الآثار الادبية هي التي تعبر عن الاديب فكرا وبراعة وأسلوبا ٠

نـــثـــرلا

هاتان كلمتان اخترناهما كانموذج من نثر الاستاذ حفظه الله ، ولعل القارىء يعجب بهما كما أعجبت أنا بهما قبله ٠

النشأة الاولى للكتاب العربي في القرن العشرين قبل الميلاد

للكتاب العربي نشأتان اولى وثانية ، فالثانية هي التي أتاحها نزول القرءان الكريم ، وكان للامويين فيها بعض الفضل ، وللعباسيين فيها النصيب الاوفى ، والقدح المعلى ٠ فهم الذين اظهروا الكتاب العربي على شكله القشيب، الذي عرف به قديما وحديثا ، وجعلوه كتابا واعيا جامعا ناسخا لما سبق ، وناهجا لما لحق ٠

اما النشأة الاولى للكتاب العربي التي وددنا أن نتعرض لها بهذه المناسبة السعيدة فهي تتقدم وتسبق الثانية بنحو ثلاثين قرنا ، توغلت في القدم وأمعنت في الخفاء ، حتى كادت تنسيها وتطمسها ظلمات التاريخ ، وكرور الدهور والعصور ٠

والعجب أن مهد النشأة الثانية التي نعلمها ونعقلها ، هو نفس المهد للنشأة الاولى ، فالارض التي تدرج عليها الكتاب العربي في عهد الرشيد والمامون ، هي التي درج عليها قبل ذلك بقرون وقرون ، ففي بلد الرافدين ، او في العراق

البلد الطيب المبارك زرع العرب الاولون الحمورابيون نتاج عقولهم ، وثمار حضارتهم ، كما فعل اخلافهم واعقابهم من بعدهم •

فالتاريخ يعرف أن وادى الفرات كان أسبق البقاع فى قارة أسيا الى انتاج العلوم والفنون ، منذ أقدم عهود التاريخ ، ففيما بين النهرين دجلة والفرات اشتغل أقوام بالعلم والادب ، وضربوا فيها بسهم وافر ، وتمتعوا بما لم يتمتع به احد ، فضبطوا العلوم ، ورصدوا الكواكب ، وعرفوا مواقع النجوم ومسالكها ، وسموها باسمائها ، وساروا تحت انوارها وأضوائها ، والعالم حولهم فى ظلام دامس ، وليل قاتم ، كما أن وادى النيل الخصيب المريع أسبق بلاد الشرق الى النضج الفكرى ، والنبوغ العلمى ، ظهرت فيه طائفة من كبار العلماء قبل فجر التاريخ ، اى منذ نحو ستة آلاف سنة ، ونذكر بهذه المناسبة ان الحفريات وقفت هناك على كتابة منقوشة فوق قبر ، يفخر فيها صاحب القبر بأنه كان يتولى ادارة الكتب المختصة بالدولة ، فى عهد الاسرة السادسة ، أى منذ نحو خمسة آلافسنة ، فهذا يدل بطبيعة الحال على وجود الكتب بكثرة فى ذلك العهد السحيق فى ذلك الوادى المبارك

كما عثر النقابون بوادى الفرات على (قرميدة) بابلية ، عليها كتابة بالقلم المسمارى القديم ، فيها قائمة باسماء ملوك بابل ، ومن جملتهم ملك اسمه (شرجينا) يظهر انه سامى الاصل ، عربى العنصر ، كان محبا للعلم والعلماء، راغبا فى العمارة • مولعا بالكتب ، أنشأ مكتبة فى مدينة (ورقة) من أعمال العراق ، سماها مدينة الكتب وعهد الى رجل من خاصته فى جمع الكتب من كل مكان ، وندب علماء أمته للتدوين والتأليف والشرح والتعليق ، كما استعان بالعلماء من سائر الاقطار ، لينقلوا له ويترجموا ما عندهم من العلوم والفنون مثل مافعل بطليموس فى مكتبة الاسكندرية بعد ذلك بمئات السنين • وكما فعل كسرى انواشروان فى مكتبة (جند يسابور) وكما فعل هارون الرشيد والمامون فى مكتبة (بغداد) ، وعبد الرحمان الناصر والحكم فى مكتبة (قرطبة) فالملك (شرجينا) يعد أول من دون العلوم والفنون بشكل مرتب شامل ، وتعد مكتبته أول مكتبة فى العالم ، ومن حسن الحظ ان النقابيين عثروا على بقاياها بين النهرين ، فى حالة لاباس بها ، فنقلت الى المتحف البريطانى فى (لندن) فهى هنالك الى اليوم ، وحروفها منقوشة على الطين بالحرف المسمارى فى ألواح من الخزف او القراميد ، ولغتها سامية بابلية شقيقة العربية او أصلها الاول ، وتعرف هذه المكتبة عند مؤرخى الاثار بمكتبة (ورقة) او بالقراميد الاشورية ، فهى وان كانت بعض حروفها مطموسة ، وبعض ألواحها محطمة يمكن الانتفاع بها والاستفادة منها •

الا أن أعظم أثر وصل الينا من أهل بابل او العرب القدماء ، هو شريعة (حمور أبى) المدونة فى أواسط القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، فهى أقدم أثر علمى باق الى اليوم بل هى أقدم كتاب فى موضوعه وصل الينا سالما كاملا لم يلحقه عطب ، ولا ناله تغيير يذكر ، فهو أثمن ذخيرة علمية على الاطلاق ،فاذا صح ـ كما هو الراجح ـ ان الحمورابيين عرب كان أقدم اثر علمى عند العرب يرجع بتاريخه الى ما ينيف على أربعين قرنا او اربعة آلاف سنة •

عثر على هذا الاثر سنة ١٩٠١ م فى بلاد السوس ببلاد فارس ، وجـــد منقوشا على مسلة طولها سبع أقدام ، من الحجر الصلد الاسود ، كتب بالحرف المسمارى المستعمل عند البابليين والمعدود أصلا من أصول الخط العربى ، ولغته بابلية قريبة من اللغة العربية ، ولا يخفى ان ما نلاحظه من الفروق والتغيرات بين اللغة والخط العربيين فى عهدهما الاول ، وحالهما فى العهد الثانى زمن الاسلام ، ليس شيئا اذا قيس بمئات القرون ، وبما ياتى على الامة من صروف وظروف ، وما تتقلب فيه من أهوال وأحوال • فاذا قلنا ان شريعة (حمورابى) اثر عربى ، لانعنى أنها فى منزلة الشعر الجاهلى مثلا يستطيع كل عربى أن يقرأها ويفهمها ، وانما نعنى أنها عربية الجنس ، عربية الصبغة ، عربية المبدا مثل عرب اليمن القدماء ، فلا يشك احد فى عروبتهم ، وان كـان لهم لسان لايفهمه العرب المسلمون ، ولهم خطهم المعروف بالمسند ، لايقرأه أحد مـــن المتقدمين ، وهم الذين قال فيهم أبو عبيدة : وما لسانهم بلساننا ، ولا كلامهم بكلامنا ، فاذا جاز هذا على أهل اليمن على قرب ديارهم ، وأدراك الاسلام اياهم جاز على الحمورابيين بالاحرى ، وحكم الواقع •

فشريعة (حمورابى) اثر عربى ، نعدها النواة الاولى لنشأة الـكتـاب العربى ، وضعت فى ترتيب وتبويب عجيبين ، كما هو الشأن فى شرائع الامم الراقية ، ودساتير الدول العظيمة رتبت فى ٢٨٢ مادة ، تناولت جميع فـروع الشريعة ومسائل الاحكام ، ولا سيما شروط الزواج والطلاق والتبنى والارث وأنواع المعاملات ، فهى فى تفصيلها وتدقيقها تدل على تقدم تلك الامة فى سلم الاجتماع الى أرقى ما بلغت اليه الامم فى تلك العصور ، فمن ذلك أنها قللت من التمايز بين طبقات الامة ، فالعبيد قد يتزوجون من بنات الاحرار ، والدمـاء تكاد تتساوى وتتقارب ، والزوجان متعادلان ، كل منهما مسئول عن الاخر ، والتسرى باطل الا عند عدم الزوجة او رضاها ، ولا امتياز فى الارث بين الذكر والانثى ، الا فيما تدعو اليه ضرورة القيام بحقوق الانثى ، وللمرأة عندهـــم مكانتها وكامل حقوقها ، فهى فى البيت تتولى الرياسة وعليها المسئولية ، وفى المجتمع تتمتع بحريتها واستقلالها ، وتتعاطى المهن والاعمال الحرة ، وتنخرط فى خدمة الدواوين ، وتضطلع باعباء الدولة الى غير ذلك مما يثبته ذلك الاثر النفيس ، والكتاب القيم •

فالحمورابيون العرب ، سبقوا غيرهم فى ميدان العلم ، وقطعوا أشواطا فى مضمار الحضارة ، وكانوا يعلمون أولادهم نحو هذا الذى نعلمهم عليه نحن اليوم ، لم يسبقهم أحد فيما نعلم الى تاسيس المدارس وترتيبها على هذا الشكل ، وتعليم الاطفال والاحداث فيها ، فلقد كشفت الاثار حديثا فى انقاض (زيبار) عن آثار مدرسة لتعليم الاطفال الصغار ، فى أول مدرسة معروفة من نوعها منذ اربعة ءالاف سنة ، وجد فيها قرميدات (الواح) عليها دروس للاطفال فى الحساب والهجاء ، وجداول الضرب ، ومعجمات ومثلها ، كما اكتشفوا فيها كثيرا من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار والقراميد ، واكثرها لحمورابى وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية ، والارصدة الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية ، مما يدل على شغف القوم بالعلوم وسبقهم الى التأليف ووضع الكتاب

ولكن • هل الحمورابيين عرب على التحقيق ؟ فهل لنا من الادلة ما تقوم به الحجة ؟ ويدعم دعوانا على أنهم أول من وضع الكتاب العربى ؟

وددنا أن لو وجدنا المجال فسيحا ، والوقت متسعا لنبسط الكلام فى هذه المسألة ، ونستعرض أقوال المؤخرين والاثريين فى هذا الصدد ، ولكننا لضيق المقام نجمل القول ، ونكتفى لاثبات دعوانا بالشواهد الاتية :

الشاهد الاول ـ اتفق اهل الانساب على أن دولة الحمورابيين سامية الاصل ، ثم اختلفوا فى نسبتها الى شعبة من شعب الساميين ، وكان ممن عدها فى العرب الكاهن الكلدانى (برسوس) مؤرخ الكلدان ، ودول العراق القديمة فقدعد الحمورابيين بين الدول التى حكمت بابل،وأشار الى انهم عرب،و(برسوس) هذا خبير بتاريخ بلاده ، أدرى به من سواه ، هو مؤرخ محقق قديم ، من اهل القرن الرابع قبل الميلاد ، عاصر الاسكندر المقدونى ، وكان عالما باليونانية، وبها ألف تاريخه عن بلاده • وهو مرجع جميع المؤرخين لتلك الديار ولما جاءت الحفرية الحديثة وظهر علم السلالات وأصول الشعوب تبين ان(برسوس) مصيب ، وأن الحمورابيين عرب •

والشاهد الثانى ـ ان المؤرخين أطبقوا على ان الحمورابيين قدموا من غرب العراق ، وأنهم من البادية ، غلبوا السومريين على ملك العراق ، وورثوا حضارتهم وملكهم ، فهذا يشبه بطريق القياس والمقارنة ، ماكان عليه بنو لخم وغسان قبيل الاسلام ، اذ كانوا يعيشون على تخوم العراق والشام ، وينالون من ملك كسرى وقيصر شيئا فشيئا ، ولما سنحت لهم الفرصة بظهور الاسلام انقضوا على ملك فارس ، وأسسوا الدولة العباسية الشامخة البنيان الموطدة الاركان ، فلا يبعد أن يكون عملهم هذا سبقت له بادرة ، وكانت له أمثولة فى ذلك الزمن الغابر •

والشاهد الثالث أن لغة الحمورابيين التى خلفوها وكتبوا بها قرميداتهم وشريعتهم ، شديدة الشبه باللغة العربية ، قريب بعضها من بعض حتى لاتدرى أيهما أصل للاخر ، فأصول الكلمات ، وقواعد التركيب متماثلة متقاربة ، من ذلك أن حركات الاعراب الثلاث (الرفع والنصب والجر) توجد فيهما على حد سواء ، وكذلك التنوين ، فانه فى لغة بابل ميم ساكنة ، وفى العربية نـــون ساكنة • وهما تتبادلان وتتناوبان ، كما هو معروف ، وكذلك علامـة الجمع فهى فى البابلية (ون) كما فى العربية وكذلك كلمة (ذو) فـان البابليــين يستعملونها للموصول بدل (الذى) فكذلك قبيلة طيء تستعملها وتقول (فلان ذو سمعت) اى الذى سمعت ، قال شاعرهم :

فان الماء ماء أبى وجدى   وبيرى ذو حفرت وذوطويت

أى بيرى التى حفرتها وطويتها ، فهذه لغة اثرية ، تدل على شدة اواصر القرابة بين العرب والحمورابيين •

والشاهد الرابع ـ أن أسماء ملوكهم عربية التركيب والمعنى ، فأولهـم يدعى (ساموابى) اى أبو سام وسادسهم يدعى (حمورابى) اى أبو حمور ، وهذا اعظمهم واليه ينتسبون ، وثامنهم يسمى (شمسوايلونا) اى الشمس الهنا ، ومعروف ان البابليين كانوا مقترنين بالاجرام السماوية فعبدوها ، وفيهـم بعث الله سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، وكذلك كشفت الحفريات عن أسماء اخرى تشبه الاعلام العربية تماما ، فهم كانوا يسمون عبدو ، وشمسو، خليلو • وأبو فلان وعم فلان • واخو فلان • وبلال • وسمعة • وأسماء أخرى• تشبهها لفظا ومعنى • ومعلوم ان الاسماء والاعلام تدل على جنسية أهلــهـا ، وحقيقة مسمياتها •

وبالاجمال فان الادلة على عروبة الحمورابيين كثيرة وفى تزايد ، كلـمـا تقدمت اعمال الحفريات ، وربما كشف لنا الغد القريب ما نجهله اليوم ، وربما ازاح الستار عن حقائق أخرى أعظم مما ذكرنا ، فما نعلمه مـن أخبار العرب القدماء لايعد شيئا اذا قيس بما نجهله ، ولاشيء أفيد فى هذا الباب من الاثريات فهى تاريخ القوم وسجلهم المكتوب الموثوق به ، فاذا تضافرت الادلة على عروبة الحمورابيين وثبتت بشكل اجماعى مقطوع به ، ثبت بالتالى ان النشأة الاولى للكتاب العربى ترجع لما قبل القرن العشرين من الميلاد ، فيكون هـذا فخرا عظيما للامة العربية ، ولكتابها الخالد •

ولقد كان جرجى (زيدان) فى جميع ما كتبه عن العرب قـبـل الاسلام وعن ادابهم وتمدينهم يرجح ويؤيد ان الحمورابيين عرب ، وان كتبهم وشريعتهم تعد الاصل الاول ، او النشأة الاولى للكتاب العربى ، وهو حجتنا وكفى به حجة

تطوان ١٩ ابريل سنة ١٩٤٧ م

أزمـة أدبية خانقة فهل لها من نهاية؟

ليس اشتداد الازمات والتشكى منها والتصدى لها ، هو مبعث الاسى والاسف منا ، فأزمات الحياة لا تنقضى أبد الدهر ، تنفرج حينا ، وتشتد حينا • تبعا لتقلبات الزمن • ولمده وجزره المتعاقبين • وعسره ويسره المتناوبين

وانما الذى يبعث الالم حقيقة ، ويدعو الى مزيد الحسرة وعظيم الاسف، أن تقوم فى البلاد أزمة خانقة ، وتعظم بلواها ولأواها ، وتأخذ بالانفاس مـن سائر الناس ، وتسبب لهم كبدا ونكدا أينما ساروا وأينما حلوا ، فى الشمال والجنوب ، فى الحواضر والبوادى ، فى المداشر والمدائن ، فى الاسواق والطرقات فى البيوت وسائر المنتديات ، ثم لانجد من يتفطن للبلوى ، ويجأر بالشكوى ويرفع عقيرته مناديا لكشف الغمة ، وتفريج الازمة •

فاذا أصيب المرء بداهية ، وهو لايدرى من أين أصيب ، فهنالك الطامة الكبرى ، والفجيعة العظمى وكذلك الشخص الذى يحسب أنه معا فى سليم مع اصفرار لونه ، وتغير سحنته ، فهو لا محالة هالك ان لم يتفطن لما ينخـر جسمه ، وينهك قواه ، واذا طال البلاء بشخص دخل فى طبيعته واستطاع ان يتحمله مع مرور الزمان ، وقل أن يشكو منه ، ويابه له ، وقديما قال الشاعر العربى الحكيم ، وهو المتنبى

من يهن يسهل الـهـوان عليـه ما لجـــرح بميت ايـلام

فالى هذا نرد هذه الاستكانة الظاهرة من حال شعبنا البئيس المحروم، فكأنها راحة الموت ، او رقدة على حسك السعدان استطابها من طول المران، الا أنه ـ والحمد لله ـ بدأ يتململ ويطرف ، ويريد القيام بعد هـذا السبات الطارئ ، والركود الفجائى

أصيب هذا الشعب بعلل شتى ، وأمراض كثيرة ، لم يتفطن لمعظمها، ولم يعمل للخلاص منها الى الان الا قليلا ، أشدها هولا فى نظرى هذه الحالة النفسية المنقبضة المتجهمة ، التى استولت عليه منذ زمن بعيد ، والتى يرجع سببها فيما أرى الى الفقر الادبى ، والعوز الروحى ، مما سميناه (الازمةالادبية) فلقد أصيب بها وسطنا ، واشتدت عليه وخنقت منه الانفاس ، وجعلته لايشعر الشعور الكافى ، ولا يحسن الاحساس القوى ، ولا يتاثر بما يحيط به مـــن أحداث وكوارث •

فأية أزمة أضر بالامة من ان تعيش وهى محرومة مما ينمى فيها المدارك، ويحيى المشاعر ، ويؤجج العواطف ، ويحرك الوجدان ، وكوامن النفوس ؟

وأية أزمة أشد هولا من هذه الازمة الادبية التى ثقلـت علينا وطأتها ، وطال علينا أمدها حتى كأن ليلها ليس له صباح ولا لمقامها براح ؟

فهل تستطيع أمة على ظهر الارض أن تحيا ـ ولو حياة سطحية مجردة ـ من غير ان تغذى عواطفها كما تغذى أبدانها وعقولها ؟

فالغذاء الادبى ضرورى للحياة البشرية ، لاغناء عنه أبدا ، فمن حرم منه حرم من زيت الحياة ، ومن اكسيرها وسرها اللدنى ، فالحياة الحق لاتاتى من شرايين الجسد ، ولامن لفائف الدماغ ، وانما تتفجر من ينبوع النفس ، وتتدفق من قرارة القلب ، ومن سريرة الوجدان ، فهذه الاسرار او الازرار على الاصح لايمكن ان تعمل بجد ونشاط ، وتفيض قوة واقتدارا ، وتنبض بالحياة الحارة، الا اذا تعهدت وتفقدت ، وأطعمت من قوتها الروحى ، ومما تشتهى من غذائها الادبى ، واذا أهملت وأسىء اليها تقلصت وتبلدت ، وشلت الجسد ، وعطلت الدماغ •

لاأدرى لم يكدح الناس عندنا طول يومهم ، وهم فى تعب ونصب لايوصفان حتى اذا عادوا الى بيوتهم جاءوا وفى أيديهم ما يملأ الموائد ، ويتخم البطون ، ويجعل أجسامهم وأنعامهم سواء ، وقل فيهم جدا من يتنبه لحاجاته النفسية عند عودته الى المنزل ، فيمر على المكاتب والنوادى والمراكز الادبية ، فيتزود منها ما يقضى به سحابة يومه ، ويروح به عن نفسه وأهله ، ويجدد به نشاط غده ، فهذا شأن الناس عندنا ، يعيشون فى أزمة أدبية ، وجوع نفسى دائم• وهم لايشعرون •

واذا أردت شاهدا آخر على ذلك فانظر الى بلدتنا هذه وهى ام المدن لدينة استعرض شوارعها وأزقتها ، وابحث عن مكتبة واحدة عربية عصرية ، تمـد المواطنين بما يحتاجون اليه ، وتسهل لهم اخذ ما يريدون باثمان معتدلةمعقولة فانك لاتجد ولو مكتبة واحدة من هذا القبيل • فى حين انك تجد مـتـاجر لا تحصى ، كدست فيها البضائع من كل صنف ، المجلوبة من كل أرض ، حتى من الشرق الاقصى • والجزر النائية ، ولو وقفت مليا بأبوابها تنظر الى الزبائن الذين يرتادونها ، لرأيت أن معظمهم من نسائنا ورجالنا ، وفيهم الجبليـون والقبليون بكثرة ، فهم الذين يروجون البضائع على اختلافها ، ويستهلكـون جميع المعروضات مهما غلت وارتفعت أثمانها ،الا ما كان من المكاتب ومأاليها فلا يكاد أحد منهم يعرج عليها ، ويساوم ما فيها على قلته وندورته •

اليس هذا دليلا على فقرنا الادبى • وهزالنا المعنوى ؟ أليس أن الناس يمتدون ونحن ننكمش ، وحياتهم تنمو وتعظم ، ونحن نتقلص ونتفانى ؟

كنتفى يوم قريب مع جماعة من أهل الفكر والنظر ، دار بينهم الحديث حول ارتفاع تكاليف المعيشة اليومية ، فصاروا يقدرونها ، ويضعون لها مقدارا وسطا ، وعدوا فى المصروف اليومي كل ما يمكن أن يشترى من السوق ، حتى الثقاب والمكنسة (الوقيد والشطابة) وعجبت حين لم أسمع احدا منهم ذكرثمن

صحيفة أو رواية أو كتاب أو قلم أو تذكرة سينما ، أو أسطوانة وشبهها ، فقلت فى نفسى أين هؤلاء السادة من لوازم الحياة الحق ؟ ما بالهم يلبون جميع مطالب الجسم بسخاء واعتناء ، ولا يولون جانب النفس آية أهميـة ، ولا يعيرونها أدنى التفات ؟ ألم يسمعوا بقول الشاعر النصوح :

عليك نفسك فاستكـمـل فضائلها   فأنت بالنفس لا بـالجسم انسان

ان سواد الناس بيننا لايلقون البال لحالتهم المعنوية ، وغريزتهم النفسية، فلا يمتعونها بما يصلحها ، ولا يرفهونها بما يدخل السرور عليها ، ولايهذبونها بما ينمى ملكة الخير والنزوع عن الشر فيها ، وهم فى هـذا الاهمال صنفان متباينان :

صنف متزمت رجعى متحجر ، يتجاهل طبيعته ، ويكبت عواطفه ، ويحاول أن يخنق أنفاس نفسه • ويقتلها شر قتلة لو استطاع ، يريد هذا الصنـف المتطرف ان يغير خلق الله ، ويحرم نفسه متعة الحياة وبهجتها ، فلا ينفك فى صراع عنيف معها طول حياته ، الى أن يسقط صريعا مخذولا ، ولو كان أرخى العنان لنفسه بمقدار ، وصرفها بحكمة وتبصر ، واسامها حيث يطيب لها المرعى وهو حذر يقظ ، لكان أنفع له وأقوم ، الا أن هذا الصنف جد قليل ، وفـى تناقص مستمر •

والصنف الثانى هم الذين يفتحون الباب على مصراعيه ، ويندفـعـون كالحمر المستنفرة فرت من قسورة ، ويهيمون تحت تاثير عواطفهم الجامحة، وغرائزهم المشبوبة ، لاسلطة لهم عليها ، ولا يملكون معها نقضا ولا ابراما، فلجامها قد أفلت من أيديهم ، وزمامها قد تقطع بهم ، تسير بهم فى جموحهاالى الهاوية ، وتدفع بهم الى المصير المحتم ، فهؤلاء مع الاسف هم السواد الاعظـم، والكثرة المطلقة ، وهم أشبه بالحريق الهائل الذى يجتاج بلدا ، ويلتهم كل ما يلقى من حديد وحجارة •

وأما الصنف الوسط الرشيد الذى يعرف كيف يصنع من الطين خزفا، ومن العجائن الكيماوية زجاجا شفافا ، ويتخذ من الغرائز البشرية قوام الحياة واسها المتين ، فهؤلاء هم الذين نبكيهم ونندبهم ونتطلبهم ، فالحياة بدونهـم متعطلة ، والاعمال مختلة ، والقيم مفقودة ، فلا يرجى لامتنا كيان مالم يكونوا هم سادتها وكبراءها • ولاسبيل الى العمل المثمر ما أنكرناهم وتجهمنا لهم ، فالادب بمعناه الواسع ترياق النفوس ، ولقاح القلوب ، وغذاءالارواح ، ونور الحياة • فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر ، ومن أهمله وجهل فيمته خسر خسرانا مبينا •

وعلى من ياترى تقع مسئولية هذا الاهمال ؟ أعلى افرادنا وجماعاتنا ؟ ام على رؤسائنا وأولياء أمورنا ؟

الحق ان المسئولية تقع على الجميع ، يتحمل الكل منها نصيبا مفروضا، ولا سيما في الظروف الراهنة ، التي لايمكن للفرد ان يعمل عملا ما ، من دون جماعة تؤازره وتشد عضده ، كما ان الجماعة بدورها عاجزة لا محالة ، ان لم تكن تلقى المساعدة الفعالة من لدن الهيئات العليا ، ومن بيدهم زمام الامور، ودفة الحكم ، فلابد من التضافر والتعاون المشترك في مضمار رفـع معنويـة الشعب ، وتحسين حالته النفسية بالطرق المثلى •

فعلى الافراد ، وخصوصا المثقفين منهم ان ينشطوا لانارة سبل الحياة في وجوه مواطنيهم ، ويزيحوا عنهم كابوس السآمة واليأس ، ويعلموهم كيـف يبتهجون ويستبشرون وكيف يستفيدون مما حولهم وكيف يكشفون معالـم نفوسهم ودخائل سرائرهم ، ويعلموهم ان لكل شيء قيمته ان احسن استعماله وانجز على الوجه الاكمل والافضل ، وللوصول الى هذه الغاية يتحتم عليهم ان يهبوا للكتابة على أعمدة الصحف بأقلامهم الرشيقة ، وأساليبهم الرقيـقـة ، متجنبين ـ ما أمكن ـ تلك الموضوعات السخيفة المبتذلة ، التي طال الكلام حولها وملها الناس وسئموها ، فيبتكروا للعامة والخاصة موضوعات طريفة ، تتصل بالحياة الواقعية ، وبميول الشخص الطبيعية ، وشعوره الصادق ومذهبه الذي يراه ، ولا باس بتقليد الغربيين وبعض الشرقيين ، في هذا النوع من الانشاء الحديث ، فلهم فيه ءايات بينات تفعل في النفوس ما لا يفعله (قفانبـك) ولا (هاتها ياساقي) ، وعليهم ان يتخذوا الرواية ، واحسن القصص ، خير اداة لتهذيب الجمهور ، وتاديب العموم • فهي خير ما ينبه المشاعر النائمة ، ويقرب اليها المثل العليا •

وعلى الجماعة أن تتقارب وتتعاون في هذا الصدد ، فتسعى لخلق نهضة أدبية كبرى في البلاد ، وذلك بمديد المساعدة الى الصحف ، والعطف على ذوي الاقلام ، وتشجيع الادباء والمؤلفين ، وعليها أن تنفق بسخاء ولا تبخل بالمال اللازم لتاسيس المطابع ، ودور النشر ، وفتح المكاتب وجلب الكتب وترويجها بين سائر الطبقات ، وفي ضمن ذلك جلب الافلام وعرضها في كـل مكان ، واذاعة الاحاديث الادبية ، والاسطوانات الجميلة لاعظم الموسقيين ، فالموسيقى المؤثرة خير ما يبعث النفوس ، ويوقظ الاحساس ، وينبه المشاعـر ، ويغذي الروح ، ويقوي الامل • فعلى الجماعات ولاسيما الاغنياء منهم ـ واجبات أدبية كثيرة ، لايعذرون في القيام بها •

وبعد ذلك وقبل كل شيء يلقى الشطر الاكبر من المسئولية على كاهل أولياء الامر ، فعلى من ولاه الله أمرنا أن يهتموا بأمورنا ، ويعملـوا لاصلاح شئوننا من جميع الوجوه ، عليهم ان يمهدوا السبل لكل من يريد أن ياتي بعمل نافع ، لتاديب الشعب وتهذيبه • فلا يرفضون طلبا يقدم اليهم فيه الخير العميم

ولا يعرقلون سعيا حميدا يصدر من فرد او من جماعة ، بل عليهم ان يحدبوا عليهم ، ويشجعوهم ويعينوهم ، ويكافئوهم أحسن مكافاة ، فكما أن أولى الامر يرعوننا ويسهرون على سلامتنا ، وييسرون لنا الاوقات والحاجيات ، فعليهم كذلك أن يعتنوا بالبواطن ، كما اعتنوا بالبطون ، ويملئوا القلوب ، كما ملئوا الجيوب ، ويطعموا النفوس ، كما أطعموا الجسوم ، فالطفل عند تربيته وتقويمه لايحتاج الى حليب وشكلاطة وحلوى فحسب ، بل لابد من تانيسه وتهذيبه برسوم ولعب رمزية ، تقدم اليه فيها صلاحه وارشاده وتوجيهه •

نريد من أولياء أمورنا فى جميع المناطق أن ينفسوا عنا خناق هذه الازمة الادبية ، ويسهلوا لنا الغذاء الروحى ، كما سهلوا لنا ألغذاء البدنى ، ويهتموا بحالة الشعب المعنوية ، كما اهتموا بحالته المادية ، ويخلقوا لشئونه الاجتماعية مصلحة ، او وزارة تعمل لانقاذه وبعثه من جديد فوق مسرح الحياة •

شعــره

رأى القارىء من النثرين ما يتوسم به مكانة المترجم فى سماء النــثــر العربى ، علميا كما فى (المقالة الاولى) وأسلوبا وحرارة تفكير كما فى (المقالة الثانية) ، وهانحن اولاء سنعرض أيضا من قوافيه ما يجلو أمام المطالع أفلاما متنوعة ، مما يجول فيه خيال شاعرنا الموهوب ، مقتبسين من كل نوع طاقة وسنذكر ما نذكر بعناوينه •

مناجـاة القريض

ايه يا شعر أين أنت فما أهنـــ ـــأ لما أراك عنى بعيـدا ؟
أنت روحى وانت متــعــة نفسى لا تذرنى فى الناس فردا وحيـدا
طالما طبت لى وكنــت سميرى وقضينا معا زمانـا سعـيـدا
طالما صغت جوهرا من لآليــ ـــك فجاءت فى النظم عقدا فريدا
ولكم بت شاكيا لك بـشـى نتعاطى الدموع والتسـهـيـدا
وخلونا عـــن الانام فمـا نبصـ ـــر من غيرنا رقيبا عتيدا
وهصرنا من الخيال افانيــ ـــن كما تهصر الاصابع عودا
وعصرنا من القطائـف أكـــوا بـا كما يعصر الورى عنقودا
وشربنا ولم نـــزل نترع الكــا س الى أن نملهـا ونـعـودا
وغدونا ونحن فى حلل البشـــ ـــر كأن قد كنا نقابل عيدا

* * *

حبذا أنت متعة وحبـورا وسرورا لاينــقــضى وسعــودا
أنت آنستنى وأوفدت نحوى من مغانيك كـل يـوم وفودا

أنت امددتني وآزرت ظهري بجنود تترى وتتلو جنودا
أنت بوأتني لديك مقاما لايداني ولا يرام حميدا
فاذا شيئت خلتني شاعر الدهـ ـر ولو فندوا به تنفيدا
وزعمت (الخليل) دوني و (شوقي) فرقد الشعر رفعة وصعودا
ان هذا القريض يقبل دعوى الكـ ـل لا يقتضي عليها شهودا
فشهودي عدلان ، قولي وفعلي وهيامي اذا أردت المزيدا!

* * *

ما عرفت القريض في الكون الا وبداه تفيض برا وجودا
من أتى بابه (خطيبا) يجبه وينل عنده خرائد خودا
قد سباني وطاب لي فيه رقي من سباه الجمال امسى سعيدا
فاذا ما أهاب بي ودعاني لم أجد دون ما يريد محيدا
أنا عبد القريض ما دمت حيا بين أهلي وما عرفت الوجودا

تطوان في ١٩ مارس ١٩٤٧

الهلال الابيض

أنال الانام جميل الارب هلال بدا في سماء العرب
هلال يزينه حاجب يشير الينا بطرف خلب
فها القوم يرتقبون سنا ه اكرم به من سنا مرتقب
اذا ما رأوا في العلا قوسه علاهم هتاف الرضا والطرب
وتحدث فيهم أشعته أنـ ـتشا عجزت عنه بنت العنب
يصافح ايديهم بالندى وينثر فيها ثمار الدأب
ويذكي بأنفسهم هـمما تناوئي صرف العدا والنوب
ويبعث فيهم كمين الرجا لكي يعملوا ويوالوا الطلب

* * *

كذلك يشرق هذا الهلا ل فتشرق منه المنى والرغب
ففي كل شهر تألقه يمد الحياة بأقوى سبب
وفي كل عام تجدده يفيض عليها الجدا ويهب
فتمضي شهور ، وتمضي سنو ن ، عجلى كطير بماء نغب
فتخلفها ذكريات كما يدل على الحسن وشم ذهب

* * *

يذكرنا بقرون خلت وابقت لها ذكريات عجب
زمان تألق هذا الهلا ل في الافق،فوق السها والشهب
وكان بنو يعرب هالة لغرته في ثنايا السحب

فشعشع نورهـم فـى البـلا   د ، جاب معالمها وغلب
وكانت لـهـم دولـة لايغيـ   ب عنها الهلال فيحرسها عن كثب
وكان الهلال لـهـم شارة   يرفرف فـوقهم ويجـب
ويرشدهم لسواء السبيـ   ـل يدفعهم لاكتساب الغلب

* * *

يذكرنا بخلاص النبـ   ـى من هول شرك عليه انقلب
غداة تـفيـاه المصطفـى   وهاجر فـى ظله واغتـرب
وصاحبه يفـتـديـه بما   يعزه مـن نفسه والنشـب
فآوتهما (يثرب) بعد مـا   أبت (مكة) أن تكون رحب
ومن (يثرب) قد اشع الهـلا   ل ، سارت جحافله والركـب
فللـه در الفـتـى عـمـر   وما هو الا الفتى المنتخب
فارخ من هجرة نسخـت   قرونا مضت قبلها فى حقـب

* * *

أتانا المحرم مفـتـتـحا   لعام جديـد عـدتـه الكرب
أطل بطلـعتـه كالبشيـ   ـر ، تقرأ في وجهه ما يحب
فنامل فيه انتشار السـلا   م بين الانام ، ومحو الحرب (١)
ونسمو ، ونحيا حياة الرخـا   ء فيه ، ونعلو سماء الرتـب

فيا كتبي . هنيئت . يومك باسم

الا ليت شعرى هل أنال امانيا ؟   تقضي زمان وهي منى كما هيـا
لعمرى لقد ضاعت أمان كثيرة   وفاتت ، فما أمسيت عنهن باكيا
وذكرنى عيد الكتاب • وانـه   يذكر منـى • لاخليا وناسيـا
تمنيت فى الدنيا رجاء • وانـه   اذا شاء رب الناس ، يبدو مواتيا
أنال ثراء • لاانفـق ريـعـه   متاعا وامتاعا • فذاك ورائيـا
ولكن لاقنى مكتبا وخـزانـة   تضاهـى اللواتى يشتهرن بواقيا
تضم من الاسفار ما لو وجدته   لكـنـت به أزهـى وأنعم باليـا

* * *

تمن أخى الدنيا ضياعا وأربعا   وانفق لترضى شهوة ونوازيـا
وأما المنى منى فلم تعد أننى   أرى ما حييت للكتاب مناجيا
أناجيه تارات ، وطورا أبثه   همومى واحزانى ، واشكو شكاتيا
فياليت أيامى جميعا بجنبـه   يبادلنى منه حديثا حلاليـا

---

١) الحرب محركا : النهب

هواى هواه والفؤاد فؤاده فما ان ترى منا لسانا مداجيا
الا حبذا من أنسه ووصاله أصائل مرت بيننا ولياليا
وان زمانا قد قضيت ومؤنسى كتابى ، زمان طيب قد سبانيا
اذا ما جلسنا مجلسا نستطيبه ارانى وإياه سقيا وساقيا
ستبلى الليالى والسنون ودهرها ويبقى كتابى فى التجدد زاهيا

* * *

أقول لاصحابى اليكم فما لكم بقلبى مكان مثل ما لكتابيا
أرى خيرهم عنى بعيدا وخيره يتاح قريبا كالغصون دوانيا
لادنى من الكف اليمين واختها وأدنى من الحبل الوريد مجاريا
يكلفنى الناس الرياء • وانه يكلفنى الود الصريح المصافيا
فأوليته منى ودادا وموثقا وأوليته فى المعضلات قياديا

* * *

فياكتبى ، هنئت يومك باسم اغر • فلا زلت السحاب المغاديا
فهل أنت الا المزن يهمى بصوبه يرد الصحارى جنة والفيافيا
وما أنت الا الروح والنور والشذى يبث الخزامى تارة والاقاحيا
أقول وقد القيت فى الكتب نظرة جزى الله كتبى خير ماكان جازيا
فتلك التى حيت بفكرى ميتا وتلك التى احيت عظامى البواليا
رهينة بيتى لا تغادر ركنها ولو كنت عنها رغم انفى ، نائيا
فطورا اراها تحت ابطى رفيقة وطورا بجيبى او خلال ثيابيا

* * *

وانى لاهوى الكتب اذ قيل أنها لنعم المصطفى والخليل المواليا
وما زلت ذا شوق الى ما هويته وقلبى مشغوف ، وان لا تلاقيا
ولا زلت استقى سحائب ودها واطمع نفسى أن أنال رجائيا

٢٣ أبريل سنة ١٩٥٠

دمعة على فقيد الاسلام سيدي احمد الزواق

(كان المترجم أخذ قليلا عن هذا الشيخ ، فكان للشيخ نحوه حنو ، وربما زاره فى بيته ، اظهارا لحنوه عليه ، ولذلك قام المترجم بالواجب عليه فرثاه بهذه القصيدة)

الا فدعوا دمعى الهتون يسيح دعوه فقلبى بالمصاب جريح
بكاء لعمرى ما بكته (تماضر) على صخرها وما بكاه (ذريح)
تفجر حتى لم أجد له مدمعا يسيل ولا صدرا لدى ينوح

فكيف وانا امة لم تـــزل بها ... صروف الليالى تعتدى وتبيح
اباحت حمانا اليوم فى حين غفلة ... فما احد الا وهو كسيـــح

* * *

وقفت أعــزى القوم ممــا أصابنا ... فاَلمنا ان العزاء قـروح
وان الفقيد ليس فردا من المــلا ... ولكنه ركـــن الانام يطيـــح
اراه مــن الاسلام نفسا ومنطقـا ... وانسانه اللماح حيـث يلوح
اراه العلوم الراسخات وانــه ... شريعتنا المثـلـى عليه تصيـــح
فذاك ابو العباس انسان عيننا ... بلى انه نور تلالا وروح
وذا احمد الزواق خلى مكانـــه ... وغيبه عنا المساء ضريـــح
مضت منه أجيال وعصر وامـــة ... وتاريخ عهد لايـزال يـفـوح
مضى العالم النفاع فالعلم بعده ... حزين الحشا مكلومه وطريـــح
مضى والقوانين اللواتى احبها ... وافنى بها العمر الطويل تـنـوح

* * *

تبارك ربى عاش تسعين حجة ... وخمسا ، على الحالات وهو صحيح
صحيح الحجا والعقل والدين واتقى ... وسالمها هادى الجناب مريـــح
تازر بالتقـوى مديد حياتـه ... فلم يجترح ، والعاديات جروح
ومازل فى مضمار فتوى ، ولامشى ... الى شبهة تعدو الهدى وتشيح
لقد خاف أمر الله فى كل موقـف ... مخافة من بالدين كـز شحيـــح
وما كان الا الدين والعلم والرضا ... ثـلاثتها أس عـليـها صروح
قضاء (أياس) فى نزاهــة (أحمد) ... وصولة (فاروق) اذا ما يتيح
أقام على رغم البغاة شريعـة ... تؤول فيهم والكتاب صريـح
فكم حجة أصمى بها الجور والهوى ... وانصف مظلوما دهاه كلـوح
فلله ما أبـقـى ، ولـلـه ما بـنـى ... بناء يدوم الدهر ليس يزوح

* * *

ولله جثمان مســجـى تـحـوطـه ... ملائكة الرحمن تغدو ، تروح
ترحب بالشيخ الجليل حفية ... بمقدمه تهفو لـه وتبوح
وتدعو له بالبر والفضل والرضا ... وتنبئه ان الـثـواب ربيـــح
وان جنـانـا فتحت وتهيـأت ... بها مقعد صدق لـه وفسيـــح
عليه من الرضوان منهل رحـمـة ... تسح على أجداثـه وتسيـــح

* * *

تهنئة وترحيب بجلالة الملك

(ألقيت أمام الملك الهمام محمد الخامس يوم تلقاه الخليفة مولاى الحسن في (أصيلا) حين مر الى (طنجة) التى صرح فيها تصريحه الذى منه ابتدات الازمة المشهورة) •

أى يوم وأى حفل ومشهد ... هو يوم مؤرخ ومخلد
ياله منظرا وروعة مرأى ... يحسر الطرف دونه وهو يشهد
منظر يبهر النفوس ويلقى ... هيبة في الفؤاد مهما تجلد
مظهر الملك والمهابة والتا ... ج ، فاعظم به وبالخلق حشد
دونه مظهر الشموس اذا ما ... تترقى فى أفقها وتصعد
اين منه الخضم يزخر بالمو ... ج ، وفيه الدوى أرغى وأزبد
وضئيل لديه ما تبصر العيـ ... ـن اذا أبرق الفضاء وارعد
منظر رائع ، وفيه جمال ... وجلال ، وهيبة تتزيد
محفل يخصب الخيال ، ويغرى ... كل فذ بنظم در منضد
كيف لى أن أكون أول من ابـ ... ـدع ، اوأحسن القريض‌وانشد
ليت شعرى بأى لفظ أؤدى ... ما بنفسى ، وما له العين تشهد
عشيت عين كل راء فما تبـ ... ـصر نورا بدا لها يتوقد

* * *

ما رأينا حتى رأينا بساطا ... لسليمان عصرنا يتمدد
مركب هائل يقل عليه ... موكب الملك والجلال وسؤدد
قد أحاطت به ملائكة اللـ ... ـه كما قد يحاط سيف مهند
ورعته من العناية أسرا ... ب تراءت من كل أروع أصعد
ضربت حوله نطاق قلوب ... له تهفو وتشرئب وتجهد
أحسب الخلق حوله مثل سمطى ... لؤ لؤ حول لبة تتورد
هتفوا ، صفقوا ، وما ذاك الا ... بعض مافى النفوس فالشوق‌أزيد
موكب حافل عظيم ، ففيه ... سيد منذ كان ، كان يسود
فيه فرع من دوح ‹ال على ... فيه فخر الزمان ، فيه (محمد)
ملك تيم القلوب ، ففيها ... يتبوأ من حبها خير مقعد
بادل الناس بالمحبة أخرى ... كل شىء من نفسه يتولد
ملك مفرد فماله فى الملـ ... ـك نظير فهو اوحد مفرد
ما رأى الناس مثل أيامه البيـ ... ـض ، تجلت للناس أهنا وأرغد
ما رأوا مثله مضاء وعزما ... وثباتا فى الخطب، والخطب‌اسود
فحبوه من الوفاء المصفى ... ومن الحب والولاء المؤكد
ملك مقسط همام جرىء ... خير من قد بنى وأعلى وشيد

البس (المغرب) الاشم لبوسا ضافيا حاكه التفاني واوجد
وكساه من المعارف حتما حللا لاترث ، بـــل تتجدد
همة تعشق الكمال وتسعى لاكتساب العلا وذكر مخلد
فاذا شاء غيره عرض الدنـــــ ــيا تصدى يريد ما هو أفيـد
همة لو تقاس بالدهر يومـــا كانت الهمة التي هي ابعـد
صير الذل عـــزة وانتصارا واقام الانقاذ صرحا ممرد
حرر العلم من قيود ثقال ثم القى بالجهل فيها وقيد
كل يوم للعلم صرح جديد وبناء للمكرمات يشيـــد
قد أمد الاله في عمر شعب كاد يفني وكاد بالجهل يلحـد
وقضى في الخمول دهرا طويلا فاقدا مطرفا لديه ومتـلد
كيف يبغى قوم مساومة المجـ ـد وسوق العلوم فيهم تكسد
قيض الله من يروم خلاصا ويفك الاغلال فكا مـؤبد
عاهل حازم مطاع اميـــن امره حـكـمة ورأى مسدد
ان رأى مغنما أتاه واغيا او رأى منكرا أقـام واقعد
عزز الدين كله مستقيمـا ومقيما في الناس شرعة (احمد)
وعليه من التواضع تـاج ومن النسك عسجد أو زبرجد
عود الخلق فضله ونـداه نعم مااختار ، نعم ماقد تعـود
وهب المال بالالوف ولم يحـ ـسب حسابا لما يفوت وينفد
اشترى مـايدوم بالعرض الفـا نى ، فمرحى لصفقة هى ارشد
بالذى تملك اليدان وبالعقـــ ـل تساس أمور قوم ، وباليد

* * *

يا أجل الملوك شانا وقدرا طبت مسعى،وطبت مرمى ومقصد
كم رجتك البلاد تنزل واديـــ ـها ، وتحيى بها مواتا وجلمد
حييت تربة وطئت ثـراهــــا أنت في عبرها كغيث تعهد
أنت روح البلاد ، أنت مناها أنت قطب الانام ، أنت المصمد
كم لبثنا ونحن نرتقب اليو م وبتنا لحلـه نـتـرصد
وقضينا الايام نحسبها باليـــ ـوم والامس قبله ثم بالغد
قد تمنت عيون شعبك تحظـى منك بالنظرة التي هى أسعد
أنت من مثل الحقيقة للعيـــــ ـن ، وكنت لها مثالا ممجد
لم تزل رائد البلاد تغادى وتماسى أطرافها تتفـقـد
من يكن راعيا واخلد للرا حـة أمسى قطيعه يتبدد
كنت في الامر كالطبيب ، فلما عرف الداء والدواء تجرد
مدك الله بالاناة فـاحيـا بك شعبا قد كاد يمحى ويفقد
فتركت الوجوه تطفح بشرا وجميع الانام تثني وتحمد

ما لسان الا وفيه ثنـاء وحديث معطر وممجـد
وسرى ذكره الى صحف الدنيـ ـا فصارت تعد ما لا يعدد

* * *

يا عظيم الـرجاء والامـل الضا في ، تمهل على الونى وتقصد
ان هذا الزمان من خير اعوانـ ـك ، لاياتلى ولا يتـردد
فحواليك أمـة تتهيـا ما بها غير مقتد ومجنـد
هذه اوجه البلاد حواليـ ـك ، وهذا ابن عمك المتقلد
صاحب‌الامر والسمو ومن يبـ ـدو لعينى ككوكب او كفرقـد
مرتضاك الارضى ، خليفتك الاسـ ـنى ، ومن ذكره أغار وانجد
يقتفى منك ما تخط ، فأيـا ن‌تسر سيرة يسرها ، ويـزدد
ويدانيـك همـة ويبارى منك خلقا وشيمة تتوحد
فله فى حقل الثقافة كم غـر س وفى روضة المعارف كم يـد
لهج الكل بالـثـناء عليـه وتمنوا له دواما يسرمـد

* * *

قر عينا مولاى ، عندك شعـب يقظ ، لايغره طيب مرقـد
صمم العزم ان يتيحك ما تصـ ـبو اليه ، وما له تتمهد
سدد الله من خطاك وأبقى شبلك البار من اليه المقلد
فهنيئا مولاى ، ثـم هنيـئا طبت ممسى وطبت مسعى‌ومقصد

(أصيلا) ١٨ جمادى الاولى ١٣٦٦ هـ موافق ٩ أبريـل ١٩٤٧ م

تهنئة الخليفة بمناسبة الذكرى الثالثة لجلوسه على كرسي الخـلافة

٨ نوفمبـر ١٩٤٨ م

ذكريات تمر عـامـا فعاما مثل مر الكؤوس جاما فجامـا
فيها مر ، وفيها حلو ، فبادر جانب الحلو خلسة واغتناما
ودع المران عداك ، فحاذر جانب الشر كله أن تضاما
واغتنم ما يتاح من ذكريات انها لا تزور الا لمامـا
توقظ النفس من سبات كما يـ ـسح نور الضحا الجفون النياما

* * *

هى ذكرى مفعولها يثلج الصد ر ويلقى بردا به وسلاما
قد ملأنا من دونها مترعات طفحت متعة وفاضت مداما

وأديرت على معاشر صدق خير من يجتبى وخير الندامى
فثملنا مما نلذ ونهوى وانتشينا أطيابا لاحراما
ان ذكرى الجلوس تبعث فى النفس سرورا وتقتضيها هياما
ابتهجنا لحلها واقمنا حفلات تزيدها اكراما
ونشرنا مما طوينا برودا ورفعنا الرؤوس والاعلاما
وانتدبنا الى الاشادة عنها وحملنا لوصفها الاقلاما
وقبسنا من نورها ما نظمنا ووضعنا من لحنها الانغاما

* *

هى ذكرى يطوى صداها الفيافى جاوز الرافدين والاهراما
ذكرتنا (يوم الخلافة) فى ذا ا ليوم حل (المهدى) منها السناما
منذ صارت (تطوان) فرعا الاصل راسخ بـ (الرباط) ثم دواما
ربطته به عرى وأواخ موثقات ، فلا تريد انفصاما
ذكرتنا (يوم الخلافة) من يو م اعتلاها (اميرنا) وتسامى
يوم فازت (تطوان) منه بشبل فاق فيها الاخوال والاعماما

* * *

بعد عشرين حجة وثلاث نقف اليوم ذاكرين المقاما
منذ عشرين حجة وثلاث ملكت راحة الامير الزماما
اصطفاء المليك حارس ملك وارتضاه (خليفة) واماما

* * *

بارك الله فى الخليفة عمرا ومقاما وسدة ومقاما
نفتديه بما تضم قلوب وجيوب انعم بهن ذماما
حبه مازج السرائر منا واسترق الارواح والاجساما
لا نغالى بحبه فهو فرض وعلينا قد كان حتما لزاما
اوجبته من محكم الذكر اى بينات لا تقبل الاوهاما
كيف لا ، والنفوس تحمد من اسـ دى اليها صنائعا واداما
كيف لا يملك القلوب امير حل فيها سوادها واقاما

* * *

(حسن) الاسم والصفات فما تسـ مع عنه الا الذى يتسامى
حسن الذكر فى البلاد فسل عنـ ـه ثرى النيل والصفا والشاما
حسن فعله ، وأحسن منه حسنات يسرهن احتشاما
هو كهف الحقوق حرز الامانى موئل المرتجى ، ثمال اليتامى
لست تغشى بلاط قصره الا منه تلقى بشاشة وابتساما
طالما راعنى بعاطر خلق اين منه العرار ، أين الخزامى

لين الطبع كالحرير ، ولكـــن عندما ينبرى تراه حساما
يركب الخطب لا يبالى وان كا ن جديـرا بالحزم ان يتحامـى
له عزم كأنه عمل الدهـــ ـــر وراى تـخـاله الهاما
هذه سيرة الخليفة نرويـــ ـــها قليلا تلذذا واهتماما

* * *

دام مولاى حارسا للمعالـــى واماما مـؤزرا وهمـامـا
وحباه الاله نصرا وآتـــا ه من السؤل غاية وتماما

إلى ضيف الخليفة مبعوث الجامعة العربية

الاستاذ صالح أبي رقيق

ضيف الخلـيفـة مرحـبـا أهل لـقـيت واقـربـا
جل حيث شئت فلن ترى الا أخـا لـك او ابا
ارض العروبـة لا تـحـد د مشرقا او مغـربا
فهنـاك تـرسل نـورهـا وهـنـا تـبـدد غيـهـبا
فـكـأن أيـام الـذى نصـب اللـواء ودربـا
عادت ترفرف فى الربـو ع تـطـلعـا وتـأهـبـا
تحدو بنى العرب الذيـــ ـــن بـدوا نجـومـا ثقبا
ان يبزغوا مثل الغزالـــ ـــة عندما تكسو الـربـا

* * *

ضيف الخليفة والمغاربـ ـة الكرام ، الا اذابـــا
أقبلت والايـام تـــز جى فى طريقك موكبا
أقبلت فى حلل الربـــ ـيع معطرا ومطـيـبا
وافيت فاستبقـت اليـ ـك المنطقات تـوثبا
كل يريدك أن تـكـو ن نزيـلـه المترقبـا
كل يرى فيك الكنـــا نة والشئام ويثربـا

* *

انت السفير وخير مـــن فينا يمـثـل يعربـا
بعثتك جامعة الالـــى باتوا عـلـيـنا نـوبا
نـدبتك باقعة ، وشأ نك ان تناط وتندبا
قاضى السياسة أنت فاحـ ـــكم عادلا ومعـقـبا
ناتى الحـوادث بالشها دة كى تجيب وتعربا
وتحـق حـقـا للعرو بة فى بلاد تجتبـى

في المغرب الاقصى البئيـ ـس اذا مضى واذا كبا
شاكي سلاح الصبر ليـ س وان تـقـاعس قلـبا
ما كان الا كالمهـ ـند في الوغى او أصلبا
أبناؤه جـم المكـا رم حضرا أو غيبـا
مـن كل ماض في القـد يم كأنه عضب نبـا
من كل سفر في الخلو د فما أجل وأعجبا
كم خـدرت أعصابـه كاس تفيض تشـعبـا
لا والذي خلـق البيا ن ألذ شيء أعذبـا
ما قلـت الا بيـنا ما ان رأيت مكذبـا

* *

ضيف الخليفة لاتـزا ل مـوفـقـا ومقربـا
انظر رعاك الله هـل هب الجميع ليدأبـا ؟
هل نستفيق على النـدا ء وهـل نحقق مطلبا ؟
وانظر أفي طور الرجـو لة نحن ام طور الصبا ؟
واحكم كما حكم ابن داو د بحـكـم اعجـبـا
واشرب كؤوس الود صا فية دهاقا واطربـا ؟
واحمل الى أمـم الـعـرو بـة أننا قـوم الابـا

تطوان ٩ مارس ١٩٥١

إلى الاستاذ العبقري الفنان الموهوب أخي عبد القادر ابن موسي

لله ما أحـلى اللقاء بعد التباعـد والجفاء
شطـت ديار احـبتي يوما ، فما اجـدى بكـاء
فعل الهـوى بنفوسنا لما تجدد كيـف شاء
ذابت لبعدهـم الحشا شة ثم طارت كالهباء
الفيتـنـي فكـأنـنـي بيني وبيـنـهم جـواء
تالله ما ذقـت النعيـ ـم وما وجدت لهم عزاء
منيـت نفسي عنـهـم بجميع افعال الرجـاء
وأبيت أرقب نجمهـم متطلعـا نحـو السماء
حتى وفـونـي بالبشا رة أنهم صوب الفناء
فحمدت ربي شاكـرا له في الصباح وفي المساء

* * *

جاء ابن موسى ما أحيـ ـس كيف عاد وكيف جاء
جاء الاديب ابن الاديـ ـب مجـيء أنوار الضياء

من خلقه عندى يطيـــ ـــب ووده رمـــز الاخاء
تم السرور لنا بـرؤ يته وتم لنا (الهناء)
رنت لمـقـدمه المـثا نى والمثالث بالغنـاء
وتضمخت أيـدى القـــر يض بما يعطر من ثنـاء

* * *

قد جاء يخطر كالغزا لة أرسلت بين الظباء
مترديـا بـرد الشبـا ب وانه أغـلـى رداء
ويجـر ذيـل نشاطـه تيها على أهل العداء
تفديك نفسي يا ابن مـو سى ما أقل لك الفداء
أبقاك ربـى سالـمـا وازاح عنكم كل داء
واتـم نـعـمته عليـــ ـــك مسربلا ثوب الشفاء

إلى الشاعر الملهم الاستاذ البارع نجيب ملهم

لك قدوجدت من الكلام الجوهرى مالم أجده من (صحاح الجوهرى)
ضمنت فيه كـــل لفظ مشرق يزرى بمافي (المرتضى) والازهرى
ولطالما ود (الخليل) سياقـــه واراد حليته فطحـل (زمخشر)
قد غصت تلتمس اللئالى شرعـا وتخوض فى أعماق كل الابحـــر
وسموت فى جو الخيال محلقـا تبغى مناط مجرة والمشترى
فاتيت تنشدنى وتعرض درة لم يبتذلها بائع او مشتر
وجلوتها فى حـلـة أدبيـة ليست لنعمان ولا للمنـذر
نعم الصنيع ، ونعم ما قلدتنـى فبه أتيه واعتلى فى معشرى
طوقتنى من حسن صنعك منة اربت على حمدى لها وتشكرى

دفـاع عن القديم

أيها الشاعر المجدد فى الشعـــ ـــر تسمع ، اليك منـى قصيدا
صغته كالدمى واودعت فيه منطقا صائبا وقولا سديدا
ما تكلفت فيه شيئا وانـــى أمقت البهرجات مقـتـا شديدا
تقتضينى شعرا (جديدا) فمن لى به غضا ، ووفق ما قد اريدا
كيف لى أن أنال غاية ما تـــر مى اليه ، وكيف لى أن أجـيـدا
لاتعنف ، فما التجدد شانى ما أراه فى الحق الا قيودا
شغف الناس بالجديد وأنسا هم طريفا لديهم وتلـيـدا
ازدهاهم من جانبيه بريق مثلما يخدع السراب الشهودا
مسختهم يد التجدد حتى لا تراهم فى الشكل الا قـرودا

قلدوا غيرهم ، واقبح ما يـــــا تى كلام اذا آتى تقليـــدا
فلهم مذهب ، ولي مذهب الحـــ ـق فكل يمضي رشيدا حميدا

* * *

من يكن يقتفي من الغرب قوما تيموه ، وان جفوه صدودا
فأنا اقتفي مـــن الشرق اقـــوا ما عرابا ، لا يبرحون البيدا
انبتتهم يـــد الطبيعة ازهـــا را كما ينبـــت الربيع الورودا
لو تأتي لامة خلـــد اعما ر لنالوا مع الزمان الخلودا
أورثونا مـــن البلاغة أسما طا ومن معـجـب البيان عقودا
لغة الضاد موردي ومعيني لست من غيرها اريد الـــورودا

* * *

انجبت (حندج بن حجر)قديما و (زهيرا) و (جرولا) و (لبيدا)
ثم جاءت بـ (أخطل) و (جرير) و(النواسي) من يروق الرشيدا
وأتى بعدهم (حبيب بن اوس) و(المعري) ومن يسمي(الوليدا)
ونبي القريض (احمد) من كـــا ن فريدا وشاعرا صنديـــدا
فهم اسوتي اذا قلت شعرا نضدته يراعتـــي تنضيـــدا

* * *

(عند مغيب الشمس)

يـــا حســـن ما تتجلـــى عند المـغـيـب السماء
تحكـــي مـحـيـا جـمـيـلا أحـمـر مـنـه الحـيـاء

* * *

رايـــت صفـحـة نـــور يـطـويـه فـيـهـا المســـاء
يـلـفـه فـــي ظـــلام كـمـا يـلـف الـــرداء

* * *

امسى الـظـلام مـغـيـــرا وارتـــد عـنـه الضياء
كـــر وفـــر أتـــاحـا للـكـون مـا قـــد يشاء

* * *

فـفـي الفـنـاء حـيـاة وفـــي الحـيـاة الفـنـاء
وفـــي الـخـفـاء ظـهـور وفـــي الظـهـور الـخـفـاء

* * *

(عاصفتان)

عاصفة ريح
وعاصفة حب

ليس يعنيني رياح تعصف لا ، ولا رعد اذا ما يقصف
لا ولا برق اذا ما يخطف انما يعنيني أني اقطف
قبلا من ثغرك العذب الزلال

أنا في جنبك في ظل الامان احتمي منك بعطف وحنان
بيتك المشرق مأمون الكيان تتحاماه عوادي الحدثان
نحن فيه في نعيم ووصال

* * *

فدعي الريح تدوي في الفضاء حيثما أظلم أفق او اضاء
فلنا في البيت آيات الرضاء ما لها يوما على الدهر انقضاء
شمسها تشرق فيه كاللآل

* * *

لي من وجهك اشراق الصباح وعلى ثغرك ازهار الاقاح
أنت أنسيتني ازهار البطاح وصرفت القلب عن كل مباح
لم يعد ينظر شيئا من جمال

* * *

قدك المائس ارواه الشباب خيزران نبتت فوق الهضاب
لم يكن في القلب الا كالحراب آه من لذة ذياك العذاب
خمرة لذعتها لذع النبال

* * *

(في مقهى أنيق)

قعدت بـ (سبتة) في قهوة بها قبس من سناء الشهب
اذا ما نظرت باطرافها حسبتك تجلس فوق السحب
تحوطك شمس الضحى والثر يا ، وبدر الدجى ماثل عن كثب
فهذي الكواكب مبثوثة تكاد تطلع لولا الحجب

وهذى الثريا مذللة … عنا قيدها تزدرى بالذهب
وهذى فتاة تبادلنا … كلام العيون بطرف عجب
سألت فما شانها ها هنا ؟ … أجابت أبادل حبا بحب
فقلت كفاك فها أنذا … وقعت اسيرا بغير سبب

* * *

تذكار لايام جميلة بمدينة (شفشاون)

لست أنسى مدينة الراشدية … لا ، ولو نازعتن عنها المنية
فلئن كنت نائى الجسم يوما … وتذكرت ما لها من مزية
فسأبقى كادم حينما اخـ … ـرج من جنة الخلود العلية
كيف أنسى ربوعها وهي للعيـ … ـن جمال ، وللقلوب روية
رسمتها يد الطبيعة لوحا … تتجلى به الفنون البهية
وحبتها السماء من كل نور … وكستها مطارفا سندسية
انعموا يا ءال (شفشون) بالا … فهى لا شك جنة عدنية
أنتم فى شيوخكم وشباب … مثل زهر بدوحة سرمدية

* * *

(قلعة البرج)

(وهى محل مشهور فى مدينة (تطوان) متنزه من منتزهات المدينة)

ارفع الراس عاليا … ترها جنة البلد
ضمها التل حانيا … مثل ام على ولد
هى نسر تسلقت … ذلك الشامخ الاشم
فلها ثم مربأ … ولها ثم معتصم
قلعة زاد سمكها … شرفات من القمم
قد تسامت بمفرق … تاجه نجمة العلم
وعلتها مدافع … توقد العز والشمم
موقظات من بالحمى … ان سها عنه او ينم
(برج) تطوان ، مابه … يحفظ الدين والحرم
وترى القوم آنها … جعبة السيف والقلم

* * *

(ساحة الفدان)

(هى متسع وسط (تطوان) كانه (مربد) المدينة ، كانت له شهرة من عصور)

اسقنيه مشعشعا
صافى الطبع والمزاج
كاس شاى منعنعا
شف عن تبره الزجاج

تحت فىء بساحة وحديث مع الخليل
ساحة طاف حولها نفحة العابر البليل
والمقاهى تفيات ظلها الوارف الظليل
منتدى الشعب (مربد) للاحاديث والمقيل
ملتقاهم لدى الضحى والليالى وفى الاصيل
والاغانى بافقها تتهاوى و تستميل
زارها الفن زورة ساحبا ذيله الطويل
فاستوت منه باحة مثلت فننا الجميل

* * *

الموشحات

(كان فن الموشحات شائعا فى الشعر العربى فقد قال فيه ابن سهل ثم ابن الخطيب وغيره ٠ وذاع كثيرا فى السن شعراء (المغرب) الا أنه فى العصور الاخيرة يكاد يهجر ، ولذلك نشكر للمترجم حين جعله منوالا لتتبع مناظر الطبيعة فى موطنه الثانى (تطوان) وما اليها ، فقدم لنا ذلك فى موشحات متعددة ، نختار منها ما ياتى) :

الموشح الاول

رياض العشاق

شرك

غاض منه ماء الشباب
والهوى فيه لم يغض
له فودان فى خضاب
وفؤاد غض غرض

كيف يسعى لروضه كل شىء بها مريب ؟
للصبا يا وللمها فوق أعشابها دبيب
مرتع الحسن والصبا ومراح الهوى الخصيب
تحسب العين أنها (شرك) حبه حبيب
لم يزرها أخو الهوى ثم يمضي ولا يئوب
سائلوها أتربها ينبت العشق والوجيب
واسألوها أماؤها سال من ذوبة القلوب
حسبها عندى أنها مسرح الشاعر الاريب

الموشح الثاني

منبع « التورِّيطَا »

ثغر

يا نديمى ويا رفيق
صاحب النقل والشراب
هل لك اليوم فى غبوق
عصروه من السحاب

بمعين ، هيا بنا نكرع الماء من هناك
حيث لا كوب ما عدا راحة ترتوى وفاك
حوله البان مائلا فى عناق وفى شتباك ؟
قلت لما رايته ها هما ، الثغر والسواك
ظللته شواهق تتعالى الى السماك
سالتها مطا محى هل سبيل لمرتقاك ؟
فاجابت اليس فى حضرة السفح ما كفاك ؟
ياجناحا فلا تزل (خضر) الريش فى حلاك

الموشح الثالث

ميادين (لاَ نْبِيكَا)

صراع

ويك ، خلى ، أراغب
انت عن لهوك المباح

فانا عنك ذاهب
مستجما ، ولا جناح

في ميادين نسقت واقيمت على كثب
مهدوها لارجل شأنها الركض والخبب
مرحات كأنها ظبي تيماء ان وثب
وعدوها بمغنم وبكاس لمن كسب
فتراها لاجلها في صراع وفي نصب
تلك دنيا الورى ، فلا عيش الا لمن غلب
اقتحمها ولا تكل كل شيء له سبب
ذاك خلي مثالها رب جد من اللعب

الموشح الرابع

شاطئي « مرتين »

دور

أسرع الركب يلتهم
عرصات مد البصر
مثقل الظهر مزدحم
زمر بعدها زمر

تترامى بشاطئي خضل ناعم الرمال
يرسل الموج صدره زفرات على التوال
خلته خف نحوها لاهث الشوق ذا انفعال
لم يرعني بمتنه غير (در) من الغزال
يذرع الماء طافيا عن يمين وعن شمال
بثه البحر فوقه وهو نشران في دلال
كيف هذا ؟ عهدي به قعرة موضع اللآل
أتراه متيما فغدا يعشق الجمال

الموشح الخامس

منزج (كيتان)

جنة

بابي منظر اراه
في صباحي وفي المساء

لوحة خطها الاله
بتهاويل من سماء

ما ربيع الدنا سوى واحد بالغ القصر
وربيعي بمنظرى دائم العهد والصور
مرج (كيتان) جنة زخرفتها يد القدر
نمنمتها بسندس ودمقس من الزهر
كسوار خلالها نهرها الطيب الاثر
ينثر الحب حوله والرياحين والثمر
فتنة الكون ان كست متنه فضة القمر
سل سيفا قرابه ضفتان من الشجر

الموشح السادس

بساتين « ابو جراح »

وشاح

ذهبت تتبع الخطا
ذات نعلين تخفقان
مرفقاها تابطا
أى سرب من الحسان

أين تمضى نواعما هذه الغيد والملاح ؟
اسبتها مباهج وزهاها (أبو جراح)
روض (تطوان) ايكها هو فى صدرها وشاح
فى الروابى نجاده والحواشى على البطاح
قلدته تلك الربا ديم ربة الجناح
دأبه فى الربيع ان يتبارى مع (الجناح)
ذا بالو أنه وذا ببساتين فى انشراح
طبت (تطوان) مغرسا أنت ثغر بين الاقاح

الموشح السابع

وهو موشح غنائي اندلسى عورضت به عشرات (١) من أمثالها بمناسبة

١) كان ابن الخطيب قال موشحه المشهور ثم عارضه كثيرون من المغاربة خصوصا شعراء عهد المنصور السعدى ثم هاهو ذا الاستاذ ابراهيم الالغى عارضه أيضا بما تراه .

فصل الربيع المقامة فيه افراح عرس مولانا الخليفة المعظم (مولانا الحسن)

يا أخا البث كفاك الـمـا ... أنت في الناس حديث الجلس
كفكف الدمع مليا انـمـا ... لك من دنياك بعض الخلس

* * *

لاتضيع عمرك النزر اليسير ... من نواح واكتئاب ودموع
فدع القارب يجرى ويسير ... فى خضم بين أرياح تروع
ان من ينظـر فى عسر المسير ... خاب سعيا فى ذهاب ورجوع

* * *

فمتى عيشك ياتى حلمـا ... مثل طيف فى الكرى محترس
فاذا ما سنح الدهر بما ... أنت تـهـواه فبادر واخلس

* * *

تتلاشى نـزوات الالـــم ... بين نبض البم او خفق الوتر
قلت للناى سليل النغـم ... أنت من صنع ملاك او بشر
فيك معنى لم يكن فى الكلم ... فيك القى الفن معنى مبتكر

* * *

فدع الناى ينزى نغما ... ويناجيه رنـيـن الجـرس
ربما يشفى نفوسا طـالما ... شفها فرط الغـنـى المنتكس

* * *

نزل الوادى حلم رائـع ... موقظ منه جفونا نائـمـة
وسرى منه جمـال ناصع ... ترك الالباب فيه هائـمـة
فجـمـال وخـيـال واسع ... اوجدا للشعر سوقا قائمة

* * *

كل نبت فتحت منه فما ... زهرة تـزهى بابـهـى ملبس
كل من يخطو اليها قدما ... لا حظته ثـم عين النرجس

* * *

والربا قد لبست برد الصبا ... نسجته معلما أيدى الربيع
فأتت تلبس منه عـجـبا ... حلة تاخذ الباب الجميـع
وغدت تحمل تاجا مذهبـا ... فاق ما يحمل ذو التاج الرفيع

* * *

انظر الزهر تجده باسما ... ناشرا فى الروض عطر النفس
يمـــلا الجو عبيرا مفعما ... خلته جاء بروح القـدس

انظر النحل اذا ما رشفا ... من رحيق الزهر صبحا او مسا
هل تراه غاصبا مختطفا ... حق غيـر ، أو تراه قد اسا
ان فى جولته شهد شفا ... يذهب الا كدارعنا والاسى

* * *

فدعوه يرتشف منها لمى ... شهى الثغر بهى اللعس
حائما من حولها مقتحما ... رغم ما تلحظ عين الحرس

* * *

ياربيع الدهر يافصل الشباب ... متعة انت عدتك الغير
ضحكت منك ثنيات عذاب ... بينها الورد ومنها اخر
قبل يصحبها رشف الرضاب ... هى شهد وعقار يسكر

* * *

أدرك المتعة من قد علما ... كيف يصطاد ظباء الكنس
ينثنى منخدعا مستسلما ... وهو يجنى ثمرات الكيس

* * *

قد أتى بالحب والحب معا ... فربا الارض كحقل الاضلع
لم يدع منهن شيئا بلقعا ... غير أن ليس له من موضع
أينما طفت تجده شعشعا ... بكؤوس مترعات شرع

* * *

أيها القلب رماك من رمى ... بسهام أرسلت فى الغلس
أرض بالسهم وما قد قسما ... لك من انعمه او ابؤس

* * *

هو حب خفقات فى الحشا ... فعلت فى النفس فعل السمر
ان للحب نعيما ان يشا ... واذا شاء فورد الخطر
الق من شئت ولا تلق رشا ... يخلب اللب بطرف البصر

* * *

من لقب يتنزى مثلما ... يتنزى وتر تحت قسى
عصف الحب به محتدما ... وسقاه أكؤسا فى اكؤس

* * *

عينه نامت على شوك القتاد ... لم يطب مضجعه فى مستقر
قد قضى الليل أنينا وسهاد ... يسأل النجم عن الصبح الاغر
هل له من خبر ينبىء الفؤاد ... عن صباح هو أدهى وامر

انه الحب اذا مـــا جثما   لم يفد فيه منيع الترس
انج بالنفس وخـــل المغنـما   ربما جر بـه ما قـد يسى

* * *

ياربيعا حفل الشعر بـــه   وتغنى فيه حفل الشعـراء
لك من طيرك أو من سربه   صدحات اذهلت وجه العراء
عملوا بالشعر او من نخبـه   شربوا نخب زفاف الامراء

* * *

كل ما فى الكـون أرضا وسماء   من نجوم او زهور تكتسى
كلها جـــاءت تهادى حوما   زينة او بـهـجـة للعرس

(هكذا علمنا كيف طبع الالغى ، ان وجد فى ارض الله الواسعة من ميادين الشعر ما لم يجده فى الغ القاحلة الفقيرة)

زوجـه

اتاح الله للمترجم سيدة عالمة لانظير لها فى فتياتنا ، وهاك ترجمتها بقلم زوجها الكريم (ولالغ ان تشمخ بأن اعلم ءانسة مغربية فى فجرنهضتنا أضيفت الى الغ او أضيفت الغ اليها)

عائلتها

انها من عائلة ريفية بشمال المغرب أبوها السيد عبد الكريم بن اللوه، من قبيلة (بقيوة) بالحسيمة ، وكان أبوه الحاج على رئيس قبيلته ، ذا كلمـة مسموعة ، ورجولة نادرة ، ولقد أسهم السيد عبد الكريم بسيفه وبماله ، وقلمه ولسانه فى الحروب الريفية ضد المستعمرين ، سواء فى عهد الزعيم محمـد (أمزيان) وفى عهد البطل محمد بن عبد الكريم الخطابى ، اذ كان احد اعوانه ومن مستشاريه والمقربين اليه ، فصاهره واسند اليه عدة مهمات جليلة ، منها تعيينه قائدا للثورة فى الناحية الجبلية ، وهى القبائل المجاورة لطنجة واصيلا وتطوان ، ومنها اعتماده فى طنجة ، ليتصل بنواب الدول ، وبالخارج • نظرا لكونه كان يتمتع بالحماية الانجليزية • ومنها بعثه الى فرنسة وانجلترة كسفير متكلم بلسان الثورة الريفية •• وبعد أن انتهت الحروب الريفية انخرط فى خدمة الحكومة المغربية بالشمال ، فعين باشا للحسيمة،ثم مديرا للتعليم بتطوان ثم مديرا للاسعاف الاجتماعى ، واخيرا احيل على المعاش ، وعمها السيد العربى اللوه من علماء الشمال ، تخرج من الزيتونة ، وشغل مناصب هامة منها رياسة الاستيناف المخزنى ، ووزارة الاحباس ، وهو الان أستاذ بالتعليم العالى الاصلى بتطوان ، وأما أمها السيدة رقية بنت احمد الخطابى فهى من عائلة عبد الكريم

الخطابى ، ومن قبيلة بنى ورياغل أعظم قبائل الريف ، وهــى سيدة فاضلــة دينية خيرة عالية الهمة بادية الشمم ، تمثل البيت الخطابى احسن تمثيل ، حفظها الله ، وأطال عمرها ٠ وهكذا السيدة معمة مخولة

دراساتهــا

تلقت السيدة (ءامنة) مبادئها الاولى فى مكتب فى (الحسيمة) حيث حفظت ما تيسر من القرءان ومن أمهات الدين ، ولم يكن لها نظير فى ذلك اذذاك بتلك الجهة ، ثم انتقلت الى (تطوان) وهى طفلة صغيرة فى جملة عائلتها، وكان السبب ان الحكومة اسست لاول مرة بالشمال مدرسة ابتدائية خاصة بالبنات ، محل رقم (١) بتطوان ، فجاءت لتنخرط فيها ، وبعد ثــلاث سنوات حصلت عــلى الشهادة الابتدائية ضمن الفوج الاول من الفتيات ، وكانت هى الاولى فى ترتيب النجاح ، ثم التحقت بقسم ثانوى تكميلى ، ثم بمدرسة المعلمات ، فتخرجــت منها بشهادة اجازة التدريس ضمن الفوج الاول وكانت الاولى فى الترتيب أيضا ثم شاركت بنجاح فى امتحان القبول بجامعة مدريد ، قسم التربية والفلسفة والادب ، فاستطاعت بمجهود جبار مثالى ان تتابع هناك الدراسة الجامعية من سنة الى سنة ــ والمدة ست سنوات ــ الى ان ظفرت اخيرا بشهادتها الجامعية (ليسانس) فى علوم التربية والفلسفة والادب ٠ ثم انها شاركت فى المباراة التى اعلنت عنها وزارة التربية الوطنية بالرباط ٨ ماى ١٩٥٩ لتعيين مفتشى اللغة العربية فى انحاء المغرب ففازت منها بتفوق حين كانــت الاولى فــى الترتيب الكتابى ، والثالثة فى الترتيب الادارى ، واثرها عينت مفتشة للتعليم السنوى بالرباط ونواحيها ٠ لولا أن وقع ماوقع لجميع من شاركوها فى ذلك الامتحان (فظن خيرا ولا تسل عن الخبر)

الدرجات العلمية التي تحملها

وكنتيجة لذلك فانها تحمل الدرجات العلمية الاتية :

١ ــ الشهادة الابتدائية ٠٠٠ بدرجة الاولى

٢ ــ شهادة اجازة التدريس ٠٠٠ بدرجة الاولى

٣ ــ شهادة الليسانص من جامعة مدريد المركزية ٠٠٠ الاولى من نوعــهــا بالنسبة للفتاة المغربية

٤ ــ النجاح بتفوق فى مباراة التفتيش بالرباط ٠ اول مفتشة مغربــيــة ــ لو تم ذلك ــ وربما تعاد هذه المباراة

٥ ــ الفوز بجائزة المغرب للقصة ٠ فى المباراة التى اجرتها الحكومة بتطوان لعام ١٩٥٤

الوظائف الـتي شغلتها

١ ـ معلمة فى التعليم الابتدائى
٢ ـ استاذة فى التعليم الثانوى
٣ ـ استاذة بمدرسة المعلمات
٤ ـ مديرة المدرسة الابتدائية رقم ١ بتطوان
٥ ـ مديرة المعهد الثانوى بتطوان
٦ ـ مديرة مدرسة المعلمات بتطوان
٧ ـ مديرة القسم الداخلى للبنات بتطوان
٨ ـ مفتشة التعليم النسوى بالرباط ونواحيها (ثم تاخـرت عن ذلـك الى الاستاذية)

الخدمات الاجتماعية

ـ نشرت مقالات شتى فى موضوعات اجتماعية بمختلف الصحف
ـ وجهت سلسلة احاديث استنهاضية لبنات جنسها فى الاذاعة
ـ اسهمت فى معظم النشاط النسوى الاجتماعى ٠ وما زالت تسهم
ـ كانت عضوا فى اللجنة الملكية لاصلاح التعليم
ـ كانت عضوا فى الوفد النسوى برياسة الاميرة عائشة الى المؤتمر النسوى العربى المنعقد بدمشق دورة شتنبر ١٩٥٧

انتاجها

١ ـ مجموعة مقالات صحافية
٢ ـ سلسلة أحاديث اذاعية
٣ ـ نشرة مدرسية عن المدرسة الاولى التى كانت تديرها
٤ ـ قصة الملكة خناثة ، التى نالت بها جائزة المغرب لعام ١٩٥٤ والتـى نشرت تباعا فى جريدة (الصحراء) المغربية
٥ ـ كتاب الطفولة المغربية ، الذى نالت به الليسانص من جامعة مدريد
٦ ـ ابحاث اخرى ـ وخطب ٠ فى موضوعات ومناسبات شتى
٧ ـ قطع شعرية ٠٠٠

زواجها

وفى شهر اكتوبر ١٩٤٨ تقدم ابراهيم (الالفى) لخطبتها ، فاعلن ذلك فى محفل بهيج حضرته الشخصيات البارزة ، وفى مقدمتهم دولة الصدر الاعظم ٠٠

حيث قرئت الفاتحة على بركة الله .... وثم زفافها اليه يوم ١٠ أبريل ١٩٤٩ اسبغ الله عليهما حلل السعادة والبهاء ما غرد الكروان وتعاقب الملوان

من آثارها

يقول المؤلف قرأت لهذه السيدة ءاثارا قيمة أختار منها ما ياتي :

العام الجديد

وقف الناس يرقبون مطلع العام الجديد ، وقد تخلصوا من عامهم المنصرم أو كادوا واضعين أيديهم على قلوبهم في لهفة وفي فضول ، ينتظرون ما يخبؤه لهم المستقبل من ءامال وآلام ، وولوا ظهورهم لعامهم الذى عاشوه ، فأوصدوا دونه رتاج الماضي العاتي في جلبة وفي قوة وفي ضيقة وكأنهم بهذا قد أزاحوا عن كواهلهم أعباء السنين ، فأسرعوا خفافا يستقبلون بالاحضان العام الجديد متفائلين مستبشرين ...

ولودرى هؤلاء لعلموا أن الزمان لم يوقف سيره قط ولن يخلع عباءته أبدا وان قاربه لم يلق مرساته على شاطىء الحياة منذ ان كانت الحياة . وان هذا القارب منطلق لايلوى على احد وهويرتطم بالصخوروالنتوءحينا ، وتتقاذفه الامواج أحيانا ... وتتلاعب به العواطف والانواء تارات أخرى ... وهو رغم كل هذا مندفع كالسيل يصدم ويقوض ويؤدى

هى قصة الزمان التى لا تنقضى ، وحكايته التى لا تنتهى !!

الزمان هو الزمان ! هو اللغز الذى سما عن الادراك ، وغمض عن العقول وما المقاييس بالساعات والايام والشهور والاعوام والقرون الا من اختراع الانسان ليحتمى بها من الحقيقة المؤلمة ، انها من وحى خوفه على نفسه من طول الوحشة ومن الضلال ، أراد بها الانسان الاحتماء والاستجمام من طول زحفه، ليستأنف المسير بعد ذلك . الى الغاية الرهيبة التى يركض اليها ركضا مسوقا بهذه القوة الخارقة التى نسميها الزمان .

تشبث الانسان بالمقاييس فقسط الزمان والزمان بعيد عن التقسيط فخدع بذلك نفسه ، ووجد فى ذلك الخداع راحة نسبية تنسيه هول المصير، نظر الى الزمان نظرته الى كتاب نقلب صفحاته بارادتنا واحدة بعد الاخرى، والكتاب تكونه ذرات ، وربما هبت ريح داهمة فعبثت بهذه الصفحات فطارت هباء منثرا ، أما الزمان فهو كل أبدى لاتبديل فيه ولا اختلال ، يدفع بقوم الى الحياة ، ويلقى بآخرين الى الابدية ، لاتصل اليه أهات الشاكين ، ولا استغاثات الراحلين ، ولا انات المعذبين .. نظام عجيب وسير لاتعثر فيه منذ الازل

ما قيمة العام والقرون والاحقاب فى حساب الزمان ..؟ وما قيمة حياة

الانسان ازاء هذا الزمان الذى ياتى بنا الى قاربه ليرمى بنا فى اعماقه الابدية بعد ذلك ، ويسدل علينا ستار الغموض ؟

هل درى اولئك الذين وقفوا فى أبهى حللهم ، وازهى حليهم ، يستقبلون العام الجديد ، انهم انما يحرصون على عمر نفيس انصرم من حياتهم ، وان جديدهم لاحق بقديمهم وان حياتهم تذوب من بين ايديهم وهم لايشعرون ٠٠٠؟

مثل حياتنا مثل هذه الشمعة التى تسرى فى احشائها السنة اللهب ، فتذوب قطرات الى ان يطويها الفناء ٠٠٠

لو رجعوا الى أنفسهم لعلموا أن وقفتهم تلك لامكان لها فى قاموس الزمان ولا تغير من برنامجه شيئا ٠

أيها اللغز الابدى ٠ هل لنا ان نعرف ما تحمله بين طياتك ؟ لتهدأ نفوسنا من حيرتها القاتلة ، ومن قنوطها الذى لايريم ٠٠٠؟

أيتها القوة الجبارة الازلية ، هل لك ان تزيحى هذا الغموض الذى يكتنفك ؟ وهل لك ان تحيدى عن الغاية التى تحملين اليها الانسانية ؟ وهل لك ان تغيرى وجهتك فتتنكبى بنا عن طريق الابدية ؟ وتمنحى لنا الاستقرار ولا نبقى عابرى سبيل

انك لن تستطيع أيها الزمان ، فانت مسير بقوة علوية ، تدفع بك دفعا الى مصيرك أيضا ٠٠ وانت والانسان حقيقة واحدة تكون نهر الحياة الذى يجرى متدفقا جارفا ، ليصب فى الابدية ، حيث يتلاشى وينتهى ، كما تتلاشى وتنتهى المياه فى الصحراء ٠٠٠

يقولون : العام الجديد ٠٠٠٠؟ وهل هناك جديد فى هذا الوجود ؟

يسمونك العام الجديد ٠ أما أنا فسيان عندى قديمك وجديدك ٠ فانت وحدة لاتتجزأ وقوة رهيبة تندفع بنا الى اعماق الابدية حيث تنتهى أسطورة الحياة ٠

مجالس النساء

سيداتى :

يقول المثل اهل مكة ادرى بشعابها ٠ ومن أدرى باحوال النساء من النساء ؟ فاذا تناول حديثى اليوم مجالس النساء ، فانما هو حديث عن مجالس أحضرها باستمرار وأدعى اليها كل حين ، مما جعلنى مستوعبة لنواحيها ، عارفة بما يدور فيها ، محيطة بحقائقها وخفاياها ٠

فكان الاجدر بهذه المجالس ان تكون مثال المروءة ، ومعرضا للاخلاق الحسنة

ومظهرا لائقا بآداب المرأة المغربية ، هذه المرأة العريقة في الاحساب والانساب الاصلية في الاخلاق والاداب ، المضروب بها المثل في المحافظة على تعاليم الدين القويم ، والتمسك بعادات حميدة ، وتقاليد عريقة ، زيادة على ان المرأةالمغربية اصبحت اليوم تضرب بسهم وافر في الحضارة القائمة ، ءاخذة في التثقيف والتهذيب ..

لكن الامر بخلاف هذا في معظم مجالس النساء عندنا ، اذا تلفت الى الماضي المجيد ، والى الحاضر المشرق ، ثم القيت نظرة فاحصة على أحوالمجتمعاتنا واستمعت الى الاحاديث التي تدور في محافلنا ، والى الموضوعات التي نملأ بها مجالسنا ، فانك ـ ولاشك ـ تحكم علينا بضيق الافق ، ونضوب المادة الخلقية وقصر النظر وتفاهة التفكير .

ليس في مجالسنا الاحاديث تافه ، لاطعم له ولا رونق ، لانضج في التفكير ولاسمو في المقاصد ـ وانما هو كلام نرسله على عواهنه ـ لايتناول الا ابسط المسائل ، ولايستغرق الوقت الا في القيل والقال ، والاكثار من السؤال عما يحمد وما لايحمد .

ولا أذكر أن المقام الاسمى في مجالسنا انما هو للغيبة والنميمة ، ولااريد أن أقول ان الاستهزاء بالغير هو أشهى المطعومات ، وأطيب الطيبات كلما اجتمعت واحدة بأخرى .

فهل ينتظر بعد هذا أن تكون هناك رابطة ، وان تكون بيننا كلمة جامعة وصلات ودية ، وغايات نبيلة ؟

قد أعذر اولئك النساء اللائي تخلف بهن الركب ، وسحبت السنون الخوالي على عقولهن ذيل الغفلة ، وغطيت افكارهن بعنكبوت الاوهام والظنون السيئة ، ولكنني لااعذر فتيات اليوم ، بنات المدارس ، المتخرجات منهن وحاملات الشهادات ، فهؤلاء لاعذر لهن في البقاء وتحت انقاض الماضي ، وفي التخلق باخلاق الجاهلات القاصرات .

لاأفهم كيف يسوغ لامرأة متعلمة تقرأ الصحف والمجلات ، وتتبع اخبار النهضة النسوية في العالم ، أقول . لاافهم كيف يسوغ لها ان تملأ فراغها وتقتل اوقاتها فيالمجالس بالكلام في فلانة . والاستهزاء بفلانة . واستنقاص قريناتها وصواحبها

فاذا كانت الغيبة والنميمة والاستهزاء اشياء ممقوتة في حق المرأة المتخلفة ، فهي في حق المرأة المتعلمة اقبح واشنع ، واحق باللوم . سواء في المجالس الخاصة ، او في المجالس العامة

رايت اجتماعاتنا على هذه الحالة . فرجعت بألم يعصر مهجتي ، ويضني فؤادي ، نعم ورب الكعبة ، رجعت وفي نفسي حسرات ولوعات على ماتتصف به

حالتنا من سذاجة وقصور • هذه الحالة التى اكل الدهر عليها وشرب •

لقد كدت أنكر نفسى وزمنى • هل حقيقة نعيش فى القرن العشرين عصر السرعة ، والحضارة المدهشة • عصر التقدم فى جميع الميادين •

أين هى هذه الاثار في مغربنا ؟ وهل يوجد بيننا قبس من ذلك الشعاع الاعظم ؟ وهل هبت علينا ريح مباركة من ذلك العالم الحالم • ام هبت علينا الزوابع والاعاصير فرمت بنا فى اعماق المحيط ؟

آتبقى المرأةالمغربية اثرا منالآثار فيكلشيء ، حتىفيتفكيرها وحديثها ؟ امقد ر عليها ان تظل العقلية العميقة لاينفذ اليها النور ؟ وهل من الواجب ان تقف مكتوفات الايدى أمام هذه القصور الشامل ؟

جالست الكثيرات وسبرتهن عن قرب • فكانت النتيجة ماذكرت أليست لنا عبرة فى النساء الخالدات ، وفى نساء الشرق المعاصرات • لـم لانقتفى اثرهن ونسير على نهجهن ؟

يحدثنا التاريخ ان النساء العربيات كى يتناشدن الاشعار ، ويتجاذبن الافكار ، ويشاركن فى الحياة العامة مما جعل عمر يقول : أصابت امرأة واخطأ عمر

وهذه (هى زيادة) الادبية الذائعة الصيت (لامارتين) العرب كما وصفها الادباء كان منزلها منتدى ادبيات جليلات •

وهؤلاء نساء مصر اللامعات ، يعقدن مجالس ثقافية على جانب كبير مـن الاهمية ، يبحثن فيها مشاكلهن الخاصة ، ومشاكل مصر العامة • انهن يقمن بدور هام فى الحركة الجديدة ، يعقدن اجتماعات وجلسات يبحثن فيها وضعية المرأة • ويتبادلن الافكار ، والاراء فى شانها • الشيء الذى ابرز نشاطـهـن فنلن بذلك الاعجاب

فمتى ننبذ نحن هذه الاجتماعات السخيفة ؟ الا انستطيع ان نطـهـر مجالسنا من هذه الجراثيم السامة • فنتنفسس فى جو يسمو بالروحانيات ؟ ألانستطيع ان نترك الماديات جانبا ؟

اعتقد أن عبء هذا يقع على الفتاة المثقفة وحدها لاغير • لنبدأ بانفسنا ، لتكن القدوة الصالحة لغيرنا ، ليكن حديثنا اذا اجتمعنا حديثا ثقافيا ناضجاً نقصد به فى نفس الوقت استدراج السيدات الى المشاركة فى حديثنا ، وبذلك نكتسب نصيرات ، نصل بهن الى اعداد امرأة مفكرة واسعة النظر سامية الاراء

ولست أريد هنا الحط من سيداتنا كلا • انما هى ظاهرة رأيتها وقصور شاهدته أردت للمغربية استكماله •

لاتعتبن عن اخت لكن • واجهتكن بالحقيقة سافرة ، لاغبار عليها ولاحجاب

انى منكن واليكن ، وحياتى وقف على اصلاحكن بكل ما استطيع ، لاابتغى وراء ذلك الا الوصول الى مستوى لائق بحفيدات الابطال • فلننزع عنا ملاءة الخمول الطويل ، ولنغير هذه المجالس العتيقة ، ولننفخ فيها روحا جديدة تناسب القرن العشرين ، لنجد السير • فالقافلة سارت بعيدا ، هيا بنا لندركها ونتعلق بها

وبعد فذلك هو الاستاذ الكبير ابراهيم الالفى الذى لم يزل الله ينعم عليه بنعمة اثر نعمة ، حتى قارن بدره المشرق بهذه الشمس المشعة ، فنطلب الله ان تتكون بينهما نجوم تلمع انوارها فى سماء عائلتهما ، لتتم عليهما جميع النعم • وما ذلك على الله ببعيد ، والكريم اذا بدأ اتم •

الاستاذ الحسن بن احمد الالغى

نحو ١٣٥١ هـ = حـــى

نسبـه :

الحسن بن احمد بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد ابن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

انا الحسن السباق فى كل حلبة | تجارت الى الغايات افراسها الجرد
خلقت لكل المكرمات احوزها | وحيدا وهل مثلي يكون له نـد ؟
قد اشتهرت فى كل حفل نجابتي | (وما قلت الا بالذى علمـت سعد)

هذا ماكان للمترجم فالاحسنا ، يوم كان ياخذ عنى المبادىء فى (الغ) قد قلت ذلك على لسانه كما كنت اقول على السنة اقرانه • بل هناك ديوان خاص مما قلته فى تلاميذى او عن السنتهم يسمى (الرميليات) نسـبـة الى (الرميلة) من حومة (باب دكالة) حيث قضيت ما قضيت مع نشء غير قليلين من ذلك الجيل ، اذا الناس ناس والزمان زمان

متعلمـه

هو عين التعلم الذى سيذكر فى ترجمته اخيه عبد السلام الذى سياتى بعده • لانهما لم يفترقا قط منذ نشئا معا • الى ان فرقـت بينهما الشهادة العالمية • فقد كان عبد السلام نجح فى السادسة من كلية ابن يوسف • ولم ينجح المترجم • ثم اشتغلا معا فى المدارس الحديثة • الى ان تقدم عبدالسلام الى (العالمية) فادركها ، فصار استاذا فى المعهد الروداني ، وبقى المترجم فى هذه المدارس الى الان ، وقد صار استاذا رسميا فى (مراكش)

من آثاره

ان للمترجم اقداما وقلما وفكرا • وجراءة وتطلعا الى الظهور • فصار يخوض مخاضات اقرانه • ويلقى المحاضرات امثالهم • وهذه احدى محاضراته ومنها يظهر اثر قلمه وتفكيره

أثر الحرية في التربية والتعليم

ان التربية القديمة التى اصبحت لاتساير تـطـورات العصر الحاضر

ـ عصر المساواة والديمقراطية ـ كانت تمتاز بالقسوة والضغط على الطفل• وكان المربون اذذاك لم يستطيعوا أن يفهموا الغاية المتوخاة من وراء التربية والتعليم • فضلا ان يصرفوا وقتا من اوقاتهم في التعرف الى مشاكل الطفل والتفكير في طرق علاجها • والمعاملة التي كان المربون القدماء يعاملون بهـا الاطفال ، سواء في المدارس او المنازل • كانت مستمدةمنالظروف الاجتماعية والاحوال السياسية • التي كانت تحيط اذذاك بالمدرسة او بالمنزل • فهناك امراء وسلاطين واقطاعيون هذه الطبقة يخيل اليها ان الطبقة الفقيرة مـا خلقت الا لتنفيذ مراغبها وشهواتها بدون ملاحظة أو نقاش • زيادة على هـذا ماكان عليه نظام العائلة بما كان يمتاز به الاب على افراد العائلة • فليسفي البيت من تسول له نفسه معارضة رب الاسرة •

فهذه العوامل كلها ـ لاشك ـ لها اثر فعال وكبير في المدرسة • حيث نجد المربين لايعتنون بتربية الاطفال تربية صالحة • تستفيد من ورائها الامة والاسرة نتيجة ترجع عليهم بالنفع العميم • ولـم يفكر هـؤلاء المربـون قط في اعطاء الطفل ولوقسطا ضئيلا من الحرية •

فلما تقلبت الاحوال واصبحت الشعوب تقاوم الطغيان ـ بفضـل الوعي المقدس ـ وتنسفالاقطاعوالطغيان • وتقلبالاوضاعوالانظمة في مختلف البلاد • كان من البديهي ان يكون لهذا الانقلاب اثر محسوس في جميعالميادين البشرية ، وبالاخص المدرسة • وفعلا قام المربون الكبار الذين كان لهم الفضل في قيادة شعوبهم الى شاطئي النجاة ينادون باتجاه جديد في التربية وطرقها يوافق روح العصر الجديد ويساير تطوراته ، وهو اعطاء الطفل قسطا مـن الحرية • مع احترام القوانين المدرسية المعقولة •

والواقع ان هؤلاء المربين لم ينادوا بوجوب اعطاء الحرية للطفل بمجرد ثورة على الانظمة البالية فحسب • وانما كانت مناداتهم بذلك نتجة الابحاث التي اجروها في التربية ، ودراساتهم الطويلة لمشاكل الطفولة التي اباحت لهم أن يطلعوا على غرائز الاطفال ، والعثور على ما يكمن في نفوسهم من ميول ونزعات • فاهتدوا بعد ذلك الى ان المدرسة بنيت لاجل الطفل لا الطفل هـو الذي خلق للمدرسة • فنظرا لهذايجب على المدرسة ان تبحث وتدرس ميول الطفل ونزعاته • لاالطفل هو الذي يجب عليه ان يخضع لوسائل تربويـة عقيمة ، ولقوانين ماانزل الله بها من سلطان • ويجب على المدرسة ايضا ان تبحث عن كيفية معالجة جميع الاطفال ـ مع اختلاف ميولهم ـ الذين تحت كفالتها ـ معالجة تلائم كرامة الاطفال ككائنحي ـ حتى تهتدي بطريقةالتدريج الى تقويم سلوكهم • والقضاء على دواعي الشر الكامنة في نفوسهم

ان اصحاب التربية الحديثة يدعمون اراءهم السالفة باسباب معقولة ،

فهم يقولون ان الناس ولدتهم امهاتهم احرارا ، فكيف تستعبدهم طائفة من بني جنسهم ، تصدر الاوامر ، وتملي عليهم ارادتها فيتقبلونها صاغرين • فأي حجة تستند عليها تلك الطائفة ؟ فتحملهم على الخضوع لاوامرها واجتناب نواهيها •

ان لكل فرد كرامة يجب ان تحترم ، ولهذا يجب على المعلمين ان يعطوا للطفل قسطا وافرا من الحرية في المدرسة ، في حدود النظام واللياقة • فلا ينبغي للمعلم ان يتعرض لحرية الطفل ويغتصبها منه • فيخيل له ان شخصيته معدومة وغير معترف بها • ومن نتائج الابحاث التي اهتدى اليها ان القهر يقتل في نفس الشخص روح الابتكار • وبما ان النظام الديمقراطي يفتح أبوابه لكل عامل مبتكر ويشجعه ويجعل افراد الشعب على حد سواء وفي منزلة واحدة ، حتى ينتفع من مجهودات الجميع في ميدان الخلق والابتكار فان من الضروري ان يعطى للاطفال قسط من الحرية يناسب المقام • واعطاء الحرية للطفل من الدواعي التي تحمل الطفل على الثقة بنفسه • والثقة بالنفس تحفزه على الخلق والابتكار والعمل المنتج • وفي ذلك تقدم سريع للمجتمع

أما من الناحية الخلقية • فيمكننا ان نقول بان الحرية تتيح للطفل ابراز شخصيته ، وتقوية ارادته ، نظرا لما قد يحصل عليه من تجارب وخبرات في المدرسة ، وتلك التجارب هي التي وحدها تجعله يقدر المشاكل حق قدرها • وتجعله قادرا على تحسين سلوكه • والتخلق بالاخلاق الفاضلة حين يستنكف من تلقاء نفسه ان يقترف جريمة يلام عليها • وبهذه الطريقة يمكن للمعلم ان يظهر شخصية الطفل • لان الطفل اذا شب وهو يتلقى الاوامر من المعلم في ناحية ، ومن الاب في ناحية اخرى ، ولايتحرك الا بايعاز • فسرعان ما تضمحل شخصيته وتنعدم ويصبح عرضة لرياح الاغراض والاهواء والنزعات السيئة

وبديهي ان النظريات السابقة لايمكن ان تكون لها قيمة في نظرنا الا اذا طبقت على أسهل الطرق • أما تطبيقها فقد شرع فيه في مدارس نموذجية كالتي انشأتها المربية الايطالية الدكتورة (منتسوري) والتي ارادت أن تطبق فيها الدكتورة مبدأ الحرية بمعناه الواسع الشامل ، لامن ناحية دون اخرى • وهكذا القت الدكتورة النظام الذي يعرفه التلاميذ في المقاعد الثقيلة المثبتة في الارض • وجعلت مكانها مقاعد خفيفة ، يسهل على الطفل نقلها حيث يشاء ومتى شاء • وفعلت الدكتورة هذه الطريقة لئلا يشعر الطفل باية سلطة تضغط عليه ، كما اعطيت للطفل حرية في الخروج والدخول دون ان يتعرض له أحد ، ولم تخصص مادة للطفل في تلك المدرسة المثالية يتقيدبها دون أخرى • والمعلم ليس له اى تدخل في هذه المسائل • فهو واقف بمثابة

المرشد ، ويلاحظ حركات الطفل واعماله • حتى يتربى فى الطفل الاستطاعة على العمل المفيد • ويتمكن من استخدام حواسه •

ومن الناحية الخلقية بالمدرسة النموذجية يسمح للطفل ان يتعاطى كل ما يروقه فى دائرة احترام اخوانه • وله الحرية التامة ان يعمل كل ماتسوله له نفسه • بشرط ان لايسيء الى زملائه

وهذا النوع من الحرية يوجد فى هذه المدارس المثالية ولايمكن انيطبق فى مدارسنا لاسباب قاهرة • واذا كنا نرحب بمبدأ الحرية فى المدرسة • فلا يسوغ لنا بأى حال أن نطلق لاطفالنا الاعنة ، يفعلون كل ما تملى عليهم ميولهم • لان ذلك يسبب الفوضى وعدم الاستقرار • ولو اسست فى بلادنا مدرسة نموذجية على هذا المنوال الذى انشأته المربية الايطالية • لوجد الطفل فى حياته اضطرابات لان نظام الحياة ونظام البيت عندنا يخالفأن الروح التى تسود تلك المدارس النموذجية •

فبيننا يخرج الطفل الى وسط المجتمع ، فيجد نفسه أمام قوانين لايجوز له أن يتخطاها • وهذه القوانين يعرف تمام المعرفة انها ما وضعت الالمصلحته ولمصلحة ابناء جلدته • واذا كان يحس عندما يجد نفسه امام القانونبقليل من الضغط يقيد شيئا من حريته فان ذلك سيتعوده عن قريب ، كما أنهنالك سلطة الابوين التى لا محيد للطفل عندنا من الانقياد لها ، والامتثاللاوامرها ولاسيما ونحن امة اسلامية • والاسلام ـ كما هو معلوم ـ يعزز جانب سلطة الابوين • ولا سبيل الى نقض هذه السلطة التى يؤازرها ديننا الحنيف •

فهذا يجعلنا نومن بان ليس من المصلحة فى شيء ، ان نطلق عنان الحرية عندنا للطفل حتى لايخضع لاى نظام قار • فنحن حينما نطالب باعطاء الحرية للطفل انما نقصد بذلك اعطاء الحرية النسبية للطفل • اكثر من التى يتمتع بها فى الماضى وإقل من الحرية التى ترمى اليها الدكتورة (منتسورى) فى مدارسها النموذجية المذكورة •

ونريد أيضا من الابوين ان يتيقنا ان الطفل هو كمثل سائر الكائنات الحية يجب ان يفهما ان له شخصية وكرامة • فيعاملانه معاملة تليق بكرامته وشخصيته ، ونريد من المعلم المربى ان يزيل على نفسه فكرة العقاب البدنى العقيم ويربى الطفل على استخدام مواهبه • ليتاتى له ان يخلق فى نفس الطفل روح التفكير السليم والابتكار ، وعلى هذا يجب على المعلم ان لاياتى للطفل بدرس يقدمه له الا على شكل يروقه ويحفزه علىالنشاط والعمل المنتج • ونشاط الطفل هو الذى يهدى المعلم الى النفوذ الى مواطن نزعاته وميوله • فيتعهدها اذذاك بالتهذيب والاصلاح • لان مهمة المعلم مهمة تربوية لاتعليمية فقط •

ومن ءاثار الحرية الظاهرة فى التعليم ، انها تجعل الطفل يحب العمل وتخلق فيه روح الابتكار ، والمثابرة على العمل ، والاعتماد على النفس • وتشجعه على المضي في العمل • وهذه مسألة مسلمة • اذاقارنا التعليم فى مدارسنا العتيقة ، او الكتاتيب القرآنية مع التعليم فى مدارسنا الحديثة ومن هذه المقارنة يشعر الانسان الذى له خبرة كافية فى التعليم والتربية بالفرق الجلي بين تلاميذ المدارس العتيقة • وبين تلاميذ المدارس الحديثة وهذا الفرق يتجلى واضحا فى جميع مختلف نواحي الطبقتين الفكرية والعقلية والاخلاقية وغيرها • وهذا لايجحده الا من يحاول تغطية الشمس ومبدأ الحرية هو الذى يضمن لنا ان يشعر الطفل بالمسؤولية التى تثقل كاهله ، فيقوم سلوكه رعيا لمصلحته الشخصية ومصلحة مواطنيه • وهذا مما يجعلنا نعتقد ان مبدأ الحرية • هو الذى يعينه على تقوية ارادته • بحيث يستطيع ان يسيطر على نزعاته وميوله • يتصرف فيها كيف شاء ومتى شاء• وهذا أيضا من الدواعي التى تجعل الطفل لاينقاد بدون وعى • ولا يخضع الا لتلك الارادة القوية ، وفى خضوعه لتلك الارادة تدريب على المكاره لان الحرية الصحيحة التى يقصد منها البناء لا التحطيم • هى ان لايطلق الانسان لشهواته واغراضه الاعنة • ولا يمتثل لما ترمي اليه غرائزه الشريرة ، ونزعاته المختلفة • واذا اردنا ان نفهم مبدأ الحرية هذا الفهم المعوج • نكون قد اولناها تأويلات مغرضة ، واستمعنا لغير ما وضعت له ، وبالتالى نكون قد أسأنا فهم معنى الحرية السامى • فبهذا نصبح نتزلق الى المستوى البهيمي شيئا فشيئا ، من حيث لانشعر • ونصبح عبيدا لشهواتنا واغراضنا • تسيرنا الشهوات والاغراض • والذى يجب علينا ان نعتقده ونومن به • هو ان يعرف كل واحد منا معرفة تامة • ويدرك تمام الادراك بدون تقليد او انسياق • ان الحرية الصحيحة • هو ان نعبىء طاقتنا ، ونوجهها بكل مافى استطاعتنا وعزيمتنا لاستيصال جذور الشر والفساد فى نفوسنا• فلنستقبل تعبئة هذه الطاقة فى تشجيع وتزكية ، بكل ما من شانه ان يرفع من مستوانا الخلقي والمادى من الخصال الحميدة ، والطبائع الفاضلة • حتى يتيح لنا ان نخلق مجتمعا مثاليا لجيلنا الجديد ، تغمره السعادة الصحية والكرامة السامية والله ولى التوفيق •

الاستـــاذ

عبد السلام بن احمد الالغى

نحو ١٣٥٢ هـ = حــى

نســبــه :

عبد السلام بن احمد بن علي بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

عبد السلام نجيب بين اقرانــه — فهو يحوز بجد خصل ميدانــه
فان يشم ويشاموا في الندى يكن — كالزهر يفتر من علياء اغصانه
عماقريب يرى ذاشهرة طفحت — يوم يصول على جميع اقرانــه

هذا احد الشباب السعيديين النابغين وشيكا في هذا الجيل الجديد. وهو ابن أخي احمد الذي قرأت ترجمته في (الفصل) الماضي • وأخو الحسن المذكور قبله • وقد غادره واخوته صغارا • فقام الله بكفالتهم فخر جواكما سيرى القارىء من اماثل البارزين الان في الميدان

متعلمـــه

وجدته لما نفيت الى الغ هو واخاه الحسن يقفزان امام والدهما • وقد رزقهما بعد مارزءبعض اولادذكوراواناثا ءاخرين فكان لايفارقهما بعدما استطاعا ان يمشيا فكانا يحومان حواليه • فتقربهما اعينه• وهو يعاني مرضه المتواصل فكذلك تركهما يوم توفي • وقد كان ازارهما اخوالهما الايغشانيين • ولـم يكد يرجع حتى سقط على الفراش ثم لحق بربه بعد ايام • فلم يشعر الصبيان بالصدمة • لانهما لم يستتما عقلهما بعد • فلم يدركا قدر من فقداه ، ولاما الم بهمامن اليتم • وقد كنت ملت بهما وابوهما يغسل ويجنز للعب معهما• مخافة ان يتصل بهما من يشعرهما بما هما فيه • فهكذا بقيت معهما • وانا متفرغ لهما • حتى اذا مر زمن قليل راى لهما ابوهما الثاني اخونا سيدى محمد ان يفتتحا التعلم • فاتي بالاستاذ سيدى عيسى بن صالح الاكماري • فتدرجا عنده ماشاء الله نحو سنة • فلم ينشب ان ذهب لحال سبيله فلزماني اسابيع دربتهما على التهجي بكل سهولة • الى ان آتى بالاستاذ سيدى محمد التزنيتي فقام بتعليمهما خير قيام • ثم صارا ياخذان عني بعض المـبــادىء العربية • فلم تصل سنة ١٣٦١ هـ • حتى ختما القرءان • ثم اعادا الختمات

مرة فمرة • حتى اتقنا حفظه على يد هذا الاستاذ المبارك ثم لما تيسر لى الانتقال الى مراكش اواخر ١٣٦٤هـ اتيت بهما الى مدرسة (تمانار) فى حاجة عند الاستاذ ابن العم سيدى ابراهيم بن أحمد • فهناك افتتحا وتقدما اشواطا فى المبادىء • فاستتما متون الطور الابتدائى • ثم لما رجعت من الحجة١٣٦٦هـ اتيت بهما الى مراكش فصرت ادرس معهما فى طبقة امتازت بعد ذلك بالتحصيل فلم ينشبا ان اندغما فى السنة الرابعة من الثانوى فى الكلية اليوسفية • فحصلا على الشهادة فى تلك السنة ثم تقدما معا الى السنتيـن الخامسة فالسادسة • وهما يتفوقان مع المتفوقين • وفى الرعيل الاول من السابقين • ولكنهما حين تقدما الى شهادة السادسة نجح المترجم دون صنوه • ثـم انخرط فى النهائى ثم حدثت الازمة المغربية فانتقلت الى البيضاء • فكانا معى ماشاء الله متتبعين للدروس فيها على حسب ما تيسر • الى ان اعتقلت الى الصحراء • فقام المترجم فى الدار خير قيام • فكان يعلم ولدى سعيدا • ثـم انخرط فى مدرسة كاستاذ • فكانت المراسلات بينى وبين اهلى تمر على يده وهو الذى يجيبنى عما اكتبه وهكذا مثل دور الرجولة على صغره اذذاك• وهذه المراسلات محفوظة الى الان عندنا ثم لما وقع سراحى تمادى عـــلى استاذيته الى أن جاء الاستقلال فجاءت فرصة للحائزين للشهادة الثانوية وهو منهم • فتقدم للشهادة العالمية • فلاحظه السعد هو وكل من مـعـه • فتعينوا فى (المعهد) الردانى اول ما افتتح • وهـكـذا أصبح عالما رسميا • واستاذا ممتازا • ثم ظهر منه فى المعهد شفوف بمعلوماته واقدامه وحسن اخلاقه • وعزوفه عن الدنايا ، ثم تزوج ببنت عمه عبد الرحمن • فصار رب عائلة • فلم ينشب ان ولد له ولد سماه (شكيبا) وما اختار هـذا الاسم الا لانه اديب • وقد تخصص لدراسة الادب فى (المعهد) وناسف حين لم يتيسر لنا من اثاره ما نقدمه للقراء على عادتنا فى أمثاله • على أنه لايزال شابـــا فرهدا • فى وسعه ان شاء أن يظهر له اثارا تقر بها العين • وينشرح بها الصدر • وقد كان والده رحمه الله يقول فيه دائما مايقول ، مما يدل على هذا الشفوف فالله يحفظه ويفتح له باب المجد على مصراعيه لنرى فى كهولته ثم فى شيخوخته ماكان له مظهر شبيبته كفلق الصبح • فجدير بمن كانت له اسرة لاتذكر الا بالعلم والادب والدين والاخلاق ، ان يواخذ نفسه حتى يكون خير خلف لخير سلف فى العلم والادب والدين والاخلاق •

شيخنا

سيدى عبد الله بن ابراهيم ابن العم

١٥ ـ ٩ ـ ١٣٠٩ هـ = حى

نسبه :

عبد الله بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد ط

قرأت فيما تقدم في (الفصل الاول) ترجمة والده العم سيدى ابراهيم وترجمة جده سيدى احمد بن محمد الرجل الصالح • ورأيت ان والده تزوج سنة ١٣٠٨هـ وكانت التى تزوج بها كريمة سيدى مولود الشقراى الافرانى وكان من أصحاب الشيخ سيدى سعيد المعدرى • وفى داره وقع للشيخ الالغى ماوقع • كما ذكرناه فى ترجمته حين تعرضنا للطور الذى تلاقى فيه مع شيخه هذا • كان الشيخ الالغى ساح سياحة طويلة انتهت به الى افران وهو مستدير الى (الغ) • وقد كان من بين الفقراء صنوه العم ابراهيم ، فخطب له تلك السيدة • فعقد العقد فى الحين • فاتى بها الى الغ ، وفى السنة التالية ولد صاحب الترجمة حفظه الله ، وقد ذكر لى ان سيدى سعيدا التنانى هو الذى قيد يوم ولادته وعنه نقل

متعلمه

ابتدأ فى مسجد القرية السليمانية عند سيدى محمد ـ فتحا ـ بن محمد اوباكى التانكرتى ، ثم الى سيدى محمد الاكميرى ، ثم سيدى مولود الصوابى ، قال ان على يده ختمته الاولى سنة ١٣١٧هـ ثم سيدى محمد ـ فتحا ـ السملالى • فاتم عليه ختمتين ، وهؤلاء كلهم فى ذلك المسجد • سمعت والده يقول • ان الله قد هداه اذذاك فماعرفت له نبوة من المكتب ، ثم ضمه الشيخ الوالد معولده سيدى محمد أخينا الاكبر • فارسلهما الى ساحل أيت بعمران عند طالب هناك يسمى سيدى عمر فلم ينشب ان مات فجاة • ثم نقلا الى قرية (تالات ووشن) بايت برايم عند طالب يسمى سيدى الحسن لايزال حيا الى الان ١٣٥٦هـ فبقى هناك نحو سنة ، حتى جود غاية التجويد • فالتحق بالمدرسة (الايغشانية) اواخر سنة ١٣٢٤هـ عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ، فعلى يده افتتح المبادىء ، قال فكنت اتمشى تمشيا وئيدا• ولذلك انتقل سنة ١٣٢٥هـ الى المدرسة (الالغية) عند الاستاذ التاجارمونتى فتخطى

خطوات فى المتون الابتدائية وفى ١٣٢٦هـ التحق بالاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد فى (أداى) فهناك تمكن فى المبادىء وخطا خطوات واسعة فى الدور الثانى • فلم يلبث الا سنتين حتى التحق بالدور الثالث • وذلك بالهمة التى يدير بها استاذه اذذاك كل من عنده ، فنجب غاية النجابة ثم صاحبه إلى المدرسة (الايغشانية) حيث لازمه أيضا اربع سنوات • وقد كنت معه هناك فكنا نراه مع سيدى البشير بن الطيب • وطبقتهما فى السماوات العليا وكان ابن العم اذذاك يعين استاذنا فى المبتدئين • فكنت ممن مر تحت يده اخذت عنه بعض اللامية لابن مالك • فافرغ الجهد فى ان اتقنها فلزنى لزة الالفيين المشهورة ، فكان يستدعينى للاعادة عليه بين العشاءين • فكان ذلك بفضل الله ماجعل علم التصريف بارزا بين معلوماتى خصوصا ماذكر منه فى اللامية فهو ارسخ العلوم العربية فى ذهنى رغم اننى بعدما املصت بعد ذلك من هذه اللزة فخلعت الرسن وطلقت الاجتهاد • واعرضت عن الاكباب نحو عشر سنوات قضيتها كلها فى البطالة الا ماكان من كتب ادبية اتلوها ترويحا للنفس وتلذذا لاغير لم يزل علم التصريف عندى كما هو • فلما انقشع السحاب ورجع طور الندم • وقد نفخت فينا دروس الشيخ شعيب الدكالى رحمه الله روحا جديدة فى سنة ١٣٤٢هـ رجعت الى هذه القواعد التى اخذتها فى مبتدأى لاتفقدها وارم منها ما اندثر ، لعلى اتمكن من وضعها اسسا متينة لما عزمت عليه من تشييد بناء عال علمى جديد فلاحياة الا للعلماء ، ولا علم بالقواعد ، ولاقواعد للعربية الا هذه التى نأخذها فى طور الابتداء عن الاستاذ المترجم وامثاله ، فوجدتنى بعد ان لمست كل جوانبى افرغ من قلب ام موسى ، حتى الحدود التى حفظناها • طارت كلها كما طار كل ماتشتمل عليه هذه المتون الا ماكان من علم التصريف وحده فهو الذى وجدته مصونا كما هو • وما ذلك الا بفضل جهود صاحب الترجمة حفظه الله وجزاه خيرا ، فكانت هى اول ما ذاكرت فيه بعض اخوانى فى سنة ١٣٤٢هـ فى مسجد صغير يضاف لسيدى البغدادى فى (الموقف) بتلك الحضرة المراكشية ، حياها الله وبياها • ثم لم أزل استرد مافى المتون بالمذاكرة حتى أمكن لى أن تكون فى يدى هذه الصبابة القليلة التى يصلح بها قلمى • ويجول بها لسانى فى الدروس • فينتفع بها من يجلسون الى • وما استطردت هذا الا ليعلم التاريخ اننى ان زعم زاعم ان لى حسنة فى التصريف فاننى لاأعدو ان أكون من حسنات هذا الاستاذ المترجم فلا خير فيمن لايقر بالفضل لذويه •

اذا افادك انسان بفائدة من العلوم فادمن شكره ابدا
وقل فلان جزاه الله صالحة افادنيها وخل الكبر والحسدا

وعهدى بصاحب الترجمة اذذاك هو وقرينه سيدى البشير بن الطيب فرسا رهان ، وركبتا الراكب يتحاوران ويتناقشان عند مطالعة الانصبة او معاودتها بين العشاءين ، على ماهى العادة • فلايكاد احدهما يسلم للاخر لان

كل واحد منهما فحل لايقذع انفه . ــر

ثم بعد ان تفرقنا عن تلك المدرسة نحو اواسط سنة ١٣٣١هـ ذهب في رمضان السنة التالية الى المدرسة التانكرتية عند الاستاذ سيدى الطاهر . فحضر عنده في درس البخارى . فكان بذلك من اشياخه وقد سمعت بعد ذلك ان بعض التالين للبخارى كان يتلو ، فوصل عبارة فيها اعجب بكذا ، فبناه للمعلوم فرده المترجم ، فقال له انه هنا مبنى للمجهول ، فانكر عليه من حضر فحين راجعوا وجدوا كلامه موافقا للحق ، وهكذا كان محققا للمسائل ومستحضرا غاية الاستحضار . خلق اقتبسه من استاذه الذى به تخرج وهو شيخنا سيدى عبد الله بن محمد . وفى سنة ١٣٣٣هـ راجع ايضا مجلس استاذه هذا الذى راجع أيضا المدرسة (الايفشانية) الى ان دخلت سنة ١٣٣٤هـ

ودعه استاذه بكل رضا ، وقد تخرج وتعتقت راحته واستطاع ان يجول في الميادين كيف شاء

مشارطاته

رأيت من ابن العم تحصيلا تاما . وتفوقا كثيرا على اقرانه وقد ساعده الحظ حتى ادمن على الدراسة الى ان نال مايمكن ان ينال في ذلك الوسط ، فلم يبق الا ان يجرب حظه في ميدان التدريس ، وان يلقى دلوه بين الدلاء ثم على الله الكمال ، ولبعض الالغيين :

فما على المرء سوى ان يعملا   وأن يمد دلوه بين الدلا
وان يثابر وان لا يضجرا   اما النجاح فهو من رب الورى

التحق باستاذه في المدرسة (السعيدية) بالاخصاص ، ينظر مدرسة او ماتيسر . فلم يلبث ان اتصل بمدرسة (ميرغت) فبقى فيها سنتين ١٣٣٥هـ ١٣٣٦هـ ، ثم فارقها والتحق بالبلد فصادف ان شارط ايضا استاذه في المدرسة (البومروانية) فاتصل به يعينه على بعض الدروس ، وفى سنة ١٣٣٧هـ كنت توجهت الى البلد لازور والدتى على عادتى فى حياتها كل عام فمررت بصاحبنا الشيخ سعيد التيكزيريني الحاحي الذى كان بعد ذلك قائد حاحة الكبير . فذاكرنى فى استاذ لمدرسة (ايت أمر) فنفضت ذلك لشيخنا سيدى سعيد التنانى ، ففاتحته في ذلك عن اذنه فتوجه من الغ الى تلك القبيلة .ولكن استاذا بتلك المدرسة لايزال فيها . فشارط فى مسجد سيدى على بن محمد – فتحا – بأيت خميس ريثما تخلوالمدرسة . وفى سنة ١٣٣٩هـ اتصل بمدرسة سيدى عبد الرحمن ، وكذلك تسمى ، فبقى فيها سنتين وهو رافع لراية التدريس . وقد أقبل عليه الطلبة ، وعنده الاخوان سيدى عبد الله وسيدى عبدالحميد وءاخرون ياخذون عنه . وهو مجد . ثم فى سنة ١٣٤١هـ زاروالده

تلك الجهة ، فامره بالانتقال الى البلد • فكان ذلك هو السبب ان انطفات منه جذوة مستنيرة من الاجتهاد فى التدريس ، ولم يساعف سيدى سعيد الذى اشار عليه أن لايفارق محله • ولكن اختار اشارة والده الذى كان سافر الى سيدى سعيد ، فألح عليه ان يساعفه في ذلك ، فلم يجد مناصا للمساعفة فشارط فى مدرسة (اداى) تسع سنين • وقد انعدمت منه تلك الهمة • وقد وافق ذلك سنوات ١٣٤٥ﻫ التى فترت فيها همم الطلبة فخلت المدارس وطويت الكتب وجفت الاقلام والى الله المشتكى

ثم لازم البلد سنة او سنتين الى عام ١٣٥٢ فشارط فى المدرسة (الالغية) تحت يد استاذها سيدى المدنى ، وفى سنة ١٣٥٣ﻫ رجع الى حاحة فشارط فى مدرسة سيدى (حسين اوحسين) بقبيبة اداكيلول سنة واحدة • وقد برقت منه ثانيا بارقة من التدريس • ولكن لم تبطىء • فانطفات بسرعة ، وفى سنة ١٣٥٥ﻫ شارط فى مدرسة (ايمور) المبنية على مشهد جدنا سيدى عبد الله ابن سعيد ، فكان عنده بعض فتية يتعاطون • ولكن الهمم بكل أسف لاتزداد الا انحطاطا ورسوم العلم والدراسة فى عفاء مستمر

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

ثم انه ءاب ثانيا الى (اداى) الذى تزوج فيه زوجة ثانية • وبنى فيه دارا اخرى واستطاب سكناه فاتخذ ذلك موطنه ، وقد الف سكانه والفوه • وقد يشارط فى مدرستهم فى بعض السنين ، وفى حين كان يتولى النظر فى الرسوم رسميا فى مركز (تاغاجيجت) فى زمن الاحتلال

الآخذون عليه

لم اعرف اليوم ١٣٥٧ﻫ فى الغ من لهم الشفوف العالى فى الافادة ولا من كانوا اليق الناس بها من أربعة • شيخنا سيدى عبد الله بن محمد • وسيدى المدنى ، وسيدى الطاهر صنوه وصاحب الترجمة ، ولكنهم مع ذلك نراهم فى قبوع وانزواء لامور يتوهمونها • والعلم يموت • ومظاهر العلم تضمحل فلا حول ولا قوة الا بالله ، ولكن ماذا عسى ان يعملوا لو ارادوا • والطلبة قد انعدموا والسؤال عن العلم ومسائله منقطع بهذا الاحتلال البغيض حتى ان من يبحث ليعد ممن اتى شيئا فريا ، ولبعض الالغيين من قصيدة :

فواكبد امن لوعة مستطيرة احس بها بين الحشا تتحرق
على ماعزا العرفان فى سوس أنه كفلك بامواج الغطمطم يغرق

رأيت ان صاحب الترجمة قد عانى التعليم ، فلا بد اذن ان تجد بعض اناس عليهم فضله • سواء اشادوا به كما اشيدانا ، او غمطوا حقه وماكثر الغامطين لحقوق الاساتذة من التلاميذ فى هذا العصر ، فلنذكر من نستحضر أنهم اخذوا

عنه او اخبروا عن أنفسهم بذلك كسيدى الطاهر بن على الذى اخبرنى انه من الاخذين عنه •

١) محمد المختار جامع هذا الكتاب
٢) سيدى الطاهر بن على الالغى
٣) الاخ سيدى عبد الله
٤) سيدى عبلا بن الحسين البعمرانى القاضى (ذكر مع اهله فى القسم الرابع)
٥) سيدى محمد بن احمد السليمانى الالغى
٦) سيدى محمد بن محمد التانكرتى التنانى
٧) سيدى محمد بن مبارك البعمرانى
٨) سيدى الحسن بن صالح التانكرتى
٩) سيدى محمدا بن شيخنا عبد الله
١٠) سيدى احمد البناىء الايغشانى يذكر فى (القسم الثانى)
١١) سيدى الحسن بن المحفوظ الساموكنى البعمرانى
١٢) سيدى محمد بن ابراهيم الاركانى الحاحى
١٣) سيدى عبد السلام بن القضيب الحاحى التاغماوى
١٤) سيدى سعيد الحلمى التاغماوى الحاحى
١٥) سيدى الحسين بن الفاضل الحاحى

فهؤلاء من وفقنا عليهم • ولابد ان يكون هناك ءاخرون لم نهتد لمعرفتهم

أخلاقه

ان فينا بعض الالغيين خصوصا ءال محمد بن سعيد بعض حزونة من الاخلاق • ولكنها لاتصدر عن نفسية سوداء ولا عن احتقار للناس • بل ذلك طبع وغريزة فينا الا من حفظه الله وقليل ماهم • وكثيرا مارى من اتسعت اخلاقهم ودمثت شمائلهم كاستاذنا سيدى سعيد التنانى فاتمنى لو اوتيت أنا وبعض اهلينا من ذلك • ولكن من قسم الارزاق • هو الذى قسم الاخلاق• وكان سعيد بن المسيب بن حزن احد الفقهاء السبعة يحكى ان جده حزنا قال له النبى صلى الله عليه وسلم حين اسلم : أتريد ان ابدل اسمك بسهل • فقال له لاابغى باسم سمانى به والداى بديلا • قال سعيد : ولاتزال فينا تلك الحزونة موروثة الى الان ، وهكذا ينصف الرجال • جعلنا الله من اولئك الرجال وشيخنا صاحب الترجمة ممن له من هذا الخلق الذى منى وفى غيرى • ولكننا ماذا نصنع • ولو خيرنا لاخترنا • على انا نعلن ثانيا ان ما صدر منا لايصدر الا عن طوية حسنة • فرحم الله امرء اعذرنا فيما كان فينا خلقا جبليا وغريزة

متأصلة ، فلو قدرنا ان نميطه لامطناه في الحين • ولكن ذلك فوق قوانا ، والله يهذب اخلاقنا جميعا • على ان هذا في المترجم وفينا جميعا لا يلازمنا دائما ، وانما هو كلمحة فيغيب

مداركه

جالست أنا كثيرين في السنة الماضية من علمائنا ، ولكن استفاداتي انما كانت من ثلاثة منهم وأعظمهم في ذلك شيخنا سيدي عبد الله بن محمد • وقد ذكرنا في هذا الكتاب في ترجمته بعض ما استفدناه منه • وان كان أكثره مذكورا في غير هذا الكتاب • ثم الاديب سيدي الطاهر بن علي • ثم صاحب الترجمة الذي أفادني فوائد كثيرة لن أنساها له • بعضها لغوية أرشدني اليها بعد ما كنت فيها على غلط ، وبعضها تاريخية مما يتعلق ببعض نواحي سوس أو يتعلق بالذين أخذوا من المدرسة (الالغية) • وكان ابن أبيه في الاستحضار والنقد • لا يغمض عن زلة • ولا يعرف الا الاشادة بالحق • جلس الي يوما • فأنشدته أبياتا ذكرت فيها العشايا والابكار • فقال هل قصدك الابكار جمع بكرة فقلت له نعم فان ذلك مذكور في القرآن • فتوقف مليا • ثم قال ان الذي ذكر في القرآن الابكار بالكسر لا الابكار بالفتح الا في جمع بكر في أوصاف النساء • فتلا قول الله تعالى (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) فرجعت أنا في الحين الى قوله • ثم راجعت الكلمة فوجدت ان الابكار بالكسر اسم للبكرة لا الجمع • وهكذا يفيد في كل جلسة جلس الي فيها • وما كنت أعتني بتقييد فوائده اذ ذاك ، والا لوصلت عشرات في مختلف الفنون• وأما فوائده عمن أخذوا عن المدرسة (الالغية) فمنه استقيت أسماء وتراجم كثيرين• ضلوا عن والده الذي هو ما هو • فقد قيدنا ذلك في محله في كتاب (من أفواه الرجال) وسنقتبس منه عند ذكرنالهؤلاء انشاء الله • وهو مستحضرلمسائل العربية كلها • وللفرائض وضبط اللغويات • فهذه العلوم الثلاثة • اتقنها اتقانا • مع مشاركة حسنة في الفقهيات • ولو كان مولعا بالادب والمطالعة • كنجباء الغ لكان منه رجل ءاخر ، أعلى وانفذ ، ولكن مداركه قلما تعدو هذه العلوم التي له فيها التفوق التام ، وله المام بالحديث والتفسير مما مربه في دروسه التي حضرها ، فهذه مدارك استاذنا حفظه الله ونفع بعلمه

آثاره

شاهدت العلوم التي تمكن منها صاحب الترجمة غاية التمكن ، وهي نحوية ولغوية وفرضية وفقهية • وان افاداته ومناظراته ومجالاته وتنقيباته على هذه العلوم تدور ، ومنها تتجلى المعيته ، ورقي فكره ، وسمعت من وراء

ذلك انه لايهتم كثيرا بالادب وما يتبعه من المطالعات فى مختلف كتبه التاريخية • وامثالها من الحوادث التى تدور حول الرجال فى مختلف الدهور فقد سمعته يقول انه غير معنى من قديم بذلك • لانه اعطى همته للعلوم المجدية النافعة الرائجة ، وقد صدق فى ذلك فانها شغله الشاغل • ولذلك حصل فيها غاية التحصيل • لذلك لانجد له من الاثار الادبية كثيرا كما نجده للالغيين وليس معنى ذلك أنه لايعرف الادب • ولا انه يغمطه حقه • بل قصده فيما قاله ان يخبر بالواقع ، والافله فى الادب أيضا ما يشارك فيه مشاركة ما • فقد راج فى السنة الماضية مع ادبائنا الالغيين • فى قصائد جاراهم فيها فى الميدان • ثم لم يسبقوه ، وتوجد فى (الالغيات) وكذلك وجدت له بعض ءاثار قديمة ، نكتفى منها بواحد نسوقه كدليل ناصع على أننا صادقون فى قولنا ان له أيضا فى طرق الادباء مسيرا لاينكر

زار الاديب سيدى محمد بن على المدرسة (الايغشانية) وهو اذذاك مجاور فى المدرسة (البومروانية) فرحب به من فى تلك المدرسة على عادتهم فى امثال تلك المواقف فخاطبهم بقوله

اتيت وبى من شوقكم جلة الورى ... الى ان ارى مغناكم جذوة حرى
وجبت القفار راكبا متن شوقكم ... فرؤيتكم لى منتهى القصد والسرا
صرمتم حبال العجز واللهو والكرى ... فكنتم شموس العلم تعلو على الشعرى
احبة قلبى ما رحمتم متيما ... فانتم نفاة الحزن عنى والضرا
أمولاى عبد الله ماالقصد منكم ... سوى دعوة ترقى لمرتبة غرا
عليكم سلام الله من عبدكم غدا ... يتابعه عنكم ومنكم له البشرى

فاجابه سيدى صالح بن احمد

مرحبا بأخ وفى على ... خدمته العلا بحال شهى
كم أنا كاحل لعينى بدمع ... جريه قد غدا كسيل قوى
طار همى والحزن ساعة لاقيـ ... ـناك امرا من الاله العلى

وقال سيدى احمد بن مسعود:

مرحبا بك أهل ودى فقلبى ... ماله فى الورى انيس سواكا
مرحبا مرحبا بيوم سرور ... زدت فيه السرور حين اراكا
زدت افق السماك منك ضياء ... بيننا حين جيئتنا ببهاكا
ياسليل الكرام أنت الذى قد ... فقت كل الورى بمجد علاكا
فعليك السلام ياخير خال ... من شكور ماجاءنى من ثداكا

وقال صاحب الترجمة :

انت من أذهب الكروب عن القلـ ... ـب وحارت فى وصفه الافهام

صنونا ذو العلوم والمجد والفضـ ـل فهو الكريم وهـو الهمام
قد أتانا منه نظام بـلـيـغ يبهر المنشديـن ذاك النظام
ما سواه هـو الخيالات حقا ومرادى هو الـدعـا والسلام

والمقصود بهذه الخطابات انتكون نموذجا لما يتقدمه المتأدبون فى الغ فى مبادىء تعاطيهم للنظم ، والمؤرخ لايفرط فى اى شيء

هذا هو شيخنا سيدى عبد الله بن ابراهيم الذى كان والدى يقدمه دائما للمعالى وكثيرا ما أسمعه يقول لبعض اخوانى تحريضا له . ان عبد الله ابن عمك ان لمتجتهد سيكون أفضل منك وقد كان يعينه بكتب متى رجع من الحمراء وبامور اخرى كعادته مع كل من يقرأ . وقد حـكـى لى صاحب الترجمة ان الشيخ نزل مرة من عند الاستاذ على بن عبد الله . فصادفه هـو وقرينه سيدى البشير فى مستدار البير التى ازاء المسجد السليمانى . قالوكان سيدى البشير وضع على رأسه عمامة تأنق فى وضعها ، وجعلها عمة (متوكية) فمر بناالشيخ ونحن لم نشعر به ، فلمح العمامة فلما جالس الاستاذ سيدى عليا والاخرين قاللهم اننى رأيت عبد الله بنابراهيم بعمة حسنة . قـد عرف كيف يضعها على هامته فوصلنا خبر ذلك فاستحيينا . فكان ذلك سبب نزعنا للعمائم اذذاك متى كنا فى البلد ، لئلا نقع فى مخجل اخر امام أمثال الشيخ . وقد كان اقترن بابنة عمنا محمد . فولد معها اولادا ذكـورا واناثا . واسمه زينب من فضليات النساء توفيت شبه فجأة فى بيتها ولـم يحضرها أحد نحو ١٣٦٧هـ

أخبـار عنه أخيرا

كان كما قلنا يشارط فى (أداى) بعد ما غادر (ايمور) فيتولى احيـانا فيها ما تولى من الحضور فى المحكمة الرسمية فى (تاغجيجت) كفقيه لابد من حضوره لازم ذلك سنين كثيرة . وبعد ١٣٧٠هـ غادر (أداى) . ولم يطل به الزمان انالتحق ثانيا بحاحة فشارط فى مدرسة (تمانار) بعد الفقيـه سيدى احمد الوفقاوى ، ثم رجع الى(اداى) وبعدالاستقلالتولى العدالة هناك .

وكان أحد العمد الذين تعتمد عليهم المحكمة ، وقد كان اولى الناس بالقضاء هناك لو كانت الامور تجرى مجرى الاستحقاق ، وعلى هذا الحال لايزال الى الان رجب ١٣٨٠هـ . وربما ناب عن القضاة ولكنه ليس بنائب رسمى ، وفى (الالغيات) ماجرى بينى وبينه من القوافى

هذا وللمترجم ابن اخ يسمى محمد بن احمد احد نجباء الغ الذينظهروا فى ميدان المعارف من النشء الالغى ، وقد أهل هلاله ، وذلك مما يدل علىانه

سيصير عن قريب ـ ان استتم ـ بدرا كاملا • وله الان نحو ٢٨ سنة •

افتتح القرءان عند الاستاذ سيدى محمد السملالى الملقب وزكن فى مسجد انقرية السليمانية حتى وصل حزب (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض) ثم الاستاذ سيدى محمد البولخيرى الايغشانى ـ وهو لايزال حيا الان وكذلك المذكور قبله ـ ولديه ختم الختمة الاولى • ثمرجع السملالى المتقدم الى المسجد ، فاختتم عليه ثلاث ختمات• فهذان أساتيذه فى القرءان

وأما المعارف فقد افتتح فى المدرسة (الشيشاوية) من قبيلة (ايتبكو) فى هشتوكة ، عند ابن عمته العلامة سيدى محمد بن احمد المتقدم الذكر • فلازمه حتىأخذ عنه الجرومية والجمل والزواوى واللامية والالفية مرتين وابن عاشر والرسالة القيروانية والتحفة والرسموكية فى الفرائض • ومنظومة الحساب للسملالى ونصف مختصر خليل الاول • والمقامات الحريرية ولامية العجم والهمزية والبردة ونور اليقين فى السيرة • والبخارى البعض منه • وبعض القصائد الادبية للمعرى والمتنبى والصفى الحلى وغيرهم ، لازمه سنوات حتى شدا وظهرت نجابته • ثم لازم عمه الاستاذ الكبير سيدى عبد الله بن ابراهيم • فى مدرسة بالشياظمة فى الكريمات • فاخذ عنه فى شهور من الالفية ومن المختصر • وأرسالة القيروانية ثم بعد اربعة شهور هناك انتقل معه الى مدرسة (افرض اوطاها) بحاحة • فيستتم عنده ما كان يأخذه قبل• ، وزاد الفرائض ولامية ابن الوردى ، مكث معه هناك سنة ثم الى مدرسة (تمانار) • فياخذ عنه من الالفية والمقامات والمختصر والسلم • والهمزية والبردة ، وبعد عام ونصف فى (تمانار) فارقه

ثم أرسله استاذه وعمه هذا الى زاوية اخينا سيدى الحاج عبلا ليعلم ولديه جعفرا وحمزة ، فلازمهما اربعة عشر شهرا • كان فيها مثالا للاستاذ الحازم النزيه •

ثم وفد علي فى الرباط • وهو متحفز ان يستتم ليتمكن • فاختير له ان يرجع الىسوس ليستتم معلوماته حتى تكون كمعلومات الالغيين التى لاتعرف التهدج ولا التلعثم ولعل الله يوفقه لما اختير له ليكون عالما الغيا كبيرا ءاخر • كتبت هذا فى المحرم ١٣٧٧هـ • ثم انه التحق بالاستاذ سيدى البشير فى مدرسة (تمانار) بحاحة حيث بقى الى شعبان ، ثم عين من كتاب محكمة القضاء الشرعى فى مركز (تاركانت) اعانه الله • ثم فى مركز (ايت عبلا) حيث هو الان ١٣٨٠ هـ

ولهذا الشاب اخلاق عجيبة لطيفة • كأنه ليس منا ءال محمد بن سعيد وفقه الله واعانه • ومن اكرمه الله بالاخلاق فقد أكرمه بأعظم كنز (لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم) حديث شريف

القـاضي

سيدي محمد بن احمد الصالحي

١٣١٣ هـ = ١٧ - ٤ - ١٣٧٩هـ

نسبـه :

محمد بن أحمد بن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا أحد علماء السعيدين البارزين من بين جيله · وله ولاخيه ابراهيم الاتى مكانة مكينة فى المعالى · وأمه رقية بنت مبارك بن احمد بن محمد بـن سليمان بن محمدبن احمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد وهو سعيدى من أبويه معا · وجده أحمد بن محمد بن سعيد هو المقبور فـى بويت من مقبرة الشيخ سيدى محمد - فتحا - بن ابراهيم فـى تامانارت ومما يذكر من حزمه أنه أقام اربعة اعراس فى يوم واحد · فقد زوج بنتين وزوج ولدا له · وتزوج هو بنفسه · وقد ذكرناه فى ترجمة سيدى الحسين ابن أحمد بن الحاج صالح فى (الفصل الاول) من القسم الاول · والحسين هذا هو أخو المترجم ·

متلقاه للقرآن

أخذ القرآن اولا عن الاستاذ سيدى مولود الصوابى · وهو مـن ءال سيدى بلعيدالصوابى المتجرد ، وكان من أصحاب الشيخ الالفى ، ولم يتوف الابعد ١٣٥٦هـ وعن الاستاذ محمد - فتحا - السملالى · وهو اذذاك شيخ مسن قال المترجم كان رجلا مباركا يفتح على من يمر بين يديه · فلم انس كلمة مما أخذته عنه فى الختمة الاولى ولم ينشب ان توفى نحو ١٣٣٠هـ لازمه سنة ونصفا وعن الاستاذ سيدى محمد بن على الاكمرى الساموكنى · وهو رجل طوال نقى تقى · ويعمر الى نحو ١٣٤٠هـ وهو الذى جمع عليه القرءان فقد ختم عليه ثلاث ختمات · وعن الاستاذ على بن المدنى التاغجيجتى · واصله من ايشت · اخذ عنه الختمة الرابعة · وقد طال عمره الى ما بعد ١٣٥٦هـ وقد كان المترجم ياخذ فى مسجد القرية ولم يتجاوزه · ويحكى انه كان اذذاك يلبس دراعة صوف، وكثيرا ما ينمق ما فوق الصدر منها بخياطة الخيوط البيضاء وذلك اذذاك

علامة على اتساع ذات اليد في الاسرة • قال واتذكر ان محلنا في المكتب يسيل بالهوام والقمل فكثيرا ماتنزع عني جدتي قميصي لتزيل عنه ماعلق به من ذلك • ثم صار يتعجب كيف ينجون اذذاك من عدوى الجراثيم التي يرى الناس اليوم بعدما تحضروا ، يتوقنها كثيرا خوف الهلاك بها • ثم ذكر ماكان يقاسيه هو والتلاميذ من المدررين من التعذيب بسبب وبلا سبب • ووالدوهم يرضون بكل ذلك رجاء جمع القرءان الكريم

في مناغاة العلوم

قال افتتحنا في المدرسة (الالغية) اواسط ١٣٢٨هـ وكان معي يوم افتتحنا الجرومية سيدى المحفوظ بن الهاشم الايفشاني • وسيدى الحسين بن ابراهيم بن عبدالله بن صالح الالغي ، وسيدى محمد بن الحاج احمد اليزيدى وابن عمه الاعلى سيدى محمد بن احمد الواعظ • وسيدى محمد بن بلقاسم الاستاذ التاجارمونتي • وسيدى احمد بن محمد الاهريبي التاجارمونتي • في طائفة يبلغ افرادها اثنى عشر ، ولكن لم يستفد منهم الا هؤلاء (وهم مترجمون كلهم فيأمكنتهم من هذا الكتاب)

قال وقد بلغنا (باب الاستثناء) في الجرومية يوم توفي الشيخالالغي ٢٨ ذي الحجة ١٣٢٨هـ وكان الاستاذ سيدى بلقاسم نفسه هو الذى يتولى تعليمنا لانه يحافظ على ولده • وكان الذى يعيد لنا الدروس هو الاستاذ سيدى أحمد بن محمد بن بلقاسم اليزيدى • ولم نزل على ذلك في كل متون المبادىء • وكنا لانغسل لوحة الحفظ في كل صباح حتى نعرضها على سيدى احمد اليزيدى ، واتذكر انني كنت احفظ الهمزية ، وفي رأس اللوحة هذا البيت

أصبحت شولا عجافا وأمست ما بها شائل ولا عجفاء

فدخلت على سيدى أحمد اليزيدى في بيته صباحا لاعرض عليه اللوحة قبل ان أغسلها • فوجدته يطبخ الحريرة فيإناء فوق المجمر ويحركها بالمغرفة • فحين سمع البيت تطير من معناه • فنهرني فطردني • فقلت له هل أغسل لوحتي فقال بقلق اغسلها وابتعد عني • وكان الذى يعرب لنا الحزب على العادة بين العشاءين هو استاذنا سيدى بلقاسم نفسه • وقد ذكر عن سيدى بلقاسم من الصبر على اللاواء العجب العجاب • قال كثيرا ماتاتي اليه خادم المدرسة بكسكسو في صحفة عود • ولم يستتم الكسكسو النضج بعد وقد تراكم عليه ماتيسر من الخضر • لفتا او اوراقه او بصلا ، فلا يزيد علىأن يتناول شيئا قليلا من اناء السمن الذى ترسله اليه زوجه مندداره فيدهن به الخضرة فيتناول من ذلك قليلا ، ثم يخرج الباقي الى الطلبة•

فنرى ما اكل منه قليلا جدا • وقد كان من بين الطلبة من لهم اتساع في الزاد فيستدعي الاستاذ فينة بعد فينة الى طعام يستطيبه له • كسيدى احمداليزيدى وابن عمه محمد بن عابد (الكبير) اليزيدى وسيدى محمد ابن الحاج الحسين بوكارع البعمراني ، وسيدى سعيد العنترى البليد ، وسيدى محمد ابـن الاعسرى التملي ، ومحمد بن ابلوش وأخيه عمر • وسيدى ابراهيم القاسمى البعقيلى • ومحمد بن الحسين الكرامى المجاطى ، وهذا حال الاستاذ المتقشف الزاهد رحمه الله •

قال فبقيت هناك اتدرج في الفنون • وقد صاحبت سيدى علي بـن صالح الاوفقيرى فاتعاون معه على المراجعة • فبقيت هناك الى ان وقع ماوقع بين الفقيه سيدى علي بن عبد الله وجيرانه ، بعدما قتل ولده أحمد • وقد كان والدى من المناوئين للفقيه فاحسست بان موقفى حرج ، فاردت ان اغـادر المدرسة • وقد قلت بيدى لابيد عمرو ، فاستأذنت الاستاذ سيدى بلقاسم فقال بل أمكث حتى نعلم هل المدرسة لله او للوجهيات ؟ ثم طردنى الفقيه رحمه الله ، وقد فصل كيفية ذلك تفصيلا • كان والدى هو الذى امرنى ان أستأذن سيدى بلقاسم لما هممت أن أنتقل من المدرسة • فاذا به أمـرنـى بملازمتها حتى يظهر ما يظهر • فبينما انا أحفظ لوحتى فى سطح المدرسة يوما اذا بالفقيه جاء الى المدرسة فنادانى فقال ما تصنع الان ؟ فقلت له احفظ لوحتى • فقال اجمع ثيابك من المدرسة • فان أباك يوقد الفران • وانت تجمع له الحطب يعنى اننى اعينه بالمشاورة فما زدت على ان انشدته •

لاتاخذنى باقوال الوشاة فلـم اذنب وان كثرت فى الاقاويـل

فأهويت لاقبل يده • فذهب عني وتركنى معرضا ، فاتيت ببغلتنا ، فحملت متاعى • فذهبت بكتب كنت استعرتها من كتب زاوية الشيخ الالغى كان يعطيها لى سيدى سعيد التنانى • كما كان يعيننى ببعض دراهم فينة بعد فينة ثـم قال لى لاتتأخر عن متابعة دراستك • فاذهب الى الاخصاص عند سيدى عبد الله ابن محمد • فقلت له اننى سأزور شيخى سيدى بلقاسم لاشاوره ، وكذلك فعلت • فقال لى الان نودع كلنا المدرسة • فكان ذلك اخر عهده أيضابها • وهذا الموقف من الفقيه ينبغى ان يحمل محامل حسنة • ربما يكون مقصوده قطع دابر الوشاة الذين يتقولون فى المترجم انه يعين أباه • فأراد ان يفصم العروة لئلا يجدوا ما يقولون بعد • وقد كان رحمه الله فى مثل ذلك ذامقاصد حسنة •

في مدرسة سيدي علي بن سعيد

التحق المترجم بهذه المدرسة حيث بقى سنة تامة • فاخـذ مـن هناك اواخر المختصر • كما اخذ عنه النحو واللغة وغيرهما • وقد كان الطلبة ازيد

من ستين • وقد قام الاخصاصيون بالطلبة خيرقيام قال: كناكثيرامانشاهدالقصاع التي يوتى بها الينا تطفح بالادام • فمتى رفع احدنا لقمة تقطر بأركان • وهمة سيدى عبدالله مشهورة فى التعليم •

في المدرسة الايغشانية

لم يبطيء سيدى بلقاسم في داره بعد ما فارق المدرسة (الالغية) فشارط فى (الايغشانية) فالتحق به تلميذه هذا هو وأخوه ابراهيم والحسين وابن عمه سيدى بلقاسم بن محمد بن بلقاسم • فصار يهتم بهم تهذيبا وتعليما حتى نجبوا على يديه • وقد كان هو الذى يزاول شئون الاستاذ سيدى بلقاسم وقد جعله امينه في كل شيء واتخذه نجيه • وحكى انه ذهب اليه ليتلقن منه الورد التيجاني ليذكره معه • فقال له وردك انت هو الاشتغال باخوتك هؤلاء ، فقلت له • ولماذا فعلت ذلك بفلان وفلان • فكان جوابه ان اولئك لاغرض لهم فى القراءة ثم صار يذكر من احوال سيدى بلقاسم الباطنية من التأله ، وتحرى الحق والاستقامة ، ما يقضي به الانسان العجب • انعرف بيئة الطلبة اذذاك • وقد سألته عما قاله حين ضرب الطلبة سيدى محمدا أولموش فى المدرسة (الالغية) فقال انني كنت حاضرا وقد أطلع الاستاذ على أن المضروب يستحق اكثر من الضرب • ولذلك اغضى عن ضربه • مع أنه لايغضى عن الظلم • ثم ذكر من ذلك ما لاينبغى ان يسطر

في المدرسة الادوزية

قال المترجم كنا نريد ان نقرأ البيان فى (التلخيص) فلم تجد شراحا فأرسلنا الاستاذ حتى أتينا ببعضها من عند انسان ، وبعد ماقرأنا فى ذلك دروسا قال لى يوما بينى وبينه • يافلان انني أريد ان أرسلك الى أدوز لتاخذ من هناك الاصول والبيان (من جمع الجوامع) و (التخليص) فاننا لانكذب على الله • فليس عندنا يد في ذلك العلم • قال فابيت ان افارقه فقال لابد • فأشترى لى قميصا غليظا • واعطاني عشر ريالات حسنية وذلك حينئذ مال عظيم عندنا • فالتحقت بأدوز عند سيدى المحفوظ فأتممنا التلخيص وثلاثة أرباع جمع الجوامع • قال : وقد كنا هناك فى أقلال شديد • والجوع ضارب اطنابه فى المدرسة • ولولامااعطاني الاستاذ لوقف حمارى فى العقبة • وقد كان عادة الطلبة ان يشترى كل من عنده النوبة فى المطالعة او الاعادة زيت القنديل فغطت تلك الريالات فقرى بين الطلبة ماشاء الله • فكذلك بقيت فى ادوز عشرة اشهر بين يدى علامة ادوز ، وقد اخذت عنه أيضا زيادة على الاصول والبيان النحو فى التسهيل ، والشمقمقية ، وبعض متون اللغة • وبعض المختصر

في حاحـــة

فبينما أنا غريق في هذا البحر الخضم اذا برسالة وردت علي من ابن العم الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم الالغي • يحثني فيها علي ان ألم به في حاحة ، تنفيذ الاشارة سيدى سعيد التناني ، لاسرد معهم البخارى فـي رمضان بدار الشيخ سعيد التيكزيريني ـ الذى صار بعد ذلك قائدا ـ وقد كان الفقيه الذى يتولى ذلك ـ وهو سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى ـ مريضا • فلبيت وأنا أمشي علي رجلي ، فوصلت قبل رمضان بخمسة عشر يوما فنزلت في مدرسة سيدى عبد الرحمن بأيت أمر حيث شارط ابن العم المذكور فأشار علي ان التحق بالشيخ الحسن بوناكة • لانه أرسل اليه رسالة يتطلب منه أن ينظر له استاذا يشارطه في داره • فلم اجد بدا من اتباعه ، فذهبـت فبلغ ذلك سيدى سعيدا التناني فتأثر • لانه انما ارادني لدار الشيخ سعيد التيكزيريني قال ثم كان العجب العجاب ان الاقدار ساقتني الى سيدى سعيد في (ازيار) حيث زاويته • من غير شعور مني • وانما غضبت من اجـل انني لااجد من الكتب ما اريد • فقد طلبت من رب المثوى (نفح الطيب) فأرسل الي كتاب (الطيب الفائح) في الصلاة علي النبى صلى الله عليه وسلم للنظيـفـي فادركت في أية جهالات وقعت علي امرأسي ، فغادرته بلا وداع • فتوجـهـت معتسفا الى (ازيار) فتلقاني سيدى سعيد بانبساط وبكل فرح • فسألني من أين أتيت ؟ فذكرت له (اغرى) حيث دار بوناكة • وافضيت اليه بكل شيء فغضب لما فعله بي ابن العم ، حين لم يمتثل الامر • ثم امرنـي ان اغسل ثيابي ، وامر مؤذن الزاوية سيدى الحسن السكسيوى ان يعينني • ثـم أمرني ان اذهب في رفقة سيدى الحسين الاسفاركيسي • وقد توجـه ليزور قبر والده المدفون عند مشهد سيدى ابراهيم بن محمد الولياضي فـي أيت خميس • ثم ذهب معي رفيق من هناك الى دار الشيخ سعيد فدخلـت داره ليلة رمضان • فسردنا الشفاء ، وذلك في سنة ١٣٣٩هـ وقد كان ابن العم سيدى عبد الله بن ابراهيم حاضرا يرأس المجلس ومعنا الفقيه سيدى سعيد ابن محمد من ادالحاج التيماسينيني التامرى • قال اخا له من تلاميذ الشريف الكثيري • وهو فقيه نوازلي • وهو أحد فقهاء ذلك الوادى اذذاك • يذكر بالعلم الكثير ، وله ولد يسمى محمدا فقيه كابيه ، يذكر أيضا بعد والده • ويحضر أيضا الفقيه سيدى عمر بن ابراهيم بن يحيا من قرية تيكيكرت وهو احـد المفتين هناك اذذاك • اخذ أيضا من سوس في مدرسة ايت يعزى بهشتوكة وهو حفيد مرابطي تافزا الركراكيين ، والفقيه الحسن بن احمد الـتـامرى القارىء وعلمه وسط • ونحوه قليل • وكان ممن يحضر تلاميذ ابن العم كسيدى عبد الله ، وسيدى عبد الحميد ، ولدى الشيخ الالغي • وهما اذذاك ياخذان

عن سيدى عبد الله بن ابراهيم ويحضر ءاخرون غيرهم نحو ١٥ كما انالرئيس الشيخ سعيدا يحضر • وكان معتنيا بمئونتهم اعتناء لم يتكرر منه بعد مثله

ثم قلت لرب المثوى بعد رمضان اننى أريد ان تودعنى • وسأزور سيدى سعيدا • فقال اذهب حتى ترجع من عنده • فارسل معي عونا مع بغل ركبت عليه • فكتب معه رسالة الى سيدى سعيد يطلب منه ان ابقى عنده • فذكر لىسيدى سعيدذلك • فقلت له اننى اريد ان استتم معلوماتى ، وسأذهب الى مصر ، حتى احرز على الكتب المطبوعة التى رأيتها فى ادوز وقد كان سيدى عيسى بن المحفوظ ورفيقه سيدى الحسين الرخاوى يمنعانى منها ومن مطالعتها فقال لى باى شيء تدرك مصر ؟ فقلت له اننى سأمشى برجلى هاتين كمايفعل طلبة ادوال حتى اصله • فمد الى بصره محملقا ساكتا • فزدت على ذلك ان قلت لهانك الذى كنت تعيننى قبل اليوم فى الغ بالكتب وبالمال ، وانما أنا ولدك • فقال : اثبت فى مكانك فان من ثبت نبت • فقلت له : اننىلاتجاوز اشارتك • فامرنى أن أرجع الى دار الشيخ سعيد وأن أبقى هناك • فتبعتـه فكانذلك اليوم أول يوم فارقت فيه الاخذ ، واعتنقت فيه أشياء أخرى

ثم رجعت الى دار الشيخ سعيد • ثم لم ينشب ان توفى فقيهه سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى على رأس الاسبوع بعد عيد رمضان فى تلك السنة • وهو الذى كان كاتبه وملازمه • وقد فر اليه وسكن ازاءه منذ تنكر له القائد عبد الرحمن الكيلولى • من مبدأ الاحتلال ، فصرت منذ ذلك الحين كاتبه الخاص • ثم معلم مسجد الدار • وقد التحق بى اولاد الشيخ عبدالله وعبد الحميد • وابراهيم وبلقاسم وعبد الرحمن • ثم التحق بهم أخى ابراهيم ثم ابن العم بلقاسم بن محمد بن بلقاسم فكونا هناك مدرسة • فكنت اقتنع بما تيسر منه • وأنا لاازال اذذاك اطمع ان اتملص الى مصر • فكان كل مادخل يدىمن عنده ذرة او قمحا او شعيرا ارسله الى زاوية سيدى سعيد • ثم حبب الى المكان حين رأيت اولاد الشيخ يتقلبون فى بلهنية العيش مـن مكارم رب المثوى • فكذلك كنا الى مختتم ١٣٤٤هـ ثم لما انتقل اولاد الشيخ الى الحواضر بقيت وراءهم ، وقد توفى شيخنا سيدى سعيد فى أواخر ١٣٤٣هـ

زواجـه

قال ثم ان رب المثوى الذى وجد منى مايريد • صار يراودنى على الزواج فكنت ءابى عليه ذلك اباء حتى يسر الله ما يسر

أقول كنت ارد اذذاك الى تلك الناحية • فامر بهم هناك لازور والدتى فكان القائدسعيد رحمه الله يعلى فضلا منه شانى ويتبعنى فى الذى اشير به عليه فذاكرنى فىأمر زواج المترجم • فقلت له ان كان لابد لـه مـن زواج

فسانظر له احدى اخواتى وعلى ذلك تم الامر   ومن العجيب ماحكاه المترجم قال : كان عندنا مرة فقراء من بينهم سيدى ابوبكر بن عمر المتجرد • فاخذته سنة يوما اثر مجلس الذكر صباحا   فقال لى   اننى رأيت الشيخ اعطاك احدى بناته ، ثم آتم الله ذلك، قال   وكذلك رأيت الشيخ ليلة اخرى فى المنام ورد علينا هنا راكبا على بغلة ، فقبلت رجله فى الركاب فاعطانى خبزة صغيرة تامة ، فقعدت حتى اكلتها كلها • فكان تاويل ذلك ما وقع   ثم اتيته بالاخت السيدة ءامنة بنفسى على البغال • فقطن فى دار ازاء مشهد سيدى عبد الرحمن • وهبها له رب المثوى • ثم لما تحول القائد الحسن بن ابراهيم من أيت‌آمر الى باشوية اكادير ، تعين الشيخ سعيد قائدا على أيت آمر • بعد ان‌لم يكن الاشيخا على أيت يوسف • ثم خليفة القائد على الجميع ، ثم لمامات القائد الحاج الحسن الكلولى ١٣٥١هـ صار قائدا أيضا على اداكلول ثم على أيت عيسى • فاتسعت ايالته • فانتقل الى (تامانار) فانتقل معه المترجم فاسكنه فى دار ازاء داره • وقد رءاه بعضا لايتجزأ من كله • وقد هنأه استاذه سيدى بلقاسم التاجارمونتى حين تزوج بقصيدة نصها

بشرى بحب بدا فى قنن الكرم   تسعى اليه وفود العز والنعم
بشرى له قد اتاه السعد فى منن   كما آتى ربه موسى على كلم
حبيبنا من غدا فى كل مرتبة   وكل فعل جميل راسخ القدم
محمد نجل احمد له نسب   الى جدود لهم اعلى الفخار نمى
ما منهم غير من به يشار الى   ما فيه من سودد كالشمس عن أمم(١)
لاسيما عرق ذاك الاصل ان له   ترابطا بأصول كل ذى كرم
ليهنه ما حباه الله من صلة   بالعقد للنسل من أقارب الرحم
فالحمد والشكر يا أخى عليك له   لكى يزيد الذى عنده فى القسم
ياطرفة قد رءاها كل ذى بصر   ونغمة قرعت من ليس ذا صمم
فلم يسع واسع الكونين خير نبا   الى فؤادى من ذا المجذل العمم
لكن ماغاب وسط القلب ليس يرى   لغير من اوجد الاشياء من عدم
فنحمد الله ربى ثم نشكره   لما هدانا وكنا افضل الامم
نساله بالدوام ان يبارك فى   شئونكم لا تعد ابدا بكم
ويكثر النسل والارزاق بينكما   لمحو ما خط من ذنب ومن لمم(٢)
فهاك تهنئة من شيق لكم   له صميم وداد غير منصرم
سلام شوق اليكم طيبا ارجا   يطيب ناشقه من قبل مستلم
اوجبه ما عهدتموه من خلد   منى يودكم من غير ما سأم

١) امم محركا   قريب
٢) اللمم محركا : الصغير من الذنوب

بجاه سيدنا النبي من شرفت به ظهور جدود قبل من قدم
عليه مني سلام الله ما لهجت بمدحكم وصلة الاشعار بالقلم

أبو المواريث وعدل

في سنة ١٣٥٣هـ توصل بظهير ان يكون ابا المواريث • ثم صار عدلا سنة ١٣٥٤هـ فهكذا اجتمعت له كتابة القائد مع العدالة والقيام بعمل ابي المواريث الى سنة ١٣٥٩هـ فرجع الحاج الحسن ابن ابن اخي القائد فتولى الكتابة عنه • فبقي في غيرها الى ان جاء الاستقلال •

في خطة القضاء

جاء العهد الجديد بعد الاستقلال فكانت الوزارة تنظم القضاء في جميع النواحي فكان ممن اختارتهم للقضاء فتولى في (ايكودار) و (تافكولت) ثم طلبت منه الداخلية ان يقوم مع ذلك مقام القائد • فبقي كذلك في الخطتين معا ستة اشهر ، الى ان تعين القائد ، فبقي في القضاء وقد تكاثرت عليه الاعمال فبقي ثلاث سنين هناك الى اواسط شعبان ١٣٧٨هـ وهذا ظهيره في هذا المكان

(يعلم من كتابنا هذا اسماه الله وأعز أمره • اننا بحول الله وقوته ولينا الفقيه محمد بن أحمد السوسي منصب القضاء بايكودار من الطبقة التاسعة مسندين اليه النظر فيما يحال عليه من القضايا • والفصل بين الخصوم حسبما هو معلوم او مشهور اوراجح في المذهب المالكي ، فنأمره ان يقوم بما هو واجب عليه في اداء مهمته القضائية احسن قيام وأكمله • ويتوخى أرشد المسالك وأوضحها ويراعي العدالة في أحكامه • وذلك بكف الجائر ، وانصاف المظلوم ، والاخذ بيد المهضوم والتسوية بين القوى والضعيف • وسلوك الجادة بين المشروف والشريف • سائرا بالمحكمة الشرعية سيرا نزيها مستقيما • قواما لله • شاهدا بالقسط • وفق ما يأمربه الله ويرضاه الوازع الديني ، ويقتضيه الشرع الاسلامي • ويرمي الى تحقيقه جنابنا الشريف أعانه الله ووفقه • والى سبيل الحق هداه وأرشده • والسلام وحرر بالرباط في ١٣ شعبان ١٣٧٥هـ الموافق ٢٦ مارس ١٩٥٦م)

ثم نقل الى (تاغاجيجت) حيث بقي أربعة اشهر • ثم اعفى من الخطة بحجة أنه لا يحسن تمشية النظام الجديد في المحاكم •

أخبار حواليه

أما أحوال المترجم فانه هين لين عارف كيف توكل الكتف ، يعرف كيف يحتال الامور ، جريء في محل الجراءة متمسكن في محل المسكنة لبق

حاذق يستل الشعرة بلطف • وقد كانت حوله مواقفمعتكرة الجو فاستطاع أن يضيء فيها وقد كان مع القضاة في (تامانار) في معاركة • لانه فرضي فقيه ، وهم دونه في ذلك • فيخافون منه • فيدسون حوله ما يدسون ، فيناهضهم بساعد قوي • ولسان ذلق • وحجج دامغة ، حتى المراقبة لم يخل ما بينه وبينها من مثل ذلك • ولكن الفرنسيين يعرفون كيف يحتالون لامثاله حتى يظهروهم للناس انهم ممن انحازوا اليهم • وهذا ما وقع له حتى اساء فيه القائد رب نعمته ظنه • فكاد ينقطع ما بينهما بدسائس هؤلاء المراقبين وقد شكاه لي القائد مرارا • فاوصيه ان لايزور جانبه عن رب نعمته • وهكذا قضى ماشاء الله وكان كريما لايكاد يفضل شيئا مما يدخل يده • وأنا أرى أن بركة شيخنا سيدي سعيد هي التي انسدلت عليه • والا فانه يومئذ يوشك ان ينهار به البنيان • وقد اخذ من الحاجبيين دروسا اي دروس • فهاهو ذا الانَ بعد ما امضى ما امضى من الخدم • وبعد ما مر بيده مامر من الاموال لم يؤثل شيئا مذكورا • الا دارا في (تامانار) والا ارضا قليلة للحرث هناك • وهو على كل حال فقير ان لم يغنه ربه بما يزجي بهالايام وذلك دليل على نزاهته من الرشا • وعلى انه كريم

لقد علم الاقوام لو ان حاتما اراد ثراء المال كان له وفر

ومن احواله انه يحسن الظن في أهل الله • ويرحم المساكين ، ويلبس دائما لباس المتواضعين • ولولا لسانه الذلق المشحوذ لكان خير رجل اخرجته الغ للناس • وحديثه ممتع فقد كان راوية للاخبار • خصوصا مامر به من الحوادث من عهد ان عقلالي الان • ولو جمع ذلك لكان سجلا مفعما مما يعجب المؤرخين

ومن أحواله أنه محافظ على صلواته وعلى مراجعة الحديث • فلم يفلتقط الى الان المرور بالبخاري في كل رمضان حتى في أيام قضائه المملوء بالاشغال الرسمية •

وهاك نمطا من أخباره قال حضرت ماوقع حين قتل احمد ابن الفقيه سيدي علي بن عبد الله فقد كان الوقت وقت الدراس في الصيف • ففي ذلك الصباح صار الفقيه يرسل من أعشاره الى هري المدرسة على العادة • فامر ولده احمد ان يقف على مايرسله حتى يصب في الهري • فوقف على الاحمال فاراد الطلبة انياخذوا شيئا من الحبوب يشترون بثمنه سكرا ، فأبى عليهم ذلك • فعمد السيد احمد الوارحماني السملالي ، فملأ من الشعير حجر ثوبه بنحو صاع من شعير • فذهب به مراغما لاحمد • فبه اشترينا سكرا • فاجتمعنا عليه نحن الطلبة في المدرسة الالغية على عادتنا كلما وجدنا مانشتري به السكر ، فبينما نحن في سطح المدرسة اذ سمعنا صوت رصاصة • ثم تبعه صراخ • فاذا بامرأة صاحت بان احمد ابن الفقيه اصيب • وقد كان احمد

يتحاذب مع الذين كانوا عند سيدى محمد ابن الشيخ فى شيء (لايذكر) فى القرية • ولذلك ثار بينهم ماثار ، فهدد بعضهم بعضا وكان لاحمد ابن الفقيه سلاح كالاخرين • فضربه اثنان منهم ، فأصابته رصاصة منهما قال : فخرجت من المدرسة متسللا فتنكبت الطريق المعتادة ، فذهبت تجاه المقبرة اولا• ثم استدرت الى ان وصلت وسط قرية (ايت سليمان) حيث سقط احمد • وقد اجتمع عليه الناس فاذا بالفقيه واخوانه قد وقفوا ، فقال قائل ان امعاءه قد تقطعت فخرج منها ماتعشى به • فهو هالك لامحالة ، فقال سيدى ابراهيم ابن عبدالله • واى شيء تنتظر بعد بهؤلاء الذين فعلوا بولدنا ما فعلوه • فصاح الفقيه وقال دعوا الفتنة ، دعوا الفتنة ، فالولد ولدى أنا لا ولد غيرى فاحملوه رحمه الله وقد كان الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد الافرانى، وسيدى البشير الناصرى حاضرين فى دار الفقيه • قال فرأيت أهل قرية السليمانيين الذين وقع ما وقع بين ظهرانيهم قد دخلوا ديارهم ، وادخلوا جمالهم ، وتهياوا لما عسى ان يقع ، ولكن الفقيه اطفا الفتنة فى الحين • فقد ذهب بولده ثم تتبع قضيته ، فتوارد المجاطيون والبعقيليون ، فبعضهم عند الفقيه ، وبعضهم عند سيدى محمد الذى قتل اعوانه الولد • فقام احمد الايغشانى بكل ما فى وسعه ، حتى انفصلت القضية ، ومكن الفقيه من الذين قتلوا ولده وهما اثنان • فقتل احدهما • وهرب الاخر • وهكذا اطفأ الله الفتنة بين المرابطين بفضله • قال والحقيقة اننى كنت اذذاك انفذ مايريده والدى ، فأكون رفيقا ليلا لبعض الرسل يرسلون حوالى هذه القضية ، فاعتسف بهم حتى يتجاوزوا الغ • وقد ذهب عمى ابراهيم بن الحاج صالح الى الفقيه فحكى له ما أقوم به • ولذلك كان محقا حين اخرجنى من المدرسة

هذا نمط من احاديث المترجم ، يستوعب به ما يحكيه بدلاقة وتفصيل حتى كأن السامع حاضر لما يحكيه له • وهو ينصف فى الناس وفى نفسه ويتحرى الحق • وفى ذلك ناحية عظيمة من مناحى اخلاقه •

من انشاداته

كنت معه فى مجلس فكان مما انشده فيه بمناسبات ، وهذا المجلس اخر مجالسى معه فى الرباط •

تخلق الناس بالادناس واعتمدوا — من الصفات الدها والمكر والحسدا
كرهت منظرهم من حسن مخبرهم — انى تعاميت حتى لا أرى احدا

وانشد ايضا

نهفى على عمر مضى امضيته — فى ملعب للترهات فسيح

وانشد ايضا

نصحت فلم افلح وغشوا فافلحوا — فاوقعني نصحـي بدار هوان

وانشد ايضا

لاتقصد القاضي اذا ادبـرت — دنياك واقصد مـن جواد كـريـم
كيف ترجي الرزق مـن عند مـن — يفتي بان الفلس مال عظيم

وانشد ايضا

من كان مردودا بعيب فقـد — ردنـي العـيـد بعيـبـيـي
الرأس واللحية شابا مـعـا — عاقبني الـدهر بشيبـيـن

متوفاه

كان عندنا في الرباط نحو اسبوع ، ثم اعتراه في راسه دمل ، ففارقنا عشية الجمعة ٢٠ من ربيع الثاني • فظل يوم السبت في البيضاء وفي يوم الاحد كان في السويرة فظل مع الفقراء في زاوية الفقراء الدرقـاويين • فظهرت عليه أحوال • وقد كان ربما يعلن بان أجله قريب ، سمع منه ذلك كثيرون • وعند زوال الاثنين ذهب الى الحمام، قال حارسه انه خرج من الداخل ، فجلس في محل الاستراحة فاذا به طلب شرابا باردا فشرب منه • فاذا به يقول انني احسست بألم ، ثم طلب ماء ليجدد الوضوء ، فتوضأ ففرش ليصلي ، فاذا به لايطيق القيام • فمال الى جنبه • فاذا بروحه فارقته • فجرى الحاضرون الى الشرطة والى أبي المواريث • فعرفه الناس • فكثر التأسف عليه مـن جميع من يعرفه • فجهز ودفن في الزاوية الدرقاوية ، في قبر كان القاضي سيدي مسعود الشياظمي • هيأه من سنين لنفسه ، هكذا ذهب هذا الفقيه الجليل الكريم ، فكان اول من توفي من اصحاب هذا (الفصل) الذي خصصناه للذين كانوا أحياء من الالفيين بعد ١٣٧٥هـ رحمه الله

سيدى ابراهيم بن احمد الالغى

نحو ١٣٢٤ ﻫ = حـــى

نسبـه :

ابراهيم بن احمد بن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

أخاف اذا أرسلت قلمى فى صاحبى الترجمة الذى هو بمنزلة المهجة من جسدى ان اتجاوز حدود الحقيقة • وأن البسه حلة باهرة تشع بالانوار• وتعشى الابصار • لاننى هكذا أتصوره الان • حتى لاحس بعين بصيرتى كانما تعشيها أنواره •

حقيقة أننى ان قلت سيدى ابراهيم • فانما أقول هذا الذى اتمثله بقلبى روحا سامية عالية ، تتصل بروحى اتصال مصابيح الكهرباء بالاصل الـذى يتفجر منه تيارها ، وقد كانت روحانا روحا واحدة • تقسمهاجسدان مفترقان لكل واحد منهما بصر خاص ، ينظر به من الوجه ، ولكن البصائر واحـدة متحدة النظر • كمايتحد نظر العينين دائما الى متجه واحد ، وان كانتا دائما اثنتين

فى أعوام ١٣٢٩ﻫ كنت ارى سيدى ابراهيم يقفز بين صبية القرية ، ويتسابق معهم فى العابهم المختلفة • ومن ذا يدرى فى ذلك الحين ان ذلـك الصبى سيستحيل يوما الى استاذ كبير • ونحوى خطير ، ومهذب متيـن • بصيقله تجلى مناصل كثيرة • هى الان فى المعارض لاتعرف منها نبوة ولايؤثر فيها صدى

فى سنة ١٣٤١ﻫ رجعت من البلد الى الحمراء ، وقد زرت الوالـدة• وموسم زاويتنا فاتيت معى باخوتى الصغار الاستاذ ابراهيم والاخ عبدالرحمن والاخ أبى القاسم ، فالحقتهم هناك بالاخوين الاخرين : عبد الله وعبد الحميد فلاقيت فى سيف البحر ازاء (تاغازوت) بين (اكادير) وبين (ايت أمر)ولداكما راهق ، راكبا على بغلة • ومعه المرحوم سيدى احمد بن الحاج صالح والده فلم أكد القاهما حتى اقترحت على سيدى احمد ان يأذن لى برد ذلـك الولد ليصاحب اخوتى هؤلاء وليتأنس معهم فى (ايت أمر) حيث ينقطعون الى القراءة عند ولده الاخر الاستاذ سيدى محمد بن احمد (المتقدم) ، فاسعفنى الوالد •

فكان ذلك لذلك الولد وهو المترجم الخطوة الاولى لانقطاعه عن الغ الى الجهة الاخرى ثم مازالت امواج الدهر تنمو ج حواليه وتتقاذفه حتى كشفت عن تلك الـدرة الثمينة التي يحملها الاستاذ سيدى ابراهيم بن احمد بين جنبيه ويضيء بها السبل في الحمراء وما الى الحمراء للذين ساعدتهم الاقدار • فلازمـوا دروسه واستسقوا كؤوسه •

نزل علي في الزاوية في (باب دكالة) حوالي ١٣٤٩هـ ضيف جاءني من الجنوب ، وقد اسود مابين عينيه ، لنكبة من نكبات الدهر ، حامت حول اسرته وقد كان بعض اخوته اندمجوا في مدينة من المدن • ليتطلبوا من فضل الله في الاعمال الحرة ، شأن كل السوسيين ، فعزم ضيفي هذا أن يلتحق بهم • فما أدري اي طالع سعيد طلع علي اذذاك • فكان علي بردا وسلاما فحلت بينه وبين ما يهم به من التطوح بين تلك الطوائح ، فاشرت عليه ان يلبث معي ، فاكون أنا وهو كنفس واحدة في كل شيء شيء • وكانت هذه المحادثة التي افضت الى هذا الاتفاق في أصيل يوم من الشهور الاخيرة من سنة ١٣٤٩هـ كما احسبه وأنا في تلك الساعة ءائبون عشية من جهة (الباب الجديد) وقد وصلنا غربي المقبرة التي كانت ازاء (دار البارود) في (الكتبية) فهكذا يسر الله لي من ذلك الضيف لذي لم يعد نظري فيه رجلا عالما كبير النفس • ثم صار يقوم بشئوني في التعليم شيئا فشيئا حتى قام عني باعمالي كلها ، ومن يكون هذا الرجل العالم الكبير النفس ، الذي قام عني بادارة الدراسة حق القيام ست سنوات كاملة ، الا الاستاذ الذي هو شقيق روحي سيدي ابراهيم بـن أحمد الـذي يعرفه معي كل واحد وهو الذي يمتد يراعي الان حواليه

قيل لعبد الملك بن مروان ان حاجبك يقدم أصحابه عند الاستيذان عليك وربما يترك منهم أشرف أوأسن • فقال انني لاالومه على ذلك • لان الجمل وان كان غير عاقل ليرى لصاحبه الذي يلازمه مالايرى لغيره • وان هاج وهدرت شقاشقه • فهاانذا أيضا اجيب بمثل ذلك من عسى ان يواخذني فيما اشدت به لصاحب الترجمة ، مما هو دون مايستحقه مني بمراحل • ورحـم الله العلامة السخاوي المؤرخ الشهير الذي فسح في تاريخه الشهير (المطبوع) لخدمه ولاصحابه مالعله لم يجده منه بعض الاعلين من معاصريه • فلاكان من لايشكر أعمال الرجال ، ولادامت نعمة من ينقلب على أصحابه • وينظر اليهم بنظر الشزر يوم يتاح له مقام من المقامات العليا • وهذه النعمة القلمية التي انعم الله بها علي • فنال بها من لاعرفهم قبل ولا يعرفونني حظا وافرا ، أفلا يكون منها لشقيق روحي سيدي ابراهيم نصيب كبير ؟ وهو ما هو علما وخلقا وهمة ، وصفاء نفس ، وطيب سريرة • وتحملا عظيما لاخلاقي التي اعرف منها أنا بنفسي مااعرف ، قبل أن يعرف منها غيري

دعوني دعوني فالعواطف قـدطمت ... بامواجها مـن قلبـي المتشكـر

على انني ماتجاوزت في المترجم بما قلته عين الحقيقة التي يعرفها عنه كل أحد ، ولا أعلنت الاكل مايعلنه من بالحمراء (وما قلت الا بالذى علمت سعد) فطالما قال الاستاذ سيدى محمد بن عثمان المسفيوى (رحمه الله) لولا سيدى ابراهيم بن أحمد ماذهب فلان ولاجاء في كل ما يقبل فيه اويدبر • فهاانذا أصدقه • وأقر على ذلك بنفسى

حياك الله ياسيدى ابراهيم وبياك ياشقيق الروح ، فمتى ياترى يسعدنى الله ثانيا فألقاك ، فألمس أيضا تلك السعادة التى ألمسها متى حاذيتك ياأخا كله لطف وبشاشة • وحلم وجودة رأى • وسراوة نفس • ودفن للسيئات • وتشييد للحسنات

دم للعلا ، دم للصفا ، دم للطا فة دم لهاتيك الخلال السامية
أنى اوفيك الذى أديـتـه لى من مساع خالدات باقية
قد كنت تعمل دائما في رفعتى بجلائل الاعمال منك العالـيـة
فيخالها من لم يكن يدرى الحقا ئـق أنها منـى ومـن اعماليه
لكننى في اليوم اعلن ما علمـ ـت من الحقائق للقرون الاتية
لتتوج التاج الذى استحققتـه منى فترجـع باللئالى الغالـيـة

متعلمه

ابتدأ القرءان على خاله سيدى موسى بن الطيب ، ثم التحق بعد ذلـك بالاستاذ سيدى بلقاسم الايسى في مسجد (اكجكال) بادبنيران ، فلازمه سنة وعلى يده جود ، لانه يستتم تلاوة عليه كل يوم ختمة من القرءان ، ثم التحق بصنويه الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فأكب على المتون الابتدائية هو وقرينه سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى وكان المعتنى بالمبتدئين هنـاك اذذاك • صنوه سيدى محمد بن أحمد (المذكور ءانفا) ، فلزه كما ينبغى ماشاء الله • حتى توسط الدور الثانى ، فالتحق بدروس استاذ المدرسة • فاجتهد غاية الاجتهاد سنين، وقدكان أخوهو الذى يزاول مئونة الاستاذالتاجارمونتى فلما فارق تلك المدرسة خلفه صاحب الترجمة في ذلك ، فقربت منزلته من الاستاذ • فنال بركة ذلك ، ومعهود عندهم ان من يخدم استاذه يفتح عليه اكثر من ءاخرين • بشرط ان لاينكف عن الطلب • هذا مايقولون انهم جربوه فصح واياكان فقدتفوق سيدى ابراهيم في طبقته وسما سموا يذكره بهاقرانه ثم التحق بصنوه المذكور في حاحة • كما ذكرناه ، فلبث هناك في المدرسة ثمانى سنين اخرى • انتخلوا فيها الفنون كلها • وهناك حفظ صاحبالترجمة المختصر كله • وقد كنت احثه على ذلك ، كلما زرتهم هناك ، كما اتقن النحو غاية الاتقان ، وشارك في غيره مشاركة حسنة • وقـد درسوا هناك أيضا

البخارى مرات ، والشفاء والفرائض • وكان اخوه معنيا به • وهو اذذاك فارغ لماينط به من الاعمال مانيط بعد ذلك •

في الحمراء

رأيت كيف اتصل بنا فى الحمراء ، وما هو السبب ، فاقبل بعد ما عرف متجه أفكارنا على المشى الحسن فى المطالعة فى مختلف الكتب • وما اوجدها عندنا هناك • ثم اشرت عليه ان يفتتح المبادىء مع طبقة • فلا أزال أتذكر أنه كان يعتذر لى بأنه لايحسن العربية الدارجة • فقلت له اذن عليك بالعربية الفصحى • ثم لاعليك ، فعن قريب تفهم كل شىء • وكان الامر كذلك فلم تمض عليه الاسنة حتى تفوق في عبارته • وظهرت مقدرته فى ميدان التدريس • وقد كان حصل تحصيلا فيما تقدم • فأقبل وادبر ، ونحن اذذاك ممعنون في الاجتهاد • لما تشر الينا الاصابع (والويل لمن اشارت اليه الاصابع ولو بخير)

تكيفت طبقتان او ثلاث بكيفية فائقة فنسينا بهذا النجاح انفسنا وكل لذة تهم الناس حوالينا فاقبلت معه متساندين على التهذيب والتثقيف • ونحن نقاسى معا ما الله به أعلم ، عقبات حيوية تعترض فى طريقنا ولكننا بالصبر نقدر ان نجتازها جمعاء هذا والتلاميذ يتكاثرون والطبائع مختلفة وأنا مبتلى بحرج فى الصدر وضيق فى النفس ، فيعترينى احيانا ما يعترينى فيفسد علينا أمورا كثيرة • فكان بدماثة اخلاقه يرأب كل صدع،ويرتق كل فتق على حين انه لايعد نفسه الا أحد الطلبة • ثم أنه جال فى الدراسة بجامع ابن يوسف فى التوضيح لابن هشام • فكان حذاق الاساتذة الجدد الذين يعرفون ماهو الانصاف ينصفونه ويقولونه انه أنحى من راينا من أهل جيله • واكثرهم استحضارا للشواهد • هذا وهو مع ذلك ياخذ من مجالسنا الدروس الحديثية والادبية التى تروج بيننا • فكانت له أيضا فيها درجات عليا وكذلك التاريخ ، والسيرة النبوية والجغرافية • وكان طبعه يحب النظام • كما احبه أنا أيضا ، ولكن للنظام شروط تعوزنا ، منها اختيار الاساتذة • واين المال؟ ومنها الكتب المتحدة لجميع الطبقات ، التى تكون منها عندنا اكثر من عشرة ولكن أين المال ؟ هكذا وجدت العقبة التى لانقدر ان نوطئها ألا وهى المال فصابرنا ورابطنا ، ونحن نستعين بكبار التلاميذ النجباء فى الطبقات الابتدائية وكثيرا ماكان بعضهم يسير سيرا غير محمود فيما يسند اليه • ولكن ما العمل؟ وأين الاساتذة الاكفاء ؟ وكان صاحب الترجمة يحتمل من الدروس اكثر من طاقته • وهو صابر محتسب ، عارف للعقبة التى نجتازها • وقدر المهمة التى انتدبنا لادائها

ثم بعد سنة ١٣٥١هـ طلب منى القائد العيادى صاحبنا حفظه الله تنظيم

تعليم اولاده فلم أجد وقد وضع مني ثقته الا ان احمل صاحب الترجمة ضغثا على ابالة • فصبر على تحمل تلك المشقة • وهل خلق سيدي ابراهيم بن احمد الا من الصبر • فكان يسير على قدميه كل عشية من (باب دكالة) الى دار القائد في (باب الخميس) وقد تكون الحرارة شديدة الوقع ومن ذا يجهل حمارة القيظ في (مراكش) وقد تكون صبارة البرد • وقد تكون الاوحال • ومادراك ماأوحال الحمراء حينئذ قبل ترصيف الازقة ذلك كله لايرده عن اداء مهمته حتى لقد كان في ذلك كله عجبا

ثم درس في جامع باب دكالة مع الطلبة الالفية مرتين او ثلاث ، والتحفة والرسالة والمرشد مرات ، والسيرة مرات • وأما المتون الصغار والدروس الابتدائية والثانوية وما بعدها فهي هجيراه ، كما درس معهم ادبيات كثيرة وانقى دروس الانشاء وما الى ذلك من الدروس التاريخية والجغرافية وما اليها

هذا ولايشتكي الا من واحدة • وهي حرمانه من بعض فنون لايزال يحب التوفر عليها • حتى ياخذ منها حظه • وبسببه وبسبب نجباء اخرين درسنا (الاصول) وكان يقترح (البيان) وقد كنا درسناه في المبادىء مرة او مرتين فاحب أن نعيده بالدراسة العليا • وبينما نحن نتهيأ لتنفيذ مقترحه • اذا بـه كتب الى رسالة صغيرة فيها ان صاحب الباشا الحاج التهامي ينتظرني بالباب فقرأتها صبيحة ٢٨ ــ ١٢ ــ ١٣٥٥ هـ وأنا لأزال في الفراش ، فخرجت فوجدته في وسط الزاوية • فسلم على سلام الصباح • وخرجت • فكان ذلك اخر عهدي به الى الان (١) وقد فارقت الحمراء بعد خمس دقائق من مفارقتي اياه • فرميت هنا في الغ حيث لاازال انتظر الفرج • وانتظار الفرج عبادة أكتب هذا الان اصيل يوم الجمعة ٢٣ من صفر ١٣٥٧هـ ونطلب الله ان تتلاقى وجوهنا أيضا حتى يانس بعضنا ببعض ، فهذا ما نتطلبه من الله في هـذا الوقت الذي هو مظنة الاستجابة

ثم أنه بعد نفيي انكف عن الزاوية فالتزم فيما يبلغني دار القائد • وانقطع هناك حتى تدول الايام بما يشاء الله ان تدول به

وأخيرا

وقع الاتصال بالمترجم ، وقد زار سوس ١٣٦١هـ كما ذكرت ذلك في الرحلة الثانية من (خلال جزولة) وقد كان استقر بفاس بعد مافارق الحمراء بعدي باكثر من سنة • فاخذ ماشاء الله من القرويين • وقد سكن في المدرسة

١) كل هذا في المنفى ــ لان كل الكتاب مكتوب هناك وليس فيه من غيره الازوائد قليلة او تتمات

المحمدية • ثم انقطع للتجارة ، ثم تزوج اخت صاحبنا الحاج محمد بن داود الفاسي ثم لما رجعت الى (الحمراء) سنة ١٣٦٤هـ كان في مدرسة (تمانار) سنة • ثم انقطع الينا ايضا بمراكش مع أهله فسكنا معا في دار واحدة ثم في سنة ١٣٦٨ هـ • صار عميد مدرسة ابن كرير التى بناها القائد العيادى ولايزال فيها الى الان ١٣٧٩هـ فهكذا تقلبت به الاحوال الى الان (وقد صابر ورابط في هذه المدرسة لايستميله عنها اى شيء • وقد عرضت عليه وظائف كالقضاء ، فأبى من الخروج من مدرسته ، وهو على ذلك الان في رجب ١٣٨٠هـ)

آثـــاره

من ذلك ماكتبه الى وانا في الغ (انني أكتب اليك وقد ضرب بيننا الدهر بسد عريض • وخندق عميق • وحاجز كثيف • ولاانهى اليك الا ماتعلمه من قلوب تذوب اسى وتفيض حزنا • وتتأجج لوعة وهذا الدهر لايفتر ذا تقلب وكدر • والانسان يعتوره بين امواجه ما لايتحمله الا اقوى الرجال عزائم ، وأشدهم ايمانا وغيرة • فنحن ابناءك في التياع ، وكلنا مشتاقون الى رؤيتك وتقبيل ذلك الجبين ، والمثول أمام تلك الحضرة التى عهدنا منها ماعهدنا • فاذا كان الاجانب عنا في تململ بهذا الرزء الذى ثل عرشنا • وفض جمعنا فكيف نكون نحن ابناءك البررة ؟ فمتى يساعد الزمان فنتلاقى متعانقين متضامين؟ ثم لتقم القيامة اذذاك ، ولتات النفخة او الصعقة الاخيرة

لايعلم الا الله مافي الافئدة من الاحتراق ، وما في القلوب من الاشتياق وخصوصا اذا جرى ذكر تلك الايام التى كان لنا فيها ماكان مما رءاه الاعمى وسمعه الاصم • وشهد به حتى العدو الازرق • وكاد يرحم حالنا من بعده من كان يتمنى لنا الموت الاحمر

رباه أنيأس وأنت ارحم الراحمين ؟ ام نذوب أسفا وأنت يامصرف القلوب من اعتدنا منه ان ينشر رحمته من بعد ان يقنط الكافرون بقدرتك • فكلنا رجاء يارب ان ترد المياه الى مجاريها • وأن تضم قوادم الاجنحة الى خوافيها • ومنك يطلب الفرج القريب ، فمتى تنفرج هذه الازمة الشديدة يارباه ؟

ومن ذلك أيضا ما كتبه كوصية بايتام عن لسان بعضهم من رسالة

انني منعت ان أحضر هناك ، ولكنك كاف في كل مايراد من كفالة اولئك الايتام الذين هم كالفراخ الزغب ضعفا • ومن الكلاءة التى تلقى عليهم ظلا ظليلا • وما غاب من كنت الحاضر وراءه وما يضيع من اليك رسن هدايته ان شاء الله

وكتب الى الاستاذ الشاعر البونعماني من فاس بعد ماغادر الحمراء ياخذ في القرويين نزيلا ببعض مدارسها وفي الرسالة دعابة لانها كتبت بقلم

الادباء الفكهين • وهي جزء من رسالة طويلة حذف منها مالاحاجة اليه للقاريء

الاخ المخلص الشاعر العبقري سيدي الحسن بن احمد البونعماني تحية واشواقا

ان اخاكم لاينساكم ولن ينساكم • وان وقع بين العيون والوجنات رغم ما تبتديه الاولى من فتور اللحظات • والثانية من تورد تارة واحمرار تـارة واصفرار كرة اخرى • هذا كله لايلهي اخاكم من أن ينصب شخصيتكم الفذة بين عينيه كل ثانية • فيرى فيها من الجلال مالايكون للحور وللكـحـل في العيون ، ولا للتورد بالخجل فيالخدود • وشتان مابين متحل بالوان الجمال ومتحل باحسن الخلال • وبصفاء الصداقة وطيب السريرة • انامثالكم اليوم في اخوتكم وفي صداقتكم لمما يعز أن نجد له ثانيا ، فالناس اليوم غير ماتعهد اغبرت ءافاق الصداقة • واقشعرت بلاد الاخلاص في الود • فلم يبق لامثالي المغمورين ان تخطاكم الا ان يجعل رأسه تحت جناحيه •• ويسد بالقطن اذنيه لئلا يرى اويسمع • والحقيقة ان كل من يرى اويسمع لايمكن له أن يتخذ (القرويين) قبلة في هذا اليوم الذي كادت العلوم تكون فيه صفرا

تنازلنا عن كل شيء ، والقينا ظهريا كل ما كان في أيدينا فابتدأناها في المدرسة حياة ابتدائية • كاننا لم نعد بعد دور الطفولة او كاننا في مفتتح حياتنا في أخذ العلوم ، بعد ما اوضعنا في ميادينها ماشاء الله • ءامنا باللـه وءامنا بتصاريف الدهر •فهكذا اراد القدر منا ان نكون • فما العمل أمـام ارادته ؟

عجبا أنك تقول أن العلم اليوم يترقى • حقيقة انه يترقى • ولكن أين انعلم الذي يرقي اصحابه • أهو موجود اليوم في (القرويين) يمثله اساتذة (القرويين) أهو هذا الذي تتموج ابحاثه الصحيحة بين اساطين (القرويين)

لو بغير الماء حلـقـي شرق كنـت كالغصان بالماء اعتصاري

كيف لمثلي ان يتكل على شقشقة المدرس في هذه الجامعة الهرمة • ثم ينتظر وراء اتكاله نجاحا او يرقب من بعد سعيه فيها فلاحا • مادام لم يدعم بجهوده • ويعتمد على فكره • ومباحثاته ومذاكراته مع الاقران ؟

زد على هذا ما انتشب فيه أخوك من جديد من الم الغربة • ومرارات العيش ، في بويت احرج من صدر الحزين • كانـه حجر ضب تفتك الهوام والوخم بالساكن فيه • فلا هواء ولا شمس ولا كهرباء فكانـه سجن مـن السجون التي تذكر في القرون الوسطى • أوليس ان السكنى في مثل هذا الناووس مجلبة لبذور السل اعاذنا الله وأعجب من هذا ان هذا الرمس على عفونته وضيقه لايوجد الا بجريعة الذقن • والسعيد من وجده • لانه على كل حال افضل من لاشيء ولكن وجوده كيفما كان • ولا البيات في العراء البارز

تحت النجوم ولهذاالايلام من يعد مثل هذا الجحر قصرا كقصر امثالك من المترفين • ولو بليت كما ابتلى ممثلى لادركت كل هذا غاية الادراك •
اليوم توصلت برسالتك التى احيت الموؤود وانعشت الفؤاد ، فوجدتنى مرتطما فى فنون شتى فتسرب الى روح الاستبصار ما أحيا الامل • ونفى الملل ، وانسانى هذا القبر الذى اثوى فيه ، كأنى جان محكوم‌عليه بقعر السجون • وبالاشغال الشاقة •

ايه أيها الشاعر انك تتمتع فى شواطىء (أبى رقراق) بما تريد • وتتبختر غاديا رائحا فى شوارع فيحاء وقت اختلافك الى مدرستك التى تلقى فيها دروسك كموظف ، فاين أنت منا • ونحن هنا فى ازقة ضيقة مظلمة ذات هواء مسموم ، مائج بالجراثيم ، ثم لانستمتع بأى شىء • فلانزور لا مولاى يعقوب • ولاسيدى حرازم • أفلا تشكر الله على ما أنت فيه • وتمعن فى الاستمتاع بتلك البهجة مادمت تتمتع بصفاء الدهر • واعراض نوائبه عنك

تتمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

قرأت فى رسالتك ما قرأت • أتكون محفوفا بالظباء السوانح فى كل مسرح ، وتستهزىء بأخيك ؟ أم أنتم أيها الشعراء تعبثون بالناس • وتودون أنتم أن تسلموا من عبث العابثين • ام غركم ياشعراء الرباط ماتونسونه من ضعف الالسنة فى (القرويين) فعلى رسلكم فعما قليل ترون شعراء جددا يحلقون فى سماء فوق سمائكم (وان غدا لنا ظره قريب)

قال يخاطب احمد شوقى الدكالى ـ ينصحه ـ

ماذا يفيد شبابك الفتان	يا أحمد وشعورك الولهان
ما انتمل من الصبابة والهوى	حتى تذيب ضلوعك النيران
يا أحمد هلا ارعويت عن‌الهوى	ان الهوى لمذلة وهوان
ان الهوى بحر يموج عبابه	وتهاب من أهواله الشجعان
كم من اعاظم قد ابادهم الهوى	عقدت على هاماتهم تيجان
ففدوا بما ارتكبوه صرعى‌مالهم	من منقذ فعراهم الخذلان

وله أيضا عشية واقعة مراكش فى الوطنيين برجب ١٣٥٦هـ (من‌قصيدة)

رزء عرا فأصاب كل فؤاد	ودهى الورى فاضل كل رشاد
رزء تميل الراسيات لهوله	ولوقعه ترتج كل بلاد

وله أيضا مطلع قصيدة

أرى هذى الدناتضع العظاما	وتعلى فوق هامتها اللئاما

وقال‌مخاطبا للمحفوظ بن الحضرمى والبيت الاول قديم ـ من قصيدة ـ

(كن كما شئت فالزمان هناء	ولك السعد خادم والقضاء)

ن

أنت ذاك الذى يتيه به الدهـ ـر ويشدو بذكـره الشعراء
ان بدت منك وثبة للمعالـــى فعظيم ءابـاؤه عظـمـاء

والم بالغ ١٣٦١هـ فلم يصادفنى هناك فقال

مـازرت الا بلـقـعا وقـفـارا ان زرت الغ ولم تر المختارا

وفى هذه السفرة خاطبه شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالفى بقولـه يستدعيه

أبا سالم انا انسنا بكم جـدا ونلنا بفضل اللهمن وصلكمجدا
أبا سالم يا أيها الندب من له مراتب ود فاقت الحصروالعدا
أبا سالم أما أتاك الرسول طر بشوق كثير زائد تنعشالعبدا
لك الفضل لاله ولم لا وانتمن كرابتنا قدحزت دونالسوىحمدا
عليكم سلام الله ما قال منشد (أبا سالم لقد انسنا بكم جدا)

ومن قوافى المترجم قوله اوائل قصيدة

هو الدهر يأبى انأنال المعاليا ويبغى اعتسافا ان يشدوثافيا
أريد المعالى ثم يثنى عزيمتـى ويبتز ما قد عز عندى وماليا
رمانىفاصمى القلبمنىولميزل يسدد نحوى اسهما وعـواليا
هو الدهر يعلى فوق هامتهالالى تولوا ويبدى جهله لى مكانيـا
هو الدهرلايرعى الزمانومابدت له حسناتى اليوم الا غزانيا
ولوعلم الدهر الغشوم بـأنـه يز عزع طودا شامخاماد هانيا
اسامع انت يازمان فاننى عدتنى عن السماع منكعواديا
أيادهر لاتعجل فما انا بالذى يريد حياة فابـغ أنـت وفاتيا
فسيان عندى يازمانى ان أرى قرين معاشى او قرين مماتيا
فكيف يرجى العيش مثلبعدما يرى مـن يعز عنده كان نائيا
وما انس ملاشياء لاانس قوله (وداعا) فكانت طعنة فىفؤاديا
فقدكانلىعونا علىالدهر انسطا فلا يرعوى حتى يحـل وثاقيا
وأما وقد حم الـفـراق فانـه يكدر ما نلناه منه تصافيا

وقد كانت عندى مجموعة من قوافيه خباتها بين الكتب لمثل هذااليوم ولكن لما اقع عليها الان ، ولو وقعت عليها لذكرت كل ما اختاره منـهـا • وسيجدها ان شاء الله القارىء فى كتاب (جوف الفرا) ان وجدناها • وفيها ماكان يقوله فى مناسبات • والمقصود ان يعرف ان المترجم من ادباء الغ الكبار

سيدي بلقاسم بن محمد السليماني

١٣١٨ هـ = حـــ ى

نسبـه :

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن محمد ابن احمد بن عبدالله بن سعيد

سيدى محمد بن بلقاسم والده كان من افاضل رجالات القرية جدا ونشاطا واقداما ، وتوفى سنة ١٣٤٥ هـ وهو ابن عمتنا رقية • وكانت هذه ممن ينحتن دائما الى دارنا • ويباشرن الخدمة والطبخ فى مطبخ الزاوية • وهى التى كانت حينا تخصص طعاما مستطابا للشيخ على حدة ، فينهاهاعن أن تطعمه الا مما يطعم منه الناس جميعا • وهى التى ربت صاحب الترجمة وعادت عليه بركتها حتى صار من الاساتذة اليوم •

وأمه من ءال (تيغشيت) بنت الحاج أحمد من أصحاب الشيخ الكبـار وممن حج معه وتوفى سنة ١٣١٢هـ وهى أخت الفقير سيدى على التيغشيتى من آكابر أصحاب الشيخ أيضا المتجردين المذكورين فى (منية المتطلعين) •

متعلمـه

أخذ سيدى بلقاسم القرءان عن سيدى بلقاسم بن احمد الايسى بمسجد القرية • ثم عن الاستاذ سيدى على بن همو بمسجد (اكنى ايديان) قال وذلك سنة ١٣٢٨هـ قال وهناك وصلنا خبروفاة الشيخ • ثم أتـم حفظ القرءان وتجويده على ابن خالته سيدى موسى بن الطيب • حين شارط فـى المسجد السليمانى فى سنوات ١٣٣١هـ ثم افتتح الاجرومية عند شيخنا سيدى عبد الله بن محمد فى المدرسة (السعيدية) بالاخصاص • وبعض متون المبتدئين ثم اتصل بالاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فـى المدرسة (الايغشانية) من سنة ١٣٣٥ هـ الى ١٣٤٥ هـ فعليه وعلى يد معينه سيدى محمد بن احـمـد الصالحى تدرج فى المتون ، وتخطى مراتب الطورين الاولين • وقد تمكـن فى الطور الثالث ، فاتقن عليه العربية واللغة والفقه • والفرائض والحساب وقد أتى على المتون التى توخذ • فاستتم الالفية اربع مرات ، والمختصر ثلاث مرات او اربعا والمقامات مرات ومتون اللغة ، والادبيات التى تدرس • والمقنع والهمزية وبانت سعاد وأمثالها والبخارى على العادة • هذه كلها من المبتدأ الى

المنتهى من غير ان تتخللها بطالة ، لانه متفرغ من كل الشواغل • وهو من أسرة مستورة • فرغته الى ماهو بصدده • وهو ايضا ساكن النامة • ذوهمة وطموح وفي سنة ١٣٤٥هـ افتتحوا التلخيص عند الاستاذ التاجارمونتي لكن عركة تلك السنة الشديدة • قد الجأتهم الى التفرق شغر بغر • فالتحق سنة ١٣٤٦ هـ بابن خاله الاستاذ سيدى محمد بن احمد في دار القائد سعيد التيكزيريني المتقدم الذكر ، وقد التحق بهذا القائد قبل هذا الوقت (كما ذكر ذلك في ترجمته) وقد كان اخذ عنه المبادىء حين كان لايزال في المدرسة (الايغشانية) يعين الاستاذ التاجارمونتي • فاخذ أيضا عنه هناك المختصر ودالية اليوسي ، والمعلقات والشفاء مرتين • فبقي هناك الى سنة ١٣٤٨هـ • فالم به خلل في مزاجه كان نتيجة وقوفه يوما شديد الحرارة في حمارة القيظ تحت الشمس في (ايسافن) مرتبع الغ وهو يعين أهله في الحصاد وما زال ذلك ينتابه بالضعف من سنوات حتى اثر عليه هذه المرة فاختل عقله لسبب جديد اعتراه هناك • ثم بعد ان أبل سافر الينا بالحمراء• فرأيته لاباس عنده • ثم ذهب الى (زطاط) فرجع الينا • وقدراجعه خلله فما شئت من مخاصمة وامور اخاف ان يفرطعنها مالاتحمد عقباه • فامرت به فوضع في بيت صغير • ثم كسر بابه او دفعه بقوة نادرة • فتزايد امره حتى امرت الطلبة فربطوه ، ولكنهم تشددوا في احكام الرباط حتى اثر كثيرا في اعضائه وذلك في الحقيقة لايزيده الا هيجانا ، ولكننا راعينا جانبا • ونسينا جوانب ثم ظهر لنا منه برء فاطلقناه ، ففرحت بابلاله • ثم رجع من عندنا • وهوالى الان لم ينس ذلك الرباط • ولانزال نباسطه به الى الان • وهذا الاختلال يلازمه كثيرا خصوصا في الصيف ، فكل من عرف مقدار علمه ومتانة دينه يرحمه متى رأى منه ذلك

مشارطاته

شارط في مسجد (ادوز) من (تاسكا اودرار) بايت أمر • وبعد ستة اشهر راجعه الخلل ، فالتحق باهله اواخر ١٣٤٩هـ ثم شارط في (تاوييت) فلم يبطىء فانقض عليه أيضا مايعتاده ثم شارط في (ارحالن) من قبيلة كسيمة سنتين ثم في مسجد (النجارين) فوق تركال من قبيلة ايت حامد ، فبعد ستة أشهر أمره الاخ سيدى محمد ان يشارط في مسجد القرية فبقي فيه ثلاث سنوات من مفتتح ـ ٥٣ ـ الى رمضان ١٣٥٥ هـ فالتحق بالمدرسة (الايغشانية) معينا لاستاذها سيدى الطاهر ،فقام فيها بالتعليم لثلةمن الطلبة باجتهاد تام ونعم المدرس والمذاكر كلما فارقه الخلل

أظن اننى مارأيت من طبقته التى نبغت معه أفهم ولا اذكى منه ومـن قرينه سيدى ابراهيم بن أحمد ، ومن سيدى الطاهر بن على فقد تقدمواتقدما كبيرا وحصلوا ، فان كان الاستاذ سيدى ابراهيم فاقهم بنواح شتى ، فما ذلك الا ببركة رحلته ٠ وانقطاعه عن هذا الوسط الميت الذى لاتزداد فـيـه المعلومات منذ عقد من السنين حتى ان الغ لولا اولاد الاستاذ على بن عبد الله وشيخنا سيدى عبد الله بن محمد لقلنا ان علم الغ اليوم ١٣٥٧هـ فـى حشرجة الاحتضار لاقدر الله ٠ وصاحب الترجمة اخذ كل الفنون المتداولـة اخذا حسنا ٠ ولو كان يروجها فى هذه السنوات الكثيرة لكان من المتفوقين وهو ذكي حريص على الاستفادة محاضر بمعلوماته ولكنه لعدم مال يجعل حوله هالة مرموقة ملقى فى زاوية الاهمال ٠ فلا يبالى به ٠ مع أنه مـن تنزين المجالس بافهامه وبمباحثاته ٠ ولى معه فى السنة الماضية مجالس زاهية ٠ وذلك كله مع حسن خلق وهدوء ، وتواضع حقيقى ، وديانة تامة ، وهويستحضر دعوات كثيرة كان يمليها على من الابيات كلما جالسته وقد استنشدته يومالارى كيف يختار انشاداته من بين محفوظاته الادبية فاذا به يحفظ احسن مايطالع ويذاكر فى المحافل بأجود ما يحفظ فانشدنى

ان الغنـى بالنفس يـا هـذه ليس الغنى بالجاه والدرهـم

وكيف لايستحلى المترجم الفقير مثل هذا البيت معانه يرى انالالغيين مانسوه الا لانه فقير

وانشدنى ايضا

لجلسة مع اديب فى مذاكـرة انفى بها الهم او استجلبالطربا
اشهى الى من الدنيا وزخرفها وملئها فضة وملئها ذهبا

وانشدنى ايضا

ماذاترى فى محب ماذكرت لـه الابكى او شكا او جن او طربا
يرى خيالك فى الماءالزلال اذا رام الشرابفيروى وهوماشربا

وانشدنى ايضا

ماذا تقول فدتك النفسفىحالى مضى زمانى فى حل وتـرحال
كذاالنفوس اللواتى العزيصحبها لاترتضى بمقام دون ءامال

وانشدنى ايضا

اذا ما كنت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى امر جسيم

وانشدنى ايضا

وما أنا من انيجمع الله شملنا على خير ماكنا عليه بئايس

وانشدنى أيضا

كفانى من اللذات ان لايروعنى وزير ولا يسطو على امير

حقيقة يابن العم فقد حرك منى هذا البيت عرقا كان دائما ينبض منى فلا احب الى من أن أكون مغمورا مستورا • مكفى المئونة مشغولا دائما بالعلوم والمدارسة فيها • من غير ان يتصل بى وزير فيروعنى • ولا امير فيسطو على وكان ذلك دائما منتهى املى • واقصى غايات مناى ولارجاءلى قط فى ان أتعرف برئيس • أوأن أكون ممن يشار اليهم فى مقام باصبع • الا ذلك المقام الذى هو كل مناى • ولكن الدهر يعامل الانسان دائما معاملة البركة الصافيـة للاشجار التى فى حافتها اذ تقلب أعاليها اسافلها فتشاهد رأسك وانت مار بها ادون من رجليك

تلك زفرة ارسلها الان فى هذا المنفى بمناسبة هذا البيت • وحقيقة من حقائق ذات نفسى اسجلها هنا • والله تعالى وكل الذين يداخلوننى •ويتخللون من نفسيتى مسالكها الحقيقية • يعلمون هذا منى حق العلم • وان كان بعض الزملاء يزعمون اننى ممن لايتطلب بكل اعماله الا العلو • والاتصاف بالمراتب سامحهم الله ولا واخذهم بما يزعمون

اثـارة

لايكاد ينقضى عجبى كلما اجلت طرفى من هذا الفتور الذى يستولى على بعض الطلبة النجباء ، فتجدهم وقد مرت بهم سنوات فسنوات ، والحوافز تحثحثهم من كل جهة ، ليجهروا بما يخامرهم من فرح ، وحزن او رضا اوغضب أو اكرام أو اهانة ، باسلات اقلامهم التى ربضوا سنين متتابعة على شحذها وكيفية اعمالها • حتى عرفوا كيف يتلقون وحيها ماشاء الله حين ربضوا فى المدارس • ثم لاتجد لهم ان توقف مؤرخ مثلى على بعض اثارهم ما تجمع عليه رؤوس اصابعك • كأنهم لم يعرفوا كيف تجال الاقلام • ولم يدركوا من كتب الاداب التى مرت بين أيديهم كيف يكون لهم ظلال فى التاريخ • وكيف يرسلون صيحات الفرح فى اوقات الفرح • وكيف يطلقون صرخات الغضب فى ساعات الغضب • فصاحبنا هذا من اوليك ، فقد تطلبت جهدى لعلى اقـع على بعض نتف منه كيفما كانت ، فأعوزتنى الطلبة الا ما وقعت عليه فى أوراق أتانى بها • وهذا ما استخرجت منها ، نسوقه مكتفين به • وماذاعسى ان نصنع لو لم نكتف بالموجود

كان الاستاذ سيدى المدنى ارسل اليه قميصا يخيطه فبعد ما ابطأ عنده أرسله اليه فاذا به كما هو من غير خياطة فكتب اليه

ابا قاسم ازريت بالخلق الـــذى وسمت به فى الاقربا والابــاعـد
رددت القميص لم يخط بعد بطئه لديك وما وفيت حسب المـواعـد
(لئن كان اياه لــقــد حال بعدنــا عن العهد فعــل الناكث المتوادد)
فدامت على مثواه ازكى تحية تؤم جناب الاقعس المتباعـد

فاجابه

الى العالم النحريــر والعلم الفرد واستاذنا الغطريف ذى الفضل والمجد
عليك اباعبد الالــه تـحـيــة يحاكى شذاها نفحة المسك والورد
رقيت مراقى العز عن رغــم حاسد وبلغت كل السؤل بالسعد والرغد
فقد جاء منك سيدى ما يريبــنــى قلبت به ظهر المجن على ودى
اتطلب ردا للقميص فتثنــى على بلوم اذ اطعتك فى الرد
تعاتب منى مــن يودك دائما وذو الوداهل الشكر لوشئت والحمد
عزمت على رفو القميص لو اننــى فرغت أ ألفى فيه امرك عن قصد؟
جهدت لكى القى الفراغ له وهــل يلام لدى شرع الهدى باذل الجهد
فقد كنت تدرى من أنا فى الوفاء لو تانيت أياما وانى لــذو عهد
فاسرعت لاسترداده قبل رفوه فساعفــت فيما قــد طلبته من رد
ولكن ستدرينى غـدا ان تعرضت حوائج اقضيها عــلى سرعة وحدى
فاغض وسامح واحملنى على الــذى عرفت فشم عنى عتابك فى الغمد
فلست ترى منى سوى ما تريــده فكل الذى تبغيه يوجد مــن عندى

وقال يخاطب سيدى محمد بن ابراهيم الحاحى سنة ١٣٥٦هـ • وهذا يتلقى اذذاك بالمدرسة (الايمورية) عن الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم

انى وحقك مشتاق بــلا فند الى لقائك شوق الام للولد
فحبكم فى فؤادى غير منتقل كنا على القرب او كنا عــلى البعد
فى كل حين ارجى ان أراك لكى ينزاح ماكان بالاشواق فى خلدى
فقد شجانى واضنانى البعاد فلو كان اقتراب هتكنا سجف ذاالنكد
عليك منى سلام الله ما التطمــت فى الابحر الزاخرات الموج بالزبد

هذا ما وجدناله • ويقول انه غير معنى بالقريض قبل اليوم وقــد صدرت منه نحوى فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ قصائد وقطعات • اودعناها فى كتاب (الالفيات) وحين اعطانى القافيتين المتقدمتين ، قلت له لااثبتهما حتى تمر بهما ثانيا فتصلح او تبدل ما ظهر لك • ففعل ذلك بهما

أخبار عنه أخيرا

لم يزل ذلك المرض يلم به فينة بعد فينة . فيفارق تمييزه . ولايدرى مايقول ولا ما يفعل . وقد شارط حينا فى حاحة والشياظمة ثم فى مدرسة (ايمور)ثم فى بعض المساجد . ثم كان فى مسجد قرية (ايت سليمان)١٣٧٥هـ ثم كان فى اداوتنان ، ثم رجع الى البلد تحت مرضه الذى لايزال يعاوده فى كل صيف . واى عالم افسد فيه ذلك المرض المعضل . وهو رجل تقوى وعلم وتصوف واخلاق . ولله فى عبيده شئون . وقد تزوج فولد له . وهو الان ١٣٨٠هـ . يزجى الايام فى مساجد الغ وما اليها . يرحمه الناس . وقد اصيب بموت زوجه اخيرا . فالله يلطف بنا وبه .



سيدي محمد بن احمد السليماني

ثم الهشتوكي

مختتم ذى القعدة ١٣٣٨هـ = حـــى

نســبـــه :

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا احد علماء الغ الجدد • الذين احسنوا الاخذ ثم برزت شهرتهم فى ميدان المعارف • ثم انتصبوا لتعليم الطلبة • فامتدبهم حبل الغ فى هـذا الميدان • وهل الالغى الحقيقى الا من تعلم تعلما مكينا • ثم علم تعليما متينا

لادر درك يا الغى ان جنفت رجلاك عن سيرة عن الغ قد عرفت
فما الرياض سوى عرف الزهور متى هب النسيم على اكمامهـا عرفت

متلقاه للقرآن

افتتح حروف الهجاء عند الاستاذ سيدى محمد أومليل البوخيرى الايغشانى الرجل الصالح الصوفى ، وذلك فى مسجد القرية حين شارط فيه حوالى ١٣٤٤هـ وقد اخذ عنه الى حزب (ولا تجادلوا) ، فادركه الموت • وقد مرض وذهب الى أهله • فدفن هناك • ثم عن الاستاذ سيدى عبد الله بن أحمد الوليلى السملالى المخرج لعشرات فعشرات من أبناء الغ ، ثم انقطع الان سنة ١٣٧٦هـ الى مسجد (ايشوكاك) من (اكادير ايزرى) (ولايزال الان ١٣٨٠هـ على عزيمته وهمته فى التعليم • وقدرأيته قبل هذه السنة وهو شيخ هم عليه سيمى الخير) اخذعنه المترجم فى مسجد الزاوية العليا • فلازمه حتى ختم عليه ختمتين • ثم انتقل الى مسجد (الارجام) عند الاستاذ سيدى عبد الله بن بلعيد • وأبوه بلعيد من المتقنين لحفظ كتاب الله ومن التلائين له • وكانت فيه لوثة • فيقول إننى ملك • فلقبه الناس باكليد • وكان يقطن فى (اداوشقرا) بافران • وقد توفى حوالى ١٣٧٠هـ • وأما عبد الله بن بلعيد فانه الى الان لايزال حيا يشارط فى المساجد • ويشارط فى مسجد (ادعبد) فى أيت بريم التى كانت الاصل الاصيل لاسرتهم • ثم سكن هو فى قرية (الارجام) • وقد عرفته ورأيته فى (الارجام)

حيث اصهاري الشرفاء • اخوال اولادي • ختم عليه المترجم ختمة واحدة • ثم عن الاستاذ سيدي علي البودراري العبلاوي – من أيت عبلا البعمرانيين وحياته مابين مشارطة في المساجد وبين وظيفة العدالة ، وله نصيب من علم العربية ويظن المترجم أنه ممن مروا بمدرسة الغ • ولايزال حيا الى الان أخذ عنه المترجم في مسجد اكادير من (ايتعبلا) لازمه نحو عامين • ثم عند الاستاذ سيدي احمد بن علي اليعيشي البرايمي • من الاخذين عن شيخنا سيدي احمد ابن مسعود المعدري في بونعمان ولاباس بمعلوماته • ثم صار من الفقراء الالغيين ومن المسمعين المنشدين في مجالس الذكر ، يحفظ كثيرا من القصائد وديدنه المشارطة في المساجد ولايتخلف عن موسم الغ • وهو منذ سنين كثيرة في مسجد (اكلميم) ثم انتقل اليوم الى مدرسة في أيت بعمران ، وقد كان يعلم القرءان بالجد • أخذ عنه المترجم في مسجد قرية الاستاذ (اديعيش) لازمه عامين • وهو خاتمة اساتذته في القرءان • وقد استتم المترجم اخذه هذا سنة ١٣٥٥هـ •

في المدارس العلمية

افتتح الجرومية عند الاستاذ سيدي بلقاسم السليماني – المتقدم الترجمة – في مسجد القرية (ءال سليمان) ثم التحق بالاستاذ عبد الله بن ابراهيم خاله – وقد مرت ترجمته ايضا – وهو اذذاك في (مدرسة سيدي حسين اوحسين) من اداكيلول بحاحة • ثم صاحبه الى مدرسة (ايمور) • حيث صاحبه سنتين فاخذ عنه الجرومية والجمل والزواوي ولامية الافعال وابن عاشر • والبردة والهمزية • ولامية ابن الوردي • والالفية الى الابتداء والرسالة الى منتهاها

ثم الى مدرسة (تاكوشت) بايت صواب • عند الاستاذ سيدي محمد بن أحمد الرسموكي الاصل التاكوشتي المنشأ الذي لايزال هناك الى الان – وسترى ترجمته ان شاء الله في (القسم الثالث) – أخذ عنه الزقاقية ونظم الميراث للرسموكي • والالفية ومختصر خليل بنصابين احدهمافي اوله • والثاني في الاواخر • فيستتمه دائما في عامين • وورقات امام الحرمين • والبخاري في الرمضانات (على العادة) ولم يبق المترجم هناك الا ما دون سنتين • ثم الى (مدرسة الغ) عند الاستاذ سيدي المدني فكان مما اخذه المترجم هناك المنهج للزقاق • واعاد هناك المؤلفات الكبرى • وتوسع في اللغة والادب في المقامات ولامية العجم والمقنع والتحفة • ولم يزل يجول في هذه المؤلفات وما اليها خمس سنين •

ثم تخلل اخذه عام لازم فيها القائد محمد بن البشير التامانارتي ككاتب

ولكن الله حفظه ، فلم يطل عنده • ومن لاحظته السعادة فان كل باب سوى أبواب الخير سرعان ما يسددونه • هذا ما أخذ المترجم في مدارس سوس •

في الحمــراء

في سنة ١٣٦٥هـ اثر استقراري بالرميلة ومراجعة الدراسة في مسجدها الكبير • الم بنا المترجم • فصار يلازم ما ندرسه • من حديث وأدب • ولغة وكل مانجول فيه اذذاك ، أخذ النحو والسيرة النبوية والبخاري ورسالة ابن زيدان والسلم ومنظومة ابن عاصم في الاصول والورقات • وكان استاذ طبقة يعلمها النحو والتصريف والتحفة • ولم يزل على ذلك الى سنة ١٣٦٨هـ فودعناه خير وداع مرضيا عن احواله كلها رضا تاما من أعماق القلـوب • لحسن أدبه ولمكانته فيما اخذه

في مدرسة الشيشاوي الهشتوكية

أوى الى هذه المدرسة اثر تخرجه من الحمراء • فالقى فيها مراسيه • واستقبل التعليم بهمة الغية • وجد سليماني • وعزيمة لاتكون الا لمن ذاق حلاوة المعارف حق الذوق • فقد اكب اكبابا اطار له شهرة ما فتئت ان عادت طنانة • فسألت اليه البطاح بالمتعطشين الى الاخذ فسرعان ما اتسعت هالته وعتقت راحته • فظهرت نجابة تلاميذه ظهورا يذكر في كل النواحي السوسية في مختلف العلوم ، معحسن التهذيب والتخلق بالاخلاق الفاضلة

من آثاره

كانت عندي قواف متعددة للمترجم ولتلاميذه • ثم ضاعت بين الاضابير ولم اجدها الآن • ولم يكن أمامي الا ما كنت تعاطيته معه في مبادئه •وهو لايزال في (الغ) يتعاطى • فقد كتب الى اثر رجوعي من سفرة ٤ ــ ٦ ــ ١٣٦١هـ

الغنا فائز بخير فقيــه	ذي ذكاء فمالــه من شبيــه
هو نجل الكريم اكرم به من	خير حبر قد فاق كل فقيــه
فتراهم ان عن حوليه ذكر	قد صفوا ان ذاك لاغرو فيه
قد كفاني اني ببلدتكم نلـ	ـت بذا مفخرا بلا تمويــه
فاض فينا احسانك الجم يامن	كان بالفهم فاق كل نبيه
دمت فينا بدرا مبينا ونورا	ساطعا رافلا بما التنزيـــه
كيف يلفى لكم لدى العلم ثان	او شبيه يامن يفوق ذويــه
ومرامي هــو الدعاء وان لا	يغفل السيد الرضا عن أخيه
فعليك السلام ما قيل فينــا	(الغنا فائز بخير فقيه)

فاجبته بقولي

ای شيء انا وای فقیـه ؟ المـثـلي يشاد بالتنـويـه ؟
انما كنت كالذنابي اذا ما ار تج حفل بكل حبر فقيـه
غير ان الظنون ان حسنتمن فاضل ظنني بما كان فيـه
مثلقطب النجابة السيدالند ب السليماني العديمالشبيه
سابح في الفهوم بالفكرحتى فاق منه الاقران خير نبيـه
ان بدا كالهلال فياليوم فالمر جو منه الابدار بين ذويـه
يابنيي بل يا أخي وكفى أن يسمع المرء مسمعا من أخيه
انني منك ذو ابتهاج لان حز ت شفوف العلا بلا تمويـه
دمت للعلم تجتني منه زهرا بخـلال صينت وبالتنزيـه
واعذرن أيها المفوه من عمـ ـك هذا المختار أى فهيـه

وللمترجم أخ نجيب اسمه الحسين لازمه ماشاء الله حتى حصل كثيرا ثم التحق بكلية ابن يوسف حيث ربضرفي الثانوى ، ثم بداله فانخرط فـي التعليم الابتدائي حيث لايزال رسميا ، ولم أعرفه الى الان ، وقد رايت لـه ءاثارا لاباس بها، ولو يحضرني منها شيء ، وهو على كل حال من افاضل النجباء في جيله ، وقد تزوج وولدله

وأخيرا

انتقل سيدى محمد المترجم من مدرسته تلك الى (المعهد) في تارودانت فكان فيه استاذا رسميا ٠ ثم تقدم مرات الى الامتحان في العالمية فلم يساعده القدر ٠ مع ان من كانوا في مرتبته تلاميذه قد نجحوا ٠ وهو اليـوم يقـوم بفرع المعهد في (سيدى بيبي) بهشتوكة ٠ وهو أحد الاساتذة المتفوقين في (المعهد) تحصيلا وتعليما واخلاقا وقد خطر له اخيرا ان يفارق التعليم الى القضاء ٠ ولكن تابى ادارة (المعهد) ان تسامحه ٠ لكونهـا لاتجـد له خلفـا ـ وحسنا فعلت ـ

وله اولاد مع احدى كرائم الفقيه سيدى الحسن العفياني ٠ لانه سلف أخينا الاكبر سيدى محمـد ٠ ووالـد المترجم سيدى احمـد لايزال حيـا يتعاطى التجارة في (تامانارت) وكثيرا ما يكون هو وزوجه عند ابنهما المترجم الذى قرت به اعينهما ٠

والمترجم محظوظ في كثرة تلاميذه ٠ وغالبهم لايـزالـون يستتمرن الآن ٠ وبعضهم أساتذة في المدارس الابتدائية ٠ ولم نكن معتنين باحصائهم قبل ٠ والا لرأى القارىء جدولا طويلا منهم ٠

الفقيـه

ابراهيم بن الحسن السليمانى

نحو ١٣٥٠ هـ = حـى

نسـبـه :

ابراهيم بن الحسن بن محمد بن بلقاسم بن احمد بن سليمان بن محمد ابن أحمد بن عبد الله بن سعيد

هذا أحد الالغيين الناشئين • وقد ظهر في ميدان المعارف اخيرا ، وكانت له مشاركة ما • ولا يزال يزداد •

متعلمـه

افتتح القرءان عند ابن عمه الاستاذ سيدى بلقاسم السليماني في مسجد القرءان • ثم لازم الاستاذ سيدى محمدا السملالى المشهور بوزكن في المسجد نفسه • وبه تخرج في القرءان فقد ختم عليه خمس ختمات • ولـم يتجاوز هذين الاستاذين فى القرءان •

وأما فى العلوم فقد أخذ الاجرومية عند الاستاذ سيدى بلقاسم فـى (ايمور) حسين شارط فى المدرسة هناك • أخذ عنه الجمل والزواوى ومـا اشبههما من متون المبتدئين • كمنظوم الحساب ، ثم كان فى المدرسة(الالغية) بعد سنة ، فلازم استاذها سيدى المدنى سنة ، ثم توفى • ثم لازم أخويه سيدى الطاهر وسيدى الحسن • فاخذ هناك الرسالة القيروانية ثلاث مرات • والالفية مرتين ، والمختصر الى بيوع الاجال • والفرائض للرسموكى • وبعض المقامات الحريرية والتحفة • والاستعارات لابن كيران • والبخارى ولامية العجم وبانت سعاد • والهمزية والبردة والمقنع • بقى فى المدرسة ست سنوات • ثم الى المدرسة (الايغشانية) عند الاستاذ الكبير سيدى عبد الله بن محمد • حيـث بقى سنتين اعاد فيهما الالفية والنصف الاول من المختصر • والفرائض • وكذلك نزل اربعة اشهر فى المدرسة (الجشتيمية) عند سيدى محمد بـن الحاج احمد اليزيدى • هذه مئاخذه فتخرج وسطا بين اقرانه ، ملما بالفنون ولو أمكن له أن يثابر لكان من المتفوقين

بعد تخرجه

شارط فى مسجد فى (أداوكماض) فىأحواز (تارودانت) فاستقر هناك اكثر من عام ونصف • ثم أرسلت اليه وأنا فىالرباط • فوردعلينا فى ربيع الثانى ١٣٧٦هـ فاتخذته اماما للصلاة ومعلما لبناتى • ثم تزوج من عنداصهارنا فالقى مراسيه الى الآن عندنا وفى دارنا ١٣٧٧ هـ

آثار حوله

كانت هفا هفوة فكتب الى اثناء رسالة اعتذاره • وبعد فاننى اطلب المسامحة فيما وقع منى واقالة عثرتى

أحب من الاخوان كل مواتٍ وكل غضيض الطرف عن هفواتى

فليسدل سيدى الستر عما وقع ، وليعذرنى فان الله يمحو بعذر واحد الفى كبيرة • فاجبته بما كتبته ارتجالا صبيحة السبت ٥ المحرم ١٣٧٧هـ

مسامحة اذ تبت توبة نادم فاجدر بمن تابوا بكل المراحم
خلقت عطوفا ابتغى الخير كله لكل جليس حول ربعى حائم
اريد لهم دينا اريد لهم هدى اريد لهم للمجد حرز الدراهم(١)
اريد لهم نيل المعالى بهمة تطير خوافيها ازاء القوادم
اريد لهم ان يحرزوا كل خصلة تنال بأكباب المجد المداوم
اريد لهم فردا لفرد جميع ما أردت لنفسى من جميع المكارم
اريد لهم فضل التقى وشفوفه وطهر ذيول من دنايا المئاثم
أريد لهم ان يستغلوا شبابهم باعمال افذاذ الرجال المقادم
وبعد فان (المين) هيهات ان يرى ذووه نجاحا فى جميع المخادم
وصدق الفتى نعم الملاك لخلقه ومن يعر منه فهو صنو السوائم

ثم ساقته الاقدار سنة ١٣٧٨هـ فكان احد الاستاذة فى المعهد ، ثم ارسل من (تارودانت) الى فرع المعهد الكائن فى (تيزنيت) حيث هو الآن ١٣٨٠ هـ وقد تقدم الى الشهادة العالمية ، فنطلب الله ان يساعده الحظ فى الدورةالاخرى حين لم يساعده فى هذه الدورة الاولى ، انه سميع مجيب

١) كنت اوصى المترجم دائما ان يقتصد ولذلك ذكرت الدراهم هنا

الفقيـه سيـدي

عبد الله بن مسعود التيوتى

نحو ١٣٠٨ هـ = حـى

نسـبـه :

عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد ابن عبد الله بن سعيد •

أحمد بن بلقاسم ووالده بلقاسم بن علي المذكوران في هذه السلسلة هما اللذان مرت ترجمتهما في (الفصل السابق)

ثم ان اسرة ءال مسعود بن عبد الله لها اتصال باسرة ءال صالح ، وقد اقترن مسعود أبوهم بعائشة اخت الاستاذين سيدى محمد بـن عبد الله ، وسيدى علي المتوفاة سنة ١٣٥٩هـ كما تزوج من عنده ايضا شيخنا سيدى عبد الله بن محمد بنته فهذا الاختلاط مع العلماء ، هو السبب حتى امالوا أولادهم للوجهة العلمية ، فكان صاحب الترجمة أول من تعلم العلوم ، وبرز في الميدان

كنت أعرف هذا الاستاذ سنة ١٣٢٩هـ وأنا بالمدرسة (الايغشانيـة) فقد كان اذذاك اتم دراسته • وانما يرد أحيانا لوصلة استاذه شيخنا سيدى عبد الله فكان بسمته وهيئته وورنق ملبسه يأخذ بابصارنا نحن الصغار هناك • والشباب كما أفاض عليه سجله الفائض وشارتـه الاخاذة بالعيون وله لحية سوداء كثة جميلة ، ننظر اليها باكبار واجلال • ثم تفرقنا عن تلك المدرسة • فكان ذلك ءاخر عهدى به ، فلم اره بعد • وقد تقلبت بنا معاالاحوال ربع قرن ، وفي السنة الماضية ١٣٥٦هـ وقد الهبتني الغربة بما الهبتنـي • فجعلت لي من هذا التاريخ شغلا املابه فراغ وقتى • فصرت ابحث عمن لـم اعرفهم من أهلنا ومن غيرهم من العلماء ، ومن عرفتهم كنت اكتفيت بما لي عنهم مما وقرفي صدرى منذ صغرى • فكنت ارى أن ذلك يكفيني في التعريف بهم يوم ارجع وجهتي لتحرير تراجمهم • ولم ادرك مقدار مالذلك من الخطا والخطل ، الافي جلسة جلستها مع ابن العم سيدى عبد الله بن ابراهيم وقد جرى ذكر صاحب الترجمة ، فذكر عنه تطورات وتقلبات له شتى ، كانت بعيدة عن دائرة علمي كل البعد • بل لم تطرق قط اذني ، ولا افترضت بذهني انه ذلك الرجل المقتدر الخواض لكل بحر غطمطم • الولاج الخراج • اللابس لكل حالة لبوسها

مئاخذه للقرآن وللعلم وتقلبات له في الحياة

أخذ أولا عن الاستاذ صالح الساموكنى • ثم سيدى محمد السملالى ، ثم سيدى محمد الاكمارى • فعليهم جود فى مسجد القرية • ثم التحق بالمدرسة (الالغية) فكان يأخذ باذن الاستاذين على بن عبد الله وبلقاسم التاجارمونتى عن سيدى محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن الحسن الماسى متون المبادىء • ثم عن أحمد بن صالح الافرانى ، ثم لازم التاجارمونتى ، ثم أخذ عن الاستاذ سيدى الطيب بن ابراهيم الاكمارى الحساب فى (المخصب) ثم عن سيدى عبد الله ابن محمد فى (ايغشان) وفى (أداى) وعن الاستاذ على بن عبد الله ، فكان من الطبقة العليا التى تشذبت حينئذ • وفى مصاحبة الذين تقدمت تراجمهم قبل هذه وبعدها • فحصل غاية التحصيل • ونال الشفوف على أقرانه فى مختلف الفنون • واخاله أعلى من طبقته كلهم فيما أخذه • وانه فى درجة الاستاذ سيدى عبد الله ابن العم • وسيدى البشير ابن العمة • ثم كان ذلك الحين آخر وقت اخذه ، فاننى رأيته فى سنة ١٣٢٩هـ قد اوكأ المزادة وكان من الفقهاء الذين يشار اليهم وقد كان فى (اداى) قبل ان يتصل بئال ماء العينين ست سنين • ومن هناك عرفهم وقد مر به الهيبة سنة ١٣٢٩هـ من (تامانارت) فى ثلاثين على جمالهم ، فأوصوه على بغلة جيدة رزمت لهم قبل (اداى) فاعتنى بها ثم أوصلها اليهم بعد شفائها ، فالتحم مابينه وبينهم بذلك ، وحين تموجت (تيزنيت) بالمبايعين للشيخ احمد الهيبة كان صاحب الترجمة ممن مثل هناك وكانت له جرءة ومخالقة وانقياد ، حتى انه لايخالف جليسه لافى حديث ولافى غيره • بل يدور معه كيفما دار • فسرعان مااتصل بالشيخ احمد الهيبة، فانتظم فى كتابه ، وقد ذكر لى عنه ان له ترسلا حسنا فكانت كتابته سبب اتصاله بهذا الشيخ الامين ، فسار فى ركابه الى (الحمراء) ثم كان ممن اغبرت قدماه يوم الهزيمة من الحمراء ، فكان بتارودانت فأسرسيف فتيمكر بايت وادريم فكردوس • وهو فى كل ذلك مداخل لمخدوميه مداخلة من اعتنق كل اخلاقهم وهيئتهم حتى فى اللباس الاسود الفضفاض المجرور الاذيال • وارسال الشعر وغيرهما ، كما اعتنق اذكارهم يجاربها كما يجارون ، فدل ذلك على انه ممن يفون لمن افضلوا عليه ، وقليل من الناس من يفون ، وانه ممن يمازجون ومن لايمازج لاتصح منه المخالة

وفى حوالى ١٣٣٢هـ فارقهم وقد رأى أن لابد من ذلك ، وقد ظهر له ماظهر من أمرهم فاسترجع هيأة اهله ، فلبس البياض وحلق رأسه فاتصل بـ (اداى) فشارط فيه أيضا سنوات • ثم لما فارقها شارط فى مسجد (اكرض) بتامانارت وهو فى كل تلك السنوات يتردد احيانا على من فى (كردوس) فيصلونه ويكتبون له مراسيم فى الصيف ، يأخذ بها بعض اعشار • وكثيرا مايتوصل

بأعشار ءال قرية (مستالات) من قبيلة أيت وفقا • ولم يزل الامر على ذلك ، الىأن طويت صحف (كردوس) ءاخر سنة ١٣٥٢هـ وفى يده رسائل منهم متعددة مطبوعة بطوابعهم

هذا طرف من تقلباته الاولى اجمالا ، لانني لم اتصل بما فى ذلك تفصيلا وقد رزقالاعتناء بالتدريس حينا • وهو اهل له لتحصيله • وذلك كل ما ظهرت فيه أعماله • مع ميدان النوازل ، فله فيه جولات ، خصوصا حينكان فى (أداى) ف (أكرض) كما رأيت فقد صار هناك عالم ذلك الوادى • هو والحاج عبد الله اليزيدى الذى سترى ترجمته ان شاء اللهفى (القسم الرابع) ثم بعد الاحتلال كان منالذين يحررون ايضا هناك بالقلم العربى رسوما وماالبها وقد ألم ببعض اللغة الفرنسية ، اخذها عن بعض التراجمة هناك • فدل ذلك على همته • ثم طلق سوس ، فكان فى(ابزو) ماشاء الله قبل ١٣٧٠هـ ثم رجع الى مسكنه فى(تامانارت) وبعد الاستقلالصار معلمافىاحدى المدارس الابتدائية حيث لايزال الى الان ١٣٨٠ هـ

آثاره الادبية

رأيت أن بعضهم ذكر لى ان له ترسلا حسنا • وقد كنت أرسلت اليه فلميتيسر لىانأتصل منه بما أريد ، وهو غير مدفوع عن الكتابة العليا ، لانه انجب طبقته فىالادب وغيره • ولذلك ننكب عن نثره حتى ييسر الله ان شاء اتصالنا به ، فنثبته ان وجدنا ما عنده فى محل ءاخر ك (جوف الفرا) •

وأما ءاثاره النظمية فقد سقط الى بعض نتف مما قاله فى اول شبيبته تشبها بالقائلين • وذلك سداد من عوز • كتب الى اخوان له من الطلبة بعد مافارقهم يتشوق اليهم

عيون العبيد بعد بعد احبتي ... تسيل بدمع بالاسى يترقرق
قصرت اذا ما جبت كل تنوفة ... تشاممت ريار بعكم للتنشق
اعرض وجهى للصبا من تجاهكم ... ليبرد ما فى اضلعى من تحرق
ولكنني ما كنت ازداد بالصبا ... سوى حرقة من أخمصى لمفرقي
سقى الله يومالوصل صوبسحابة ... فزهر امانيي به فى تفتق
فهل ذلك اليوم السعيد يعود لى ... فينكف دمع لم يزل فى ترقرق؟

وقال أيضا يخاطب صاحبيه سيدى صالحا وسيدى محمد بن على المتقدمين:

على اصحابنا زهر السماء ... وزهر الروض من بعد الحياء
تحية من يشوقه اليهم ... من الصبح المنير الى المساء
فؤاد لم يكن ينسى صحابا ... كمزج الخندريس بعذب ماء

تذكر صالح ومحمدا ابن الـــــــ ـــذى فاق الخلائـــق بالعلاء
ابى لى ان أنام بوسط ليل اذا مانام من تحت السماء
فزورا كى تزورا اصاحبا لـــــم يكن يحيـــا عـــلى هذا التناءى

وكتب الى قرينه شيخنا سيدى محمد بن الطاهر

محبتى لك ياخذنى مـــروقـــة ياليت عينى فى ممشاك والفرش
صفا لك الود من قلبى فلو فتقوا قلبى لالفوه من صافى هواك حشى
عليك منى السلام ماتـــهـــب صبا على شجح ففدا فى روح منتعش

فاجابه شيخنا المذكور

احبك الله ياعبد الاله كما احببتنى ففؤادى من هـــواك حشى
لا زال فكرك فكاكـــا مغاليق اســـ ـــرار العلوم بلاعى ولا دهش
عليك منى سلام الله ما طلعـــت شمس النهار فزالت ظلمة الغبش

اخبرنى صاحب الترجمة ان هذه الابيات اصلها انه كتب الى سيدى الطاهر بن محمد وسيدى القرشي الناصرى بهذا البيت فى (اداى)

فى حبة القلب حب الطاهر العلم الـــ ـــبدر المنير المفى والسيد القرشي

فأجابه سيدى الطاهر بقوله :

احبك الله يا عبد الالـــه كما احببتنا ففؤادى من هواك حشى

وبعـــد ذلك خاطب سيدى محمد بن الطاهر بما تقـــدم . فاخذ سيـــدى محمد بيت أبيه وبنى عليه جوابه .

هذه النتف الثلاث كل ما امكن لى ان اتوصل به الان من اقواله والذنب كله له لانه تباطا فى جوابى مع أن ءاثار يده كثيرة وان كان لاينقح ما يقول.

وقد وقفت على بعض مخاطبات يخاطبه بها معاصروه .فربما كانت أجوبة لقطعات له لم نجدها . فمن ذلك قطعة لشيخنا سيدى الطاهر الافرانى يجيبه عن قطعة فى رويها .

العلم فى المحل كنز للذى التمسا وفى الظلام ضياء للذى اقتبسا
فجد عن ساق جديا ابن مسعودان أردت مجـــدا سما بناؤه ورسا
لماتى نظمك الزاهى ببهجتـــه وسال ماء البيان منـــه وانبجسا
أدار لفظك كاسا لى مشعشعـــة سكرت حين رشفت راحه السلسا
عليك ازكى سلام ياهلال سما ء العلم يكشف ليل الجهل ان دمسا

ووفد صاحب الترجمة ورفيقاه سيدى صالح وسيدى محمد بن عـــلى على الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى ، فخاطبهم بقوله :

مرحبا بالثلاثة الاقمار اطلعتها بـروج افـق الفخـار
صالح ومحمد وعبيد اللـــ ـــه هم انجم الهـدى للسارى
قدموا زائرين يـا لك من غلـ ـــة وجـد قـد اطفاوا وأوار
شرفونا بوصلهم فجـزاهـم بمنال المنى الكريم البارى
فهم سادة اتوا منزل العبــــ ـــد فيزهـى اذ شرفوا بمزار
وصل الله مجدهم وادام العـ ـــز فيهم ورفعة المـقـدار
بالنبى الشفيع صلى عليه اللـ ـــه دأبا وءالـه الاخـيـار
وسلام عليكم سادتى مـــا ضحك الروض من بكا الامطار

ثم وقفت اخيرا على قطعة ميمية لصاحب الترجمة يخاطب بها هذا الاستاذ الافرانى فى بعض زياراته اياه نصها

أيا من نحوه انقاد الكرام ويتبعــه لخدمته الانـــام
ويامــن فى الوجود به عيانـا تجـلى الحق وانكشف الغمام
ويامن للمفاخر والمعالـــى يقود الناس وهـو لـهـم امام
اتيتك للزيارة فادعـون لى بخير دام • معـه لاضام

فاجابه الاستاذ

أعبد الله هل هذا نظام سكرنا منه او هذا مدام
بعثت باربع كالزهر تحكـى خرائـد زال عنهن اللثـام
فبورك فيك من ندب تسامى الى نيل السيادة والسلام

وزار مرة هو ورفقة من الطلبة الاديب سيدى محمـد بن على بالمدرسة (الايغشانية) فقال الاديب سيدى محمد بن على يرحب بهم

أيا مرحبا بمن اتونا بغسان وفوا بعهود الوصل من غير نسيان
فكم لكم من حسن ذكر معطر واحدوثة أزرت بمنظوم عقيـــان
لقد قمتم بحق ما بيننا وقد قطعتم موامى يا أفاضل اخدان

وذيلها بعض ادباء الغ

كذاك يكون الودان كان صافيا ممتنة اسبابه بين اخوان
فان كنت ذا ود ولم تك زائرا اخاك فدعوى لـم تؤيد ببرهان

وللشاعر الفحل محمد الامام ابن الشيخ ماء العينين يخاطب صاحـب الترجمة :

أيا صاعدا للمجد اسنى العزائـم وليس جهول الشىء يلفى كعالـــم
وياصاحبا لم أنس دهرى وده اقاسى الهوى من حبه المتقادم

١) الموامى جمع موماة الفلاة

اغص بريقى كلما غبت مثل مـــا | تغص البرى فـى زنديا المعاصم
واصبوا لى سلسال وصلك دائما | صبو من استصبته غر المباسم
فلا تلتفت يوما عن العهد انـا | على العهد ماغنت شوادى الحمائم

وقد كان الشيخ الهيبة اجازه بهذه الاجازة

(أما بعد فليعلم من سيقف عليه اننا اعطينا الاذن التام لمريدنا وولدنا ولد الروح • والابر النصوح ، السيد عبد الله بن مسعود المرابط التيييوتى فى الاسماء العربية ، والايات القرانية ، فى الاستعمال فى خاصة نفسه ونفع من شاء بماشاء من ذلك ، واعطاء الاوراد لمن أراد النفع من العباد ، ونرجو الله ان ينفعه به وعلى يديه • وانى أوصيه كنفسى بتقوى الله العظيم ، لانه هو العروةالوثقى • والمسلك الاقوى • والله يوقر من وقره ، ويعظم من عظمه • ويجازى الجميع بكمال المرام بجاه نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فى ١٤ ـ رجب عام ١٣٣٠ هـ وعليه طابعه الصغير

ثم وقفت على ما قال شيخنا سيدى محمد بن الطاهر يرحب بالمترجم وبرفيقه سيدى محمد بن على وبسيدى صالح وبآخر يسمى أبابكر بن عبد الرحمن ، وقد وردوا عليه سنة ١٣٢٧هـ والجميع اذذاك تلاميذ

يامرحبا باناس كشفوا الكربـــا | عن قلب صب غدا بالبين مكتئبـا
اهلا بوصلكم يا سادة شرفت | بهم منازل عبد بهم طربـا
نجل الشيوخ الكرام الصيد سيدنا | محمد من له فخرا ذا انتسبا
الفكر سيفه يمناه ندى واذى | غيث وليث وطود الحلم ان عـزبا
والماجد الخير الصنديد صالح من | حاز المكارم والعلياء والادبـــا
خلق كما هب نفح الروض صابحه | من النسيم عليل ذيله سحبا
والسيد الندب عبد الله حائز سبـ | ـق فى ميادين نصح والندى نصبا
سامى النجوم مقاما فعلا شرفا | فيالها رتبة فاتت به الرتبا
واختم بواسطة العقد النفيس ابى | بكر بن عبد الرحمان بهم اربا
دوموا ادامكم الرحمان فى دعـــة | منعمين على رغم العدا ادبا
سلام عبدكـم معطرا ارجـــا | عليكم مثـل ودق الغيم ان سكبا

واذذاك خاطبهم سيدى الطاهر بالرائية المتقدمة

(مرحبا بالثلاثة الاقمار) وفى احدى وفدات سيدى الطاهر الى الغ خاطبه كل واحد من هؤلاء بقطعة مرحبا فاجاب كل واحد منهم فقال لسيدى محمد بن على

على الاخ الندب الرفيع الشان | مقذى العدو ومغيظ الشانـى
محمد نجم سما البيـان | للسودد المشـهـود بـالعيان
نجل على الشيخ ذى العرفان | مرشد كـل حائر لـهـفـان
ازكـى سلام عطـر الاردان | ما سر صب بحبيـب دان
هذا وانت فارس الميـدان | مالك مـن نـد ومـن مدان

فجد كل الجد فالتوانى يفضى بمن يهواه للهوان
لازلت فى كلاءة الرحمان ممتعا باليمن والامان
ونيل ما ترجو من الامانى والحفظ من حوادث الزمان
بجاه سيد الورى العدنانى صلى عليه الله كل ءان

وقال لصالح

سلام كما قد فاح غب الحيا العد نسيم ذكت انفاسه بشذا الورد
على بدر افق المجد والعلم صالح بـ ـن احمد من قد لاح فى افق السعد
فلازال يسعى فى اقتناء شوارد العـ ـعلوم الى ان يرتقى ذروة المجد

وقال للمترجم ـ وقد تقدمت ـ

أحبك الله ياعبد الاله كما احببتنا ففؤادى بهواك حشي

(على أنك عرفت فيما تقدم متى قيلت هذه الشينية)

فوائد وإنشادات :

قال يوما اثناء محادثة هذا المثل العربى (مفوز علق شنا باليا) ومعناه دخل فى المفازة ـ القفر ـ مع انه لم يستعد بالماء لها

وقال يوما ءاخر (من غربل الناس نخلوه) اى من عرف بالتفتيش عن عيوب الناس كافئوه بالتفتيش عن عيوبه اكثر منه

وقال أيضا (صبابتى تروى وليست غيلة) معناه ماءى قليل ، ولكنه يروى ان لم يكن كثيرا ، والغيلة بفتح الغين • الماء الكثير

وقال ايضا (لايلام هارب من حتفه)

وقال ايضا (تلبدى تصيدى) وتلبد : التصق بالارض وسكن • اى اذا اردت حاجتك فالبس لطلبها لبوسها بالتمسكن لمن تطلبها منه

وقال ايضا (رب حثيث مكيث)أى رب انسان يسرع ، فكان الاسراع نفسه سبب عدم وصوله للذى يريده

وقال أيضا (ليس عليك نسجه فاسحبى وجدى) أى انك ياهذه لم تلاقى فى نسج ما ألبسته مشقة فابتذليه كما تشائين

وقال ايضا (بالاعتراف يهدم الاقتراف)

وقال ايضا (من يزرع الشوك لايحصد به عنبا) شطر بيت

وقال أيضا (ان كذب نجى فصدق اخلق) شطر بيت من الرجز

وقال ايضا (لاتقعن البحر الا سابحا) شطر أيضا

وقال أيضا (جاء العيان فالوى بالاسانيد) شطر أيضاً

وقال أيضا (حظ جزيل بين شدقى ضيغم) شطر بيت أيضا

وقال أيضا (دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا) شطر بيت أيضا

وقال أيضا (كان كراعا فصار ذراعا)
وقال أيضا (من الحبة تنشأ الشجرة)
وقال أيضا (ما في الحجر مبغي) اى مطلب
وقال ايضا (لست من احلاسها) اى لست من الذين يليقون لهذه الحالة
وقال ايضا (خروف يتقلب على الصوف)
وقال أيضا (ليس فلان بخل ولا خمر)
وقال أيضا (يعد لكلب السوء كلب يعادله)
وقال أيضا (ودع ما لا مودعه)
وقال أيضا (النزائع لا القرائب) والمقصود بالنزائع النساء البعيدات عن المتزوج ، ومعناه تفضيل تزوج غير القرائب
وقال أيضا (ما اهون الحرب على النظارة)
وقال أيضا (اقصر لما ابصر)
وقال أيضا (وعد بلا وفاء • عداوة بلا سبب)
وقال أيضا (الذبان ، تعرف وجه اللبان)
وقال أيضا (شر ايام الديك يوم تغسل رجله)
وقال أيضا (ان ذهب عير فعير في الرباط)
وانشد بمناسبة

رايت الناس تكره ما لديها وتطلب كل ممتنع عليها

وقال (لاتكن رطبا فتعصر • ولايابسا فتكسر) فانشد لهفي هذا المعنى

لا تكن سكرا فياكلك النا س ولا حنظلا تذاق فترمى

وانشد ايضا :

اولئك اخواني الذين رأيتهم وما الكف الا اصبع ثم اصبع

وانشد ايضا :

الناس تكلف بالدنيا وقد علمت ان السلامة فيها ترك ما فيها

وانشد ايضا

ولربما اعتضد الحليم بجاهل لا خير في اليمنى بغير يسار

وانشد ايضا

ان النجوم على علو محلها لترى صغار الجرم وهي كبار

وانشد ايضا :

تان ولا تعجل بلومك صاحبا لعل له عذر او انت تلوم

ذلك هو الاستاذ سيدى عبد الله بن مسعود الذى طلق سكنى بلده فقطن في (تامانارت) الى الان • وقد رزق هناك ما لم يرزق في مسقط راسه والمرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت

احمد بن مسعود التيوتي

نحو ١٣١٤ هـ = حـــى

نسـبـه :

احمد بن مسعود بن عبد الله بن علي بن أحمد بن بلقاسم بن علي بن احمد ابن‌عبد الله بن سعيد

هذا أخو الفقيه سيدى عبد الله بن مسعود المتقدم • وهما معا ابنـاء عائشة بنت الحاج عبد الله بن صالح الزاوى • وهي الوحيدة من الاناث عند أبيها • فاقترن بها سيدى مسعود بن عبدالله • فاورثت العلم ابناءها • وقد تزوج أيضا بنت سيدى مسعود هذا وشقيقة هذين الفقيهين عبد الله واحمد شيخنا عبد الله بن محمد بن عبدالله بن صالح ـ كما تقدم ـ وهي ام ولـده سيدى محمد بن عبد الله ، وام اخته نفيسة التى تزوج بها سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم الغشانى الى ان ماتت عنده وأم فاطمة التى تـزوجهـا سيدى الهاشم ابن سيدى الطاهر بن عبد السلام القصبى التامانارتى • وقـد توفيت زوجة شيخنا هذه منذ عقد من السنين • فتزوج بعدها بسملالية • هى أم صالح واولاده الجدد • استدركنا هذا وقد فاتنا فى ترجمته بمناسبة هذا الذى التفتنا به اليه • وانا حريص على تبيين مثل هذا الان ولهذا بعد أزمـان فائدة جليلة عند أهالينا الاتين الذين نكتب لهم اولا مانكتب • واما المعاصرون فهم حاضرون •

اخذ سيدى احمد بن مسعود بتيييوت عن سيدى صالح الساموكنى• وبقرية الزاوية عند أخواله عن سيدى محمد بن ابراهيم الاكمارى • وعـن بلديه سيدى احمد الاكمارى وعن سيدى ابراهيم القاسمى • ثم افتتح المبادىء العلمية في المدرسة (الالفية) على يد الاستاذ التاجارمونتى ، وعن خاله الاستاذ على بن عبدالله • ثم لازم شيخنا سيدى عبد الله بن محمد بالمدرسة (الايغشانية) و (الادائية) و (السعيدية) بالاخصاص • وقد كنت معه بالمدرسة (الايغشانية) أعوام ١٣٣٠هـ واخذ ايضا عن صنوه سيدى عبد الله بن مسعود • فاتم المختصر والالفية مرات فضلا عن‌غيرها • ولكنه مع هذا الاخذ المتسع انما حصل تحصيلا وسطا مع أننى كنت اراه • وهو معنا اذذاك يعد من الرعيل الاول فى‌المدرسة واخا له قصر بنفسه بعد ذلك • والعلم اذا هجر هجر صاحبه

وقد مضى فى‌ترجمة الاستاذ عبد الله بن ابراهيم نتفة من قوله • ولكنها بيضة الديك • فلم‌ارله غيرها • وقد سالت عنه ايكثر المطالعة • ويـذاكر

بعلومه التى اخذها ؟ فذكر لى عنه مايدل على انه دب اليه مـادب الى كـثـير من الطلبة الذين تبسم لهم الدهر • وهمى عليهم شؤبوب من المعارف •ولكنهم اعرضوا فاشتغلوا بالكد وراء المعاش • وقصروا جهودهم على ذلك • وكسلوا عن الجولان فى المعلومات بما امكن من المطالعة والمذاكرة والمباحثة • ومسائل العلم انفر من الابل غير المروضة اذا تفلتت من عقلها فى أيام الربيع متى بدت لهاقطائع من النياق ، وهاك رسالة كتبها الى بعد ما رجعت الى البلد • وقـد بلغه اننى سألت عنه

الى الاخ الاكرم والفقيه المحترم ، سيدى محمد المختار وبعد فقد بلغنى أننى جريت على لسان ذكرك • فحمدت الله على ذلك • فالله يبقـى ذكرك جاريا على السنة الناس بالخير مجرى الايام والليالى • وكم مرة عولت عـلى زيارتك ولكن

(ارى علل الدنيا على كثيرة)

وكم مرة اصبح عليها • او امسى (أقول افعل والايام كاذبة)

والان ادع لى وسامح لى

أطلب الراحة فى دار العنا   خاب من يطلب شيئا لايكون

والسلام

وله اخلاق هينة لينة دمثة • وقد شرفنى بزيارته مرارا بعد هذه الرسالة فرأيته محافظا على اخلاقه هذه • وهو اليوم يشارط فى المساجد • فمضت له ثلاث سنوات فى (تاركااوخضير) من سنة ١٣٤٥هـ وسنة فى (تاكـنـزا) وسنتان فى (ادعلىاوباها) وثلاث فى (انفك) ثم فى (امتضى) ثم فـى السنة الماضية شارط فى (ايغير) بوادى (تامانارت) ولايزال فيه سنوات • وهكذا لايزال يتنقل بين المساجد ويعلم القرءان

وكان اهدى الىشيخنا سيدى عبد الله بن محمد سراويل فاجابه شيخنا بقوله :

كسانى سربا لايقىالبرد والشمسا	كساه الاهى ما يوقى بـه البأسا
اخونا الاديب نجل مسعوداحمدالته	ـيوتى من قد حاز كل العلا رأسا
بجد وحزم واجتهاد وهـمـة	ونفس عـن الدنيا الدنية لاتأسى
كفاك فدم ياصاح حتى ترى عـلى	بساطالعلا يسقيكرب الورىكأسا
ومن يصطبر يظفر قريبا بحاجـــه	وحيط من الشيطان لم يغشهبأسا

أخبار عنه أخيرا

كان كما ذكرنا ربما شارط في بعض مساجد مشارطات يزجى بهاالايام لاتسمن ولاتغني من جوع ٠ والدهر عنه مزور ٠ وعيشه مفـتـر الى ان بدا للدهر فاذا به التفت اليه التفاتة فاذا به من المقربين الى (المحكمة) ٠ كفقيه ثان ازاء سيدى الطاهر بن علي ٠ فأمكن له ان ينتعش وان يذوق حلاوة للحياة ٠ وذلكنحو ١٣٧٢هـ وهو على ذلك الى ان جاء الاستقلال فراجع المشارطة فـي المساجد وهو الانفي مسجد قريته (تافراوت) الالغية اعانه الله وسدده الحقت هذا اواسط ١٣٧٩ هـ



سيدى عبد الحميد ابن الشيخ

١٣٢٢ هـ = حـــى

نسبـه :

عبد الحميد بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد

شقيق الاخ الاكبر سيدى محمد • وامهما فاطمـة • وهما الذكران الشقيقان اللذان أدركا مدرك الرجال كان عبد الحميد قرين سيدى الحاج عبلا المتقدم منذ نشئا • فأخذا القرءان معا في محلات متحدة ، واساتيذ متحدين ثم افتتحا أيضا العلوم معا ، فكانا اولا في (ايغشان) عـنـد سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، ثم عند الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم في (ايت امر) ثم عند الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح هناك • ثم انقطع المترجم عن قرينه • فذهب الى (بونعمان) حيث ربض ماشاء الله • ثم الم حينابادوز عند سيدى المحفوظ

هذه هي المدارس التي زارها • ولكنه لم يستفد ما يعد به بين الطلبة الالغيين الا ما يخرج به من الامية ، ويستطيع به ان يكتب رسائل ساذجة بخط لاباس به • ثم لازم دارهم ، فصار يعين شقيقه الاكبر فـي شئون الدار الى أن تولى شقيقه رياسة المرابطين بعد الاحتلال • فكان عضده ثم نائبه الرسمي بعد الاخ أحمد • ثم لما نفت الحكومة الاخ الكبير الى (اكلو) ابعاداله تعين هو رئيسا على المرابطين في محله فبقي في هذه الرياسة نحو عشر سنين اجتهد أن يتمشى فيها على حسب خطة اخيه • وقد لاقى من المراقبة اخيرا فـي أيام الازمة شدة وعنتا وتوبيخات رسمية • رأيت بعضها • ثم لماجاء الاستقلال أراحه الله من تعب تلك الرياسة • فاقام بالدار • فاصبح وحده عميدها فيحاول ما استطاع أن يقوم بالعبء وان كان العبء ثقيلا • فهاهو ذا الان يصاير لأواء (الغ) في الوقت الذى لايجد فيه معينا ولا عاملا ، ولامن يستجيب لندائه فنطلب الله ان يكون في عونه •

ونحن نذكره هنا لرياسته التي مضت في (الغ) • على ماكنا شرطناه في الكتاب والرجل محافظ على صلاته في اوقاتها • وفيه نفحة من نفـحـات الفقراء • فالله يوفقنا واياه • ولم يرزق من الاولاد الا ولدا واحدا اسمه عبد الرحمن ثم سمي عبده • وهو الان يعمل مع الجند • وقد كان المترجم تزوج باحدى كرائم الشيخ سيدى احمد الفقيه الركنى رضي الله عنه • وهي حية الان ١٣٨٠هـ

سيدى عبد الله بن اليزيد الالغى

نحو ١٣٢٥ هـ = حـــى

نسبـه :

عبد الله بن اليزيد بن محمد ـ فتحا ـ بن احمد بن عبد اللهبن سليمان بنعبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

هذا هو الرئيس على المرابطين السعيديين الان • وله معلومات لاباس بها مع حفظ القرءان فى بلده ، فقد اخذ القرءان عن الاستاذ محمد ـ فتحا ـ ابن محمدالسملالى فىمسجد القرية • ولعله استاذه الوحيد وقد نشأ تحت نظر والد لميكن يفارق العلامة على بن عبد الله فى وقت يتمنى فيه كل الغى انيكون عالماعربيا مبينا • لما يرونه من شفوف العلماء الالغيين وسعادتهم رأى العين وذلك فى عهد محمد بن عبد الله وفى عهد العليين: على بنعبد الله وعلىبن احمد

ثم انقطع الى المدرسة (الالغية) وفيها اذذاك الاستاذ احمد ابن الحاج محمد اليزيدى • فعنده افتتح المبادىء • ويحضر احيانا فى دروس يلقيــها العلامة على بن عبدالله • ومن عند هذين اخذ ماتيسر له اخذه • ثم دفعهوالده للقيام بشئون الاسرة • فحال ذلك بينه وبين اتمام دراسته • ولعل فى ذلك خيرا • حين غادر هذه المدارس بسرعة • لأن عهدنا بها اذذاك تفسد من اخلاق التلاميذمالاتكاد تصلحه بوساطة المعلومات

ثم اشتهر المترجم بالتجارة فلحظته السعادة فيها لحسن معاملته • ولكونه كريما ولبقا فيماشى كللون من ألوان الحياة التى مرت فى (الـغ) قبل الاحتلال وبعده • وقد ازدهرت تجارته فى حين حتى صار من المغبوطين بينأهل حرفته • فتوسع فى تاثيل الاملاك • فزاد كثيرا الىماكان والده اثله وهو يملك منالمشترين القلوب قبل ان يملك ماعندهم من الجيوب • ولاتكاد ترىاحدا رأى منه مايسوء فى وقت تجارته الواسعة • ثم لما جاء الاستقلال اختارته السعادة للمرابطين بعد الاخ عبدالحميد • فأداه اشتغاله بمهاموظيفته الى ان فترت همة التجارة فى نفسه • فها هوذا بعد خمس سنين مشكور بكل لسان الامنلايريد الاستقامة وافضل مافيه انه يراعى الحرم وذوى البيوتات الكبرى • ولايتعالى على أحد • ويصبر على كلماعسى ان يلاقيه ممن لايقدرونه قدره وفقه الله واعانه وقد اعتنى بغرس الزيت حـول داره •

فاقتدى به ءاخرون • فحفروا ءابارا خاصة لهم يستقون منها بالمضخات ولم يكن هذا بمجموعه معروفا عند المرابطين الالغيين قبل • وانما هى ءابارمشتركة

وقد كان الله اكرمه بسيدة عاليةالهمة وهى فاطمة بنت سيدى عبد الرحمن بن محمدبنالحاج عبدالله بنصالح • فعمرتداره • ورفعت من شان مائدته • الى ان توفيت نحو ١٣٧٨هـ فخلفت له اولادا نجباء فى مقدمتهمالسيد احمد الحافظ لكتاب الله • والمحصل على معلومات حسنة من المدرسة (الالغية) ومن المدرسة (الشيشاوية) عند الاستاذ سيدى محمد بن احمد المتقدم ثم تقلبت به الاحوال الى ان تعين كاتب الضبط بعد الاستقلال فى (تافراوت) ثم أخاهابراهيم الذى التحق أيضا بعد ما حفظ القرءان بسيدى محمد بن أحمد فأخذعنه كثيرا ثم التحق بالثانوى من كلية ابن يوسف حيث هو الى الانيتتبع ولهما اخ يسمى عبدالرحمن لايزال كذلك فى الثانوى فى مدرسة عصرية • فى (تيزنيت) وهكذا رزق المترجم من اولاده قرة عينه • ويرجومنهم ان يدركوا مالم يدركه هو من العلوم •



خـاتــمــة

انتهى القسم الاول بفصليه • وقد اجتهدت ان اذكر فيه كل من لهشأن من المرابطين السعيديين • فاعتنيت اولا بالصالحين منهم قبل ان ينبثق منهم العلم • ثم لما رفرفت على الغ راية علومهم حرصت على ان اذكر كل من لهمن المعلومات • وان لم تتسع كثيرا • مادام مارا بالفنون • وءاخذا للمتون ويقدر ان يحرر بالعربية • وان يقرأ كتبها قراءة يفهمها • او كانله في الفقه يد • واخالني استوعبت الجميع من الاموات ومن الاحياء • ولم يفتني الاالاستاذ سيدي محمد ابن اخي صاحبنا الكريم الحسن بن بلامن اكاديرايزرى وهواستاذحسن ربما كان افضل من بعض من ذكرت • ولكن أرسلت اليه مرارا ليوافيني بترجمته فلم يجبني فكان ذلك هو السبب على ان لم اذكره • على ان اعماله ستذكره فيما بعد • وقد كنت عرفته اذ انا في البيضاء • وقد جاور عندي حينا واخذ عني قليلا وقد رأيت له همة وفهما وتحصيلا • وحبا للاستتمام • ثم فرق الدهر بيننا • وقد سمعت انه شارط في مدرسة (للاماماس) في (امانوز) ثم في مدرسة (تازموت) بسملالةومثله من تعمر به المدارس • وفقه الله كماانني ذكرت من كانوا رؤساء المرابطين لان الشفوف كما يكون بالعلم والصلاح يكون أيضا بالرياسة • فما ينبغي لنا ان ننساهم • مع انهم قاموا بأدارة شئون المرابطين احقابا

فياخواني المرابطين • هذا تاريخكم سجلت منه ماامكن في هذا (القسم) وقد رأيتم انكم من البشر • وأنكم ماامتزتم عن الحربيليين والمجاطيين وأمثالهم الابالدين المتين والعلم الصحيح • فبماذا ظهر جدكم عبدالله بن سعيد حتى نال شأنا عظيما في عهده الا بالدين المتين ؟ وبماذا ساد سليمان بن محمد • وابنه ابراهيم ، ومحمد بن بلقاسم ومحمد بن عبدالله وعلي بن عبد الله وعلي بن احمد الا بالدين المتين ، وبالعلم الصحيح ؟ فقد كان مجد الصالحين الاولين من اجدادكم مجدا اقليميا لايعد وتلك الناحية ثم لما كان مجد العلمـاء الصالحين منكم مجد الصلاح والعلم معا طارت لكم الشهرة حتى عمت الخافقين وشرق ذكر (الغ) وغرب • وسمع انباءه حتى الصم • ورأى سناه وسناءه حتى العمي افيقدر هذا الجيل الذي نراه الان يدرج بين ايدينا قدر هذا المجد العظيم • ليعض بالنواجذ على الدين المتين • وعلى العلم الصحيح • فيسلسل الى الاحفاد ماساد به الاجداد

ان أولادنا اليوم مضطرون ان يشاركوا في كل ميدان من ميادين المعرفة وان يحاولوا كما يحاول اهل جيلهم ان يتفننوا من لغات اخرى غير العربية • ولكن ايحملهم ذلك على الاعراض عن اتقان العربية التي هي مفخرةاجدادهم واسس مجدهم الشامخ ؟

لاكذب قومى ـ والرائد لايكذب اهله ـ ان الزمان قد استدار • وان مجد اليوم غير مجد أمس وأن الافراس فى المغرب اليوم لتجرى ملء فروجها اطلاقا • فان شمرتم يا أهل (الغ)شاركتم بكلعزيمة • وبذلتم من الجهود ما عرف به من قديم (الالغيون) فان مكانتكم لاتزال لكم محفوظة بين الماجدين وما ذلك الابالاقبال التام على التهام العلوم كيفما كانت • مع الحرص علىاتقان اللغة العربية • وعلى المحافظة على الدين المتين • فلئن قمتم بهذه المساعى لياتين مؤرخ ءاخر يسجل عنكم علماء ءاخرين كبارا فى كل علم • ودكاترة عظاما فى ميادين شتى • واما اذا تكاسلتم وتواكلتم وجركم احتقار العربية او تناسيها • ودب اليكم ضعف العقيدة الاسلامية الحق • وتهاونتم فى القيام بشعائر دينكم • فعلى الغ منذ الان السلام • وسيكـــون هذا الكتاب ءاخر من سجل لمن يستحقون الذكر من بنيه (لاقدر الله)

تـم الجزء الثـانى
ويليه الجزء الثالث
بعـون الله وقوتـه

الفهارس ستة

١) فهرس المترجمين

٢) الفهرس العام لعناوين ما في الكتاب

٣) فهرس القوافي

٤] « الرسائل والمقالات والمحاضرات والاجازات

٥] « الخطأ والصواب

٦] « الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

الفهرس الاول للمترجمين

الفهرس الثاني في البرنامج العام للعناوين

الفهرس الثالث فى القوافى التى يقولها المترجمون ونكتفى بالشطر الاول ان كان المطلع مصرعا والا فناتى أيضا بالكلمة الاخيرة من الشطرالثانى

الهمزة

الحـــاء

الـدال

الراء

السيـن

الشيـن

الصـاد

الضـاد

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

الفهرس الرابع

في المنثورات من الرسائل والمقالات والمحاضرات والاجازات
وقد تكرر الارقام لتكرر المرقوم لها

الفهرس الخامس في الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٦	التاسينتي	التياسينتي
٣	١٦	الافقيري	الاوفقيري
٥	١٧	تجاوروا	تجاروا
٥	٣٠	مودبين	مؤدبين
٧	١	فلما يستقر	قلما يستقر
٧	٢٧	نخلا	نفلا
٨	١	لم يلبت	لم يلبث
٨	١٨	الباذج	الباذخ
٩	٩	تكلف كما	تكلف ما
٩	٣١	ترجمتها	ترجمتهما
١١	١	الافقيري	الاوفقيري

١٤	٣١	من العملوم	من العلوم
١٦	١٨	خائف فزع	صارخ فزع
١٩	٢١	ابن قربتى	ابن قريتى
٢٢	٢٢	وكم منحة فى طى منحة	وكم منحة فى طى محنة
٢٣	٨	الفوض	الفرض
٢٩	١٣	يجحبك	يحجبك
٣٠	٢	لان افضحك	لا ان افضحك
٣٤	٢٠	الاستاذ	الى الاستاذ
٣٦	١٤	قبلك	قلبك
٣٨	١٣	مرور ما	مرور أما
٣٨	٢٧	بضائر	بضائر
٣٩	٢٩	سلامـة	سلاسة
٤٣	٣٣	ذلك	ذاك
٤٤	٤	رضى الله	رضى الله عنه
٤٤	٢١	لئالى	لئال
٤٥	١٠	الغموسى	الغموسا
٤٥	٢٥	المعشعشة	المشعشعة
٥٠	١٧	وكذلك	كذلك
٥١	٢٥	سيدى	لسيدى
٥٢	٢٥	ثم توفى سنة	ثم فى سنة
٥٤	٤	ورقت	رزقت
٥٦	١٨	المتقدمين	المتقدمتين
٥٨	٢	الطالبى السليمانى	الطالبى السعيدى
٦٤	١٣	من تحت الحصن	من تحت حصن
٦٤	٢٣	الشديد	السديد
٦٥	٣	وووری	وورى
٦٦	٩	البعيقلى	البعقيلى
٦٦	١٢	ما اخبره به	ما اخبر به
٦٧	٧	والقول منك	والفعل مبك
٧٠	١١	واعترم	واعتزم
٧١	١٠	ذلك	ذاك
٧١	١٢	ان اجشاك	ان أشجاك
٧٨	١٩	منه	منها
٨٦	٢٨	فى اقناء	فى اقتناء
٩٠	٢٤	فليجعل	فليجل

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٠٦	١٢	ولنكه	ولكنه
١٠٧	٢	دراهم	دارهم
١١٠	١١	الصالحين	الصالحيين
١١٢	١	في الحمراء	من الحمراء
١١٤	٢١	لاتزدر	لاتزدرن
١١٤	٢٣	في تقلبه	في معاملة
١١٥	١١	استمام	استتمام
١٢١	٨	ويغرس الا فيمنابتهالنخل	وتنبتالا فيمنابتهاالنخل
١٢٥	٢١	ومن يك راحما	ومن يك حازما
١٣٠	٧	اقلت	أفلت
١٣٣	١٣	بينين	بيتين
١٣٧	٦	بهزة	فهــزه
١٣٧	١٧	بدار	بــدرا
١٤٠	٢٩	والداركة	والدراكة
١٤٢	٢٦	هذا لمقام	هذا المقام
١٤٣	٢	لاصحاب	لاصحابي
١٤٣	١٤	مدبع	مدبــج
١٤٤	١٥	لا بجرد	لا بمجرد
١٤٥	٢	اذا طالما	اذ طالما
١٥١	١٩	كالفرى	كالقرى
١٥٢	١٥	ودى بلن	وذى بــدن
١٥٢	١٧	فلا مقر	فلا مفر
١٥٣	٢	بفعله	يفعله
١٥٣	٦	بجثته	بجنته
١٥٣	١١	مرثيه	مرثية
١٥٧	١٢	بلاطفة	بملاطفة
١٥٨	٢٣	نقص	نقض
١٦٤	١٧	مسالممة	مسالمة
١٦٥	٢٩	في بحبوجة	في بحبوحة
١٦٦	٢٦	واخوتنا	واخواتنا
١٦٧	١٤	فمن ذالذى	فمن ذا الذى
١٧٠	١٣	من والد	من ولد
١٧٠	١٥	رباه	ريـــاه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨٢	٦	ميادين	ميادن
١٨٣	٦	سلامة	سلامه
١٨٤	٢٩	بالمرة	بالمبرة
١٨٦	١٥	وتعاظ	واتعاظ
١٨٧	٣١	ومن تحطه فعلته	ومن يحطه فعله
١٩١	١٦	العصاء	العصماء
١٩٣	٣١	ثم نتفرع	ثم نتفرغ
١٩٥	٦	رمدته	ومدته
١٩٥	٢٠	فذ المنى نرياقى	فذى المنى ترياقى
١٩٥	٢١	لحيه	لحبه
١٩٦	٢٢	قد حسها	قد جسها
١٩٨	٤	سيدى	سيد
١٩٨	١٠	بـد	يـــد
٢٠٢	١٩	جداد	جذاذ

٢٠٦ سقط بعد السطر ١٨ سطر برمته وهو

اليه والده الاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم فدخل هذا الاستاذ أذذاك ٠

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٦	٣١	منهر	منهمر
٢٠٩	٢٥	غيب	غـــب
٢١٠	٧	التعارف	المتعارف
٢١١	١٨	منازل الكرام	منازل الكرماء
٢١٤	١٠	من دوج	مـن دوح
٢١٥	١٩	لفث	لفتت
٢١٥	٢١	نفسية	نفيسة
٢١٦	٤	(كرر البيت الثالث)	
٢٢٢	١٣	بين مهاده	يبنى مهاده
٢٢٢	١٤	ويستهل	ويستسهل
٢٢٥	٥	الخطيئة	الحطيئة
٢٢٥	١٣	بالابيضاء	بالبيضاء
٢٢٦	٥	لكثرين	لكثيرين
٢٢٨	١٩	سراه	مسراه
٢٢٩	١	الزواوى	الزاوى
٢٣٧	١٥	الى أنه الان	الى الان
٢٣٨	١	قسطاطا	فسطاطا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٠	١٤	لما اراد أن	لما أرادا أن
٢٤١	١	وسلاة	وسلامة
٢٤١	٢٠	وتبة	رتبة
٢٤١	٢٤	فبل	قبل
٢٤٣	١١	الوقحيين	الوقحين
٢٥٩	١٠	العم	انعم
٢٦٠	١٥	أمده اله	امده الله
٢٦٥	١٠	ماastر	ما استتر
٢٦٨	١٠	ثم التحقوا	ثم التحق
٢٦٩	٢	التى لازم	الذى لازم
٢٦٩	٣٠	والاستعارت	والاستعارات
٢٦٩	٣٠	وهو الذى اليوم	وهو اليوم
٢٧٠	١٣	تاردانت	تارودانت
٢٧٥	٥	مبارك	مباركا
٢٧٥	١٢	ررافلا	رافـلا
٢٧٥	١٤	وماوراء	وما راء
٢٧٥	٣٢	للثواب	بالثواب
٢٧٥	١٦	تلاميذتنا	تلامذتنا
٢٧٦	١٠	واصيغت	واصغيت
٢٧٦	٢٧	ذحر	ذخـر
٢٧٧	٦	يبض	ينبض
٢٧٧	٧	به (فى الجميع)	بها
٢٧٨	١٢	وهو الفاجعة	وهول الفاجعة
٢٧٩	٣٢	أى	اى
٢٨٠	٢٢	او باطنا	وباطنا
٢٨٤	١٠	بالحمراء بعد	بالحمراء
٢٨٥	٢٦	ساء	ساءت
٢٨٦	٣٣	ان يصحوا	أن يصحو
٢٨٧	٢٧	حتى يبدر	حتى يهدر
٢٨٧	٤	(فى الحاشية) جفلة	حفلة
٢٩١	٢٦	النقابيين	النقابين
٢٩٣	١٥	المؤخرين	المؤرخين
٣٠٢	١٥	حيت بفكرى	احيت بفكرى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٢	١٨	المصطفى	المصافى
٣٠٧	٢	اطيابا	أطايبا
٣٠٨	٩	أهــل	أهــلا
٣١٥	١٨	وفى شتباك	وفى اشتباك
٣١٦	٢٤	اللال	اللئال
٣٢٣	١	وثـم	وتــم
٣٢٣	١٤	على أخذ	على أحــد
٣٢٥	١١	الاحاديث	الاحديث
٣٢٦	٢٣	الا انستطيع	الا نستطيع
٣٢٦	٢٧	لثكن	لنكن
٣٢٨	١٣	فى ترجمته	فى ترجمة
٣٣٢	١٨	واستمعنا	واستعملناها
٣٣٥	٦	الشقراى	الشقراوى
٣٤٢	١٨	واسمه	واسمها
٣٤٤	١	الصالحى	ابن الحاج صالح
٣٤٥	٤	يتوقنها	يتوقونها
٣٥١	١٠	تافكولت	تافنكولت
٣٥٥	٤	فى صاحبى	فى صاحب
٣٥٨	٢١	ويقولونه	ويقولون
٣٦٢	١٣	تتمتع	تمتع
٣٧٠	٢٢	ايت بريم	أيت برايبم
٣٧٢	٧	ابن زيدان	ابن زيدون
٣٧٣	٢٠	فى مرتبته	فى مرتبة
٣٧٣	٢٩	يستتمرن	يستتمون
٣٧٦	١١	الابغشانية	الايغشانية
٣٧٧	٢٢	الامين	الامير
٣٧٨	٢٢	يترقرق	بترقرق
٣٧٩	١	ومحمدا ابن	ومحمد ابن
٣٧٩	٣	تزورا أصاحبا	تزور اصاحبا
٣٧٩	٥	ياخذنى	ياخدنى
٣٨٢	٢٤	وجدى	وجــرى

(الفهرس السادس) فـي الكلمات الشلحية التى فيها تشديد فـي بعض الحروف ولاينسين القارىء ماكنا ذكرناه في مطلع (الجزء الاول) من أننا نجعل أمام الحرف المفتوح الفا ٠ والمكسور ياء ٠ والمضموم واوا ٠ فيالكلمات الشلحية ٠ وأما اذا كان بعض الحروف مشددا من بعض الكلمات فاننـا سنفردها آخر الجزء ٠ ولهذا جعلنا امام القارىء في هذه الصفحة مايراه

أمَازّر	إيذبنّيران	إيكّي أو فرني
أمْلّنْ	إيسيل أوزّموزْ	باوْلّا
أكّماض أوساكا	إيداوْ كمّاض	تَازّمورت
أنامرّ	إيزحّالّن	تَالات غنزّيفّنْ
أكّني إيذيّانْ	إيغير وّيلّولّن	تَالَات ووشّن
أيّت أوحامّو	إيغير مَلّولّن	تيبّوزك
أكّادير زكّاغن إيسافّن		تيبّيوت
أيّت أومرّى	إيزونّيضن	دومّانّت
أمّسرا	إيذ واوْسّارْ	مومتّولْ
أكّليد	إيسّكْ	وَالكّوتْ
إيغشّانْ	إيداكّيلّولْ	ويّجانْ

طبع بمطبعـة النجـاح ـ الهاتف ٠٧ـ٣٠١
الدار البيضاء ـ المغرب الاقصى
عام ١٣٨٠ هـ = الموافق سنة ١٩٦١